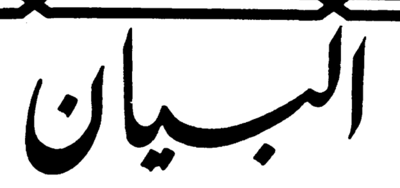


مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن المنتدى الإسلامي

من العـــدد

الثالث عشر ـ الثامن عشر



العدد الثالث عشر : ذو الحجة / ١٤٠٨ هـ ــ آب (أغسطس) ١٩٨٨ م

مجلة إسلامية جامعة
تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لندن

تصدر مؤقتاً كل شهرين

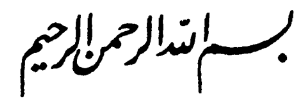
رئيس التحرير
محمـد العبـدة

مدير التحرير
منصـور الأحمـد

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place, Parsons Green, London SW6 4HR U.K.

Tel : 01-736 9060



المحتوى



عـواقب التبذيـر

هل المسلمون فقراء ؛ وهل صحيح أن الله حرمهم حيث وسَّع على غيرهم ؟ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

إن فضل الله على المسلمين لاحدود له ، ولا يحيط به وصف ، وإن ماحباهم به من الخير تتحلب له نفوس غيرهم ، وتتكالب على الظفر ببعضه القوى من شرق وغرب .

إذن ؛ فما سر هذا الضنك الذي يعيش به المسلمون ، وماذا وراء هذا الهوان الذي يلفُّهم حينما تطرح قضاياهم على موائد المساومات ؟!

إن هذا السؤال يقض مضجع كل من يحمل قلباً من المسلمين ، ويؤرقه ليل نهار بحثاً عن الجواب .

وعلى كثرة الأجوبة وتشعبها ، ومن خلال تجميع الأسباب للخروج بنتيجة يمكن إبرازها ؛ فإن هناك ظاهرة تصب في أسباب الضعف والتراجع ، ألا وهي ظاهرة التبذير والإسراف .

وحينما نقول : ظاهرة ؛ فإننا نعني أن الأمر خرج عن أن يكون

مسلكاً فردياً لقلة من الأفراد لاتأثير لهم في المجتمع الكبير . ولو كان الأمر كذلك لما استحق أن يُنَوَّهَ به كسبب رئيسي من أسباب التخلف والانحطاط .

ونريد أن نتقدم خطوة أخرى فنقول : إن من شأن البعيدين عن هَدْي الإسلام والقرآن إذا اغتنوا أو ملكوا شيئاً من أسباب القوة أن يدفعهم ذلك إلى الإسراف والبطر والتعالي على خلق الله ، وعيش اللحظة الراهنة دون تفكير بالعواقب ، ولا وضع النهايات في الاعتبار .

ولكن حديثنا لن يتجه إلى هؤلاء ، وإنما يعنينا أن نتوجه إلى من يفترض فيهم بعد النظر ، وعدم الاغترار باللحظة العابرة ، وهم الذين يهمهم أمر المسلمين ، ويعيشون من أجل الفكرة الإسلامية ، لها يعملون ، وفي سبيلها يضحون .

يحسن بالمسلم أن يفرق بين الكرم ، الذي هو خلقَ أصيل من الأخلاق الإسلامية ، وبين التهور في التبذير .

فكثير من فضلاء المسلمين يدفعهم الخوف من وصفهم بالبخل ، وحرصهم على أن يوصفوا بالكرم إلى أن يتكلفوا في المأكل والمشرب والملبس والمركب ، ويقلدوا من يطفون على صفحة المجتمع من مُحْدَثي النعمة ، وعندما تتحول القيادة الفكرية في مجتمع ما إلى مثل هؤلاء الذين يضربون أسوأ الأمثلة للآخرين ، في غيبة المبادىء التي تعمل على تماسك المجتمع في وجه الرياح التي تهب عليه من كل جانب ؛ فأي خير يبقى في الحياة ، وأي أمل في تحسن الأحوال ؟

إن المجتمع المسلم بحاجة إلى مثل أعلى في هذا المجال غير من تملأ أخبارهم أعمدة الصحف والمجلات ، مثل أعلى في الحكمة والتعقل في مجال الإنفاق ، والبعد عن تضييع الأموال في ما لايجدي .

وعلى عقلاء المسلمين الانتباه إلى حسن التدبير والنظر إلى مستقبل الدعوة الإسلامية ، فهذه الدعوة إذا تحسن حالها بما يبذله المحسنون في سبيلها عن طريق التبرع والإحسان ؛ فإن حالها سيكون أحسن إذا قامت مشاريع ومؤسسات صلبة قادرة على الوقوف بذاتها دون الاعتماد المتواصل على الصدقات والهبات ــ وهذا ليس تعريضاً أو تشهيراً بالصدقات ــ وأول خطوة في سبيل ذلك أن ينهض بهذا الأمر أناس ينفرون من المظاهر ، ويتحرون البعد عن التنطع الذي يمحق البركة . فالبركة في المفهوم الإسلامي ليست أمر خيالياً يصعب تعليله ، وإنما هي ثمرة الجهد الذي يصدر من أناس أخلصوا نيتهم لله ، وتبرؤوا من كل حول وطول إلا من الاعتماد عليه في كل شأن من شؤونهم ، وبذلوا وسعهم ، وحين يعلم الله سبحانه صدق تجردهم ، وبذلهم جهد طاقتهم يجعل الله لقليلهم ثمرة ، ويبارك جهدهم ، كما قال تعالى : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لايكلف الله نفساً إلا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ [الطلاق / ٧] .

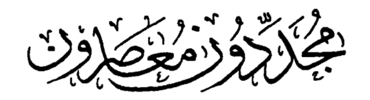
فما بالك بالكثير المثمَّر ؟ في حين يمحق سبحانه جهود من يحادونه ويصدون عن سبيله ولو كان القناطير المقنطرة التي تنفق من أجل ذلك ، مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ [الأنفال / ٣٦] .

إننا لانأتي بجديد إذا دعونا المسلمين إلى الاقتصاد في النفقة والبعد عن تبديد نعمة الله فيما لايعود بالفائدة ، فقد قال رسول الله ﷺ :

« إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا

تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » [رواه مسلم ٥ / ١٣٠] .

وما لم يعلنها المسلمون ــ وأخص العرب منهم الذين أكرمهم الله بهذا الدين ، وامتن عليهم بأن جعلهم في سرة العالم ، وأئمتهم على تبليغ هذه الرسالة للعالمين ــ أقول : مالم يعلنها المسلمون حرباً على التبذير في كل مجال فإن اليوم الذي ستغزوهم فيه منظمات الإغاثة قريب ، والساعة التي ستجعلهم في عداد الدول التي تتناوشها هذه المنظمات من كل جانب ، والبنك الدولي من جانب آخر تلوح في الأفق ، ومن يدري عندها ؟ فقد يحقق هؤلاء فتنة المسلمين عن دينهم ، وهو ماعجزوا عن تحقيقه قبلاً بقوة السلاح ، وأمامنا أمثلة حية من بنغلاديش وموزمبيق والحبشة وغيرها □



رواد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الشيخ عبد الحميد بن باديس

في مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري ، ومن أسرة عريقة في المجد والثراء والعلم ولد الشيخ عبد الحميد بن باديس عام ١٣٠٨ هـ ١٨٨٩ م ، فهو ينتسب إلى الأسرة الباديسية المشهورة في التاريخ . فالمعز بن باديس (٤٠٦ ـــ ٤٥٣ هـ) هو الذي أبعد النفوذ العبيدي (الفاطمي) عن المغرب ، وعمل على تنظيم انفصال المغرب الإسلامي سياسياً ومذهبياً عن الحكم العبيدي ، وحارب الشيعة الرافضة في أفريقيا ، وحمل الناس على اعتناق المذهب السني ، وكان الشيخ عبد الحميد يفتخر بأعمال هذا الجد . أما والده محمد المصطفى فهو من كبار الموظفين والوجهاء في قسنطينة ، وعضو المجلس الجزائري الأعلى ، وقد عرف دائماً بدفاعه عن مطالب السكان المسلمين في قسنطينة ، يقول عنه ابنه :

« إن الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة ، ورضي لي العلم طريقة اتبعها ومشرباً أرده ، وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم وراشني وحماني من المكاره صغيراً وكبيراً .. » [1] .

فهذا الوالد لم يحاول ثني الشيخ عن أي عمل يقوم به في الدعوة كعادة الآباء الذين في مثل وظيفته ووجاهته ، كما أنه لم يلحقه بالمدارس الفرنسية كغيره من أبناء العائلات الكبيرة .

---

١ ـــ د . عمار الطالبي : ابن باديس حياته وآثاره ٢ / ١٣٨ ، ط دار الغرب الإسلامي .

نشأ ابن باديس في بيئة علمية ، فقد حفظ القرآن وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، ثم تتلمذ على الشيخ (**أحمد أبو حمدان الونيسي**) فكان من أوائل الشيوخ الذين لهم أثر طيب في اتجاهه الديني ، ولا ينسى ابن باديس أبداً وصية هذا الشيخ له : « اقرأ العلم للعلم لا للوظيفة » بل أخذ عليه عهداً ألا يقرب الوظائف الحكومية عند فرنسا .

في جامع الزيتونة :

في عام ١٩٠٨ قرر ابن باديس وهو الشاب المتعطش للعلم أن يبدأ رحلته العلمية الأولى إلى تونس ، وفي رحاب جامع الزيتونة الذي كان مقراً كبيراً للعلم والعلماء يشبه في ذلك الأزهر في مصر . وفي الزيتونة تفتحت آفاقه ، وعبّ من العلم عباً ، والتقى بالعلماء الذين كان لهم تأثير كبير في شخصيته وتوجهاته ، مثل الشيخ **محمد النخلي** الذي غرس في عقل ابن باديس غرسة الإصلاح وعدم تقليد الشيوخ ، وأبان له عن المنهج الصحيح في فهم القرآن . كما أثار فيه الشيخ **محمد الطاهر بن عاشور** حب العربية وتذوق جمالها ، ويرجع الفضل للشيخ **البشير صفر** في الاهتمام بالتاريخ ومشكلات المسلمين المعاصرة وكيفية التخلص من الاستعمار الغربي وآثاره .

تخرج الشيخ من الزيتونة عام ١٩١٢ وبقي عاماً آخر للتدريس حسب ماتقتضيه تقاليد هذه الجامعة ، وعندما رجع إلى الجزائر شرع على الفور بإلقاء دروس في الجامع الكبير في قسنطينة ، ولكن خصوم الإصلاح تحركوا لمنعه ، فقرر القيام برحلة ثانية لزيارة أقطار المشرق العربي .

في المدينة النبوية :

بعد أداء فريضة الحج ، مكث الشيخ ابن باديس في المدينة المنورة ثلاثة أشهر ألقى خلالها دروساً في المسجد النبوي ، والتقى بشيخه السابق (حمدان الونيسي) وتعرف على رفيق دربه ونضاله فيما بعد **الشيخ البشير الابراهيمي** . وكان هذا التعارف من أنعم اللقاءات وأبركها ، فقد تحادثا طويلاً عن طرق

الإصلاح في الجزائر واتفقا على خطة واضحة في ذلك . وفي المدينة اقترح عليه شيخه (الوينسي) الإقامة والهجرة الدائمة ولكن الشيخ (**حسين أحمد الهندي**) المقيم في المدينة أشار عليه بالرجوع للجزائر لحاجتها إليه ، فكانت خير نصيحة .

زار ابن باديس بعد مغادرته الحجاز بلاد الشام ومصر واجتمع برجال العلم والأدب وأعلام الدعوة السلفية ، وزار الأزهر واتصل بالشيخ بخيت المطيعي حاملاً له رسالة من الشيخ (الونيسي) .

العودة إلى الجزائر :

وصل ابن باديس إلى الجزائر عام ١٩١٣ واستقر في مدينة قسنطينة ، وشرع في العمل التربوي الذي صمم عليه ، وهو إنقاذ أطفال المسلمين وشبانهم من هوة الجهل والتخلف ، فبدأ بدروس للصغار ثم للكبار ، والمسجد هو المركز الرئيسي لنشاطه ، ثم تبلورت لديه فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين والتي تحدثنا عنها في العدد السابق ، ولكن نشاط الشيخ كان متعدداً ، واهتماماته كثيرة لايكتفي أو يقنع بوجهة واحدة ، فاتجه إلى الصحافة ، وأصدر جريدة (المنتقد) عام ١٩٢٥ ، واغلقت بعد العدد الثامن عشر فأصدر جريدة (الشهاب) الأسبوعية ، التي بث فيها آراءه في الإصلاح ، وخاصة إصلاح عقائد الناس من الخرافات والدجل وأساليب الطرقيين ، واستمرت كجريدة حتى عام ١٩٢٩ ، ثم تحولت إلى مجلة شهرية علمية ، وكان شعارها « **لايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها** » ، وتوقفت المجلة في شهر شعبان ١٣٢٨ ، أيلول عام ١٩٣٩ بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وحتى لايُكتب فيها أي شيء تريده الإدارة الفرنسية تأييداً لها ، وفي سنة ١٩٣٦ دعا إلى مؤتمر إسلامي يضم كافة التنظيمات السياسية من أجل دراسة قضية الجزائر ، وقد وجه دعوته من خلال جريدة (لاديفانس) التي تصدر بالفرنسية ، واستجابت أكثر التنظيمات السياسية لدعوته وكذلك بعض الشخصيات المستقلة ، وأسفر المؤتمر عن المطالبة ببعض الحقوق للجزائر ، وتشكيل وفد سافر إلى فرنسا لعرض هذه المطالب وكان من ضمن هذا الوفد ابن باديس والإبراهيمي والطيب العقبي ممثلين لجمعية العلماء ، ولكن فرنسا لم تستجب لأي مطلب وفشلت مهمة الوفد .

إن هذه الدعوة للمؤتمر وحضوره ، وذهاب وفد العلماء إلى فرنسا كان اجتهاداً من ابن باديس رحمه الله يرى فيه مصلحة الجزائر ولكن يجب الاعتراف هنا بأن هذه الخطوة كانت خطأ وبشتى المقاييس التي تقوّمه سابقاً ولاحقاً ، وقد أصاب الأستاذ مالك بن نبي عندما اعتبر هذا المؤتمر نقطة ضعف في شخصية العلماء حين لجأوا إلى الأساليب غير المجدية ، لأنها أساليب الضعفاء للحصول على فتات الموائد .

واستغل السياسيون هذا المؤتمر ليصلوا إلى أهدافهم الهزيلة ، وأما غير مالك بن نبي ممن يهاجم جمعية العلماء ، فهم في الحقيقة لايتقون الله في خصوماتهم ، ويتكلمون من منطق الحقد والخصومات السياسية الشخصية .

ومثل هذا الخطأ من ابن باديس لاينبغي أن يحجب عنا العمل العظيم الذي قام به وهو قيادة جمعية العلماء منذ تأسيسها عام ١٩٣١ م وحتى وافاه الأجل عام ١٩٤٠ ، وفقدت الجزائر بفقده عالماً مجدداً ومصلحاً مربياً ، وضع كل جهده وإمكاناته لرفع شأن المسلمين في الجزائر ، ولم يشغله ذلك عن أوضاع المسلمين في كل مكان .

العوامل المؤثرة في شخصية ابن باديس :

لاشك أن البيئة الأولى لها أثر كبير في تكوين شخصية الإنسان ، وفي بلد كالجزائر عندما يتفتح ذهن المسلم على معاناته من فرنسا ، وعن معاناته من الجهل والاستسلام للبدع ، فسيكون هذا من أقوى البواعث لأصحاب الهمم وذوي الإحساس المرهف على القلق الذي لايهدأ حتى يحقق لدينه ولأمته مايعتبره واجباً عليه ، وكان ابن باديس من هذا النوع ، وإن بروز شخصية كابن باديس من بيئة ثرية ذات وجاهة لهو دليل على إحساسه الكبير تجاه الظلم والظالمين ، وكان بإمكانه أن يكون موظفاً كبيراً ويعيش هادئاً مرتاح البال ولكنه اختار طريق المصلحين .

وتأتي البيئة العلمية التي صقلت شخصيته وهذبت مناحيه والفضل الأكبر يعود إلى الفترة الزيتونية ورحلته الثانية إلى الحجاز والشام حيث تعرف على

المفكرين والعلماء الذين تأثروا بدعوة الشيخ محمد عبد الوهاب ومادعا إليه من نقاء العقيدة وصفائها . وكان لمجلة (المنار) التي يصدرها الشيخ رشيد رضا أثر قوي في النظر لمشكلات المسلمين المعاصرة والحلول المطروحة .

ومما شجع ابن باديس وأمضى عزيمته وجود هذه العصبة المؤمنة حوله ، وقد وصفهم هو بـ (الأسود الكبار) من العلماء والدعاة أمثال الإبراهيمي والتبسي والعقبي والميلي ... وقد عملوا معه في انسجام قل أن يوجد مثله في الهيئات الأخرى .

آثار ابن باديس :

شخصية ابن باديس شخصية غنية ثرية ومن الصعوبة في حيز ضيق من الكتابة الإلمام بكل أبعادها وآثارها ، فهو مجدد ومصلح يدعو إلى نهضة المسلمين ويعلم كيف تكون النهضة . يقول :

« إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة ، وإذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآثر ، وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة ، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة » .

وهو عالم مفسر ، فسر القرآن كله خلال خمس وعشرين سنة في دروسه اليومية كما شرح موطأ مالك خلال هذه الفترة ، وهو سياسي يكتب في المجلات والجرائد التي أصدرها عن واقع المسلمين وخاصة في الجزائر ويهاجم فرنسا وأساليبها الاستعمارية ويشرح أصول السياسة الإسلامية ، وقبل كل هذا هو المربي الذي أخذ على عاتقه تربية الأجيال في المدارس والمساجد ، فأنشأ المدارس واهتم بها بل كانت من أهم أعماله ، وهو الذي يتولى تسيير شؤون جمعية العلماء ، ويسهر على إدارة مجلة الشهاب ويتفقد القاعدة الشعبية باتصالاته المستمرة .

إن آثار ابن باديس آثار عملية قبل أن تكون نظرية في كتاب أو مؤلف ، والأجيال التي رباها كانت وقود معركة تحرير الجزائر . وقليل من المصلحين في العصر الحديث من أتيحت لهم فرص التطبيق العملي لمبادئهم كما أتيحت لابن باديس ، فرشيد رضا كان يحلم بمدرسة للدعاة ، ولكن حلمه لم يتحقق ،

ونظرية ابن باديس في التربية أنها لابد أن تبدأ من الفرد ، فإصلاح الفرد هو الأساس .

وطريقته في التربية هو توعية هذا النشىء بالفكرة الصحيحة كما ذكر الإبراهيمي عن اتفاقهما في المدينة : « كانت الطريقة التي اتفقنا عليها سنة ١٩١٣ في تربية النشىء هي ألا نتوسع له في العلم وإنما نربيه على فكرة صحيحة » (١) .

وينتقد ابن باديس مناهج التعليم التي كانت سائدة حين تلقيه العلم والتي كانت تهتم بالفروع والألفاظ فيقول : « واقتصرنا على قراءة الفروع الفقهية مجردة بلا نظر ، جافة بلا حكمة ، وراء أسوار من الألفاظ المختصرة ، تفني الأعمار قبل الوصول إليها » (٢) .

أما اتجاه العلمي فهو ماجمع بعد من مقالاته في الشهاب وغيرها ومن دروسه في التفسير والحديث (٣) .

الشيخ البشير الإبراهيمي

زميل ابن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية ، ونائبه في رئاسة جمعية العلماء ، ورفيق نضاله لتحرير عقل المسلم من الخرافات والبدع .

ولد عام ١٨٨٩ في قرية (سيدي عبد الله) من نواحي (سطيف) التابعة لمدينة قسنطينة . تلقى تعليمه الأولي على والده وعمه فحفظ القرآن ودرس بعض المتون في الفقه واللغة .

غادر الجزائر ١٩١١ ملتحقاً بوالده الذي كان قد سبقه إلى الحجاز ، وتابع تعليمه في المدينة ، وتعرف على الشيخ ابن باديس عندما زار المدينة عام ١٩١٣ . غادر الحجاز عام ١٩١٦ قاصداً دمشق حيث اشتغل بالتدريس ، وشارك في تأسيس

---

١ ــ د . الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين / ١٢٩ .
٢ ــ المصدر السابق / ١٤١ .
٣ ــ مع الأسف لم يصلنا كل ماكتبه أو كل ماألقاه من دروس في التفسير والحديث . وقد جمع مانشر في الشهاب من افتتاحيات تحت عنوان (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) بإشراف محمد الصالح رمضان ، وتوفيق شاهين . وحاول الدكتور عمار الطالبي جمع آثاره كلها ولكن لايزال هناك أشياء لم تجمع .

المجمع العلمي الذي كان من غاياته تعريب الادارات الحكومية ، وهناك التقى بعلماء دمشق وأدبائها ، ويتذكرهم بعد ثلاثين سنة من عودته إلى الجزائر فيكتب في (البصائر) العدد ٦٤ عام ١٩٤٩ : « ولقد أقمت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلا قليلاً ، فأشهد صادقاً أنها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة ، وأنها هي الجزء العامر في عمري الغامر ، ولا أكذب الله ، فأنا قرير العين بأعمالي العلمية بهذا الوطن (الجزائر) ولكن ... من لي فيه بصدر رحب ، وصحب كأولئك الصحب ؟ ويارعى الله عهد دمشق الفيحاء وجادتها الهوامع وسقت ، وأفرغت فيها ماوسقت ، فكم كانت لنا فيها من مجالس نتناقل فيها الأدب ، ونتجاذب أطراف الأحاديث العلمية ... » .

في عام ١٩٢٠ غادر الإبراهيمي دمشق إلى الجزائر ، وبدأ بدعوته إلى الإصلاح ونشر العلم في مدينة (سطيف) حيث دعا إلى إقامة مسجد حر (غير تابع للإدارة الحكومية) وفي عام ١٩٢٤ زاره ابن باديس وعرض عليه فكرة إقامة جمعية العلماء ، وبعد تأسيس الجمعية اختير الابراهيمي نائباً لرئيسها ، وانتدب من قبل الجمعية لأصعب مهمة وهي نشر الإصلاح في غرب الجزائر وفي مدينة وهران وهي المعقل الحصين للصوفية الطرقيين ، فبادر إلى ذلك وبدأ ببناء المدارس الحرة ، وكان يحاضر في كل مكان يصل إليه ، وهو الأديب البارع والمتكلم المفوه ، وامتد نشاطه إلى تلمسان وهي واحة الثقافة العربية في غرب الجزائر ، وقامت قيامة الفئات المعادية من السياسيين والصوفيين وقدموا العرائض للوالي الفرنسي يلتمسون فيه إبعاد الشيخ الإبراهيمي ، ولكن الشيخ استمر في نشاطه ، وبرزت المدارس العربية في وهران .

وفي عام ١٩٣٩ كتب مقالاً في جريدة (الإصلاح) فنفته فرنسا إلى بلدة (أفلو) الصحراوية ، وبعد وفاة ابن باديس انتخب رئيساً لجمعية العلماء وهو لايزال في المنفى ولم يفرج عنه إلا عام ١٩٤٣ ، ثم اعتقل مرة ثانية عام ١٩٤٥ وأفرج عنه بعد سنة . وفي عام ١٩٤٧ عادت مجلة البصائر للصدور ، وكانت مقالات الإبراهيمي فيها في الذروة العليا من البلاغة ومن الصراحة والنقد القاسي لفرنسا وعملاء فرنسا . يقول عن زعماء الأحزاب السياسية :

« ومن خصومها (أي الجمعية) رجال الأحزاب السياسية من قومنا من أفراد وأحزاب يضادونها كلما جروا مع الأهواء فلم توافقهم ، وكلما أرادوا احتكار الزعامة في الأمة فلم تسمح لهم ، وكلما طالبوا تأييد الجمعية لهم في الصغائر ــ كالانتخابات ــ فلم تستجب لهم ، وكلما أرادوا تضليل الأمة وابتزاز أموالها فعارضتهم » (١) .

ودافع في (البصائر) عن اللغة العربية دفاعاً حاراً : « اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ، ولا دخيلة بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها ، وهي ممتدة الجذور مع الماضي مشتدة الأواصر مع الحاضر ، طويلة الأفنان في المستقبل » (٢) .

واهتمت (البصائر) بالدفاع عن قضية فلسطين فكتب فيها الابراهيمي مقالات رائعة .

عاش الإبراهيمي حتى استقلت الجزائر ، وأمّ المصلين في مسجد (كتشاوة) الذي كان قد حول إلى كنيسة ولكنه لم يكن راضياً عن الاتجاه الذي بدأت تتجه إليه الدولة بعد الاستقلال فأصدر عام ١٩٦٤ بياناً ذكر فيه : « إن الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم يجب أن تنبعث من صميم جذورنا العربية الإسلامية لا من مذاهب أجنبية » .

توفي رحمه الله يوم الخميس في العشرين من أيار (مايو) عام ١٩٦٥ بعد أن عاش حياة كلها كفاح لإعادة المسلمين إلى دينهم القويم فجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين .

الشيخ العربي التبسي

أحد أعمدة الإصلاح في الجزائر ، وأمين عام جمعية العلماء والمجاهد

١ ــ د . الخطيب : جمعية العلماء / ١٥٥ .
٢ ــ المصدر السابق / ١٥٦ .

البارز الذي خطفته يد التعصب والغدر الفرنسية عام ١٩٥٧ ولم يسمع له ذكر بعدها .

ولد الشيخ العربي عام ١٨٩٥ في بلدة (ايسطح) من أعمال (تبسة) التابعة لقسنطينة . حفظ القرآن في قريته ثم انتقل إلى تونس لتلقي العلم في زاوية (الشيخ مصطفى بن عزوز) انتقل بعدها إلى جامع الزيتونة فنال منه شهادة الأهلية وعزم على الانتقال إلى القاهرة لمتابعة التحصيل العلمي في الأزهر .

عاد إلى الجزائر ١٩٢٧ واتخذ من تبسه مركزاً له وفي مسجد صغير في قلب المدينة انطلق الشيخ في دروسه التعليمية وواصل الليل بالنهار لإنقاذ هذا الشعب من الجهل وذل الاستعمار ، وبدأت آثار هذا الجهد تظهر في التغيير الاجتماعي والنفسي لأهل تبسة حيث بدأت تختفي مظاهر التأثر بالفرنسيين وبدأ الناس يلتفون حول رجال الإصلاح .

وكالعادة ضيق على الشيخ ، فنصحه ابن باديس بالانتقال إلى غرب الجزائر ، فاستجاب لذلك ، ولكن أنصاره في تبسة ألحوا عليه بالعودة وأسسوا مدرسة طلبوا منه أن يكون أول مدير لها . وبعد وفاة ابن باديس ونفي الإبراهيمي اتجهت الأنظار إلى الشيخ العربي ليحمل المسؤولية ويتابع الرسالة الإسلامية وتوافد إليه طلاب العلم من كل مكان ، وفي عام ١٩٤٧ تولى العربي إدارة معهد ابن باديس في قسنطينة فقام بالمهمة خير قيام . يقول عنه الإبراهيمي :

« والأستاذ التبسي ــ كما شهد الاختبار وصدق التجربة ــ مدير بارع ومرب كامل خرجته الكلّيتان الزيتونة والأزهر في العلم وخرجه القرآن والسيرة النبوية ، فجاءت هذه العوامل في رجل يملأ جوامع الدين ومجامع العلم ومحافل الأدب » .

وفي عام ١٩٥٦ انتقل الشيخ إلى العاصمة لإدارة شؤون الجمعية فيها ، واستأنف دروسه في التفسير وكان شجاعاً لايخاف فرنسا وبطشها ، يتكلم بالحق ، ويدعو للجهاد ولم يأبه لتحذير الناصحين المحبين له الذين خافوا عليه من فرنسا والتي كانت تعلم مكانته بين صفوف الجماهير ، وأثره عندما يدعوها

للجهاد ، وهو ليس من الناس الذين يتكلمون ولا يفعلون بل يقول :

« لو كنت في صحتي وشبابي مازدت [1] يوماً واحداً في المدينة أسرع إلى الجبل فأحمل السلاح ، فأقاتل مع المجاهدين » .

وفي ١٧ نيسان (أبريل) عام ١٩٥٧ امتدت يد (الجيش السري) الذي شكله غلاة الفرنسيين المتعصبين لتخطف الشيخ العربي من منزله ، وليكون في عداد الشهداء ، رحمه الله رحمة واسعة .

* * *

هؤلاء أبرز فرسان جمعية العلماء التي كان لها الدور الأكبر في إبراز هوية الجزائر العربية الإسلامية ، بل لها دور بارز في الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، ولعلنا ومن خلال (البيان) نكون قد قمنا ببعض الواجب تجاه هذه الجمعية وهؤلاء المصلحين □



١ ــ زدت : أقمت أو بقيت بلغة أهل الجزائر .



المؤسسات القديمة

عندما نتحدث عن التجديد فإنما نأمل من المسلم أن يصوغ شخصيته لتكون عندها القابلية للتجديد ، فلا تخضع لمألوفات وعادات غير صحيحة ، ولا تجمد عند فكر معين لا تتجاوزه وقد تبين خطؤه أو أنه قيل في ظروف غير موجودة الآن . قد يكون المسلم معجباً بأعلام التجديد في العصور الإسلامية المتعاقبة ويدعو إلى التجديد في كل عصر ، ولكنه لاينتبه لنفسه أنه وهو يمارس الدعوة قد جمد على أسلوب معين وأفكار طرحت قبل سنوات كان قد قرأها في بدايات عهده بالدعوة ولا يستطيع التحول عنها ، فالنفس البشرية تميل للمحافظة على ماألفت ، وكثير من الناس لايتعبون أنفسهم بالتفكير المستمر والنمط الذي عرفوه أسهل عليهم ، ولاينتشل نفسه من هذه (السهولة) إلا من أوتي عزماً أكيداً للتطلع إلى الأفضل دائماً ، وملاحظة التغيرات المستجدة ، والظروف الطارئة ، فهو في تجديد مستمر بين كل فينة وأخرى .

إن بعض الناس قد يحيطون مؤسسة ما ــ وخاصة إذا عُمرت طويلاً ــ بهالة من التقديس ، وعندئذ فإن انتقادها أو التدخل في شؤونها يعتبر ضرباً من التطاول على الحرمات والانتهاك للمقدسات ، وفي مثل

هذه الأحوال فإن صَبّ تيار جديد قوي لدفع التيار الأول يكون من الصعوبة بمكان ، مع أن هذا يعطي الدعوة حيوية وقوة ، ولو عُمّر المؤسسون الأوائل لغيروا كثيراً من اجتهاداتهم لأنهم سيعاصرون أحداثاً لم تكن في أوائل الدعوة ، ولايعارض التجديد في مثل هذه الظروف إلا غبي مشغوف بعبادة الأشخاص ، أو انتهازي يريد بقاء الوضع على ماكان ليستفيد هو شخصياً من هذا البقاء ، وقد تكون لهم مصلحة أكيدة في قيام بعض العادات وترسيخها لأنهم يستمدون من هذه العادات قوتهم وسلطتهم ، ولذلك كان من حظ البشرية أن ينبغ فيهم بين الفينة والأخرى من يحملهم على التفكير حملاً .

إن تيار الحياة متدفق متجدد والذي لايلاحظ التغيرات سيعيش بعيداً عن عصره ، بعيداً عن واقعه ، يتقوقع على نفسه مردداً ماسمعه من عشرات السنين ، فالذين قرأوا ما كُتب عن جمال الدين الأفغاني قبل ثلاثين سنة ولم يقرأوا ماكتب عنه بعدئذ وماتكشفت عنه الحقائق ، هؤلاء يتعجبون عندما يذكره أحد بنقد أو تقويم ، فهو بنظرهم مصلح الشرق وملهمه ، والذين تردد على أسماعهم اسم محمد علي جناح كمؤسس لباكستان كانوا يضعونه في مصاف العظماء الكبار ، ثم تبين أن الرجل غربي النزعة مدخول العقيدة ، وهذا مايفسر قيام باكستان كأرض مستقلة للمسلمين ولكن لم تقم باكستان كدولة تحكم بالإسلام .

إن التحدي الذي يواجه المسلمين في هذا العصر ويحتاج إلى التجديد في طرائق الفكر والعمل ، هو : كيف ننفذ منهج أهل السنة ونستفيد من منتجات هذا العصر دون التنازل عن الفكرة والمبدأ ؟ والمطلوب هو التنفيذ العملي ، وليس الكلام في الكتب والمجلات عن (الأصالة والمعاصرة) أو (كيف نجمع بين ثقافتنا وتقنية الغرب ..) فهل يشعر المسلمون بخطر التسويف والجمود في حين أن القافلة تسير !؟ ...□

محمد العبدة

حكمة إرسال الرسل

الشيخ : محمد صالح العثيمين

لما كان العقل البشري لا يتمكن من عبادة الله تعالى على الوجه الذي يرضاه ويحبه ، وكذلك لايستطيع التنظيم والتشريع المناسب للأمة على اختلاف طبقاتها ، إذ لايحيط بذلك إلا الله وحده ، كان من حكمة الله ورحمته أن أرسل الرسل وأنزل الكتب لإصلاح الخلق وإقامة الحجة عليهم ، قال تعالى : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ .

فحكمة إرسال الرسل تتلخص في :

الأول : إقامة الحجة على الخلق حتى لايحتج أحد على الله فيقول ﴿ لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى .. ﴾ لقد قطع الله هذه الحجة من أساسها بإرسال الرسل وتأييدهم بالآيات البينات الدالة على صدقهم وصحة نبوتهم وسلامة طريقتهم .

الثاني : توجيه الناس وإرشادهم لما فيه الخير والصلاح لهم في دينهم ودنياهم فإن الناس مهما أوتوا من الفهم والعقل والذكاء لايمكنهم أن تستقل عقولهم بالتنظيم العام المصلح للأمة بأكملها كأمة متماسكة متكافئة متساوية في إعطاء ذي الحق حقه ، قال النبي ﷺ : « مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ماحولها جعل الفراش وهي الدواب التي تقع في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيها فأنا آخذ بِحُجَزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها » رواه البخاري .

فالرسل يذودون الناس عما يضرهم ويدعونهم إلى ماينفعهم .

الثالث : جمع الأمة على دين واحد ورجل واحد ، فإن انقياد الناس لما يشاهدونه من الآيات المؤيدة للأنبياء أسرع وأقوى وأشد تماسكاً

فإنهم يجتمعون عليه عن عقيدة راسخة وإيمان ثابت فيحصل الصلاح والإصلاح .

تأييد الرسل بالآيات وكونها من جنس ماشاع في عصرهم :

لو جاء رجل من بيننا وقال إنه نبي يوحى إليه ، وأن طاعته فرض ، وأن من عصاه فله النار ، ومن أطاعه فله الجنة ، ثم نظم قوانين ، وسن سنناً ، وقال امشوا على هذه النظم ، وإلا فلكم النار ، ماكان أحد ليقبل منه مهما بلغ في الصدق والأمانة حتى يأتي ببرهان يدل على صدقه فلو رد أحد دعوة هذا المدعي الذي لم يأت ببرهان على صدقه ماكان ملوماً ، فالقضية التي تسلم بها العقول أن المدعي عليه البينة وإلا فلا يجب قبول مدعاه .

وإتماماً لإقامة الحجة بالرسل على الخلق أيد الله رسله بالآيات المبينات الدالة على صدقهم ، وإنهم رسل الله حقاً ، فاصطفى الله للرسالة من الناس من يعلم أنه أهل للرسالة وكفؤ لها ومستطيع للقيام بأعبائها والصبر على مكائد أعدائها ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير ﴾ ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ ، فاصطفى الرجال الكمل الأقوياء أهل الحضارة واللين والفهم ﴿ وماأرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى ﴾ أي أهل المدن ، فإن القرية هي المدينة كما سمى الله مكة قرية ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك ﴾ وسماها أم القرى ﴿ لتنذر أم القرى ومن حولها ﴾ .

ومابعث الله رسولاً إلا أيده بالآيات على صدق رسالته وصحة دعواه ، قال الله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾ أي بالآيات البينات الواضحات التي لاتدع مجالاً للشك في صدق ماجاء به الرسول المرسل . قال النبي ﷺ : « مامن نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ماآمن على مثله البشر » رواه البخاري ومسلم .

وهذا من حكمة الله العليا ورحمته بعباده أن أيد الرسل بالآيات لئلا يبقى أمرهم مشكلاً فيقع الناس في الحيرة والشك ولا يطمئنون إلى ماجاؤوا به . وهذه الآيات التي جاء بها الرسل لابد أن تكون خارجة عن طوق البشر

إذ لو كانت في استطاعتهم ماصح أن تكون آية لإمكان البشر أن يدعي الرسالة ويأتي بها إذا كانت تحت قدرته ، ولكن آيات الرسل لايمكن للبشر أن يأتوا بمثلها وقد جاءت كبريات الآيات من جنس مابرز به أهل العصر الذي بعث فيه ذلك الرسول كما قرر ذلك أهل العلم ، واستشهدوا على ذلك بآيات موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، فإن عهد موسى ﷺ ترقى فيه السحر حتى بلغ السحرة الغاية في المهارة والحذق فكان من أكبر الآيات التي جاء بها موسى مايربو على فعل السحرة وهو يشبه في ظاهره السحر وإن كان يختلف اختلافاً كبيراً ، لأن ماجاء به موسى حقيقة مايراه الناظر ، بخلاف السحر فإنه يخيل للناظر وليست حقيقته كما يراه ، فكان من الآيات التي جاء بها موسى عصاه التي يلقيها فتكون حية ثعباناً ، ويأخذها فتعود في يده عصاه الأولى ، وقد ألقاها عند فرعون حين دعاه إلى الإيمان بالله ، وكذلك كان موسى يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء ، أي من غير عيب وبرص ، وقد أخرجها كذلك عند فرعون حين دعاه إلى الإيمان بالله ، فلما رأى فرعون هاتين الآيتين كابر وقال للملأ حوله : ﴿ إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ﴾ وقد ألقى موسى عصاه كذلك عند ماألقى السحرة حبالهم وعصيهم في المجتمع العظيم الذي قرره موسى حسب طلب فرعون أن يجعل بينه وبينه موعداً ليغالبه في سحره كما زعم فلما اجتمع السحرة وألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ، فجاؤوا بسحر عظيم حتى كانت تلك الحبال والعصي يخيل إلى رائيها أنها تسعى ألقى موسى عصاه بأمر الله تعالى فإذا هي تلقف مايأفكون فتلتهم هذه الحبال والعصي عن آخرها ، فعلم السحرة وهم أهل السحر وأعلم الناس به ، أن ماجاء به موسى ليس بسحر وإنما هو من الأمور التي لايمكن للبشر معارضتها ﴿ فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ﴾ .

وكذلك كان لهذه العصا مجال آخر حينما كان موسى يستسقي لقومه فيضرب بها الحجر فيتفجر منه

اثنتا عشرة عيناً بقدرْ قبائل بني إسرائيل .

وكان لها مجال آخر أيضاً حينما وصل موسى وقومه إلى البحر وخلفهم فرعون بجنوده فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فانفلق اثني عشر طريقاً فسلكه موسى وقومه فنجوا .

وفي زمن عيسى عليه الصلاة والسلام كان علمْ الطب مترقياً إلى حد كبير ، فجاءت آياته بشكل ماكان مترقياً في عهده من الطب إلا أنه أتى بأمر لايستطيع الطب مثله ، فكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فتكون طيراً بإذن الله ، والناس يشاهدون ذلك ، وكان أيضاً يبرىء الأكمه — وهو الذي خلق أعمى — ويبرىء الأبرص بإذن الله تعالى وهذان المرضان من الأمراض التي لايستطيع الأطباء في ذلك الوقت وإلى هذا الوقت فيما أعلم أن يبرئوهما بل قال بعض العلماء إنه إنما سمي المسيح لأنه كان لايمسح ذا عاهة إلا برىء وذكر في القرآن أن عيسى يحيي الموتى بإذن الله ، وفي آية أخرى يخرج الموتى وهذان عملان مختلفان : العمل الأول إحياء الموتى قبل دفنهم ، والثاني إحياؤهم وإخراجهم من قبورهم بعد الدفن ، ولاريب أن هذه الآيات التي أعطيها عيسى عليه الصلاة والسلام يعجز عن مثلها البشر فتأييده بها دليل وبرهان على أنه رسول من الله الخالق القادر عليها .

وقد يؤيد الله الرسل بآيات أخرى ولكن أبرز الآيات وأعظمها يكون من جنس ماشاع في عصر الرسول ولذا أيد الله رسوله محمداً ﷺ بآيات كثيرة أبرزها وأعظمها هذا القرآن الكريم ، الذي هو كلام رب العالمين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، لأنه شاع في عصر النبي ﷺ فن البلاغة والفصاحة وصار البيان والفصاحة معترك الفخر والسيادة كما يعلم ذلك من تتبع التاريخ .

معجزات الأنبياء :

معجزات الأنبياء هي الآيات التي أعجزوا بها البشر أن يأتوا بمثلها ، والله تعالى يسميها آيات أي علامات دالة على صدق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فيما جاؤوا به من الرسالة .

والمعجزة في اصطلاح العلماء ،

أمر خارق للعادة ــ أي جار على خلاف العادة الكونية التي أجراها الله تعالى في الكون ــ سالم عن المعارضة يظهره الله تعالى على يد الرسول تأييداً له .. مثل انشقاق القمر ، ونبع الماء من أصابع يد النبي ﷺ وغير ذلك مما سيمر بك .

فالأمر الجاري على وفق العادة لايسمى معجزة ، كما لو قال قائل أريكم معجزة أن لايمضي ساعة حتى تطلع الشمس ، وكان ذلك قبل طلوع الشمس بأقل من ساعة ، فإن الشمس إذا طلعت في زمن طلوعها لايعد طلوعها معجزة لهذا القائل ، لأن طلوعها في وقته على وفق العادة وليس خارقاً للعادة .

وإذا كان الشيء الخارق للعادة غير سالم من المعارضة فلا يسمى معجزة ، مثل الأمور التي تقع من السحرة والمشعبذين ونحوهم ، لأن الأمور التي يأتون بها يمكن معارضتها بفعل ساحر أو مشعبذ آخر ..

وإذا كان الشيء الخارق للعادة جارياً على يد ولي من الأولياء فلا يسمى معجزة اصطلاحاً ، وإنما يسمى كرامة ، ولكن هذه الكرامة الحاصلة للولي هي في الواقع معجزة للرسول الذي كان الولي متبعاً له إذ الكرامة دليل على صحة طريقة ذلك الولي .

فوائد آيات الأنبياء ومعجزاتهم :

إن الآيات التي جاء بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ذات فوائد كثيرة نلم منها بما يلي :

١ ــ بيان قدرة الله تعالى ، فإن هذه الآيات لابد أن تكون أموراً خارقة للعادة كشاهد دليل على صحة ماجاء به الرسل ، وإذا كانت خارقة للعادة كانت دليلاً على قدرة الخالق وأنه قادر على تغيير مجرى العادة التي كان الناس يألفونها ، ولذا تجد المرء يندهش عند هذه الآيات ولا يمكنه إلا أن يصدق برسالة الرسول الذي جاء بها حيث جاء بما لايقدر عليه أحد سوى الله عز وجل .

٢ ــ بيان رحمة الله بعباده فإن هذه الآيات التي يرونها مؤيدة للرسل تزيد إيمانهم وطمأنينتهم لصحة الرسالة ومن ثم يزداد يقينهم وثوابهم ولا يحصل لهم حيرة ولا شك ولا ارتباك .

٣ ــ بيان حكمة الله البالغة حيث لم

يرسل رسولاً فيدعه هملاً من غير أن يؤيده بما يدل على صدقه وإن المرء لو أرسل شخصاً بأمر مهم من غير أن يصحبه بدليل أو أمارة على صحة إرساله إياه لعد ذلك سفهاً وموقفاً سلبياً من هذا الرسول ، فكيف برسالة عظيمة من أحكم الحاكمين . إنها لابد أن تكون مؤيدة بالبراهين والآيات البينات .

٤ ــ رحمة الله بالرسول الذي أرسله الخالق حيث ييسر قبول رسالته بما يجريه على يديه من الآيات ليتسنى إقناع الخلق بطريقة لايستطيعون معارضتها ولا يمكنهم ردها إلا جحوداً وعناداً .. قال الله تعالى ﴿ فإنهم لايكذبونك ﴾ أي لما يرون من الآيات الدالة على صدقك ، ﴿ ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ .

٥ ــ إقامة الحجة على الخلق ، فإن الرسول لو أتى بدون أية دالة على صدقه لكان للناس حجة في رد قوله وعدم الإيمان به ، فإذا جاء بالآيات المقنعة الدالة على رسالته لم يكن للناس أي حجة في رد قوله .

٦ ــ بيان أن هذا الكون خاضع لقدرة الله وتدبيره ، ولو كان مدبراً لنفسه ، أو طبيعة تتفاعل مقوماتها وتظهر من ذلك نتائجها وآثارها لما تغيرت فجأة واختلفت عادة بمجرد دعوى شخص لتؤيده بما ادعاه . فانظر إلى الأكوان الفلكية التي لاتتغير بعوامل الزمن إلا بإرادة الله ، ولقد أجراها الله تعالى كما قدر لها أن تجري منذ خلقها الله حتى يأذن بانتهائها .

آيات النبي محمد ﷺ :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) : « والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ويسميها من يسميها من النظار (معجزات) ، وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك ، وهذه الألفاظ التي سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصد من لفظ المعجزات ، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان . قال

رحمه الله : والآيات نوعان منها مامضى وصار معلوماً بالخبر ، ومنها ماهو باق إلى اليوم كالقرآن والإيمان والعلم اللذين في أتباعه ، وكشريعته التي جاء بها .. » .

ومن هذه الآيات :

١ ــ القرآن الكريم وهو أعظم آيات النبي ﷺ ، لأنه الآية السابقة الباقية فمنذ أوحى الله إليه به حتى اليوم وهو آية شاهدة على نبوة محمد ﷺ .

فالقرآن كلام الله تعالى لفظاً ومعنى تكلم الله به نفسه كلاماً حقيقياً فأوحاه إلى جبريل ، ثم نزل به جبريل على قلب النبي ﷺ ، فوعاه وحفظه ، وتكفل الله له بحفظه حيث قال : ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴾ . وإذا كان الله قد تكفل ببيانه فمعناه أن الرسول ﷺ سيحفظه ويعيه حتى يبلغه للناس ويبينه لهم ، قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

والقرآن آية من آيات النبي ﷺ الدالة على صدقه من عدة أوجه :

الأول : عجز الخلق كلهم أن يأتوا مجتمعين أو منفردين بمثل هذا القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ يعني لايمكن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم معيناً لبعض وذلك لأن القرآن كلام الله ولايمكن أن يماثله شيء من كلام المخلوقين لامن حيث اللفظ ولا من حيث المعنى ولا من حيث التأثير ولا من حيث الثمرة والآثار الحميدة .

الثاني : من حيث اللفظ في قوته ورصانته وتركيبه وأسلوبه ونظمه وبيانه ووضوحه وشموله للمعاني العديدة الواسعة التي لاتزال تظهر عند التأمل والتفكير ، حتى إنك لتسمع الآية التي ماتزال تقرؤها فينقدح لك منها معنى جديد كأنك لم تسمع الآية من قبل وكأن الآية نزلت لتوها من أجله .. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب ، فإنه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الرسائل ولا الخطابة ، ولا نظمه نظم شيء من

كلام الناس عربهم وعجمهم ، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق . وقال الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه (الوحي المحمدي) : إن القرآن لو أنزل بأساليب الكتب المألوفة المعهودة وترتيبها لفقد بهذا الترتيب أخص مراتب إعجازه المقصود بالدرجة الثانية . وقال : لو كان القرآن مرتبا مبوباً كما ذكر لكان خالياً من أعظم مزاياه شكلاً وموضوعاً ، يعلم هذا وذاك مما نبينه من فوائد نظمه وأسلوبه الذي أنزله به رب العالمين العليم الحكيم الرحيم ، وهو مزج تلك المقاصد كلها بعضها ببعض ، وتفريقها في سوره الكثيرة الطويلة منها والقصيرة بالمناسبات المختلفة وتكرارها بالعبارات البليغة المؤثرة في القلوب المحركة للشعور المنافية للسآمة والملل ... إلى أن قال : والقابلة لأنواع أخرى من الإلقاء الخطابي في الترغيب والترهيب والتعجب والتعجيب والتكريه والتحبيب والزجر والتأنيب واستفهام الإنكار والتقرير والتهكم والتوبيخ بما لانظير له في كلام البشر من خطابة ولا شعر ولا رجز ولا سجع ، فبهذا الأسلوب الرفيع في النظم البديع وبلاغة التعبير الرفيع كان القرآن كما ورد في معنى وصفه ، لاتبلى جدته ولا تخلقه كثرة الترديد . اهـ

الوجه الثالث من إعجاز القرآن من حيث أهدافه العالمية وآدابه الكاملة وتشريعاته المصلحة ، فقد جاء بإصلاح العقيدة من الإيمان بالله وبما له من الأسماء والصفات والأفعال ، والإيمان بجميع ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ومايتعلق بذلك ، وجاء بإخلاص العبادة لله وتحرير الفكر والعقل والشعور من عبادة غير الله والتعلق به خوفاً ورجاء ومحبة وتعظيماً ...

وجاء بالآداب الكاملة التي يشهد بكمالها وصلاحها وإصلاحها كل عقل سليم ، أمر بالبر والصلة والصدق والعدل والرحمة والإحسان ، ونهى عن كل مايخالف ويناقض من الظلم والبغي والعدوان .. أما تشريعاته فناهيك بها من نظم مصلحة للعباد والبلاد في المعاش والمعاد ، وإصلاحاً في العبادة ، وإصلاحاً في المعاملة في الأحوال

الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والفردية والكمالية فيما لو اجتمع الخلق كلهم على سن نظم تماثلها أو تقاربها مااستطاعوا إلى ذلك سبيلا .

الوجه الرابع من إعجاز القرآن قوة تأثيره على النفوس والقلب ، فإنه ينفذ إلى القلب نفوذ السهم في الرمية ، ويسيطر على العقول سيطرة الشمس على أفق الظلام كما شهد بذلك الموالي والمعادي حتى إن الرجل العادي ـــ فضلاً عن المتعلم ـــ ليسمع القرآن فيجد من نفسه جاذبية عظيمة تجذبه إليه قسراً يعرف أن ليس هذا من كلام البشر ، وقصة سماع الوليد بن المغيرة وعتبة ابن ربيعة له معروفة في السيرة .

ولقد كان بعض الكبراء من قريش يأتون ليلاً خفية يستمعون إلى تلاوة النبي ﷺ للقرآن كما جرى ذلك لأبي جهل وأبي سفيان وغيرهما .
وهذه القصص وأمثالها تدل دلالة ظاهرة على تأثير القرآن في النفوس وأخذه بمجامع القلوب . ولكن هذا التأثير قد لايظهر لكل أحد ، إنما يظهر لمن كان له ذوق ومعرفة بأساليب الكلام وبلاغة اللسان ..

ومن يك ذا فم مرٍ مريض
يجد مراً به الماء الزلالا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر أنواعاً من إعجاز القرآن : وهذه الأمور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له إعجازه من هذا الوجه ومن لم يظهر له ذلك اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله كعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله مع تحدي النبي ﷺ وإخباره بعجزهم فإن هذا أمر ظاهر لكل أحد .

الوجه الخامس من إعجاز القرآن تلك الآثار الجليلة التي حصلت لأمة القرآن باتباعه والعمل بأهدافه السامية وتعاليمه الرشيدة ، فقد ارتقى بأمة القرآن التي اعتنت به لفظاً وفهماً وتطبيقاً ، ارتقى بها إلى أوج العلى في العبادة والآداب والكرامة والعزة ، لقد عرف سلف هذه الأمة قيمة هذا القرآن الكريم فكانوا لايتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها ومافيها من العلم والعمل فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعاً ، فسادوا جميع العالم ، وصارت لهم العزة والغلبة والظهور والتمكين في الأرض والعلوم

النافعة ، مع أنهم كانوا قبل ذلك متفرقين ضالين أميين مغلوبين بين الأمم ، ولن يعود لأمة القرآن ذلك العز والظهور والغلبة حتى يرجعوا إلى المعين الذي روي به أسلافهم ، فيأخذوا منه صافياً من غير كدر ، لن يعود لهم ذلك حتى يرجعوا إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، ويتفهموها ويطبقوها اعتقاداً وقولاً وعملاً فعلاً وكفا ، مؤمنين بذلك ، معتقدين أن هذا هو طريق الصلاح والإصلاح والسلامه .. وإن من المؤسف حقاً أن ترى الكثير من المسلمين اليوم لايلتفتون إلى الكتاب والسنة ولايتفهمونها ، بل أكثرهم لايقرأ من القرآن في عامه كله إلا مايقرؤه في صلاته هذا مع قلة تفهم في اللغة العربية وآدابها وأساليبها ، وليس عندهم ذوق لغوي شرعي لكتاب الله وسنة رسول الله .. وإنا لنرجوا من الله تعالى أن يهيء لأمة القرآن من أمرها رشدا ، وأن يبعث لها قادة فكر وسياسة لما فيه الخير والصلاح والرجوع إلى ماكان عليه السلف الصالح ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا ماأصلح أولها .

٢ ـــ ومن آيات النبي ﷺ ماأظهره الله شاهداً على صدقه من الآيات الأفقية كما قال تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيدا ﴾ ولذلك أمثلة :

المثال الأول : انشقاق القمر ، فقد انشق القمر وصار فرقتين ، وشاهد الناس ذلك وقد أشار الله إلى ذلك في القرآن قال الله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ وقد أجمع العلماء على وقوع ذلك في عهد النبي ﷺ قبل الهجرة ، وقد رآه الناس بمكة وقال النبي ﷺ حين رآه : اشهدوا اشهدوا ، وقدم المسافرون من كل وجه فأخبروا أنهم رأوه . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لأنه أقرب إلى الأرض من الشمس والنجوم ، وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفلك إذ هو للجسم المستنير الذي يظهر الانشقاق فيه لكل من يراه ظهوراً لايتمارى فيه وأنه إذا قبل الانشقاق فقبول محله أولى بذلك وقد عاينه الناس وشاهدوه

وكان النبي ﷺ يقرأ هذه السورة في مجامع الكبار مثل صلاة العيدين كل الناس يقر بذلك ولاينكره ولو يكن قد انشق لأسرع الناس إلى كذيب ذلك . اهـ

وقد استبعد أناس وقوع انشقاق لقمر وحاولوا تحريف معنى القرآن في ذلك وقد أخطأوا خطأ كبيراً في هذا الإنكار ، فالقرآن لايتحمل المعنى الذي حرفوه إليه ، والنصوص الثابتة الكثيرة من الأحاديث صريحة في انشقاقه انشقاقاً حسياً مشهوداً ، ولايقدح في ذلك مازعمه بعضهم من كونه لم ينقل في تاريخ غير التاريخ الإسلامي ، فإن نقله في التاريخ الإسلامي كاف في ذلك ، وقد جاء به القرآن الكريم ، ولعل الناس الذين لم ينقلوه لم يشاهدوه ، لعله وقع وهم نيام أو كانوا في النهار ولم يشعروا به ، أو كان في تلك الساعة مانع من سحاب أو غيره ، وقد أخبر المسافرون الذين قدموا مكة بمشاهدته وهو لم يستمر فيما يظهر وإنما كان آية شاهدها الناس ثم عاد إلى حاله الأولى .

المثال الثاني : المعراج فإنه من أكبر الآيات فلقد أسري بالنبي ﷺ في ليلة واحدة إلى بيت المقدس ، واجتمع هناك بالأنبياء ، وصلى بهم ، ثم عرج به جبريل حتى بلغ سدرة المنتهى فوق سبع سموات ، وأوحى الله تعالى إليه ماأوحى ، وشاهد ﷺ من آيات الله الكبرى ماشاهد ومر بالأنبياء في كل سماء ، ورجع إلى مكة كل ذلك في ليلة واحدة ، مع بعد المسافة الأرضية بين مكة وبين بيت المقدس ، ثم البعد العظيم بين السماء والأرض ، وبين السماء الدنيا ومافوقها إلى سدرة المنتهى . وقد أخبر الله تعالى في القرآن عن الإسراء في سورة الإسراء ، وعن المعراج في سورة النجم إذا هوى .

المثال الثالث : نزول المطر باستسقائه مباشرة وإقلاع المطر باستصحائه مباشرة ، ففي صحيح البخاري وصحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أصابت سنة أي جدب على عهد رسول الله ﷺ فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال : يارسول الله هلك المال وجاع العيال ، فادع الله لنا فرفع يديه ومانرى في السماء قزعة (أي قطعة سحاب) فوالذي نفسي بيده ماوضعها حتى ثار السحاب

أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحاور على لحيته ، فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد ، حتى الجمعة الأخرى ، وقام ذلك الأعرابي أو غيره فقال : يارسول الله : تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا ، فرفع يديه وقال : اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت فأقلع المطر وخرجنا نمشي في الشمس ...

ومن آيات النبي ﷺ مارواه البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة (إناء للماء) فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه فقالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ به ونشرب إلا مافي الركوة التي عندك ، فوضع النبي ﷺ يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، قال : فشربنا وتوضأنا ، قيل لجابر : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مئة ألف لكفانا ، كنا ألفاً وخمسمائة .

ومن آيات النبي ﷺ تكثير الطعام كما جرى ذلك يوم الخندق وجرى ذلك لأبي هريرة مع أهل الصفة .

ومن آيات النبي ﷺ ماوقع مطابقاً لما أخبر به ﷺ من أمور الغيب التي وقعت في عهده وبعده ولذلك أمثلة أيضاً :

المثال الأول : مارواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يرينا مصارع أهل بدر قبل ابتداء القتال يقول هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله ، هذا مصرع فلان ، فوالذي بعثه بالحق ماأخطأوا الحدود التي حددها رسول الله ﷺ ..

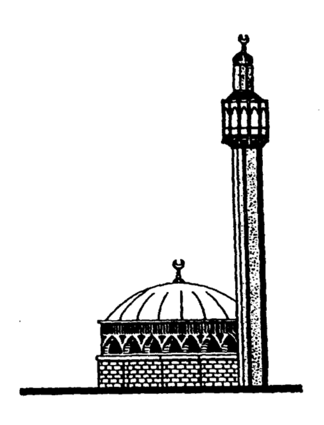
المثال الثاني : إخباره ﷺ عن ظهور نار في أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى ، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى ، فقد خرجت هذه النار في جمادى الآخرة سنة ٦٥٤ شرقي المدينة فأقامت نحواً من شهر ، وملأت الأودية وشاهد الناس أعناق الإبل ببصرى (وهي بلدة بالشام) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهذه النار كانت

تحرق الحجر .

ومن أمثلة ذلك ماأخبر به النبي ﷺ مما سيكون من الفتن وتغير أحوال الناس وغير ذلك .

وآياته ﷺ كثيرة جداً وقد ذكر أهل العلم من ذلك الشيء الكثير ومن أوسع مارأيت في ذلك تاريخ ابن كثير رحمه الله حيث كتب في آيات النبي ﷺ مجلداً كبيراً ، وذكر أن جميع آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد جرى مثلها للنبي ﷺ أو ماهو أعظم منها ..

وهذه الآيات التي يجريها الله على أيدي أنبيائه وأوليائه كلها شاهدة بما له تعالى من كمال العلم والقدرة والرحمة ، وأن الأمور كلها بيده يجريها كما يشاء ، لايسأل عما يفعل وهم يسألون ، فلله الحمد والمنة سبحانه لانحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ... وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه □



شكوى النبي الكريم

من هجر القرآن العظيم

للشيخ عبد الحميد بن باديس
رحمه الله

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذا القُرْآنَ مَهجُوراً ﴾

الفرقان / ٣٠

المناسبة :

لما ذكر تعالى ماقاله المشركون من الباطل في معارضة القرآن والاعراض والصد عنه ، وما قالوه من عبارات الحسرة والندامة يوم القيامة على ماكان منهم من ذلك في الدنيا ذكر ماقاله النبي ﷺ من الشكوى لربه بهم من تركهم للقرآن العظيم وهجره .

المفردات :

مهجورا : متروكاً مقاطعاً مرغوباً عنه . الرسول : محمد ﷺ . وقومه : قريش .

التراكيب :

في قوله ﴿ يارب ﴾ إظهار لعظيم التجائه وشدة اعتماده وتمام تفويضه لمالكه ، ومدبر أمره وموالي الإنعام عليه . وفي التعبير عنهم بقومه وإضافتهم إليه ، وفي التعبير عن القرآن باسم الإشارة القريب ، بيان لعظيم جرمهم ، فتركهم للقرآن وهو قريب في متناولهم وقد أتاهم به واحد منهم أقرب الناس إليهم . فصدوا وأبعدوا في الصد عمن هو إليهم قريب من قريب . وهذا أقبح الصد وأظلمه . وفي قوله : ﴿ اتخذوا ... الخ ﴾ بيان أنهم جعلوا الهجر ملازماً له ووصفاً من أوصافه عندهم ، وذلك أعظم من أن يقال هجروه ، الذي يفيد وقوع الهجران منهم دون دلالة على الثبوت والملازمة .

المعنى :

وقال الرسول شاكياً لربه إن قومي الذين أرسلتني إليهم بالقرآن لأتلوه عليهم قد صدوا عنه فتركوه وثبتوا على تركه وهجره .

استنتاج وعبر :

في شكوى النبي ﷺ من هجر القرآن دليل على أن ذلك من أصعب الأمور عليه وأبغضها لديه ، وفي حكاية القرآن لهذه الشكوى وعيد كبير للهاجرين بإنزال العقاب بهم إجابة لشكوى نبيه ، ولما كان الهجر طبقات أعلاها عدم الإيمان به فلكل هاجر حظه من هذه الشكوى وهذا الوعيد .

تنزيل :

ونحن ــ معشر المسلمين ــ قد كان منا للقرآن العظيم هجر كثير في الزمان الطويل وإن كنا به مؤمنين . بسط القرآن عقائد الإيمان كلها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة فهجرناها وقلنا تلك أدلة سمعية لاتحصل اليقين وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقدة وإشكالاتها المتعددة واصطلاحاتها المحدثة مما يصعب أمره على الطلبة فضلاً عن العامة . وبيَّن القرآن أصول الأحكام وأمهات مسائل الحلال

والحرام ووجوه النظر والاعتبار ، مع بيان حكم الأحكام وفوائدها في الصالح الخاص والعام ، فهجرناها واقتصرنا على قراءة الفروع الفقهية مجردة بلا نظر ، جافة بلا حكمة ، محجبة وراء أسوار من الألفاظ المختصرة تفني الأعمار قبل الوصول إليها ، وبين القرآن مكارم الأخلاق ومنافعها ومساوىء الأخلاق ومضارها ، وبين السبيل للتخلي عن هذه والتحلي بتلك مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس ، والسلامة من الخيبة بتدسيتها ، فهجرنا ذلك كله ، ووضعنا أوضاعاً من عند أنفسنا، واصطلاحات من اختراعاتنا خرجنا في أكثرها عن الحنيفية السمحة إلى الغلو والتنطع ، وعن السنة البيضاء إلى الإحداث والتبدع ، وأدخلنا فيها من النسك الأعجمي ، والتخيل الفلسفي ماأبعدها غاية البعد عن روح الإسلام ، وألقى بين أهلها بذور الشقاق والخصام ، وآل الحال بهم إلى الخروج من أثقال أغلالها ، والاقتصار على بقية رسومها للانتفاع منها ومعارضة هداية القرآن بها .

وعرض القرآن علينا هذا الكون وعجائبه ، ونبهنا على مافيه من عجائب الحكمة ومصادر النعمة لننظر ونبحث ونستفيد ونعمل ، فهجرنا ذلك كله إلى خريدة العجائب وبدائع الزهور والحوت والصخرة وقرون الثور ! ودعانا القرآن إلى تدبره وتفهمه والتفكر في آياته ، ولا يتم ذلك إلا بتفسيره وتبيينه ، فأعرضنا عن ذلك وهجرنا تفسيره وتبيينه ، فترى الطالب يفني حصة كبيرة من عمره في العلوم الآلية دون أن يكون قد طالع ختمة واحدة في أصغر تفسير ، كتفسير الجلالين مثلاً ، بل ويصير مدرساً متصدراً ولم يفعل ذلك . وفي جامع الزيتونة ــ عمره الله تعالى ــ إذا حضر الطالب بعد تحصيل التطويع في درس تفسير فإنه ــ ويا للمصيبة ــ يقع في خصومات لفظية بين الشيخ عبد الحكيم وأصحابه في القواعد التي كان يحسب أنه فرغ منها من قبل ، فيقضي في خصومة من الخصومات أياماً أو شهوراً ، فتنتهي السنة وهو لايزال حيث ابتدأ أو ماتجاوزه إلا قليلاً دون أن يحصل على شيء من حقيقة التفسير ، وإنما قضى سنته في المماحكات بدعوى أنها تطبيقات للقواعد على الآيات ، كأن التفسير إنما يقرأ لأجل تطبيق القواعد الآلية لا لأجل فهم الشرائع والأحكام الإلهية . فهذا هجر آخر للقرآن مع أن أصحابه يحسبون أنفسهم أنهم في خدمة القرآن .

وعلمنا القرآن أن النبي ﷺ هو المبين للناس مانزل إليهم من ربهم ، وأن

عليهم أن يأخذوا ماآتاهم وينهوا عما نهاهم عنه ، فكانت سنته العملية والقولية تالية للقرآن ، فهجرناها كما هجرناه وعاملناها بما عاملناه ، حتى إنه ليقل في المتصدرين للتدريس من كبار العلماء في أكبر المعاهد من يكون قد ختم كتب الحديث المشهورة كالموطأ والبخاري ومسلم ونحوها مطالعة فضلاً عن غيرهم من أهل العلم وفضلاً عن غيرها من كتب السنة . وكم وكم وكم بيّن القرآن ، وكم وكم وكم قابلناه بالصد والهجران .

بيان واستشهاد :

شر الهاجرين للقرآن هم الذين يضعون من عند أنفسهم مايعارضونه به ويصرفون وجوه الناس إليهم وإلى ماوضعوه عنه ، لأنهم جمعوا بين صدهم وهجرهم في أنفسهم وصد غيرهم ، فكان شرهم متعدياً وبلاؤهم متجاوزاً وشر الشر وأعظم البلاء ماكان كذلك ، وفي هؤلاء جاء ماذكره الإمام ابن القيم في كتاب (أعلام الموقعين) عن حماد بن سلمة ثنا أيوب السختياني عن أبي قلابة عن يزيد بن أبي عميرة عن معاذ بن جبل قال :

« تكون فتن فيكثر المال ويفتح القرآن حتى يقرأه الرجل والمرأة والصغير والكبير والمنافق والمؤمن فيقرؤه الرجل فلا يتبع فيقول والله لأقرأنّه علانية فلا يتبع فيتخذ مسجداً ويبتدع كلاماً ليس من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ فإياكم وإياه فإنه بدعة وضلالة » . قاله معاذ ثلاث مرات . اهـ

فانظر في قطرنا وفي غير قطرنا كم تجد ممن بنى موضعاً للصلاة ووضع كتباً من عنده أو مما وضعه أسلافه من قبله وروّجها بين أتباعه ، فأقبلوا عليها وهجروا القرآن . وربما يكون بعضهم قصد بما وضع النفع فأخطأ وجهه ، إذ لانفع بما صرف عباد الله عن كتاب الله ، وإنما يدعى لله بكتاب الله ، ولذلك سمي صنيع هذا الواضع بدعة وضلالة ، وحذر معاذ منه وأكد في التحذير بالتكرير . وهذا الحديث وإن كان موقوفاً على معاذ فهو في حكم المرفوع لأنه إخبار بمغيب مستقبل ، وهذا ماكان يعلمه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إلا بتوقيف من النبي ﷺ وقد تحقق مضمونه في المسلمين منذ أزمان ولا حول

ولا قوة إلا بالله .

سبيل النجاة :

لانجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوع الذي نذوقه ونقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن : إلى علمه ، وهديه ، وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه ، والتفقه فيه وفي السنة النبوية شرحه وبيانه ، والاستعانة على ذلك بإخلاص القصد وصحة الفهم والاعتضاد بأنظار العلماء الراسخين والاهتداء بهديهم في الفهم عن رب العالمين ، وهذا أمر قريب على من قربه الله عليه يسير على من توكل على الله فيه ، وقد بدت طلائعه والحمد لله وهي آخذة في الزيادة إن شاء الله وسبحان من يحيي العظام وهي رميم (*) □



* ــ د . عمار الطالبي : ابن باديس حياته وآثاره ١ / ٤٠٦ .

الوحدة والائتلاف ... ونبذ الفرقة والاختلاف

د . محمد محمد بدري

في الوقت الحاضر بدأت الصحوة الإسلامية في شتى أنحاء البلاد الإسلامية ... وفي طريق عودة الأمة إلى الله لابد من معالم تبين لها طريق عودتها لتصبح بحق « أمة مسلمة » تستحق نصر الله ورضوانه ...

ونحن نعتقد أن منهج أهل السنة والجماعة هو المنهج الصحيح الذي يجب أن تسير عليه الأمة ، ومنهج أهل السنة والجماعة هو الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والالتزام بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، وشعارهم الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم .

وان من أعظم ماأصاب المسيرة الإسلامية الفرقة والتنازع والاختلاف ، فساحة العمل الإسلامي تغص بجماعات كثيرة دعواها واحدة وهي الإسلام وإعادة مجد الإسلام وأمة الإسلام ، ولكنها متنافرة فيما بينها تتراشق الاتهام ... بل يصل الأمر إلى الرمي بالمروق من الدين والاتهام بالضلال وهذا هو الخلاف المذموم الناشيء عن الهوى والتعصب لرجل أو جماعة بدون تعرف على الحق وتبين له ..

والفرقة دائماً بلاء يفسد كل صالح من الأعمال ويقطع عنه أكثر نتائجه .. فكيف إذا تحولت الفرقة إلى تدابر ؟!

إننا جميعاً يجب أن نتعلم أن اختلافنا مع الآخرين لايعني فقدانهم مقومات العمل الإسلامي وخروجهم من دائرة المصلحة إلى دائرة المفسدة ، كما أن هذا الخلاف لايجب أن يعمينا عن إيجابيات

الآخرين .

بل يجب علينا الاستفادة من تجارب الآخرين وأن نتعلم كيف نمد معهم جسور المودة والمحبة ونشاور منهم أهل العلم والخبرة فنكون وكأنما جمعنا علمهم إلى علمنا ، وعقلهم إلى عقلنا ..

ونحاول إيجاد صيغة للالتقاء والانسجام بين تجمعات أهل السنة والجماعة العاملة في الساحة الإسلامية بحيث تمضي القافلة المسلمة في طريق واحد نحو هدفها .

قد يقول البعض : إن الاختلاف والتفرق أمر قدري كوني أخبر به النبي ﷺ في قوله : ﴿ تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى على مثل ذلك ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ﴾ ..وإذن فلا فائدة من العمل على الائتلاف والوحدة ؟! .. ونحن هنا نشير إلى أمر هام يجب أن يفهمه المسلم وهو التمييز بين الأمر الشرعي والأمر القدري الكوني .. أو بين ماهو مطلوب منا وماهو واقع بنا فالمطلوب منا هو العمل على الائتلاف وماهو واقع بنا هو أن الفرقة والاختلاف واقعان لامحالة ، فإذا قمنا بما هو مطلوب منا فسيؤدي ذلك – بإذن الله – إلى تكثير الفرقة الناجية التي قال عنها رسول الله ﷺ : « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » .

وكما قال ابن تيمية رحمه الله : « ولا يقال : فإذا كان الكتاب والسنة دلا على وقوع ذلك فما فائدة النهي عنه ؟ لأن الكتاب والسنة قد دلا على أنه لايزال طائفة في هذه الأمة متمسكة بالحق إلى قيام الساعة وأنها لاتجتمع على ضلالة ففي النهي عن ذلك تكثير لهذه الطائفة المنصورة نسأل الله المجيب أن يجعلنا منها ﴾ [اقتضاء الصراط المستقيم] .

ولابد أن نعلم أن هويتنا الحقيقية هي أننا عبيد مملوكون لله ، بيده وحده تقلباتنا ، وإليه وحده مصيرنا ، وله حياتنا ومعادنا ..

ونحن نظن أن حضور هذا البعد الإيماني هو الضمانة الحقيقية لشرعية علاقتنا ، والملاذ الأخير لتصفية خلافاتنا ، ونزع أغلال قلوبنا ..

فلنحاول إذا اكتسبنا معرفة وعلماً ، ألا نفتقد خلق هذه المعرفة .. فلا يصح أن نمتلك الوسيلة ونضيع الهدف والغاية ..

فالعلم إنما يراد لتقع الأعمال في الواقع على وفقه ، والعلم يقول لنا عليكم بالوحدة ونبذ الفرقة .. قال عز وجل : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا ﴾ .. وذكرنا عز وجل بالحال التي كنا عليها قبل الإسلام حين كان الناس قبائل متناحرة يعادي بعضها بعضاً فجاء الإسلام فأصبحوا أخوة أحبة : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ .. ونهانا عز وجل أن نسلك مسلك الأمم من قبل وهو التنازع والاختلاف : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ .. وأخبر سبحانه أن التنازع والخلاف يؤدي إلى الفشل وذهاب قوة الأمة : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ ..

وحينما تريد الحركة الإسلامية أن تقف على قدميها فلابد أن تكون فصائلها متحالفة مترابطة ، والوحدة التي نريدها هي وحدة الطاقات .. فالبعض يملك القوة العددية والبعض يملك الكوادر والطرف الثالث يملك المال وآخر يملك طاقة أخرى وهكذا يمكن أن تتكامل هذه الطاقات وتتعاون في سبيل هدفنا الواحد ..

إننا لانرمي من وراء دعوتنا إلى الوحدة بين فصائل الحركة أن يتنازل رؤوس الفصائل الإسلامية في الحركة عن أفكارهم الشخصية مادامت معتقدات يشهد لها الشرع بالقبول ، ولا نطلب منهم أن يتخلوا عن مواقفهم . بل نطلب منهم أن يتقدموا بمجهوداتهم ويساهموا بطاقاتهم في الحركة الإسلامية بحيث ينتظم عمل الجميع إطار واحد متكامل الأجزاء للانطلاق إلى الهدف المنشود من عودة هذه الأمة وإحيائها بالتوحيد وبعثها لتقود هذه البشرية من جديد ؟!

نقول للجميع : إننا نعمل من أجل دعوة واحدة ونسعى إلى هدف واحد ، ونرتبط بمصير واحد .. فعلينا أن نعمل في اتجاه واحد وفق منهاج واضح ، وأن نتعاون على البر والتقوى ولا نتنازع فيما بيننا فنفشل ونضعف وتضيع الأهداف التي ننشدها .. وفقنا الله وإياكم إلى مايحب ويرضى □

قضايا فقهية

- ١ -

مدى تدخل الدولة في فرض الضرائب وتوظيف الأموال

عثمان جمعة ضميرية

مع اتساع سلطات الدولة في العصر الحديث ، وتغير بعض الظروف ، وتجدد الحوادث والوقائع ، نجد من الواجب دراسة بعض المسائل التي تتصل بحياة الناس وواقعهم لبيان حكم الإسلام فيها ، ومن ذلك مانجده من تدخل الدولة في ملكيات الأفراد الخاصة بفرض ضرائب متنوعة وتوظيف الأموال على القادرين من أفراد المجتمع . فما هو حكم الإسلام في ذلك ؟ ومامدى مشروعيته ؟ هذا ماسنعالجه في هذا المقال معالجة موجزة مركزة تتفق مع طبيعة المجلة ، بإذن الله تعالى .

تعريف الضريبة :

الضريبة عند علماء المالية هي : فريضة إلزامية ، يلتزم الفرد بأدائها إلى الدولة تبعاً لمقدرته على الدفع ، بغضّ النظر عن المنافع التي تعود عليه من وراء الخدمات التي تؤديها السلطات العامة ، وتستخدم حصيلتها في تغطية النفقات العامة (١) .

---

١ ـ انظر : الملكية في الشريعة الإسلامية ، د . عبد السلام العبادي : ٢ / ٢٨٥ ، والمرجع المشار إليه هناك .

حماية الملكية :

والأصل العام والقاعدة المقررة في الشريعة الإسلامية : أن المسلم إذا ماالتزم بدفع الواجبات المالية التي تتعلق بملكية المال الذي بيده ، فإنه لايجوز بعد ذلك التعرض لما في يده من أموال دون حق ، إلا إذا اقتضت ذلك الضرورة والمصلحة ضمن القواعد الشرعية المقررة .

لذلك رأينا كثيراً من النصوص الشرعية تتوارد منددةً بالمكوس وأخذ الأموال دون حق ، ومن ذلك ماجاء عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » (١) ، وعن عبد الله ابن عمرو قال : « إن صاحب المكس لايسأل عن شيء ، يؤخذ كما هو ، فيرمى به في نار جهنم » (٢) .

● وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى عدي بن أرطأة أن : « ضع الفدية ، وضع عن الناس المائدة ، وضع عن الناس المكس ، وليس بالمكس ، ولكنه البخس الذي قال الله تعالى : ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ [هود / ٨٥] ، فمن جاءك بصدقة فاقبلها منه ، ومن لم يأتك بها فالله حسيبه » .

● وكتب أيضاً إلى عبد الله بن عوف القاري أن : « اركب إلى البيت الذي برفح ، الذي يقال له : بيت المكس ، فاهدمه ، ثم احمله إلى البور فانسفه فيه نسفاً » (٣) .

● ولهذا قال الإمام أبو يوسف القاضي رحمه الله : « ليس للإمام أن يخرج شيئاً من يد أحد إلا بحق ثابت معروف » (٤) ، وقال : « وكل من أقطعه الولاة

---

١ ــ أخرجه أبو داود في كتاب الإمارة : ٤ / ١٩٧ (مختصر المنذري) ، والدارمي في الزكاة : ١ / ٣٩٣ وصححه الحاكم في المستدرك : ١ / ٤٠٤ ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن خزيمة : ٤ / ٥١ ، والإمام أحمد : ٤ / ١٤٣ . قال الخطابي : صاحب المكس هو : الذي يعشّر أموال المسلمين ويأخذ من التجار إذا مرّوا عليه وعبروا به مكساً باسم العشر ، وليس هو بالساعي الذي يأخذ الصدقات . وأصل المكس : النقص .
٢ ــ ٣ ــ أخرجه أبو عبيد ، في الأموال ، ص ٧٠٣ ــ ٧٠٤ .
٤ ــ الخراج لأبي يوسف ، (٧١) ، وانظر : الأشباه والنظائر ، لابن نجيم (١٢٤) .

المهديون أرضاً من أرض السواد وأرض العرب والجبال ، من الأصناف التي للإمام أن يقطع منها ، فلا يحل لمن يأتي بعدهم من الخلفاء أن يرد ذلك ، ولا يخرجه من يد من هو في يده ، وارثاً أو مشترياً ، فأما إن أخذ الوالي من يد واحد وأقطعها آخر ، فهذا بمنزلة الغاصب غصب واحداً وأعطى آخر ، فلا يحلّ للإمام ، ولا يسعه أن يقطع من الناس حق مسلم ولا معاهد ، ولا يخرج من يده من ذلك شيئاً إلا بحق يجب له عليه ، فيأخذه بذلك الذي وجب له عليه .. والأرض عندي بمنزلة المال » (١) .

الآثار الاقتصادية للضرائب :

وعقد العلامة الاجتماعي ابن خلدون فصلاً في مقدمته المشهورة ، بعنوان : « في ضرب المكوس أواخر الدولة » بين فيه الأسباب التي تدعو الدولة لفرض المكوس على الرعية ، وآثار ذلك على النشاط الاقتصادي ، وعلى الدولة ، حيث تكسد الأسواق لفساد الآمال ، ويؤذن ذلك باختلال العمران ، ويعود على الدولة ، ولا يزال يتزايد ، إلى أن تضمحل » (٢) .

ثم عقد فصلاً آخر « في أن الظلم مؤذن بخراب العمران » فقال فيه : « ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب ، كما هو المشهور ، بل هو أعمّ من ذلك ، وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله ، أو طالبه بغير حق ، أو فرض عليه حقاً لم يفرضه المشرع فقد ظلمه .. فلما كان الظلم مؤذناً بانقطاع النوع لما أدى إليه من تخريب العمران ، كانت حكمة الحظر (المنع) فيه موجودة ، فكان تحريمه مهماً ، وأدلته من القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرة ، أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصر ... » (٣) .

الحكم يدور مع علته : هذا الذي تقدم يبين لنا : أنه من الظلم المحرم العدوان

١ ــ الخراج ، لأبي يوسف ، (٦٦) .
٢ ــ مقدمة ابن خلدون ، (٢٨٠ ــ ٢٨١) .
٣ ــ المصدر نفسه ، وانظر الفصل بكامله ، ص (٢٨٦ ــ ٢٩٠) .

على ملكيات الناس وأموالهم بغير حق ثابت ، ولهذا جاءت النصوص الشرعية بتحريمه ، وتبين أن هذا الحكم بالتحريم معلل بأنه ظلم وعدوان ، وهو مادفع ابن خلدون وغيره إلى القول بعدم جواز أخذ شيء من المال ، وهو ماأقرته الشريعة الإسلامية ، لكن إذا زالت العلة ، فلم يعد الأخذ بغير حق ، وإنما هو أمر تستوجبه المصلحة العامة ، وتضبطه القواعد الشرعية المقررة ، فهل يكون هذا الأخذ أو التوظيف للأموال : حراماً ؟

نصوص فقهية :

عرض فقهاء الشريعة الإسلامية توظيف الأموال على الأغنياء ، عند الحاجة ، وقرروا جواز ذلك ، وفيما يلي نصوص عن بعض الأئمة الفقهاء :

● **رأي الغزالي** : قال الإمام الغزالي رحمه الله : « إذا خلت أيدي الجنود من الأموال ، ولم يكن من مال المصالح مايفي بخراجات العسكر ، ولو تفرق العسكر واشتغلوا بالكسب لخيف دخول العدو بلاد الإسلام ، أو خيف ثوران الفتنة من أهل العرامة في بلاد الإسلام ، فيجوز للإمام أن يوظف على الأغنياء مقدار كفاية الجند ... لأنا نعلم أنه : إذا تعارض شران أو ضرران قصد الشرع دفع أشدّ الضررين وأعظم الشرين ، ومايؤديه كل واحد منهم قليل بالإضافة إلى مايخاطر به من نفسه وماله لو خلت خطة الإسلام من ذي شوكة ، يحفظ نظام الأمور ويقطع مادة الشرور . ومما يشهد لهذا : أن لولي الطفل عمارة القنوات ، وإخراج أجرة الطبيب وثمن الأدوية ، وكل ذلك تنجيز لتوقع ماهو أكثر منه » (١) .

● **رأي الجويني** : وقد نص على ذلك أيضاً إمام الحرمين الجويني ، وهو شيخ الغزالي ، في كتابه « الغياثي » فقال : « إذا صفرت يد راعي الرعية عن الأموال ، لحاجات ماسة ، فلا يخلو الحال من ثلاثة أنحاء :

الأول : أن يطأ الكفار ديار الإسلام ــ والعياذ بالله ــ فقد اتفق حملة الشريعة قاطعة على أنه يتعين على المسلمين أن يخفوا إلى مدافعتهم زرافات ووحدانا .. وإذا كان هذا دين الأمة ومذهب الأئمة ، فأي مقدار للأموال في

١ ــ انظر المستصفى من علم الأصول للغزالي : ٢ / ٣٠٤ ــ ٣٠٥ ، مطبوع مع مسلّم الثبوت .

هجوم أمثال هذه الأهوال ، لو مست إليها الحاجة ؟! **وأموال الدنيا لو قوبلت بقطرة دم لم تعدلها ، ولم توازنها** ، فيجب على الأغنياء في هذا القسم أن يبذلوا فضلات أموالهم ، حتى تنجلي هذه الداهية ، وتنكف الفئة المارقة الطاغية .

والثاني : أن لايطأ الكفار ديار الإسلام ، ولكنا نحاذر ذلك ونستشعره ، لانقطاع موارد الأموال واختلال الأحوال ، فلا يحل تأخير النظر للإسلام والمسلمين إلى اتفاق استجراء الكافرين ، والدفع أهون من الرفع ، **وأموال العالمين لاتقابل غائلة وطأة الكفار قرية من قرى المسلمين** ، فليلحق هذا القسم بما تقدم .

وأما القسم الثالث : وهو أن لانخاف من الكفار هجوماً ، لا خصوصاً في بعض الأقطار ، ولا عموماً ، لكن الانتهاض للغزو والجهاد يقتضي مزيد عتاد واستعداد ، فللإمام أن يكلف الأغنياء من فضلات الأموال ماتحصل به الكفاية والغناء ، فإن إقامة الجهاد فرض على العباد » .

ثم يضع إمام الحرمين ضوابط لهذا التدخل فيقول :

« ليس للإمام في شيء من مجاري الأحكام أن يتهجم ويتحكم ، فعل من يتشهى ويتمنى ، ولكنه يبني أموره كلها على وجه الرأي والصواب ، في كل باب ، والأمر في أخذ الأموال يجري على هذه الأحوال . فليشر على أغنياء كل صقع بأن يبذلوا من المال مايقع به الاستقلال .

فإذا عسر التبليغ إلى الاستيعاب ، ورأى في وجه الصواب : أن يخصص أقواماً ، ثم يجعل الناس في ذل كفاتٍ ، فيستأدي عند كل ملمة من فرقة أخرى وأمة — اتبع في ذلك كله أوامره — واجتنب زواجره . ثم ليكن في ذلك على أكمل نظر ، وأسد فكر وعبر ... فإذا اقتضى الرأي تعيين أقوام على التنصيص تعرض لهم على التخصيص ، ونظر إلى من كثر ماله وقل عياله ، وقد يتخير من خيف عليه من كثرة ماله أن يطغى ، ولو ترك لفسد ، ولو غض من غلوائه قليلاً لأوشك أن يقتصد » (١) .

---

١ — انظر : الغياثي ، للجويني ، ص (٢٥٦ — ٢٧٣) بتحقيق ، د . عبد العظيم الديب ، طبعة قطر .

● **رأي الشاطبي** : وقال الإمام الشاطبي رحمه الله ، في كتابه النفيس : (الاعتصام) : « إذا قررنا إماماً مطاعاً مفتقراً إلى تكثير الجنود لسد حاجات الثغور وحماية الملك المتسع الأقطار ، وخلا بيت المال ، وارتفعت حاجات الجند إلى مالا يكفيهم ، فللإمام ـــ إذا كان عدلاً ـــ أن يوظف على الأغنياء مايراه كافياً لهم في الحال إلى أن يظهر مال بيت مال المسلمين ، ثم إليه ينظر في توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك ، كيلا يؤدي تخصيص الناس به إلى إيحاش القلوب ، وذلك يقع قليلاً من كثير ـــ بحيث لايجحف بأحد ـــ ويحصل المقصود .

وإنما لم ينقل مثل هذا عن الأولين : لاتساع مال بيت المال في زمانهم ، بخلاف زماننا ـــ زمان الشاطبي ـــ فإن القضية فيه أحرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهر ، فإنه لو لم يفعل الإمام ذلك النظام لبطلت شوكة الإمام ، وصارت ديارنا عرضة للاستيلاء الكفار .

وإنما نظام ذلك كله : شوكة الإمام مع عدله ، فالذين يحذرون من الدواهي لو تنقطع عنهم الشوكة ، يستحقرون بالإضافة إليها أموالهم كلها ، فضلاً عن اليسير منها ، فإذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق لهم بأخذ بعض أموالهم ، فلا يتمارى في ترجيح الثاني على الأول ، وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر في الشواهد » .

ثم قال : « والملاءمة الأخرى : أن الأب في طفله أو الوصي في يتيمه ، أو الكافل فيمن يكفله مأمور برعاية الأصلح له ، وهو يصرف ماله إلى وجوه من النفقات أو المؤن المحتاج إليها ، وكل مايراه سبباً لزيادة ماله ـــ مال الطفل أو القاصر ـــ أو حراسته من التلف جاز له بذل المال في تحصيله . ومصلحة الإسلام عامة لا تتقاصر عن مصلحة طفل ، ولا نظر إمام المسلمين يتقاعد عن نظر واحد من الآحاد في حق محجوره .

فهذه ملاءمة صحيحة ، إلا أنها في محل ضرورة ، فتقدر بقدرها ، فلا يصح هذا الحكم إلا مع وجودها ... وهذه المسألة نص عليها الغزالي في مواضع

من كتبه ، وتلاه في تصحيحها ابن العربي في أحكام القرآن . وشرط جواز ذلك كله عندهم : عدالة الإمام ، وإيقاع التصرف في أخذ المال وإعطائه على الوجه المشروع » (١) .

● رأي ابن حزم : وممن عرض لهذه المسألة ، وأيدها بالنصوص الشرعية والحجج القوية ، الإمام ابن حزم في كتابه العظيم (المحلّى) فقال :

« وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ، إن لم تقم الزكوات بهم ، ولا في سائر أموال المسلمين مايقوم بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة .

برهان ذلك : قول الله تعالى : ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ﴾ [الإسراء : ٢٦] وقال تعالى : ﴿ وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت أيمانكم ﴾ [النساء / ٣٦] ، فأوجب تعالى حق المساكين وابن السبيل وماملكت اليمين مع حق ذي القربى ، وافترض الإحسان إلى الأبوين وذي القربى والمساكين والجار وماملكت اليمين ، والإحسان يقتضي كل ماذكرنا ، ومنعه إساءة بلا شك .

وعن رسول الله ﷺ : « من لايرحم الناس لايرحمه الله » (٢) .

قال أبو محمد – ابن حزم – : ومن كان على فضلة ورأى أخاه المسلم جائعاً عريان ضائعاً فلم يغثه فما رحمه بلا شك .. وقد قال ﷺ : « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه ... » (٣) ، ومن تركه يجوع ويعرى – وهو قادر على إطعامه – فقد أسلمه .

---

١ – الاعتصام ، للإمام الشاطبي : ٢ / ١٢١ – ١٢٣ .
٢ – أخرجه البخاري في التوحيد : ١٣ / ٣٨٥ (فتح الباري) ، ومسلم في الفضائل : ٤ / ١٨٠٨ – ١٨٠٩ .
٣ – قطعة من حديث أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب : ٤ / ١٩٨٦ .

والنصوص من القرآن ، والأحاديث الصحاح في هذا تكثر جداً » (١) .

ويذهب ابن حزم إلى أن المسلم لايعتبر مضطراً لأكل لحم الميتة أو الخنزير وهو يجد طعاماً فاضلاً عن حاجة أخيه ، وله أن يقاتل للحصول على هذا الفضل ، فيقول : « ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل لحم خنزير أو ميتة وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو لذمي ، لأن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع فإذا كان ذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى الخنزير » .

« وله أن يقاتل عن ذلك ، فإن قتل فعلى قاتله القود ، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله ، لأنه منع حقاً ، وهو طائفة باغية ، قال تعالى : ﴿ فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ [الحجرات / ٩] ، وما منع الحق باغ على أخيه الذي له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق مانع الزكاة » (٢) .

شبهة مردودة :

وعلى هذا لايحتج على منع توظيف الأموال بما رواه ابن ماجه عن فاطمة بنت قيس أن رسول الله ﷺ قال : « ليس في المال حق سوى الزكاة » (٣) ، لأنه قد ثبت أن هناك حقوقاً أخرى في المال سوى الزكاة ، منها : النفقات على الأبوين المحتاجين ، وعلى الزوجة وعلى الرقيق وعلى الحيوان ، ومنها الديون والأروش (ديات الأعضاء) ، وفكاك الأسير ، وأطعام المضطر ، فإن هذا قام الإجماع على وجوبه .

والحديث أيضاً معارض بما رواه الترمذي : « إن في المال حقاً سوى الزكاة » ، ويمكن القول بأنه ليس في المال حق سوى الزكاة بطريق الأصالة ، وقد يعرض مايوجب فيه حقاً كوجود مضطر ، فلا تناقض بينه وبين الخبر السابق ،

---

١ ــ المحلى ، لابن حزم : ٦ / ٢٢٤ ــ ٢٢٧ ، وانظر بحث الدكتور إبراهيم اللبان في مجمع البحوث الإسلامية : ١ / ٢٤٨ ومابعدها .
٢ ــ المحلى : ٦ / ٣٣٠ .
٣ ــ أخرجه ابن ماجه في الزكاة : ١ / ٥٧٠ . قال النووي : ضعيف جداً . وقال ابن القطان : فيه أبو حمزة ، ميمون الأعور : ضعيف . انظر : فيض القدير للمناوي : ٥ / ٣٧٥ .

لما تقرر من أن ذلك ناظر إلى الأصل ، وهذا ناظر إلى ماقد يطرأ فيوجب حقاً جديداً (١) .

بين الزكاة والضريبة :

وبناء على هذه النصوص أجاز الفقهاء المحدثون فرض ضرائب جديدة عند الحاجة إلى ذلك ، فقد سئل الشيخ أبو الأعلى المودودي ، رحمه الله : ماهي وسائل الدخل للحكومة الإسلامية ، والمعروف عامة أنه لا ضريبة في الإسلام إلا الزكاة والجزية والخراج ؟

فقال : « من الخطأ القول : أنه لايجوز في الإسلام أن نفرض ضريبة لسد نفقات الحكومة ، وكذلك لايصح أن يقال : إن الزكاة هي ضريبة توضع على الناس لتسد بها نفقات الحكومة ، إنما الزكاة مال من أموال التأمين الاجتماعي ... يؤخذ من الأغنياء ليرد إلى من يستحق من الفقراء .

أما حاجات الحكومة ، فما هي إلا حاجات الجمهور أنفسهم ، فكل مايطالبون به الحكومة من واجبهم أن يكتتبوا لها من الأموال ماتحقق به مطالبهم » (٢) .

« فلا بد من العناية بفرض ضرائب اجتماعية على النظام التصاعدي ــ بحسب المال لا بحسب الربح ــ يعطى منها الفقراء طبعاً ، وتجبى من الأغنياء الموسرين ، وتنفق في رفع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة .

ومن لطائف عمر رضي الله عنه أنه كان يفرض الضرائب الثقيلة على العنب ، لأنه فاكهة الأغنياء في ذلك الوقت ، والضريبة التي لاتذكر على التمر ، لأنه طعام الفقراء ، فكان أول من لاحظ هذا المعنى في الحكام والأمراء ، رضي الله عنه » (٣) .

---

١ ــ انظر : الملكية في الشريعة ومدى تدخل الدولة في تقييدها ، عثمان جمعة ضميرية ، (٢١٨ ــ ٢٢٠) .
٢ ــ نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون ، للمودودي ، (٣١٢ ــ ٣١٣) .
٣ ــ مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، ص (٤٠٥) .

الشروط والضوابط :

وبذلك تحدد لنا المجال الذي تعمل فيه هذه النصوص السابقة ، ومدى مشروعية هذه الفرائض أو الضرائب ، إلا أن ذلك ليس موكولاً إلى هوى الحكام وشهواتهم ، ليفرضوا على الرعية ماتنوء به الكواهل من الواجبات التي تدخل إلى خزائن المترفين منهم والمترهلين باسم المصلحة العامة ، كما أنه لايجوز فرض هذه الضرائب والخزينة في غنًى عنها .

لذلك وضع العلماء شروطاً لابد من توافرها حتى يصح القول بمشروعية هذه الضرائب ، ومن هذه الشروط :

١ ــ أن تكون هذه الضرائب أمراً استثنائياً تدعو إليه المصلحة العامة للمجتمع ، وتدبيراً مؤقتاً ، حسبما تدعو إليه الضرورة التي تقدر بقدرها ، ينتهي ويزول بزوال العلة والحاجة .
٢ ــ أن يكون الحاكم الذي يفرض هذه الضرائب عادلاً ، تجب طاعته ، ليكون في هذا ضمان لعدم الظلم والعسف ، ولتحقيق العدل .
٣ ــ أن لايكون هناك في بيت المال والخزينة العامة مايكفي لسدّ هذه الحاجات ، ولا ينتظر أو يرجى أن يكون شيء من ذلك ، نظراً للظروف الطارئة ، وأن يرد الحاكم وحاشيته ماعندهم من أموال فائضة إلى بيت مال المسلمين .
٤ ــ أن يقع التصرف في جباية المال وإنفاقه على الوجه المشروع .
٥ ــ كما يشترط أن تكون أحكام الشرع في تلك الحال نافذة كما يجب ، وحدوده مقامة ، كما يرضى ، وأن تكون الوظائف في جهاز الحكم بقدر الحاجة ، لاتزيد عليها (١) .

هذا ، مايسر الله تعالى كتابته في هذا الموضوع الذي يتساءل الناس عن الحكم فيه وللتفصيل والوقائع مجال آخر قد لايتحمله مقال عاجل أو مجلة ثقافية عامة . والله الموفق □

---

١ ــ انظر بالتفصيل هذه الشروط والوقائع التاريخية ونصوص العلماء في : الغياثي للجويني ، (٢٧٠) ومابعدها ، الاعتصام للشاطبي : ٢ / ١٢٣ ، اشتراكية الإسلام ، للدكتور مصطفى السباعي / ١٢٣ ــ ١٢٦ نظرات في كتاب اشتراكية الإسلام ، للشيخ محمد الحامد / ١٢٤ ــ ١٢٥ ، الملكية في الشريعة الإسلامية د . عبد السلام العبادي : ٢ / ٢٩٤ ــ ٢٩٩ ، خطوط رئيسية في الاقتصاد ، للأستاذ محمود أبو السعود (٤٦) ، الثروة في ظل الإسلام ، للبهي الخولي / ٢٢٤ .

دعاة من جلدتنا

احمد محمد الفضيل

أنزل الله الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدى وفرقاناً ورحمة لقوم يوقنون ، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ففتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، وبدد بدعوته ظلمات الجهل والحماقة ، وأسقط الأغلال التي كانت على العقول ، حتى أمسى شرك الجاهلية وضلالها أسطورة غابرة ، وأضحت عبادة الأصنام في ميزان المسلم إفكاً قديماً ، ويعجب المسلم ــ فيما يعجب من سخف المشركين ــ من قولهم في تلبيتهم : « لبيك لاشريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك » (١) !!

سبحان ربي ! كيف سوغ الشيطان هذا السخف لأوليائه ، وزين لهم ماكانوا يفترون ، وصدق الله : ﴿ من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ [الكهف / ١٧] .

غير أنه يجب أن نذكر دائماً ، أن الابتلاء مستمر ، ومادة الشر باقية ، وشياطين الإنس والجن مشمّرون في ترويج الضلال ، حتى زخرفوه بكل حلة ، ورروجوا له بكل لسان : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول

١ ــ وردت هذه التلبية حكاية في حديث متفق عليه .

غروراً ﴾ [الأنعام / ١١٢] . ومن الواجب كذلك ؛ أن نتتبع طرق الغيِّ بالتحذير منها ، وكشف مراميها وأبعادها ، وسد السبل على دعاتها ، حتى يكون المسلمون على بينة من ربهم ، وبصيرة من سبيلهم ، ولا يضرهم انتحال المبطلين ، أو كيد الحاقدين .

ولقد شاعت في دنيا المسلمين فلسفات وأنظمة ؛ خدعت الكثير منا ببريقها ، وانتشرت شعارات ومصطلحات ؛ أسرت العقول ؛ واستحوذت على الأفكار ، ووراء ذلك كله داءٌ دوي ، ونار — لو قدر لها أن تنتشر — لم تأت على شيء إلا جعلته كالرميم . وكان المسلمون قبلها ؛ يتلون كتاب الله ، ويتدبرون آياته ، ولا يخالج أحداً منهم شك في حق التشريع ولا ريبٌ ، فالتشريع كله : الحلال والحرام ، والسياسة ونظم المجتمع ، كله لله ، حقاً خالصاً من أخص خصائص الألوهية ، كما أن الإقرار به أول طريق العبودية ، وكان المسلمون يعلمون كذلك ؛ أن كل سلطان أو إمارة في دولتهم ، إنما يكتسب المشروعية ، ويأخذ حق الطاعة من الله سبحانه ، فلا سلطان ولا طاعة ولا ولاء إلا لله وأمر الله ودين الله ، وكل سلطة من غير هذا السبيل فإنما هي خروج عن التوحيد :

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وماأمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [التوبة / ٣١] .

وماكان اتخاذهم أرباباً ، ولا كانت عبادتهم إلا طاعتهم في تحريم ماأحل الله ، وتحليل ماحرم الله :

﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ [النساء / ٦٠] .

وأعظم الناس منزلة عند الله أنبياؤه ورسله ، إنما بلغوا هذه المنزلة السامية بتمام عبوديتهم ، وكمال خضوعهم لله :

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون ، لا

يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ [الأنبياء / ٢٥ ـ ٢٧] .

والنبي بريء من كل دعوى تخالف عبوديته ، كما في قول عيسى روح الله وكلمته لربه : ﴿ ماقلت لهم إلا ماأمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ [المائدة / ١١٧] .

إذن فالأمة كلها ، حاكماً ومحكوماً وأميراً ومأموراً ، وبشتى طبقاتها ليست إلا مخلوقة لله ، مربوبة مستعبدة ، والأمر كله لله : ﴿ وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ [البينة / ٥] .

ثم تسرب إلينا الفكر الصليبي اللاديني (١) ، حاملاً معه خلفيات المعركة التي استعرت في أوربا ؛ بين كنيسة ضالة خانت الأمانة ، وسخرت تعاليم السماء لأحط غرائز الأرض ، وبين الشعب الذي لم ير في هذه الكنيسة سوى عقبة تحول دون انطلاقه وتحرره ، وتسومه سوء العذاب ، ودخلت عالم المسلمين تعبيرات جديدة : سيادة الأمة ، حكم الشعب للشعب ، الشعب مصدر السلطات ، الدين لله والوطن للجميع ، وتضاربت الأقوال حول هذه المستجدات المصدَّرة ، وتباينت كذلك المواقف ، ووقف رجال لم تخنهم البصيرة ، ولم ينقصهم الإخلاص وسط هذه الزلزلة ، وجهروا بالحق لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، بينما تحرك الكثيرون ممن كانوا يحتلون مواقف القيادة الفكرية ، لينخرطوا في اللعبة الجديدة ، ودون أن يتفوهوا بكلمة واحدة . ولم يكد رواد العلمانية (اللادينية) ودعاتها يطلقون الطلقة الإعلامية الأولى ؛ ضد الدولة الدينية ، والحكومة الدينية ، والحرب الدينية ، حتى تحمس الكثير من الكتاب ، لا ليدفعوا عن أنفسهم الصبغة الدينية ، بل ليقرروا للناس أن الإسلام برىء من كل دولة دينية وحكومة دينية ، ومن كل ماهاجمه اللادينيون أو وصموه .

وخرج من صفوف المسلمين بعد ذلك ، أناس حملهم الإخلاص وحفزتهم الغيرة ، يدعون المسلمين للخروج من الأساليب التقليدية ،

١ ـ وهو مايدعى بالفكر العلماني !.

والتحرر من القوقعة والجمود ، وطلب هؤلاء من المسلمين أن يحافظوا على النظام الديمقراطي العلماني ، مادام يكفل لهم حرية الدعوة والحركة ، بل رأوا أن من الواجب أن يساهم المسلمون في إقامة هذا النظام ، إذا لم يكن قائماً ، وكان ذلك من دعاة غيورين ، يتألمون لتقصير المسلمين ، مع أنهم يعلمون أن حرية الأنظمة اللادينية ، إنما هي حرية مقننة مبرمجة ، وأن الكل متفق على وجوب اتباع سياسة القهر والإذلال للدعاة ، والوقوف في سبيل الدعوة ، ولكن في الوقت المناسب ، والشكل المناسب !!!

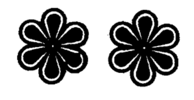
لقد ثارت أوربا لتدفع اضطهاد الذين حكموها باسم الله ، وزعموا للشعب أنهم ظل الله ، وسلطانه على الأرض . وحمل الإنسان الأوربي في أعماق شعوره حساسية مدمرة ضد كل ماهو ديني ، أو يمت للدين . ثم انتقلت عدوى هذه الحساسية المدمرة إلى حسِّ رواد وأتباع اللادين في عالمنا .

وإنما يهمنا في الدرجة الأولى أن يستيقظ المسلم المخدوع بهذه الشعارات ، والمنوَّم ببريقها ، نريد أن يعلم المسلم حقيقة التناقض العقدي بين التوحيد الذي يحمله في قلبه ، ثم لايمنعه ذلك أن يسير خطوات بعيدة في سبيل غير سبيله ، وبين الفلسفة الكافرة التي أنشأها وصنعتها ، ونحن مع الذين يستنكرون الاستغلال بكل أنواعه في استنكارهم دون أن يكون هذا الاستنكار وسيلة تحمل المسلم على التخلي عن إيمانه .

وأما الدساتير التي صدرت إلينا فهي نسخة عن دساتير أوربا التي تقول : دع مالقيصر لقيصر ، وما لله لله قد يضاف إلى بعض الدساتير عبارة تناسب عواطف الشعوب المسلمة ، حيث يقال لها : إن الإسلام دين الدولة ، أو أن الشريعة مصدر القوانين .

وستجد من يوضح لك أن الشعب مصدر السلطات التي ليس فيها حكم شرعي ، فسلطانه خارج دائرة سلطة الشريعة !! ومع أن كلمة (الشعب) تتسع لتشمل كل النوعيات الهابطة والرفيعة ، من ذوي الاختصاص والعلم ، وأهل الرعونة والطيش ، فإنك تجد في نص الدستور أن من حق الأغلبية تغيير مواد الدستور ، من خلال القنوات الرسمية ، باعتبار

الأغلبية تمثل رأي الشعب ، إذن فعندما يقرر الشعب ـ نظرياً ـ أو الذين يحكمون باسم الشعب ، أن يغيروا المظاهر الإسلامية في الدستور يكون هذا التغيير دستورياً وصحيحاً . ولا معنى للاعتراض عليه . وإذا لاحظنا أن عبارة : الإسلام دين الدولة ، عبارة طارئة على النظام اللاديني (الديموقراطي) ودخيلة عليه ، ومتناقضة معه ، وأن المعاني التي تحملها هي أقل مواد الدستور قوة وتأثيراً ودواماً ، بينما اعتبار الشعب مصدراً للسلطات ، إنما هو جوهر الديموقراطية ، علمنا من ذلك أن اعتبار الإسلام ديناً للدولة ، لم يأت استمداداً من أمر الله وسلطانه ، بل هو مستند إلى سلطان الشعب ورأيه ، وبذلك يجعلون سلطان الله تعالى محكوماً بسلطان الشعب ومستمداً منه ، وبينما كانت تلبية الجاهلية تضع سلطة أصنامها ـ نظرياً ـ دون سلطة الله ، إذا بالجاهلية الصليبية الحديثة ، تريد أن تخادعنا عن ديننا ، وتقودنا إلى جاهلية أشد ضلالاً وانتكاساً من الجاهلية البائدة ، فهل يتنبه المسلمون لحقيقة الفتنة التي ذر قرنها في ديارهم ، وهل يعيدون الوحدة المفقودة بين العقيدة الإسلامية ، والأصول العلمية والسياسية ، وبين المنهج الرباني في الحركة والتطبيق ؟ ليعود الإيمان وحدة متكاملة في الاعتقاد والعلم والعمل ؟ □





اختيار : مازن محمد راغب

ضرورة العلماء للأمة

الناس بلا علماء هم جهال ، تتخطفهم شياطين الإنس والجن ، من كل حدب وصوب ، وتعصف بهم الضلالات والأهواء من كل جانب ومن هنا كان العلماء من نعم الله تعالى على أهل الأرض فهم مصابيح الدجى ، وأئمة الهدى ، وحجة الله في أرضه ، بهم تمحق الضلالة من الأفكار وتنقشع غيوم الشك من القلوب والنفوس ، فهم غيظ الشيطان وركيزة الإيمان وقوام الأمة ... وهم ورثة الأنبياء قال عليه الصلاة والسلام : « ... وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء » .

كل هذا الفضل للعلماء العاملين ، الجريئين في الحق ، المحبين للخير ، الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، المحاسبين للحكام ، الناصحين لهم ، والساهرين على مصالح المسلمين ، المهتمين بأمور الأمة ، المتحملين كل أذى ومشقة في هذا السبيل .

نعم كل ذاك الإكرام للعلماء الذين يحرسون الإسلام الأمناء على دين الله الداعين الحكام إلى تطبيقه بلسان صدق وجنان ثابت ...

عبد العزيز البدري ، رحمه الله
في : الإسلام بين العلماء والحكام

وَحـدَهـا فقط

الحضارة الإسلامية وحدها تقوم على التوحيد والإيمان بالله وكتبه واليوم الآخر ، وتتمثل الأخلاق وتنتهج الوضوح والصدق وهي أمور انسلخت منها الحضارات الأخرى فتعرت من الفضائل التي لاتقوم بغير هاتيك المقومات وغدت منها مفلسة .

واستمداداً من ذلك فإن الحضارة الإسلامية تتحصن بالوحدة والتوحد ، وتتسم بالكمال والشمول والذوق والأناقة ، وتستعلي بالألفة والمحبة والانسجام والوئام والطهر والنظافة والصدق والقوة وتزهو بالتحرر والحركة والانطلاق الاجتماعي الخير في وجهته يقودها إلى الله التزام بطاعته وأخذ بشريعته .

الدكتور عبد الرحمن الحجي
جوانب من الحضارة الإسلامية

الوجوه رسل القلوب

ولاتكثر على ذي الضعف عَتْباً
ولا ذكر التجرم للذنوب
ولا تسأله عما سوف يبدي
ولا عن عيبه لك بالمغيب
متى تك في صديق أو عدو
تخبرك الوجوه عن القلوب

زهير بن أبي سلمى

حاجتنا إلى علم الإدارة

سامي سلمان

أصبحت الحاجة إلى الاستعانة بالجوانب الإدارية في كثير من جوانب الحياة أمراً أساسياً وهاماً ، إذ أن الأمور لم تعد من البساطة بحيث يستطيع الفرد أن يعالجها بالطرق التقليدية المعتادة .

وقد أصبح الفرد يعيش في خلايا من العلاقات المتشابكة على كل صعيد ، والتي تشمل جوانب الحياة الفردية والاجتماعية ، أو على مستوى العلاقات المحلية والعالمية للهيئات والمنظمات ، ويشتمل كل جانب من هذه الجوانب على جزئيات من الخلايا تشكل بحد ذاتها دائرة من العلاقات المتشابكة بحيث أصبح جانب معالجة الأمور وإدارتها ، ومتابعتها متأثراً في غالب الأحيان بنسبة كبيرة من هذه العلاقات ، وهنا تظهر الحاجة إلى الجانب الإداري الذي يطرح طرق الحل بشكل منظم ومبرمج ومتكامل ، ويلفت الانتباه إلى مسلمات من نتاج تجارب الآخرين تختصر الوقت وتوفر الجهد ، وتعطي نتائج مثمرة وتساعد على تحقيق الأهداف بشكل أفضل .

ولكي يتضح هذا الأمر لابد من تحديد معنى الإدارة بمفهومها البسيط .

فالإدارة : **عبارة عن عملية اجتماعية مستمرة ، تعمل على استغلال الموارد المتاحة استغلالاً أمثل عن طريق التخطيط والتنظيم والقيادة والرقابة للوصول إلى هدف محدد** . وبهذا فإن الإدارة بمفهومها الشامل لسلوك الفرد تشمل جوانب التصرف السلوكية له في بيته وعمله ودعوته وتجارته ، مما يتيح له الاستفادة من الإمكانيات المختلفة

أفضل استفادة باستخدام أفضل وسيلة لتحقيق أفضل هدف . فإذا اتضح لك هذا علمت مدى الخسارة التي يتحملها الفرد والجماعة والمؤسسات والدول عند إدارتهم لأمورهم بالطرق التقليدية التي لاتأخذ باعتبارها مثل هذا المفهوم ، أو قد تأخذ بجوانب منه دون الجوانب الأخرى ، وقد خسر المسلمون كثيراً من مواردهم وطاقاتهم واستخدمت وسائل تقليدية سطحية في إدارة شؤونهم ، وتبع ذلك قصور واضح في تحقيق الأهداف المرجوة ... هذا إن كانوا قد وضعوا لأنفسهم أهدافاً عند ممارستهم لأي عمل .

والمثل كفيل بجعل الأمر أكثر وضوحاً ، ولك أن تقيس عليه أي واقع تشاء على مستوى أسرتك ودعوتك وعملك ... وليكن هذا المثل مأخوذاً من مجال الدعوة ، فإن استفادتك من تفهمك واستخدامك لمفاهيم الإدارة يعينك في أمور عدة ، فإن من مستلزمات الإدارة الناجحة مايذكره أحدهم في سطور قليلة فيقول :

« إن قدرة المسؤولين وأرباب الأعمال على تأمين مناخ عمل ملائم لمساعديهم ومن يعمل تحت إشرافهم للعمل بإخلاص وكفاية عالية تعد من مؤشرات النجاح في الإدارة . فمناخ العمل الملائم هو المناخ الذي يقود العاملين إلى جعل أهدافهم كأفراد متناسقة مع هدف المجموعة بحيث تكون حصيلة تحقيق أهداف المجموعة أكبر من مجموع الجهود الفردية لهؤلاء العاملين وبالتالي هذا يعني تحقيق أهداف المؤسسة أو الشركة التي تعمل بها المجموعة » .

وعليه فإن من مستلزمات جعل العاملين من الدعاة في الوسط الدعوى الواحد أن يهيأ لهم المناخ المناسب للدعوة مما يجعلهم يوحدون جهودهم ويخلصون في تحقيق الهدف ، والعكس الصحيح ، فإن عدم وجود مناخ صحي يثبط العاملين ، ويساعد على نمو الفردية في تحقيق الأهداف ، مما يؤدي إلى عدم تضافر الجهود ، والتأخر في تحقيق الهدف ، وقس على ذلك كثيراً من مفاهيم الإدارة التي تفيدك وتعينك على السير في أمورك بصورة واضحة ومنظمة ، فإنك لو عدت إلى تعريفنا الذي ذكرناه آنفاً سوف تجد أننا اعتبرنا التخطيط والتنظيم والقيادة

والرقابة دعائم الإدارة المتكاملة ، وأستطيع أن أقرب لك الصورة لو توسعت في الحديث عن كل جانب وربطه بالأمثلة المختلفة من واقع حياة الأفراد ، وسيظهر لك كم نحن بحاجة إلى القيادات التي تخطط وتنظم مسبقاً لتحقيق أهداف مرسومة ثم تقود الجهود بمهارة إدارية متقنة مع وجود الرقابة الدائمة للتأكد من صحة منهج السير رجاء تحقيق الهدف .

وكم عانت الدعوة الإسلامية من إهمال هذا الأمر الذي يبدو بدهياً ولك أن تسأل نفسك هذه الأسئلة :

ألم تعان الدعوة من عدم وضوح الهدف ؟

ألم تعان الدعوة من عدم التخطيط والتنظيم ؟

ألم تعان الدعوة من فقدان القيادة القادرة على الاستفادة من المصادر المتاحة ، ومن ضعف قدرتها على مراقبة نفسها ومحاسبتها عندما تحيد عن الطريق ؟

لقد عكف الكثيرون من علماء الإدارة على رسم خطوط عريضة لجوانب الإدارة الهامة كي يستفيد منها من يتحملون عبء المسؤولية في حياة الأمم ، واستطاعوا من خلال التجربة أن يضعوا نظماً دقيقة مبرمجة لها أثرها الكبير في تسيير الأمور بحكمة وروية ، وإدراك عميق للنتائج ونسوق مثلاً شائعاً في علم الإدارة وهو : اتخاذ القرار الذي يصفه أحد الكتاب بقوله : « يعتبر اتخاذ القرار بشكل عام من أهم العناصر وأكثرها أثراً في حياة الأفراد وحياة المنظمات الإدارية ، وحتى في حياة الدول ، وتنبع أهمية هذا الموضوع من ارتباطه بعمل الإنسان اليومي أو حياته العائلية أو أي مجال من مجالات النشاط الإنساني ... .

فالأفراد هم محور هذا الموضوع الأساسي ، سواء بالنسبة للقيادات الإدارية التي تتخذ القرارات لتوجيه أعمالها ونشاطاتها ، أو بالنسبة للمرؤوسين الذين يشاركون في صنع القرارات ، أو في تنفيذها ، أو يكونون هدفاً لها ... كما تنبع أهمية هذا الموضوع من ناحية أخرى في ارتباطه بتحقيق الأهداف على اختلاف أنواعها ، إذ طالما كان هناك مجال للاختيار بين أكثر من بديل للوصول إلى هدف ما كان هناك

اتخاذ قرار وذلك باختيار البديل الأفضل ... وهكذا تستمر عملية اتخاذ القرارات طالما كان هناك عمل ونشاط لتحقيق أهداف مطلوبة » (١) .

وتتضح لك أهمية هذا الجانب إذا نظرت إلى الطريقة المثلى في اتخاذ القرار وإن اختلفت المدارس الإدارية في عرضها ، فإن من أساسياتها مراحل متتابعة لضمان السلوك الأمثل في الوصول إلى القرار الأمثل كذلك ، وهذه المراحل هي :

١ ــ تشخيص الأمر محل القرار .
٢ ــ تحليله ودراسة الجوانب المتعلقة به .
٣ ــ طرح البدائل المتاحة لاتخاذ القرار .
٤ ــ تقويم البدائل بذكر سلبياتها وإيجابياتها ووزن كل منها على حدة .
٥ ــ اختيار القرار الملائم لهذا الأمر .

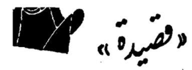
ولاتتوقف هذه العملية عند هذا الحد ، بل لابد من متابعة تنفيذ القرار لمعرفة مدى النجاح الذي حققه هذا القرار في تحقيق الهدف أو حل المشكلة المعنية ، وقد أوردنا هذا المثل في سياق الحديث عن الحاجة إلى الجانب الإداري في الحياة ، فلو عدنا إلى مثالنا السابق (في مجال الدعوة) لوجدنا أن اتخاذ القرار بعفوية وارتجالية شائع ويكاد يكون هو القاعدة وماعداه هو الشاذ ، مع عظم شأن مثل هذه القرارات في حياة ومسيرة الدعوة ، مما قد يؤخر مسيرة الدعوة الإسلامية مراحل ومراحل ، مع أنه لو استعين بالمدرسة الإدارية الآنفة الذكر لكان أجدر فإن مما يعيب قراراتنا أنها لاتنظر إلى الأمور بشمولية وسعة أفق ، ولاتبحث عن البدائل المطروحة قبل اتخاذ القرار ، ولاينظر إلى الآثار التي يتركها تنفيذ القرار في الواقع .

وإن المتمعن في نصوص الكتاب والسنة ليلمس وبوضوح أمثلة عديدة لما ندعو إليه ، وإن سيرة النبي ﷺ فيها أمثلة كثرة نرجو أن نوفق إلى عرضها ، والإشارة إليها في المستقبل القريب إن شاء الله □

١ ــ اتخاذ القرارات الإدارية . د . نواف كنعان ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ م ، ص ٧ .

أدب وتاريخ

- ☐ إلى أمي ... مع التحية
  (قصيدة)
- ☐ من المسؤول عن كراهية الأجيال الجديدة للغة العربية
- ☐ قراءات تاريخية



«قصيدة»

إلى أمي ... مع التحية

شعر : عبد الإله عبد الهادي

حماك الله ياأمي وعافاك
من الأوجاع والآلام
وعين الله ترعاك ... وترعانا مدى الأيام
عفا عنا وعنك الله ياأمي وطهرنا من الأخطاء والآثام
فيا أمي أنا الطفل الذي ربته كفاك
وكم سهرت طوال الليل كي ترعاه عيناك
غدا رجلاً بفضل الله ياأمي
وحين تصيح بالأعماق ذكراك
ويشتعل الحشا شوقاً
وهذا الوقت لا يمشي
وأصداءٌ من الأعماق تصرخ بي :
متى رباه تأذن لي ؟
متى أماه ألقاك ؟
يرى يبكي ... كطفل ضائع شاك

* * *

أجيء إليك ياأمي بأحلامي
عساكر سادتي الحكام حيث أسير من خلفي وقدامي
وتفصلنا مسافات بها الأهوال أضنافاً

إذا ماسرت عن بلد رأيت بغيره الأهوال أضعافا
ففي بلدٍ
إذا جئت الحدود يقال يا أمي ..
يُرى في شكله الدين
أعيدوه
فهذا الصنف رجعيٌّ وأفيون
وفي بلد تقول عساكر السلطان يا أمي
أتاكم من بلاد الشرك مرتداً فردوه
وإلا فهو مملوك أذلوه
وفي بلد إذا قدمت للسلطات ماطلبوا
يقال : ارجع إلينا بعد شهرين
سنبحث وضعك الأمني في كل الميادين
تزور بلادنا أهلاً ولكن ماهو السبب ؟؟
لأي منظمات كنت أو مازلت تنتسب ؟؟

• • •

دروب كلها بالشوك والألغام مزروعة
على لوحاتها كتبوا:
هنا مولاي مسموعة
هنا القبلات للأقدام بالقانون مشروعة
قوانين البلاد تحذر الأخوان والأخوات
عليكم أن تراعوا حرمة القانون والعادات
يعاقب من يفكر دون ترخيص من السلطات
يكون مخالفاً من مارس الأحلام والآهات
لذلك فاتقوا الشبهات
دروب الكون مظلمة وتقطعها على الناس الشياطين

وكل الناس في الدنيا مساجين
قد اتفقت على هذا القوانين
إذا مارحمة نزلت تصادرها القوانين
وإن ثار المساكين
على ظلم يحيق بهم
تسن لهم قوانين
فكيف أسير ياربي إلى أمي ؟؟
وتفصل بيننا هذا القوانين
أعوذ بنور وجهك ياإلهي إنها أم
وهذا الكون أظلم كل مافيه
دعاة الخير والإصلاح مغلوبون في شتى نواحيه
فأنزل ياإلهي رحمة لتعود للناس الأحاسيس
وينتشر الهدى في الكون ترفع راية الإسلام في كل الميادين
بلا خوف ولا شكوى ولا منة
نسير على كتاب الله والسنة
طريق واحد يهدي إلى الجنة
بلا خلط وترقيع
ولا نقص وتفريع
فهذا الدين تشريع من المولى
ومافي الكون مخلوق له حق بتشريع
يعيش المرء في الإسلام إنساناً
فلا ظلم ولا بخس ولا يشكو الورى رَهَقًا
إذا الناس استقاموا خلف نهج المصطفى صُدُقا
سقاهم ربهم ماء شراباً طيباً غَدَقا
وعاشوا في نعيم الله في دنيا مثالية
حياة كلها طهر وإيمان وإيثار وحرية
فلا عدوان فيها أو أنانية

صباح مساء ياأمي أراك معي بأحلامي
دعاؤك دائم لله يرعاني
يثبتني على الإيمان يحميني
من الآلام والأحزان والهم
أنا منك .. أينسى نبعه الماء ؟؟
وإن طال الرحيل بنا
وإن عجت بساح الدار أبناء
سأبقى طفلك المشتاق خلف تخوم آفاقي
أحن إليك كالعطشان ليس سواك لي ساقِ
سأبقى موثقاً بقيود أشواقي
إلى أن يأذن المولى بإطلاقي
إذا ماظل من عمر لنا باقِ
بإذن الله ياأمي بهذا الصيف نلقاكم
ونسعد كلنا بنعيم مرآكم
فياأحبابنا إنا نعيش حياتنا شوقاً للقياكم
إلى أن نلتقي ندعو إله العرش يرعانا
ويرعاكم ...



من المسؤول عن
كراهية الأجيال الجديدة للغة العربية

منصور الأحمد

إذا كنت من محبي هذه اللغة ، ومن الذين يجعلونها همهم في الليل والنهار ؛ فلا شك في أن همك سيزداد ، وشعورك بالقلق سيتضاعف وأنت ترى حال هذه اللغة العظيمة وقد انحدرت على ألسنة أهلها وأقلامهم إلى مستوى لا يسر .

ترى ، ماالذي أدى بورثة هذه اللغة (ولا أقول : بهذه اللغة) إلى أن وصل حالهم إلى أن لاتواجه طالباً ولا دارساً إلا شاكياً من تعلمها ، ناعياً على مدرسيها ، مفتخراً بأنه كان لايعيرها بالاً حينما كان على مقاعد الدراسة ؟

وعندما تسترغي انتباهه إلى خطورة ماإستهان به يواجك بإحدى اثنتين ، أو بكلاهما معاً :

- باعتذاره بصعوبتها ، وتعقيد نحوها وصرفها ، وجفاف أسلوب تدريسها .
- أو بهز كتفيه غير مبال بما تقول ، وبالتنقل من هذا الموضوع الذي تطرحه معه

ومع أن مناقشة مثل هذه القضية تحتاج إلى مدى أوسع ، وعلم أغزر ، ومجال غير هذا المجال ، ولكن لابأس بأن نقول فيها وجهة نظر لعلها تبعث الغيرة وتستنهض الحرص والنظر بجد إليها .

هناك مشكلة ، وهي جهل الكثير من الأجيال الجديدة من المتعلمين بلغتهم ، وهذا ملاحظ لاينكر . ويتفرع عن هذه المشكلة أمر آخر ــ وهو الأشد خطراً ــ وهو الكراهية لهذه اللغة بحجة أنها صعبة ومعقدة ، ونكران ذلك تجاهل للمشكلة ، وهروب من مواجهتها .

وإذا حللنا المشكلة إلى عناصرها لمعرفة الحل فإننا يجب أن نبحث في

ثلاث عناصر : **المدرس** ، **والمنهج** ، **والطالب** ، وكل عيب في واحد من هذه العناصر يساهم بقدر من المشكلة .

أما المدرس فإن إعداده إعداداً كافياً ومنتجاً يتطلب تغيير الأسس المعمول بها في طول العالم العربي وعرضه في معاهد المعلمين وفي الجامعات من أجل تخريج المعلم ، وإقامة نظام تعليمي يشعر معلم اللغة العربية بقيمته وأثره ، وذلك باختياره واعداده وتوجيهه لهذه المهمة في وقت مبكر ، وعدم إشغاله بدراسة أو تدريس معلومات تصرفه عن المهمة الرئيسية التي صرف إليها .

وأما المنهج فإن النظر يتعلق بإعداده ثم تطبيقه ، والمناهج الموجودة ــ وإن لم تكن على مستوى من التركيز على ــ لو طبقت ونفذت بشكل جدي لكانت النتيجة أفضل مما هي عليه الآن . ومن خلال التجربة يلاحظ أن العمل الحالي في كثير من البلدان العربية في تطبيق مناهج اللغة العربية هو بعيد عن الجدية في التطبيق حيث إن جهد المدرس المسكين يُستنفد في عمليات حسابية (جمع وضرب وتقسيم درجات الامتحانات) هي أبعد ماتكون عن نفع الطالب أو إضافة أي مردود إلى تكوينه العقلي . وإن مهندسي هذه العمليات الحسابية هم من المهارة والحرفة بالقدر الذي يجعل أبلد الطلبة وأبعدهم عن فهم العربية يقتنصون (أو تُقتنص لهم) درجة من هنا ودرجتين من هناك بفضل هذه الحيل الحسابية مع أنهم غير قادرين على كتابة فقرة صحيحة

وأما الطالب فإن مشكلته أعمق وأكثرتعقيداً ، فالهوة متسعة بين اللغة التي يتعلمها والمجتمع الذي يعيش فيه ، فكل ماحوله ناطق بلغة غير صحيحة : المدرسون (بمن فيهم مدرسو العربية) والبيت ، والراديو ، والتلفزيون ، والشارع ... فكيف يستطيع هذا الطالب أن يسبح ضد التيار ويتقن لغة تلقى مثل هذا الاهمال والجحود والاستهانة ؟! وكيف يقتنع بفائدة مايتعلمه وهو لايجد له تطبيقاً معقولاً على ألسنة المتعلمين ؟!

لابد من النظرة الجادة التي تتفحص العوائق والأسباب التي تغرس الكراهية لهذه اللغة والبعد عنها ، وإلا فإن هذه الكراهية العملية (ودعنا من الخطب والإنشاء في الإشادة بهذه اللغة وعبقريتها) سوف تؤدي إلى دفنها ، ويوم تدفن هذه اللغة فاقرأ على هذه الأمة السلام □

العلماء والأمراء

كان أبو عبد الله المعتمد محمد بن عباد أعظم ملوك الأندلس من المسلمين وكان يملك أكثر البلاد مثل قرطبة وإشبيلية ، وكان يؤدي إلى (الأذفونش) ضريبة كل سنة ، فلما ملك الأذفونش طليطلة لم يقبل ضريبة المعتمد وأرسل إليه يتهدده ويقول له : تنزل عن الحصون التي بيدك ويكون لك السهل ، وكان رسول (الأذفونش) في جمع كثير كانوا خمسمائة فارس ، وأحضر ابن عباد الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وقتل كل من كان معه ولم يسلم منهم إلا ثلاثة نفر فعادوا إلى الأذفونش فأخبروه الخبر ، فبدأ بالاستعداد للقتال .

وسمع مشايخ قرطبة وفقهاؤها بما جرى ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض ، اجتمعوا وقالوا : هذه بلاد الأندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها إلا القليل ، وإن استمرت الأحوال على ماترى عادت نصرانية كما كانت . وساروا إلى القاضي عبد الله بن محمد ابن أدهم فقالوا له : ألا تنظر إلى مافيه المسلمون من الصّغار والذّلة ، وعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها ، وقد رأينا رأياً نعرضه عليك . قال : وماهو ؟ قالوا : نكتب إلى عرب أفريقية ونبذل لهم ، فإذا وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا ، وخرجنا معهم مجاهدين في سبيل الله ، فقال : المرابطون أصلح منهم وأقرب إلينا . قالوا له : فكاتب أمير المسلمين وارغب إليه ليعبر إلينا . وقدم عليهم المعتمد ابن عباد وهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن أدهم ماكانوا فيه ، فقال له ابن عباد : أنت رسولي إليه في ذلك . فسار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين

فأبلغه الرسالة ، وأعلمه مافيه المسلمون من الخوف من (الأذفونش) .

وكان أمير المسلمين بمدينة سبتة ، ففي الحال أمر بعبور العسكر إلى الأندلس وأرسل إلى مراكش في طلب من بقي من عساكره ، فأقبلت إليه تتلو بعضها بعضاً ، فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية ، وتسامع المسلمون بذلك فخرجوا من كل البلاد طلباً للجهاد .

ووصلت الأخبار إلى الأذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة ، وكتب إلى أمير المسلمين كتاباً يغلظ له القول ويصف ماعنده من القوة والعدد ، فكتب يوسف الجواب في ظهره : « الذي يكون ستراه » ورده إليه فلما وقف عليه ارتاع لذلك وعلم أنه بلي برجل له عزم وحزم ثم سار الجيشان والتقيا في مكان يقال له الزلاقة من بلد (بطليوس) وتصافا ، وانتصر المسلمون وهرب الأذفونش بعد استئصال عساكره ، ولم يسلم معه سوى نفر يسير وذلك يوم الجمعة في العشر الأول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وأصاب المعتمد جراحات في وجهه وظهرت ذلك اليوم شجاعته وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح وغير ذلك ، ورجع الأمير يوسف إلى بلاده ، والمعتمد إلى بلاده .

الكامل لابن الأثير ١٠ / ١٥١
وفيات الأعيان ٥ / ٢٨

الصيد الثمين عند الباطنية

في قلعة (ألموت) بالقرب من بحر قزوين كان رئيس الباطنية حسن الصباح يرسل رجاله المجرمين الذين أغواهم بفردوسه وغفرانه ، يرسلهم وفي يد كل واحد منهم مدية حادة لاغتيال شخصية سنية مهمة ، لأن أقصى أمانيه

هو القضاء على أهل السنة ، وقد ربّى رجاله على الطاعة العمياء فما إن يأمر بتنفيذ مهمة حتى يبادر إليها من يظن أنه يقوم بعمل صالح . وأول صيد ثمين نفذ فيه حسن الصباح إجرامه هو الوزير القدير نظام الملك الحسن بن علي وزير الملك السلجوقي ألب أسلان ، وكان من عقلاء الرجال وأفاضلهم وهو الذي تنسب إليه المدرسة النظامية في بغداد ، وكان على علم بأباطيل الباطنية وخطرهم على الإسلام وقد بدأ بإعداد العدة لمهاجمتهم والقضاء عليهم ... وقد قتل أحد رؤساء حلقاتهم ، ولذلك قرروا قتله وهذه رواية كتبهم لعنهم الله :

« نصب سيدنا (حسن الصباح) فخاخه وأحابيله لتمسك في شباك الموت والفناء قبل كل شيء بصيد ثمين مثل نظام الملك وبهذا الصنيع أصبحت شهرته وسمعته عظيمة وقال : من منكم سيخلص هذه الدولة من شر نظام الملك الطوسي ، فوضع رجل يدعى أبو طاهر الأراني يد القبول على صدره ، وفي ليلة الجمعة في الثاني عشر من رمضان لسنة ٤٨٥ هـ وفي منطقة نهاوند جاء بزي صوفي إلى نظام الملك الذي كان محمولاً من مكان العامة إلى خيمة نسائه وضربه بسكين ، ونظام الملك هو أول رجل قتله الفدائيون .. وقال سيدنا : إن مقتل هذا الشيطان هو بداية الغفران » (١)

كانت هذه بداية سلسلة طويلة من الإجرام الباطني طال زعماء أهل السنة من علماء وملوك ، حتى أنه مامن أمير أو قائد من قواد الدولة السنية إلا وخشي على نفسه وأخذ الاحتياطات اللازمة □



---

١ ــ برنارد لويس : الحشيشية نقلاً عن المؤرخ رشيد الدين / ٦٢ .



- باكستان وتحكيم الشريعة الإسلامية
- دلائل انهيار النظام الأفغاني
- من نتائج الغزو الروسي

باكستان وتحكيم الشريعة الإسلامية

إذا كانت الدعوة إلى تحكيم الشريعة قد أصبحت مطلباً ملحاً عند شعوبنا في جميع بلدان العالم الإسلامي ؛ لاتستطيع وسائل الإعلام العالمية تجاهلها أو التقليل من أهميتها ... فلهذه القضية شأن آخر في باكستان المسلمة ، التي خاضت صراعاً دامياً مع الهندوس ، وقدمت قوافل الشهداء دفاعاً عن دين أمتنا وعقيدتها ، وتوج هذا الصراع المرير باستقلال معظم المسلمين في وطن لهم سمي « باكستان » أي : الأرض الطيبة أو الطاهرة .

وكان جميع سكان باكستان من المسلمين ، باستثناء أقلية ضئيلة جداً من الهندوس والسيخ ، وبينهم نسبة كبيرة من « المهاجرين » وهم الذين هاجروا من الهند إلى باكستان فراراً بدينهم ، وبدهي في ظل الأوضاع الجديدة أن تطبق أحكام الشريعة الإسلامية ، وهذا الذي ينشده الشعب بأسره ، ومن أجل ذلك استعذب الموت في سبيل الله ... غير أن الذي حدث في باكستان بعد إنشائها مستغرب أشد الاستغراب ، ومستنكر أبشع الاستنكار ، فالمخضرمون من السياسيين الذين صنعهم الاستعمار الانكليزي خلال احتلاله للهند من أمثال : آغا خان ، وجناح وغيرهما من أفراخ القرامطة سلكوا سبيل المراوغة والمكر والتضليل ، وأخذوا يعدون ولا يوفون ، يكذبون ولا يخجلون ، ووجدوا من يحسن الظن بهم ، ويصفق لهم ... وزعموا أن خلافاتهم مع العلماء والجماعات الإسلامية سياسية شخصية ، وهي هي النغمة التي يرددها العلمانيون الظلمة هنا وهناك .

واستنفر الإنكليز وعملاؤهم داخل باكستان ، وراحوا يعملون من أجل تربية

أجيال لاتؤمن بالإسلام ... وفي ظل هذه الأجواء الموبوءة الملوثة ، وجد القاديانيون الباب مفتوحاً أمامهم على مصراعيه ، وتشكلت الأحزاب العلمانية القومية ، وورث معظم قادتها زعامة أقوامهم وقبائلهم كابراً عن كابر ، وكانوا غاية في الخبث والدهاء ، فلا يصدرون تصريحات معادية للإسلام ولايدعون إلى الإسلام ، ويصرفون جهدهم كله إلى تجنيد أهل إقليمهم في الحزب الذي يخطط من أجل الانفصال عن باكستان ، وهذا الذي فعله مجيب الرحمن في حزبه الذي لم يكن له وجود يذكر في باكستان الغربية ، وهذا الذي لايزال يخطط له عشرات السياسيين في أقاليم مختلفة من باكستان .

وعندما عجز العلمانيون الديمقراطيون عن ضبط الأمور ، وشعر أسيادهم الإنكليز بأن المد الإسلامي يمتد ويقوى ، وفي أجواء الحرية ينهزم دعاة الباطل مهما أنفقوا من أموال ، ومهما ملكوا من وسائل الإعلام ، وينتصر دعاة الحق وإن كانت إمكاناتهم ووسائلهم متواضعة ... وكان لابد من خطوة أخرى فأصدر الاستعمار الانكلو أمريكي أوامر للعسكريين فتحركوا وكان أول انقلاب عسكري يقوده الجنرال أيوب خان ، وفترة الخمسينيات كانت غنية بمثل هذه الانقلابات في مصر ، والشام ، والعراق ، والعقلية واحدة ، والأهداف واحدة ، وكما قلنا في المقال السابق « باكستان أمام التحديات » الذي نشر في العدد الرابع من مجلتنا « البيان » ، فإن السفير الأمريكي « كافري » عندما أنهى دوره مع عبد الناصر في مصر انتقل إلى باكستان ليبدأ دوره مع أيوب خان ضد الدعاة والجماعات الإسلامية ، وبعد أيوب جاء يحيى وكلاهما خان قضية أمته ، وطبع الشعب الباكستاني أنه ينفر من الحكومات العسكرية ، ويعشق الحرية .

وخلال عقدين من الزمن ثبت فشلُ العسكريين ، ولهذا فقد عادت الديمقراطية ، ونجح حزب بوتو ــ حزب الشعب ــ وكان قد زوّر الانتخابات ، وأقدم على تدبير محاولة اغتيال أحد زعماء المعارضة ، واستغل السلطة أسوأ استغلال ، فعرّته المعارضة ، وكشفت فساد نظامه ، وكان الإسلاميون أبرز قادة المعارضة ، وكانوا مع العلماء وغيرهم مرشحين لاستلام السلطة وإسقاط نظام

بوتو ، والقضية كانت قضية وقت ، لاسيما وأن الشعب كل الشعب كان ينادي بالإسلام ، ويتساءل باستمرار :

ــ لماذا انفصلنا عن الهند ، وما الفرق بين غاندي وجناح ، أو بين نهرو وأيوب ، أو بين بوتو وراجيف وأمه من قبل ؟!

ــ أين الخلافة الإسلامية التي طالما عملنا وجاهدنا وهاجرنا لقيامها ؟!

وأخيراً قام انقلاب عسكري جديد ، وأسقط نظام بوتو ، وقدمه إلى المحاكمة بتهمة اغتيال أحد رموز المعارضة ، ثم نفذ فيه حكم الإعدام ، ونجح النظام الجديد في استقطاب المعارضة ــ التي كان معظمها من الإسلاميين ــ لأنه أعدم بوتو ، ودعا إلى تحكيم الشريعة الإسلامية ، وهو الشعار الذي يجد رواجاً منقطع النظير في باكستان .

واشترك العلماء والجماعة الإسلامية في أول وزارة ، وأسندت وزارة الإعلام إلى عضو من أعضاء الجماعة الإسلامية ، ووجد الوزير نفسه غريباً في الوزارة ، وكان عليه لإصلاح الوزارة أن يطرد كبار المسؤولين فيها ، ويلغي عدداً من أقسامها ، والنظام العسكري لايسمح بذلك ، ولهذا فقد صدق في الوزير قول الشاعر :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

وبدأ النظام الجديد بإقامة شيء من الحدود ، لكنه تجاهل المرتدين وقطاع الطرق ، وقادة شبكات النصب والاحتيال ــ وماأكثرها في باكستان ــ ، وعصابات تهريب المخدرات ، وقام بتعزير الصحفيين الذين ينتقدون النظام ، فكان واضحاً أنه يريد أن يطبق من الإسلام مايخدم النظام ويساعد على استمراره .

واشتراك المعارضة في الوزارة يعني أن الغالبية العظمى من الإسلاميين أيدوا الانقلاب الجديد ، ومن قادتهم من جاب الأمصار داعياً إلى تأييد الزعيم العسكري ، مشيداً بمناقبه الطيبة ومآثره الحميدة ... وهناك قلة قليلة نوجز موقفهم

في النقاط التالية :

١ ـ لم يكن قادة الانقلابات العسكرية من الدعاة إلى الله ، وليس لهم أسبقية في الإصلاح وعمل الخير ، ولا يؤهلهم لهذه المناصب علم شرعي . وفضلاً عن ذلك فقد تربوا في مؤسسات ومعاهد منحرفة ، وعاشوا جزءاً من حياتهم في ديار الغرب يتتلمذون على أيدي أعدى أعداء الإسلام والمسلمين ، ويعاشرون المفسدين من الجنسين ... ومن يسبر غورهم يعلم أن من أخص صفاتهم النفاق والغدر ، فترى أحدهم حارساً لطاغوت من الطواغيت ، ينفذ أوامره الظالمة ، ويزين له الإجرام ، ويظهر له الحب والإعجاب والتقدير .. وعندما تسنح الفرصة يبطش بسيده ، ويقود انقلاباً عسكرياً ضده ثم يقدم على إعدامه أو نفيه أو سجنه مدى الحياة ، والإعدام هو الأصل ، ويشن حملة على النظام القديم في أجهزة الإعلام ، ويشيع بين الناس روح الخوف والإرهاب ، ويزعم أنه لايريد الحكم ، وإنما يريد الإصلاح ، وتمر الأيام ويعلم الناس أنه أشد سوءاً من سلفه ثم يتقدم أحد رفاقه ليقود انقلاباً ضده ... وهكذا .

٢ ـ هناك شبه كبير بين الانقلابات العسكرية والحركات الباطنية المسلحة في تاريخنا الإسلامي ، ومن أهم أوجه الشبه مايلي :

ـ ليس لهم أسبقية في العمل الإسلامي ولا يعرف الناس عنهم شيئاً لا خيراً ولا شراً .

ـ يتظاهرون بالورع والتقوى والرغبة في الإصلاح ، حتى إذا وثق الناس بهم بدأوا تدريجياً في تغيير شرائع الإسلام .

ـ سبيلهم إلى التغيير استخدام العنف والبطش والتنكيل ، ويسهل عليهم إزهاق الأرواح ، وسجن الأبرياء ، وإشعال نيران الفتن .

ـ لا يتحركون من خلال منهج ، وليس عندهم ثوابت لا يخالفونها ، فتارة يبالغون في تمسكهم بالإسلام ، وتارة يبالغون في الزندقة والإلحاد ، ولا يقبلون أن يحاسبهم أحد أو يسألهم : لم فعلتم كذا وكذا .

٣ ـ لا يكون الدين كله لله في الأرض ولا تحكم الشريعة الإسلامية ،

إلا إذا قامت نخبة مؤمنة تدعو إلى الله سبحانه وتعالى ، وتجاهد في سبيله ، وتصبر على الأذى .

ولايكون الدين كله لله في الأرض أيضاً إلا إذا نهض بهذه الدعوة علماء مجاهدون آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر ، يلتف الناس حولهم ، ويسمعون لهم ويطيعون .. أما أن لا يكون للعلماء والدعاة والجماعات الإسلامية أي دور في إشادة هذا البناء الضخم ؛ في حين يتولاه عسكريون نكرات ، يعجزون عن فهم النصوص الشرعية بله الاجتهاد في القضايا المعاصرة التي تحتاج إلى اجتهاد ، ثم يرفضون إشراك العلماء ، وإذا سألتهم قالوا : لا نعترف بقيادة غير قيادة الجيش . وفي هذه الحال نقول لهم : عملكم هذا يخالف سنن الله في التغيير .

ومع أن بعض الصفات التي ذكرناها آنفاً متوفرة عند قادة الانقلاب الذي أطاح بنظام بوتو ، ولو علم الأخير أنهم سيغدرون به لما أبقاهم في الجيش يوماً واحداً .. ومع ذلك فقد سارع الإسلاميون إلى تأييد الانقلاب العسكري لأن قائد هذا الانقلاب أعلن أنه سيُحَكِّمُ الإسلام .

انقلاب جديد :

في ٣٠ / ٥ / ١٩٨٨ ألقى الرئيس الباكستاني خطاباً في التلفاز تحدث فيه عن الأوضاع الداخلية في باكستان ، وأعلن عن حل « البرلمان » ومجلس الوزراء ، لأن رئيس الوزراء فشل في وضع حدٍ للفساد الذي استشرى في البلاد ، وفشل في وضع حدٍ لأعمال العنف العرقية بين المواطنين .. وقال : إنه وجد نفسه أمام خيارين : إما أن يبقى صامتاً متفرجاً أو يضع الأمور في موضعها الصحيح ، فاختار الحل الثاني ، لكن ذلك لا يعني العودة إلى الأوضاع التي كانت قائمة عام ١٩٧٧ م ، فالدستور لن يعلق أو يلغى ، ولن يعود قانون الطوارىء ، ولن تفرض الأحكام العرفية ، وستبقى الأحزاب السياسية كما هي تزاول أنشطتها ، ووعد بأن الانتخابات ستجري خلال ثلاثة أشهر ــ كما ينص الدستور على ذلك ــ .

وكان الحزن بادياً على وجه الرئيس الباكستاني وهو يخطب ، وقد ألغى زيارة للصين كان من المفروض أن تتم في ٣٠ / ٥ وهو اليوم الذي أعلن فيه انقلابه الجديد ... ثم توالت خطبه في التلفاز :

فمساء ١٥ / ٦ / ١٩٨٨ خطب ودافع عن قراراته الجديدة وقال : إنه استخدم الصلاحيات التي منحها الشعب والدستور له ، وأكد أن قوانين باكستان ونظامها الاقتصادي سوف تتبدل .

وفي ٢٥ / ٦ خطب خطبة مؤثرة ، وكان يبكي ، ويمسح وجهه وأنفه بمنديل أبيض كان يحمله في يده ويقول : إنني أخاف الله وأخشاه ، وأعلم أنه سوف يسألني غداً : لماذا لم تحكم الشريعة الإسلامية ؟! ، والشعب سوف يسألني : لماذا لم تأخذ على يد الظالم ؟!.

وإنه لمنظر مؤثر حقاً أن يشاهد المواطنون رئيسهم على شاشة التلفاز وهو يبكي من خشية الله ومخافة أن يحاسبه في قبره عن عدم تحكيم الشريعة وعن الظلم والفساد ــ كما يقول ــ .

وقال ضياء الحق : إنه آت بفجر جديد ، وناشد الناس التمسك به ، وذكر أمثلة عن لقاءات تمت بينه وبين فقراء الناس ، واستمع إلى مطالبهم ، ووعد بتوفير مأوى لمن لا مأوى لهم ، وتأسيس صندوق لمنح صداق للنساء الفقيرات اللواتي يرغبن في الزواج ، وأنه سيصنع بالإسلام واقعاً في باكستان لامثيل له ... واتخذ ضياء الحق فور الإعلان عن انقلابه الجديد الإجراءات التالية :

١ ــ شكل وزارة جديدة في ٩ / ٦ / ١٩٨٨ برئاسته ، والوزراء مزيج من وزراء حكمه العرفي السابق ، ووزراء كانوا أعضاء في حكومة محمد خان جونيجو التي قاد ضياء الحق انقلاباً أبيض ضدها .

ومن الأسماء البارزة في الحكومة الجديدة :

ــ « صاحب زاده يعقوب خان » عينه في منصبه السابق نفسه ، وزيراً للخارجية ، وهو من أصدقاء ضياء الحق وكان ضابطاً في الجيش ، كما كان مسؤولاً عن

مفاوضات جنيف لحل المشكلة الأفغانية .

ــ « الدكتور حبيب الحق » وزير المالية والتجارة وهي الوزارة التي كان مسؤولاً عنها إبان الحكم العرفي ١٩٧٧ .

ــ وضمت الوزارة زعيمين سابقين من زعماء حزب الشعب الذي كان يتزعمه « بوتو » ، الأول « مير هزار خان بجراني » والثاني « مير أفضل خان » ، وكانا عضوين في حكومة الوحدة الإسلامية التي كان يرأسها جونيجو .

ــ وضمت الوزارة عضوين من أعضاء مجموعة معارضة مستقلة في الجمعية الوطنية التي حُلتْ .. أما بقية أعضاء الوزارة فهم أعضاء في الرابطة الإسلامية .

وكان قد أعلن عن تشكيل الوزارة مساء ٩ / ٦ بعد لقاء طويل بين ضياء الحق و « حردان شاه » الذي كان عضواً في مجلس الشيوخ وكان مستشاراً روحياً ــ صوفي ــ لجونيجو ، والشيخ حردان له نفوذ واسع في إقليم « السند » ، وفسر السياسيون هذا اللقاء بأنه عبارة عن صفقة عقدها الرجلان : الرئيس سوف يستمر في دعم الرابطة الإسلامية ، والشيخ حردان يتخلى عن جونيجو ويقف بكافة إمكاناته مع الوضع الجديد .

٢ ــ ظهرت آثار الانقلاب الجديد على برامج التلفاز التي تملكه الحكومة ، فقد مُنِعَتْ الدعايات التجارية التي تتضمن صوراً للنساء في حالات مشينة مثل الرقص والغناء ، وزاد عدد البرامج الإسلامية ، وتم تعيين أشخاص جدد مؤيدين للوضع الجديد مهمتهم الإشراف على التلفاز ومراقبة تطبيق مايأمر به القادة .

٣ ــ كان العلماء قد صاغوا مسودة تحكيم الشريعة الإسلامية ، في عهد حكومة جونيجو ، وكان رئيس الوزراء السابق قد جمد تطبيق هذه المسودة ، وجاء ضياء الحق بعد ٣٠ / ٥ / ٨٨ ليعلن عن التزامه بتطبيقها ، وفعلاً طبق نظام الصلاة والزكاة ، ووعد بأنه قريباً سيطبق نظام القصاص والدية ، وشكل لجاناً كثيرة مهمتها « أسلمة » النظام الاقتصادي والتربوي وقال : إن المهمات الأولية للحكومة الجديدة أسلمة القوانين ، وأعلن في ١٦ / ٦ أن الشريعة الإسلامية

هي المصدر الأعلى للقوانين في باكستان ، وبموجب هذا القرار الجديد يجوز للمحاكم العليا إلغاء أي قانون يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية باستثناء القوانين الدولية ، والاتفاقيات المالية الداخلية المعمول بها حالياً بالإضافة إلى سندات التأمين والصكوك .

٤ ــ أعاد ضياء الحق إلى سدة المناصب العليا الجنرالات المتقاعدين الذين كانوا مسؤولين إبان فترة الأحكام العرفية مابين عام ١٩٧٧ وعام ١٩٨٥ م ، وأصبح حكام الأقاليم من الجنرالات ومن أشدهم الفريق المتقاعد رحيم الدين الذي عينه حاكماً لإقليم السند ، ومن المتوقع أن يتخذ الحاكم الجديد إجراءات صارمة ضد القوميين من سكان السند الذين يطالبون بالانفصال عن باكستان ــ كما حدث في باكستان الشرقية ــ ويقومون باعتداءات متتالية ضد المهاجرين الذين يقطنون في هذا الإقليم .

وعزل ضياء الحق الدبلوماسيين الذين اشتركوا في محادثات جنيف ووقعوا الاتفاقية التي بموجبها تم انسحاب السوفييت من أفغانستان ، وأقال كبار المسؤولين في السلطة الذين كانوا مؤيدين للرئيس جونيجو .

المعارضـون :

١ ــ الشيعة : أعلن رئيس حركة تنفيذ الفقه الجعفري « عارف الحسيني » أن أتباعه لايقبلون بالقوانين الجديدة التي وصفها بأنها غير مستكملة وغير مقبولة لدى الشيعة . ومن الجدير بالذكر أن الشيعة في باكستان لايعارضون ضياء الحق ، وإنما يعارضون القوانين الإسلامية السنية ، وإذا كانت هذه القوانين غربية كما هو الحال فلا يعارضونها ، ومن جهة أخرى فقد زعم عارف [فيما نقلته عنه صحيفة الإندبندنت ١٦ / ٦ / ١٩٨٨] أن عدد الشيعة عشرون مليوناً ؛ والحقيقة أن عددهم لايتجاوز ثمانية ملايين نسمة ، ومن عادتهم تضخيم عددهم ، وعلى الأقل يضربون العدد الصحيح بضعفه .

٢ ــ حزب الشعب الذي تقوده الآن « بنازير » ابنة علي بوتو ، ومع أن

الحزب ضعيف الآن بعد فقدان رئيسه الذي أعدمه ضياء الحق ، ولأن الرئيس الباكستاني تمكن من شق الحزب واستمال عدداً من كبار زعمائه ... مع ذلك فالحزب من أقوى الأحزاب في باكستان ، ويعطف عليه الغربيون لأنه علماني ديمقراطي [هكذا يقولون مع أن علي بوتو كان مستبداً ويتلاعب بالديمقراطية] ، ويعطف عليه الشيعة لأن بوتو من عائلة شيعية وهذا سبب تدخل إيران الخميني لدى باكستان من أجل العفو عنه .

ومن المؤسف أن كثيراً من الأحزاب والشخصيات المعارضة اتصلت بالحزب لتنسق معه ضد الإجراءات الجديدة .

٣ ـــ استنكرت التجمعات النسوية إجراءات تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، ونظمت مظاهرات في كثير من المدن الباكستانية ، وهذا موقف خبيث كموقف الرافضة لأنهنَّ بهذه التصرفات يعلنَّ رفضهن للإسلام الذي أباح تعدد الزوجات كما أباح الطلاق ، ولا يسمح الإسلام للمرأة أن تكون رئيسة دولة .

٤ ـــ الجماعة الإسلامية وجماعة العلماء رفضتا « حل البرلمان » ، ووصف الدكتور خورشيد أحمد ـــ نائب رئيس الجماعة الإسلامية ـــ التحرك بأنه لعبة لتمييع الانتخابات ، وقال : إن قوانين الشريعة فرضت لحظر الأحزاب السياسية [التايمز ٢١ / ٦ / ١٩٨٨] ، وذكرت بعض صحف باكستان أن أمير الجماعة الإسلامية القاضي حسين أحمد التقى مع بنازير بوتو مرتين لينسق الموقف معها ضد ضياء الحق ، ولكن أمير الجماعة نفى صحة هذا الخبر ، وقوله عندنا هو الصحيح ، ومما ينبغي التأكيد عليه أن الجماعة الإسلامية وجماعة العلماء لايرفضون تحكيم الشريعة ، وحاشا لله أن يفكروا بمثل هذه الأفكار ، ولكنهم يرفضون أسلوب الرئيس الباكستاني بعد أن لدغوا من جحره مرات ومرات .

وجملة القول : لقد رفضت الأحزاب والهيئات والمنظمات كلها هذا الإجراء اللهم إلا الجهات التالية :

١ ـــ الصوفيون : وهؤلاء مع كل حاكم مهما كانت عقيدته والمهم أن

يكون حاكماً ، وسيكونون أول من يؤيد النظام الذي يخلف ضياء الحق ، وهذه حال الغالبية العظمى منهم وليس حالهم جميعاً ، ففيهم معتدلون زهاد لا يبيعون دينهم بدنياهم ، ولكنهم قلة .

٢ ــ العسكريون : أعضاء مجلس القيادة ، وكبار ضباط الجيش ، وطبيعي أن يتظاهروا بتأييد ضياء الحق ولكن من المتعذر معرفة الصادق من الكاذب ، لاسيما وأن منهم رافضة ، وهؤلاء يخططون منذ القديم من أجل السيطرة على جيوش بلدان العالم الإسلامي ، وفي جيش باكستان نسبة غير قليلة منهم ــ كما سمعنا ــ ، فكيف نأتمن هؤلاء وأمثالهم على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ؟! بل كيف يركن الرئيس الباكستاني إلى أمثال هؤلاء ويزهد بالعلماء والدعاة والجماعات الإسلامية .

٣ ــ معظم أهل الحديث ــ وليس جميعهم ــ كان لهم رأي طيب ، قالوا لابد من تأييد الاجراءات الجديدة ، ولكنهم طالبوا بتشكيل مجلس من العلماء أهل الحل والعقد في باكستان ، وأن يكون هذا المجلس هو المرجع في كل مايتعلق بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ... وأصحاب هذا الرأي قلة قليلة وهذا لا يضيرهم ولا يقلل من شأنهم .

٤ ــ عامة الناس الذين لا ينتسبون إلى أحزاب أو جماعات ، وهؤلاء تتجاذبهم اتجاهات مختلفة ، ولكنهم يتأثرون بما تقوله أجهزة الإعلام في باكستان ، لاسيما وأن أجهزة الإعلام تتبنى الإسلام الذي يدينون به .

أما المعارضة الخارجية فهي لاتقل شراسة عن المعارضة الداخلية ، والصحف الغربية تقدم لنا مثالاً واضحاً جلياً عن هذه المعارضة الظالمة ، فليس فيها إلا الهجوم السافر ، وبيان المثالب ، وتأليب المواطنين ، والدعوة إلى مقاطعة باكستان اقتصادياً لأنها على وشك الإفلاس ، والصحافة الغربية لايمكن أن تكون حيادية إذا كانت تتحدث عن الإسلام ، وضياء الحق يبقى صديقاً للغرب مادام يطبق قوانينهم وأنظمتهم ، ويقدمون له الدعم والمساعدة ، أما عندما يتحدث عن

تحكيم الشريعة الإسلامية ، فيتحول إلى رجل مستبد ظالم ، يعيش بعقلية القرون الوسطى ، ولو أراد الرئيس الباكستاني استمرار صداقته وتعاونه مع الغرب ، فالغرب لايقبل التعاون ، وأول دولة ستعيد تقويم علاقاتها مع باكستان الولايات المتحدة الأمريكية وإن زعمت خلاف ذلك .

والدول المجاورة لباكستان أشد خطورة عليها وأكثر عداوة من الدول الغربية ، بل هي في حالة حرب ـــ أو قريب من ذلك ـــ مع الهند والاتحاد السوفييتي ونظامه العميل في أفغانستان ، وإيران التي تعد من أشد دول العالم كيداً لباكستان .. ولكل دولة من هذه الدول جيوب داخل باكستان ، ولا نشعر أن النظام مدرك لخطر هذه الجيوب ، ولو كان مدركاً لكان له موقف آخر من النوادي والجامعات ودور النشر والمعاهد والمؤسسات التي تقيمها إيران وعملاء إيران داخل باكستان .

نظرات في تجربة ضياء الحق :

نحن نوافق الرئيس الباكستاني فيما اتهم به رئيس وزرائه ، ولكن من حقنا أن نتساءل : من المسؤول الأول عن هذا الفشل ؟!.

١ ـــ فالرئيس الباكستاني عسكري ، والمطلعون على سياسة دول العالم الثالث يعرفون كيف تتم انتخابات المجالس التشريعية ، وكيف يتم اختيار رئيس الور ، ، ولم يكن ضياء الحق خلال هذه الفترة بعيداً عن صنع القرار ، وعندما حل الجمعية الوطنية قالها صريحة : لقد استخدمت الصلاحيات التي منحني إياها الدستور والشعب .. فلماذا سكت ثلاث سنين عن استخدام هذه الصلاحيات ، ولماذا جاء استخدامها في هذا الوقت ؟!

إذن فالقرار الأخير بيده وليس بيد رئيس الوزراء أو بيد الجمعية الوطنية !!.

٢ ـــ ومدة حكم رئيس الوزراء حوالي ثلاث سنين ، أما ضياء الحق فمدة حكمه إحدى عشرة سنة ، وإذا سلمنا جدلاً أنه خلال الثلاث سنين الأخيرة لم

يكن لديه صلاحيات فماذا فعل خلال ثمان سنين ؟!

٣ ــ عندما جاء إلى الحكم ، وتحدث عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية هلل الناس وكبروا داخل باكستان وخارجها ، وجاب عدد كبير من علماء باكستان وقادة الجماعة الإسلامية الأمصار ليطمئنوا إخوانهم المسلمين ، وصنع هؤلاء دعاية لضياء الحق لا تصنعها أمريكا ولا غيرها ، ولو أنفقت بلايين الدولارات لأن المسلمين يثقون بعلمائهم وبقادة الجماعات الإسلامية ، ولا يثقون بالعسكريين .. لكن الوضع الجديد خذل الناس الذين يدعون إلى تحكيم الشريعة ، فبعض الأحكام التي سارع في تطبيقها سارع في التراجع عنها ... والمسودة التي وضعها العلماء جُمِّدت ، وانتعش تهريب المخدرات ، وازداد الفقر ، وعمت الرشوة ، وعندئذ علم الذين كانوا يعيشون في أحلام اليقظة أن قادة النظام الجديد يستغلون الإسلام ويتلاعبون بعواطف المسلمين من أجل الوصول إلى الحكم ، وإقامة شعبية لهم ، أما العلمانيون على مختلف أسمائهم ومسمياتهم ، فراحوا يستغلون مواقف النظام استغلالاً مؤسفاً ، وكانوا يواجهون سهام نقدهم إلى الإسلام ، وليس إلى الذين يستغلون الإسلام .

٤ ــ إن موقف الجماعة الإسلامية وجماعة العلماء من الانقلاب الجديد له أسباب مهمة ، فرئيس الانقلاب كان بحاجة إليهم عندما أطاح بنظام بوتو ، ولهذا اشتركوا في أول وزارة ، ووقفوا إلى جانبه ، وكان يستقبلهم ويستمع إليهم وينفذ معظم مايطلبون ، وبعد أن قوي نظام حكمه استغنى عن خدماتهم ولكن بقي بابه مفتوحاً أمامهم ، وكان يستمع إليهم لكن أصبح يقول لهم : لي شركاء في المجلس العسكري ، ولا أستطيع فرض المواقف والقرارات عليهم ، وقبلت الجماعة منه هذا الموقف على مرارته ، والمرحلة الثالثة لم يعد الباب مفتوحاً أمامهم ، وزعم أن الأمور بيد المجلس الوطني ومجلس الوزراء .. وقنع قادة جماعة العلماء والجماعة الإسلامية أن القضية قضية استغلال وتجارة بالإسلام ، فاتخذوا موقفاً متشدداً .

٥ ــ كيف يجمع الرئيس العسكري المسلم بين الولاء لله وبين خضوعه

للولايات المتحدة الأمريكية خلال فترة حكمه كلها ، وهو يعلم أن الولايات المتحدة عدوة للإسلام والمسلمين ، ويستحيل أن تدعم نظاماً إسلامياً ؟ ويعرف ضياء الحق أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي صنعت إسرائيل في عالمنا الإسلامي ، لقد دعمته وقدمت له السلاح ، كما قدمت له المساعدات المادية ، ولسنا هنا في صدد الاسترسال في ذكر الأدلة والبراهين على تسخير الولايات المتحدة لباكستان ، وهذا الموقف مسؤول عنه ضياء الحق ـــ بكل أسف ـــ وليس جونيجو .

٦ ـــ غريب أمر الرئيس العسكري ، فعندما حل المجلس الوطني وأقال الوزارة قال : إنني أستخدم الصلاحيات التي منحني إياها الدستور ، وعندما عاد إلى الحديث عن تحكيم الشريعة الإسلامية قال : لقد التزمت بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية عام ١٩٧٧ وأن الشعب قد منحني ثقته في استفتاء عام ١٩٨٤ م ويعني أن الشعب منحه صلاحية تحكيم الشريعة . فلماذا رضي طيلة أربع سنين أن يحتكم الناس في بلده إلى قوانين جاهلية غربية ؟! وماذا كان سيقول لربه لو توفاه الله خلال تلك الفترة ، والشعب قد أدى واجبه ـــ كما يقول ـــ وهو الذي لم ينفذ إرادة الشعب ؟!

ولماذا كان يقول لقادة الجماعة الإسلامية وجماعة العلماء : إن لي زملاء في القيادة ولايجوز لي الانفراد باتخاذ القرار مع أن الشعب قد منحه وحده الثقة ؟!

الأسباب الحقيقية للانقلاب الجديد :

إن الأسباب التي ذكرها ضياء الحق ، والتي دفعته إلى حل الجمعية الوطنية ومجلس الوزراء ليست مقنعة ، ويصعب الوصول إلى الحقيقة كلها في دول العالم الثالث لاسيما إذا كان الحدث في مراحله الأولى ، وفي باكستان قال ضياء الحق كل مايريد أن يقوله من خلال خطابه الذي ظهر فيه على « شاشة التلفاز » في ٣٠ / ٥ ، أما جونيجو فلم يصدر عنه تصريح يدافع فيه عن موقفه ، ويبين الأسباب الحقيقية للانقلاب الجديد ، والمعارضة مهتمة بالمكاسب التي تعمل على

تحقيقها ، وليست مهتمة بكشف أسباب المشكلة ..

ومن خلال تتبعنا للأحداث ترجح عندنا أن ضياء الحق اختار جونيجو كرئيس للوزراء لأنه يعتقد أنه سينفذ كل قرار يقرره العسكريون ، وربما كان الأمر كذلك في البداية ، ولكن الرجل بدأ يتحرر من هيمنة الجنرالات بعد الانتخابات ، بل بدأ يعمل على الإطاحة بضياء الحق وسنبين الأدلة على ذلك :

١ ــ كانت محادثات جنيف المحطة الأولى في الصراع على السلطة بين الرجلين ، فرئيس الوزراء جونيجو كان يرى أن المجاهدين الأفغان عبء ثقيل على باكستان ، وربما أدى استمرار وجودهم إلى صراعات داخلية في باكستان ، وكان يرى أيضاً أن التفاهم مع السوفييت أهم من التعاون مع الأمريكان ، وكانت المعارضة ترى رأي جونيجو ، وبعد التوقيع على معاهدة جنيف كان جونيجو يخطط لطرد الأفغان من بشاور وماحولها ، ولم يكن ضياء الحق منتبهاً للمكيدة التي يدبرها رئيس وزرائه ، ولكن المجاهدين الأفغان والذين يؤيدونهم من كبار علماء باكستان أقنعوا ضياء الحق أن طرد المجاهدين يعني هدم القلاع والحصون التي تحول بين الشيوعيين وباكستان ، فغير موقفه ووعدهم خيراً ، ثم قام بعزل الدبلوماسيين الذين اشتركوا في محادثات جنيف بعد إقالة وزارة جونيجو ، أما صاحب زاده يعقوب خان فلعله كان مغلوباً على أمره أو لعله اعتذر من ضياء الحق وعلى كل حال فهو صديق من أصدقائه القدامى ، ولهذا أبقاه في وزارة الخارجية .

٢ ــ والمحطة الثانية في الصراع على السلطة : الجيش ، فضياء الحق هو القائد العام للقوات المسلحة ، وجونيجو كان رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع ، وفي كل مرة يطلب المدنيون التحقيق في قضية عسكرية كان ضياء الحق يقف إلى جانب الجيش ، وكانت صلاحيات الوزير تتعارض مع صلاحيات القائد الأعلى للجيش .

فالجيش كان واسطة بين الولايات المتحدة الأمريكية والمجاهدين الأفغان ،

وعندما وصلت صواريخ « ستينغر » إلى إيران طلبت الولايات المتحدة من حكومة جونيجو التحقيق في القضية ، وأصابع الاتهام كانت تشير إلى نفر من كبار الضباط وكان أحدهم رافضياً ، فرفض القائد العام ومساعدوه الاتهامات الموجهة للجيش وأحيلت القضية للحفظ ....

وأثيرت القضية مرة ثانية عندما انفجرت الصواريخ في « روالبندي » و « فيصل آباد » ووقعت كارثة مات بسببها مئات الأبرياء وأحيلت القضية للحفظ .

والقشة التي قصمت ظهر البعير ــ كما يقولون ــ جرت في روالبندي في الشهر الخامس أي قبل إقالة الوزارة بأيام ، حيث اعتدى نفر من العسكريين على فتاة فزجرهم المدنيون ، ووقع شجار بين الطرفين ، وحاول « بشير الحسن » عضو المجلس الوطني عن روالبندي حل المشكلة غير أن العسكريين اعتدوا عليه في بيته ، وثارت ثائرة أعضاء المجلس الوطني ، واستغل جونيجو القضية وكانت ستطرح في أول اجتماع للمجلس الوطني ، وكانوا مقتنعين بأن رئيس الجمهورية لايجوز أن يكون قائداً للجيش ، وهذا لو تم سيكون انقلاباً مدنياً ضد العسكريين ... وأصبح من المستحيل تعايش المدنيين مع العسكريين ، وتجاوز جونيجو الحدود المرسومة له ، ولهذا سارع ضياء الحق إلى الإعلان عن انقلابه الجديد .

أما الحديث عن الفساد ، فالأنظمة الديمقراطية كلها فاسدة ، وجونيجو ليس معروفاً عنه الرشوة والفساد ، أما عن تحكيم الشريعة ، فالرجل علماني وضد تحكيم الشريعة وضياء الحق هو الذي اختاره ، ويعرف حقيقته ولو بقي ضمن الحدود المرسومة له لبقي من أعز أصدقاء ضياء الحق .

٣ ــ لانشك أن ضياء الحق حريص على بقائه رئيساً لباكستان ، فمنذ أن قام بانقلابه الأول ١٩٧٧ م وهو يعمل بطريقة ديمقراطية ذكية من أجل القضاء على كل من يعارض حكمه ، وتفنن في شق كل حزب من الأحزاب ، وفي ضرب الأحزاب ببعضها ، ونجح خلال فترة حكمه في إضعاف هذه الأحزاب ، ومن تركيبة الوزارة الجديدة نعلم ماذا يريد ، لقد استقطب عناصر بارزة من حزب

الشعب ، ومن الرابطة الإسلامية وعناصر مستقلة مؤثرة ، وقد استنفر أجهزة الأمن والمخابرات لتشاركه في الإعداد للانتخابات القادمة ، ومدة رئاسته تنتهي في عام ١٩٩٠ م ، وقد صرح بأنه سيعلن عن استفتاء عام وصيغة هذا الاستفتاء الآتي : « هل يرغب الشعب في نظام إسلامي وحكومة رئاسية مع بقاء ضياء الحق في الحكم لمدة خمس سنين بعد انقضاء مدة رئاسته في عام ١٩٩٠ » وهكذا فبقاؤه وتطبيق النظام الإسلامي شيء واحد . [انظر الأوبزرفر ٣ / ٧ / ١٩٨٨] .

الموقف النهائي :

بعد هذا التحليل الشامل للأوضاع في باكستان نستطيع تحديد الموقف النهائي في النقاط التالية :

١ ــ عندما قاد ضياء الحق انقلابه الأول كان شخصية مجهولة ومع ذلك أيده الإسلاميون ، وفي عام ١٩٨٨ م لم يعد مجهولاً ، ورغم سلبياته الكثيرة فلابد أن نعترف بأنه الرئيس الوحيد في باكستان الذي لم يبطش بالإسلاميين ، ومع أن جواً من الحرية يشمل العمل السياسي بشتى نواحيه منذ قيام باكستان ؛ لكن مع هذا فإن الإسلاميين يتمتعون بحرية خلال حكمه لاتتمتع بها أية جماعة إسلامية في العالم الإسلامي .. وموقف ضياء الحق من المجاهدين الأفغان لابأس به ، رغم وجود سلبيات لايستهان بها ، والبديل لضياء الحق لن يكون إسلامياً ولن يكون في مصلحة المسلمين .

٢ ــ جماعة العلماء والجماعة الإسلامية يبالغون في تقديرهم لأهمية الديمقراطية والانتخابات البرلمانية على الطريقة الغربية ، وقد تحالفوا في السابق مع أحزاب وهيئات علمانية ، وهم في معارضتهم لضياء الحق عندهم أسباب ومسوغات مهمة ولكن من هذه الأسباب أنه حل المجلس الوطني ، وأنه يخطط لإلغاء الأحزاب السياسية ... ونحن نسأل ماذا يحدث لو ألغي الأحزاب والنظام البرلماني الديمقراطي ، والتزم تحكيم شرع الله ؟!.

إن الأحزاب السياسية العلمانية الإلحادية يجب أن تلغى في ظل النظام

الإسلامي ، والملحد لاحرية له فرداً كان أو جماعة ، فكم نتمنى أن يعيد إخواننا النظر بقناعاتهم في النظام الديمقراطي ، وكم أعجبنا اقتراح بعض الدعاة بضرورة وجود مجلس لأهل الحل والعقد في جمعي مناطق باكستان ، وأن تتوفر في أعضاء هذا المجلس الشروط الشرعية الواجب توفرها في أهل الحل والعقد .

٣ ــ لابد من نقد الأسلوب الذي يتبعه ضياء الحق ، والمخططات التي يرسمها ، فهو عندما يتجاهل جماعة العلماء والجماعة الإسلامية ، وأهل الحديث وبقية الجماعات والهيئات الإسلامية يرتكب خطأ فادحاً ، وهؤلاء أساس هذا البنيان الشامخ ، وعندما يجند المرتزقة الذين كانوا مع بوتو وجونيجو يرتكب خطأً أشد فداحة من الأول ، فالذين خانوا بوتو سيخونون ضياء ، وكذلك الذين خانوا جونيجو .. ليقلب ضياء الحق صفحات التاريخ قليلاً لأننا لانريد أن نزيده إرهاقاً فليس عنده وقت للقراءة ولذلك نقول ليقلب صفحات قليلة وليسأل نفسه أين الجموع التي كانت تهتف لجمال عبد الناصر من المحيط إلى الخليج .. إن أعز أصدقائه ــ كالتهامي وغيره ــ هم الذين يتحدثون عن خيانته ... وأين مسيرة المليون التي حملت سيارة النميري في الخرطوم ، هذا المليون خرج متظاهراً ضد النميري .

إن المجموعات « الانكشارية » التي يفاخر بها ضياء الحق من المدنيين والعسكريين ستكون أول من ينقلب عليه لأنها انقلبت على من سبقه وتمتهن الانقلابات وليس أمام ضياء الحق إن كان جاداً هذه المرة إلا التعاون مع العلماء الدعاة الذين كانوا دائماً مع الإسلام ، وفي سبيل الله سجنوا وزلزلوا زلزالاً شديداً ، ومازادهم ذلك إلا صبراً واستقامة وثباتاً .

إن أعداء الإسلام داخل باكستان وخارجها ينبلون عن قوس واحدة ، وقد جمعوا جموعهم ، وبدأوا يتظاهرون ويصدرون التصريحات ، وأسيادهم خارج باكستان يمدونهم بالمال والسلاح وكافة أنواع الدعم ، فماذا يفعل ضياء الحق عندما يفاجأ بأن الأحزاب والباطنيين والعلمانيين والمنظمات والنقابات ضده ،

في حين أن الإسلاميين لايثقون به ؟!

ماذا يفعل عندما يفاجأ بأن أقرب الناس إليه من العسكريين هم الذين ورطوه وهم الذين يعملون في الخفاء مع غيره ؟!.

ماذا يفعل إذا قطعت عنه المساعدات التي تقدم له من الدول الغربية التي يسميها صديقة ؟!

لقد وصل العجز في ميزانية باكستان إلى « ٦٠ بليون روبية » وهو مايعادل ١٫٧ بليون جنيه استرليني وارتفعت بعض السلع الأساسية بنسبة ٢٥٪ ، وبدأت الجهات الدائنة تطالب برفع الضرائب وأجور الخدمات العامة ، وشعوبنا لاتصبر على الجوع ... فأين القاعدة العريضة التي تواجه هذه المشكلات الخطيرة ؟!.

إننا في « البيان » نناشد الدعاة والعلماء والجماعات الإسلامية في باكستان أن يتنادوا لاجتماع عاجل يناقشون فيه مصداقية الدعوة الجديدة ، ويستنفروا كافة طاقاتهم من أجل تحكيم شريعة الله ، وأن لايتحول هذا الشعار إلى تجارة ومزايدات ، ويأخذوا بعين الاعتبار الأخطار الداخلية والخارجية التي تهدد وحدة المسلمين في باكستان ، نناشدهم أن يضعوا مصلحة الإسلام والمسلمين فوق كل مصلحة ، نناشدهم أن يخلصوا نواياهم ، ويتجردوا لله غاية التجرد ، وينطلقوا من ثوابت لايجوز لأحد من المجتمعين مخالفتها .

ونناشد العلماء والدعاة والجماعات في العالم الإسلامي أن يقفوا مع إخوانهم في باكستان ويمدوا إليهم يد العون والمساعدة قبل أن يأتي يوم لاينفع فيه الندم □

دلائل انهيار النظام الأفغاني

كنا نتجول في شوارع كابول بسيارة في أعقاب واحدة من بين كثير من سلاسل الانفجارات المدوية وتبادل إطلاق النار الذي يتخلل ساعات الظلام بشكل منتظم ولا يُعطى تفسير لوقوعه . أوقفت سيارتنا الدبلوماسية وطُوقت من قبل سبعة من رجال الـ (سَرَنْدوي) ــ البوليس البرلماني الأفغاني المكلف بالدفاع عن العاصمة ــ ، وتساءل السائق فيما إذا كان للمجاهدين دور فيما حصل ، فأجاب قائد وحدة (السرندوي) بالنفي وقال ان الحادث يتعلق بشؤون داخلية بحتة ، وبعد تأكد القائد ورجاله من عدم وجود أي أحد على مقربة منهم همسوا بصوت مرتفع بعض الشيء قائلين « مجاهدين مجاهدين » ، مزيلين أي شك حول ولائهم لمن يكون .

لقد أدهشنا رؤية انعدام الولاء وبهذا الشكل الصارخ من قبل رجال يفترض كونهم في طليعة المدافعين عن كابول حال انسحاب آخر جندي سوفييتي بحلول منتصف شهر شباط من عام ١٩٨٩ م .

يواجه نجيب الله تهديدات عدة ليس فقط من قبل المجاهدين و يواجه احتمال قيام انقلاب ضده من جهة القوة الجوية وكذلك احتمال اغتيـ ◻

التايمز ٢٧ / ٥ / ٨٨ م

من نتائج الغزو الروسي

قال الجنرال ألكسي ليزخوف رئيس الجيش ورئيس التوجيه السياسي في البحرية يوم ٢٥ / ٥ / ١٩٨٨ م أن (١٣٫٣١٠) جندي سوفييتي قد قتلوا و (٣٥٫٤٧٨) ألف قد جرحوا و (٣١١) آخرين اعتبروا في عداد المفقودين خلال ثمان سنوات ونصف من الحرب في أفغانستان .

ذكرت نشرة (سانتا راند) في تقرير لها نشر هذا الأسبوع (٢٠ ـــ ٢٦ / ٥ / ١٩٨٨ م) أنه من بين أهم العوامل التي ساهمت في اتخاذ قرار الانسحاب هو الانتشار الواسع للمخدرات والإفراط في تناول الكحول من قبل أفراد الجيش ، وتدهور الأوضاع الصحية وكذلك الهروب من صفوف الجيش بالاضافة إلى ضراوة المعارك ، ويقول الجنرال ليزيخوف : لقد لعبت هذه العوامل وغيرها دوراً كبيراً في إقناع المسؤولين العسكريين السوفييت بسحب قواتهم بعد جهود ثمان سنوات غير مجدية لهزيمة المجاهدين . ويقول ليزيخوف : إن انخفاض المعنويات والحوافز كانا سببان وراء انخفاض أداء الجيش السوفييتي ، ويضيف قائلاً : إن السوفييت أدركوا أنه ليس باستطاعتهم تحقيق نصر عسكري ، وإنها المرة الأولى التي يُقر بها السوفييت بالهزيمة .

لقد لوحظ من خلال المقابلات التي أجريت أثناء إعداد هذا التقرير أن نسبة ٥٠٪ من الجنود السوفييت يتعاطون المخدرات بشكل منتظم بما في ذلك الحشيش ، الهيروين ، أوبيام ، والمارجوانا . وقد نقل عن أحد الجنود السوفييت قوله : « أنهم كانوا يشربون (مانع التجميد) المستعمل في سيارات الشحن والغراء وزيت الفرامل . وكانوا يأخذون صبغ الأحذية ويضعونه على قطعة من الخبز ويتركون القطعة في أشعة الشمس حتى ينفصم الكحول عن صبغ الأحذية » .

ومن الراجح أن يُحدث الانتشار الواسع للمخدرات ، والافراط في شرب الكحول بين صفوف القوات السوفيتية آثاراً سلبية في المجتمع السوفييتي لفترات

طويلة تعقب عودة تلك القوات إلى الاتحاد السوفييتي كما جاء في ذلك التقرير الذي أعد من خلال مقابلات أجريت مع قادة المجاهدين و (٣٥) مكلفاً سوفييتياً سابقاً ممن اشتركوا في القتال في أفغانستان ، بما في ذلك أسرى وهاربين .

لقد أدى غياب المياه إلى أوضاع صحية موحشة وإلى انتشار الكثير من الأوبئة كالتهاب الكبد والملايا والتيفوئيد وبشكل واسع جداً . لقد أدت تلك الأحوال إلى حالات فرار متكررة وعصيان علني بل ومنظم ، وقد وقعت بعض حالات انتحار كنتيجة لتدهور المعنويات .

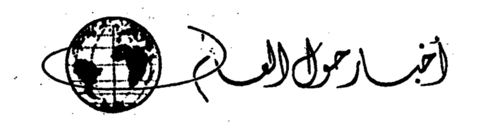
بلغت خسائر أمريكا في فيتنام (٥٨٫١٣٥) قتيلاً ، (١٥٣٫٣٠٣) جريحاً ، (٢٤١٣) مفقوداً □

التايمز ٢٦ / ٥ / ١٩٨٨ م

اندفاع جديد للمجاهدين الأفغان

منذ بداية انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان في ١٥ أيار الماضي سقط في أيدي المجاهدين الأفغان أكثر من (١٠٠) حامية سوفييتية وأفغانية و (٢٤) مدينة إقليمية ، ذكر ذلك دبلوماسيون في إسلام أباد . وذكر الدبلوماسيون في ٢١ / ٦ / ١٩٨٨ م أن مدينة نور غول الواقعة في إقليم كونار الشرقي كانت اخر مدينة تسقط في أيدي المجاهدين . وفي نهاية الأسبوع الماضي (١٣ ــ ٢٠ / ٦ / ١٩٨٨ م) ادعى المجاهدون السيطرة على مدينة (كالات) عاصمة إقليم زابوك الجنوبي ، وتمثل كالات أول عاصمة إقليمية تسقط في أيدي المجاهدين منذ بدء الانسحاب .

التايمز ٢٢ / ٦ / ١٩٨٨ م



قال ميخائيل غورباتشوف :

إن المشكلة التي تواجه القوتين العظميين هي التشدد الإسلامي ، وحذر بقوله : « يجب أن نعثر على وسيلة لضبط هذا الأمر ، لأنه إذا انفجر المسلمون في المنطقة كلها فإننا سنحتاج إلى عشرين سنة لتهدئة الأمر » .

(Wall Street Journal)

الثلاثاء ٥ / ٧ / ١٩٨٨

يوضح هذا التصريح وحدة النظر إلى الإسلام بين طرفين مختلفين ، فالعالم الغربي الصليبي الذي ترأسه أميركا والعالم الشيوعي الذي ترأسه روسيا ـ على مابينهما من خلافات فإنهما ـ يجدان شيئاً مشتركاً وهو عداوتهم للإسلام والمسلمين وسعيهم للتنسيق فيما بينهم في هذا المجال .

وكلمات : « التشدد » و « التطرف » و « التعصب » لها في لغاتهم ووعيهم أضعاف الأثر السيء الذي لهذه المصطلحات في لغتنا العربية ، وتثير في أذهان شعوبهم من الخوف والهلع أكثر مما تثيره في أذهان المضللين من شعوبنا .

والشيء الذي ينبغي أن يتنبه إليه هو نظرتهم الظالمة التي تدل على غباء مختلط بإصرار على التعميم في كثير من الأحيان ، وذلك حين ينظرون إلى العالم الإسلامي من خلال إيران ، ولايعرفون أن تصرفات إيران لا تعكس بالضرورة تصرفات ملايين المسلمين الذين إذا وافقتهم إيران بقول : لا إله إلا الله ؛ فإنه يبقى وراء هذه الكلمة من عوامل الخلاف ـ أصولاً وفروعاً ـ الشيء الكثير الذي

تخالفهم فيه .

فكل أعمال إيران التي يستهجنها الغرب والشرق ويتخذ منها أعداء الإسلام حجة لدمغ الإسلام وشرائعه وأخلاقه بأقذع الأوصاف وأكذب التهم هي وليدة ظروفها وحدها : ماضيها وحاضرها ، وأرضها وقوميتها وأحلامها .

ولكن متى كان أعداء الإسلام قديماً وحديثاً من صليبيين وشيوعيين وملاحدة ومنافقين يتسمون بالإنصاف في الخصومة والعدل في إطلاق الأحكام ؟!

لسنا ندري ــ والله ــ ماالذي يضير أعداء الإسلام من التشدد الإسلامي ؟ هل اقتحم هؤلاء المتشددون ــ الذين يتداعون إلى حربهم ــ مدنهم ودولهم ؟

أليست جريمة المسلمين بنظر هؤلاء أنهم يرفضون أن يعيشوا في بلادهم عبيداً ، أو أن يروا بلادهم نهباً مشاعاً أو موطئاً لجنود هذه القوى المتجبرة ، ولذلك يصمونهم بهذه الأوصاف المنفرة ، ويحرض بعضهم بعضاً على حربهم والتشهير بهم ؟! □

غورباتشوف ... لم يتحقق شيء

في مؤتمر الحزب الشيوعي الذي عقد أخيراً في موسكو ٢٨ / ٦ / ١٩٨٨ م دعا الأمين العام للحزب ميخائيل غورباتشوف إلى إصلاحات جذرية في الشؤون السياسية والاقتصادية للاتحاد السوفييتي ، فقد انتقد شركات الدولة التي تسببت في شح المواد الاستهلاكية الضرورية ، بينما تكدس انتاج المواد التي لايحتاجها الناس ، وطالب بأن يكون الفلاح سيد أرضه وأن تتخلص الدولة من المزارع التعاونية . كما انتقد سياسة ستالين وبريجنيف التي حجرت على الفكر في الاتحاد السوفييتي ، ودعا إلى تقليص سلطات الحزب وأن ينتخب رئيس الدولة بالطريقة المباشرة كما في بعض دول الغرب ، وأن تنتخب الحكومات المحلية باقتراع سري دون تدخل اللجنة المركزية للحزب ، وذكر أن المجلس الأعلى للسوفييت إنما هو مجلس شكلي يؤمِّن على القرارات دون مناقشة ، ولابد أن يعطى من السلطات مايمكنه من دوره ومن الحد من نفوذ الحزب واعترف الأمين العام أخيراً بأنه بعد ستة عقود من حكم الحزب لم يتحقق شيء .

تعليق :

هكذا يتراجع الفكر الماركسي بين كل فترة وأخرى ، وتظهر عيوب النظريات التي تحادُّ الفطرة ، وتُبنى على الحقد والنظريات الخيالية ، وتصطدم مع حاجات الناس ومعاشهم . يتراجع هذا الفكر ليجد نفسه مضطراً لتقليد الغرب الذي كان يصفه بأبشع الأوصاف ، وليعترف بعد عشرات السنين أنه فاشل وأنه دكتاتوري مستبد ظالم ، فهل يعي هذا الدرس المتمركسون المقلدون للدولة (الأم) ويكفون عن الثرثرة حول الشيوعية والاشتراكية ؟ هل يعي هؤلاء المقلدون أنه بعد عشرات السنين أصبحت الصين أقرب إلى أمريكا منها إلى روسيا ، وأن الطوابير أمام الجمعيات الاستهلاكية أصبحت شيئاً لايطاق في الدولة (الأم) وأنه بعد عشرات السنين لم تستطع الدولة والثورة إطفاء جذوة التدين عند مسلمي الجمهوريات السوفييتية الذين عانوا من طغيان الشيوعية مالم يعانِه غيره ، لأن التدين مركوز في فطرة الإنسان ، فلماذا لايتوب هؤلاء ويعودون إلى الإسلام ، ويعلمون أنه لاحل إلا بهذا الدين ؟ □

الإيدز يهدد أمريكا
ضحية كل خمس دقائق مع حلول عام ١٩٩٣ م

أبلغ مؤتمر دولي لوباء الايدز يوم ١٣ / ٦ / ١٩٨٨ م أنه يتم في أمريكا حالياً تشخيص حالة إصابة بمرض الايدز كل عشر دقائق . وإذا ماصحت تنبؤات الخبراء فإن هذه المأساة الفردية ستسجل كل خمس دقائق في عام ١٩٩٣ م . أما في أوربا فإن الفارق الزمني بين تشخيص حالة وأخرى يزيد قليلاً على ماهو عليه في أمريكا ، كما أن عدد الضحايا أقل ، إلا أن كارثة مشابهة ستنزل في لندن ، باريس ، روما ، ومدريد خلال سنتين ونيّف ، كما أعلن في المؤتمر أن عدد حالات الإصابة الحديثة بالمرض التي يتم تشخيصها في كل أسبوع قد بلغ (١٥) في بريطانيا و (٢٥) في إسبانيا و (٢٦) في إيطاليا و (٣٣) في فرنسا ، وقد بلغ عدد حالات الإصابة في أمريكا وحدها (٦٥) ألف بمن فيهم (١٥) ألف توفوا في العام الماضي ، و (٢٨) ألف معان شخصت حالات في عام ١٩٨٧ م ، وهو مايساوي معدل إصابة واحدة كل أربع عشرة دقيقة .

ويقول الدكتور جيمس كوران العامل في مراكز السيطرة على الوباء في مدينة أتلانتا في ولاية جورجيا أن مابين مليون إلى مليون ونصف آخرين قد أصيبوا بهذا الوباء ، وحسب تخمينات الدكتور كوران المستقبلية فإن (٤١) ألف حالة جديدة ستظهر هذا العام في حين سيبلغ عدد الذين سيعانون المرض في أمريكا لوحدها مع حلول عام ١٩٩٢ م (٣٦٥) ألف ، هذا وقد توفي إلى الآن نصف المجموع الكلي لمرضى الإيدز في أمريكا ، وقد بلغت دقة هذه التقارير في الأعوام الماضية نسبة ٩٨٪ .

هذا ويعتبر تناول المخدرات عن طريق زرق الإبر والشذوذ الجنسي على رأس قائمة أسباب تفشي هذا الوباء ، كما أن ظاهرة الاتصال الجنسي بين الرجال والنساء والتي لايضبطها ضابط تعد سبباً رئيسياً وراء ولادة الأطفال المصابين بالإيدز ، أما في أوربا فقد سجلت حالات الاصابة بالمرض ارتفاعاً بنسبة ١١٥٪ منذ شهر آذار من العام المنصرم ، كما أن عدد المرضى أخذ بالتضاعف كل (١١) شهراً □



الأخ محمد الورفلي ــ نيوكاسل ــ بريطانيا :

ماذكرته في رسالتك هو وجهة نظر نقدرها ونحترمها ، ولنا وجه نظر أخرى ، ونشكرك على اهتمامك بالبيان وماتكتب ، نرجو أن نوفق دائماً لمعرفة الحق وأهله .

السيد الدكتور : محمد بدري ــ جمهورية مصر العربية :

نرجو أن توافونا بعنوانكم مفصلاً كي نرسل لكم المجلة وشكراً .

الأخ أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان الخليفي : البكيرية ــ السعودية :

يمكن الحصول على المجلة من السعودية بسهولة وبسرعة من العنوان التالي : الرياض ، ص ب ٣٤٧ . الرمز : ١١٤١١ ..



لقطات من العشر الأواخر

محمد حماد

يسر الله لي الذهاب إلى مكة المكرمة في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك لهذا العام ، وسجلت ذاكرتي هذه اللقطات :

الجهد المبارك :

رغم كبر سنه ، وضعف بنيته إلا أن الله قد منح هذا الشيخ الفاضل طاقة وجلداً قلما تجده عند أكثر الشباب ، وهذا ليس ثناء بل هو مارأيته على مدى عشرة أيام كان خلالها الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين كتلة نشاط مستمرة ماشاء الله لا قوة إلا بالله . فله درس بين صلاتي التراويح والتهجد ، ودرس بعد صلاة الفجر إلى مابعد الشروق ، وفي العصر يستقبل الأسئلة والفتاوى . ولقد رأيته مايكاد ينتهي من التسليم في صلاة التهجد بعد كل ركعتين حتى يأتيه المستفتون ولا ينقذه منهم إلا الصلاة .

وحبذا لو أن الشيخ حفظه الله ــ بالإضافة إلى جهده العلمي المشكور ــ كان النصيب الذي يعيره للشباب ومشاكله أكثر ، فهم بحاجة إلى توجيهه ورعايته ، ودمتم لنا ياشيخ محمد .

الكيف قبل الكم :

لاشك أن القلب يمتلىء بهجة وهو يرى أفواج المصلين الذين يترددون على المسجد في كل صلاة ، ولكن إذا تمعنا قليلاً رأينا أموراً تقول لنا ألا نتسرع في الحكم ، فالطريق لازالت طويلة وأن التربية الإيمانية لم تكتمل بعد .

مشهدان ندلل بهما على مانقول :

المشهد الأول : قبل أذان المغرب أحد العمال يوزع الأكواب الورقية ، تتجمع عليه جماعة من الناس ، ينزعون الأكواب منه بالقوة ، كلهم يريد أن يأخذ أكثر من حاجته ، أحد المزاحمين وكان قد فاز بكيس كامل من الأكواب يسأله أحدهم أن يعطيه بعضها فيرفض قائلاً : (ياعمي إحنا مأأخذناها إلا بالقوة !!) .

المشهد الثاني : تعطلت السلالم الكهربائية بسبب زيادة الحمل ، والمصلون يتزاحمون ورفضوا الانصياع لتوسلات المسئولين بالتريث والانتظام ، وعندما ارتجت الدرجات بهم فزع المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وتدافعوا وتصايحوا ، فهذا يقفز لينجو بنفسه ، وهذا يصرخ والناس قد أصابها الذهول . ترى كيف يفعل هؤلاء عند مواجهة العدو .

قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود عندما سُئل عن سبب تداعي الأمم على المسلمين : هل هو من قلة ؟ قال : لا ولكنكم كغثاء السيل يجعل الوهن في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم بحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت . صحيح الجامع / ٨٠٣٥ .

من شوارع مانهاتن إلى المسجد الحرام :

إنها نقلة ضخمة وعجيبة ، ولكن ليس ذلك على الله بعزيز ويبقى هؤلاء النفر من المسلمين الجدد مثالاً على قدرة الله ورحمته في هداية الناس ، فمن

شوارع وأزقة مانهاتن وحاناتها حيث المخدرات والجريمة والضياع (أحدهم تعرف على المخدرات وعمره ٩ سنوات) إلى الاعتكاف في بيت الله الحرام ، الله أكبر .

أمضيت بعض الوقت مع أحد الأخوة وهو يدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وكان معظم حديثنا عن حال المسلمين في أمريكا الشمالية فأعطاني معلومات كثيرة عن « البلاليين » تختلف عن الفكرة التي كانت لدي بناء على ماقرأته من قبل عن حال هذه الجماعة الآن . لذلك أتجه إلى مجلتنا الحبيبة « البيان » لتعطينا تقريراً عن أوضاع هذه الجماعة وغيرها من الجماعات الإسلامية في أمريكا .

(البيان : نعد الأخ بذلك ونرجو أن نوفق إلى ذلك)

ليلة ٢٧ من رمضان :

يكاد المرء يلمس الروحانية لمساً في تلك الليلة المباركة ، لا مكان في الحرم إلا وفيه عابدٌ لله من طائف بالبيت إلى قائم يصلي إلى قارىء للقرآن .

صحن الكعبة كخلية النحل ممتلىء إلى آخره . مرت لحظات من صلاة التهجد تكاد ترى فيها النور يمتد من المحرم إلى عنان السماء . إنها لحظات عجيبة تجمع فيها أكثر من مليون ونصف مسلم . ليس على سطح الأرض كل تظاهرة إيمانية كهذه في هذا الوقت .

وتسمع البكاء والنحيب والدعاء المتضرع ولاشك أن كثيراً من المسلمين كان مخلصاً في دعائه الله بالمغفرة ونصرة الإسلام والمسلين .

ولكن الدعاء وحده لايكفي ، إن الله كريم جواد قادر على أن ينصر دينه وعباده ولكن سبق قوله تعالى : « إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾ لابد من التغيير لابد من العودة الصادقة إلى الله والإنابة إليه ، لايكفي الدعاء أو عبادة ليلة واحدة أو شهر كامل ، إذا أردنا أن تقام دولة الإسلام في أرضنا فعلينا

أن نقيمها في أنفسنا وبيوتنا وأعمالنا في كل لحظة بل في كل يوم . فالرسول ﷺ مادعا في بدر عندما دخل العريش وأطال وألح في الدعاء إلا بعد أن أعد العدة وجهز الجيش وربى الصحابة .

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

فلسفة

غريبة هذه الحياة كل يوم ينقضي يقربك من القبر . الإنسان فيها يسعى للكمال ، يكافح ويكدح ، له آمال وخطط مستقبلية يظن أنه سيخلد ، بل لافكر في شيء اسمه الموت أبداً ، لأنه موضوع يأتي له بالوهن والهم بل وأيضاً لعدم وجود موقف ثابت منه ، لذلك يحاول الإنسان أن يستبعد هذا المفترس من قاموس حياته اليومية .

ولو أن للإنسان عقلاً رزيناً لفكر في مستقبله الأخير ونهايته الأبدية كيف ستكون . ولنفرض جدلاً أنه لايوجد حياة برزخية وأخرى أخروية ، والموت نهاية الحياة على الإطلاق . هنا نتساءل مامعنى الحياة إذاً ؟ سوى أن تكون لذة انقضت أو شقاء انتهى . ومادام أن هذه اللذة وهذا الشقاء انتهى ؛ فمن العسير أن نسمي هذه لذة وهذا شقاء بل كلهم يسمون بالفناء . ومن هذا المنظور لايصبح للحياة معنى عند عقلاء الملحدين ، أما إذا أدرك المرء أن هناك حياة أخروية فهنا يتغير المنظور وتتضح عبارة اللذه وعبارة الشقاء ؛ فاللذة ماكانت نعيماً أخروياً ، والشقاء ماكان عذاباً أخروياً أيضاً .

﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ، ثم جاءهم ماكانوا يوعدون ، ماأغنى عنهم ماكانوا يُمَتَّعون ﴾ [الشعراء / ٢٠٥ ـ ٢٠٧] □

خالد الخميس

خيبة لأنصار التماثيل

سوف يكتب مستقبلاً في صفحات التاريخ أنه كان هناك في النصف الثاني من القرن العشرين زعماء يمتطون صهوات الجياد ، وقد ناءت أكتافهم وصدورهم بالأوسمة والنياشين ، مع أنهم لم يخوضوا معركة ولم ينتصروا في ميدان .

وإنه من أجل أن تبقى هذه الصورة المجافية للواقع مطبوعة في عقول الشعوب ، فقد استخدموا كل مقدراتها من أجل ذلك ، ومن ذلك تماثيل باذخة تذكرنا بـ (رعمسيس الثاني) و (تحوتمس الثالث) و (الاسكندر الأكبر) و (يوليوس قيصر) و (جنكيز خان) وغيرهم وغيرهم من هذا الرعيل الملعون .

حرص هؤلاء المأفونون على تخليد ذكرهم على أكتاف شعوبهم ، واتخذوا من أفراد محكوميهم مراقي بنوا عليها أمجادهم الكاذبة ، فكم من هواة (الفن) من يسأل نفسه حين يقف مبهوراً مشدوهاً أمام نصب من هذه الأنصاب : كم كلف هذا الأثر الفني من قوت الشعب ، وكم جاعت من أجله بطون ، وعريت في سبيله أجسام، ولاذت في دائرة النسيان ملايين ، وانتهكت من أجل تحصيل الضروري كرامات وحرمات ؟!.

لكن الله يأبى أن يمتد حبل الكذب إلى غير نهاية ، وأمامنا شواهد كثيرة على هذا ، حيث نرى أن تماثيل نصبها أصحابها في كل ميدان مهم أو ساحة في مدينة لتقع عليها العيون أينما اتجهت وحيثما نظرت ، وأرادوا من ورائها غرس المبادىء الغربية في تربة بلادهم على الرغم من

مشاعر الأمة التي يحكمون وعقائدها ، وابتغوا من وراء هذه الأصنام المنصوبة خلود الذكر في هذه الدنيا ، ولكن ماذا نرى ؟!.

نرى أن هذه الشعوب التي تحدوها أهوت على تماثيلهم هذه بالفؤوس والمعاول وداست شظاياها بأقدامها وأمام مرأى من أصحابها في بعض الأحيان (١) .

إن دول أوربا التي يقلدها أنصار إقامة الأصنام والتماثيل ينبع حبها لذلك من جذور ثقافتها وديانتها التي أخضعت لتأثير الوثنية اليونانية والرومانية من يوم أن دانت بها هذه الشعوب ، وتكرم شعوبها عظماءها بعد أن يرحلوا مخلفين ورائهم شيئاً يستحقون عليه التكريم .

أما نحن ، فلا ثقافتنا وديننا يبيح لنا ذلك ؛ ولا شعوبنا هي التي تنبري عن طواعية بعد وفاة « العظيم » لتكريمه بهذا الأسلوب ، بل « العظيم » نفسه هو الذي يكرم نفسه ويمنحها الشهادات غافلاً أو متغافلاً عن شهادات التاريخ . والمفارقة الطريفة أن التاريخ ــ على الرغم من تدخل أصحاب الرغائب في صياغته ــ يفرض منطقه على مرأى من هؤلاء « العظماء » الأدعياء .

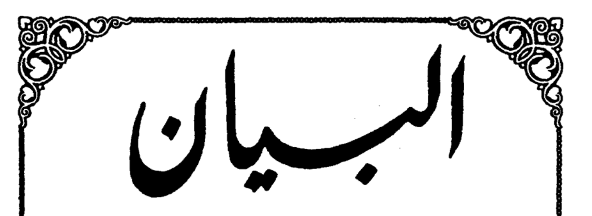
ألا ماأسخف عقول الذين يبررون إباحة التماثيل بأن الإسلام حرمها حين كان هناك خوف من عبادة الناس لها ، وأما وقد انتفى هذا المحذور ببلوغ البشرية سن الرشد فلا بأس بها !

وماأعظم الإسلام حينما جعلها رجساً من عمل الشيطان ، وجعل من ينفق على إقامتها ليس غير جدير بأن يحكم غيره فحسب ؛ بل حريّ أن يحجر عليه لسفهه فلا يقوم حتى على أمر نفسه □

منصور الأحمد

---

١ ــ كما حصل للشاه بالأمس ، ولأبي رقيبة هذه الأيام .



العدد الرابع عشر : صفر / ١٤٠٩ هـ ــ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٨ م

مجلة إسلامية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لندن

تصدر مؤقتاً كل شهرين

رئيس التحرير

محمد العبدة

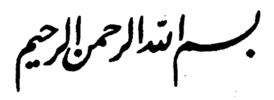
مدير التحرير

منصور الأحمد

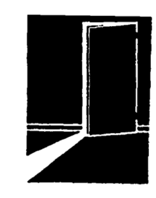
AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place, Parsons Green, London SW6 4HR U.K.

Tel : 01-736 9060



المحتوى



الافتتاحية

لابد من ملء الفراغ

كلما فكرت في حقيقة أن سبعين سنة من محاربة العقائد الدينية بكل الأساليب لم يقض عليها ، ولم يغيبها في التراب ــ كما قدر أعداء العقائد الدينية ــ ازدادت ثقتي بالحق الذي أحمله ، وكان ذلك برهاناً على قصر النظرة البشرية التي تحدِّثها أوهامها أحياناً بأنها تعلم كل شيء ، وتريد أن تزيل من أمامها كل مايعوقها عن تحقيق ماقصرت نظرتها وعلمها عليه .

أما هذه المعركة المشار إليها فهي التي وقعت ــ ولا تزال ــ بين الشيوعية والأديان .

إن الشيوعية استخدمت كل الوسائل : المادية والمعنوية ، من أجل القضاء على « أفيون الشعوب » ولكن هل نجحت ؟

هل نجحت في القضاء على المسيحية ــ مع أن المسيحية لاتهتم إلا بالجانب الروحي من الحياة ، تاركة الجانب المادي لقيصر ــ ولئن عجزت الشيوعية عن القضاء على المسيحية ؛ فهي عن أن تقضي على الإسلام ــ الذي هو في حقيقته دين شمولي لشأن الدنيا والآخرة

معاً ــ أعجز .

ليس من شأننا الحديث عن معاداة الشيوعية للأديان في روسيا ؛ ولكن نريد أن نتخذ من ذلك دليلاً على عبثية المحاولات التي تبذل من أجل المحو أو التحريف والتشويه للحقائق التي تؤمن بها الشعوب .

* * *

لاشك أن هناك حملة قوية من أغلب الفئات النافذة بدأت منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن هدفها تقليل التأثير الإسلامي في بنية الشعوب الإسلامية ، وإبعاده شيئاً فشيئاً عن جميع النواحي المهمة في الحياة وخاصة الثقافية منها والتشريعية والاقتصادية .

ومع أن هذه الفئات قد حققت كثيراً مما كانت تتطلع إليه ؛ لكن الهدف النهائي ؛ وهو تخفيف قبضة العقيدة الإسلامية ، وترويض حدة الشعور الديني لم يتحقق منه شيء ، ولا تبدو في الأفق بوادر تشير إلى ذلك ، بل إن المشاهد أن الشعور الإسلامي في تصاعد ، والاعتقاد بأن الكوارث المحيطة والمتربصة ليست إلا بسبب انفصام عرى العقيدة الإسلامية من بعض النفوس ، وأنه لامخرج من هذا الواقع المتأزم إلا بعقد سلام بين الشعوب وتاريخها المغتصب ، والاعتراف بأن المجتمع لن يكون محصناً ولا قوياً وهو منشق على نفسه ، يتبرأ جانب من جانب ، ويطارد قاهر مقهوراً ، لأن دوامة الزمن مستمرة في الدوران ، وغداً سيكون الموتور واتراً ، وهكذا ...

* * *

إننا إذا تناولنا جانباً من جوانب التجاهل والإهمال الذي يلقاه

الإسلام في دياره ، وهو الجانب الثقافي ، سيبدو لنا التأزم والعبث بأوضح صورة .

هذه خطط ، وتلك مناهج وضعت لتنشئة أجيال لتكون قادرة على الوقوف على قدميها في عالم عاصف بالأفكار ، والذين وضعوا ذلك وصلوا ــ برجاحة عقولهم ، وغزارة علمهم ! وقبل ذلك كله بحرارة إخلاصهم لأوطانهم وغنى عواطفهم نحو أبناء قومهم !! ــ إلى أن الإسلام شأنه شأن الأديان كلها ، لا يمثل إلا زاوية روحية يكفي أن يقدم الحديث عنه للأجيال ضمن هذه الزاوية = تعليم لبعض العبادات ، وحديث عن التوبة والمغفرة ، والذكر ومراسم الدفن ، وبعض مكارم الأخلاق مثل الرحمة والرفق بالحيوان ، وأشياء أخرى لاتخرج عن هذا الإطار الفقير ... ويستطيع أن يقوم بتقديم هذا الجانب أي فرد ، عالم أو جاهل ، مؤمنٍ بما يقول أو جاحدٍ . والقصد من هذا الاختصار واضح لكل ذي نظر ، وهو ليس القناعة حتى بهذه الأشياء المقدَّمة ، بل الإجابة على تساؤل الذين يستاءلون بإلحاح : أين مكان الدين من تربية الأجيال ؟

تريدون ديناً ؟! لا مانع ، خذوا هذا الدين ! هذا هو الإسلام ! أما إذا لم يشف هذا الجواب العملي النفوس التي تحترق وتململت تطلب إجابة أشفى « كان الصراخ لها قرع الظنابيب »[1] .

نريد أن ننظر إلى واقعنا على ضوء هذا الذي يجري فيه ، فعندما لا يقتنع المسلم أن مايقدم لأبنائه هو الإسلام ، فإنه يفتش عن بديل آخر لهذا ، كأن يلقن أبناءه الإسلام الذي يؤمن به والذي يراه مخالفاً ــ في اتساعه وشموله ،

---

١ ــ شطر بيت لسلامة بن جندل وصدره : إنا إذا ماأتانا صارخ فزع .
والصارخ : المستغيث ، والصراخ : الإغاثة . والظنابيب : جمع ظنبوب ، وهو ظاهر الساق .
ويمكن أن يستعار هذا المعنى للدلالة على الرد بعنف على الاحتجاج .

بل في أحكامه العملية ـــ لهذا الإسلام المسكين المستكين الراكد العاجز الذي تحدثه عنه أجهزة الثقافة وأقنية الفكر .

وإذا افترضنا أن من الآباء مَن لايبالون : أدرس أبناؤهم إسلاماً وقرآناً أم درسوا غير ذلك ؟! فإن من الآباء كذلك من يشعر بالمسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتقه ، ومن يعتقد اعتقاداً لايتزعزع أن الله سائله كيف ربى ولده ، وهو لذلك يرى أن الأمر جد لا هزال فيه .

وحتى أولئك الآباء غير المبالين ، عندما يشب أبناؤهم عن الطوق ، ويقارنون مالُقِّنوا بماهو موجود في الكتب الإسلامية المبذولة بأعداد هائلة ، وبنسب تفوق كل أنواع الكتب الأخرى ؛ فإن كثيراً من هؤلاء الأبناء يراجعون مالقنوا ، ويكتشفون الزيف الكثير في ذلك ، فإما أن يرفضوه جملة ، وإما أن يشكوا فيه ، وهما أمران ينتج عنهما انفصام في الشخصيات ، وتمزق داخلي ينعكس على تصرفاتهم وأعمالهم ، وبدلاً من أن يكونوا خلايا منتجة في جسم المجتمع ؛ يؤول أمرهم إلى أن يكونوا خلايا مشلولة لا أثر لها ، أو مريضة تنفث التوتر والضعف في بنية الأمة .

وتبقى هناك فئة تمضي في البحث عن الحقيقة المغيَّبة بنفسها ، فإما أن تنجح في العثور عليها ؛ وإما أن تفشل ، وهي في حالتي نجاحها وفشلها لاتحقق لمجتمعها شيئاً على المستوى العام ، لأن نجاحها فيما نجحت فيه لايحسب لها ، بل عليها ، لأنه غير معترف به من قبل الذين رسموا وخططوا ، وفشلها يتخذ ذريعة لتثبيت الباطل الذي حاولت خارج إطاره ، ولاستمرار الزيف الذي لم يطفيء فيها التحرق للبحث عن الحق .

إن كبرى الأزمات التي نعاني منها مردها إلى هذه الحال التلفيقية التي نعيش فيها : تتجاور فينا المتناقضات ، ونعيش في أجواء يسودها التنافر والتمزق : فالكفر الصراح بجانب نصف الكفر بجانب الإسلام وأجزاء الإسلام ! والعبودية ونصف العبودية بجانب الحرية وماهو فوق الحرية من الطغيان والجبروت ، والعروبة بجانب دعوى العروبة والشعوبية السافرة ، والفساد المرخص له بجانب المساجد ودور العبادة ، والقوانين الحديثة المكتوبة ، بجانب القوانين السرية النافذة : قوانين العشائر والفئات والطوائف . وهيكل الدولة الحديثة الذي تسري فيه روح الغرائز وتسود فيه شريعة الغاب ...

خلط وتلفيق وحلول وسط تعكس نفوساً خربها النفاق وفتك بها الهوان فلم تعد تعرف معروفاً ، ولا تنكر منكراً .

إن الحرج من هذا الواقع المرير مرهون بأن نقف أمام أنفسنا وقفة صادقة ، وأن نعترف بسبب المشكلة أولاً ، وهو هنا عدم وجود دليل واضح ومنهج أصيل تسير على هديه الأجيال الإسلامية ، ثم الانفصال بين مفهومين للإسلام في أذهان هذه الأجيال : مفهوم تقدمه فئة غير مقتنعة بالإسلام ولا تبالي بأي وادٍ هلك ، إسلام مقطع الأوصال ، مشوه القسمات ؛ ومفهوم آخر تبحث عنه هذه الجموع المتعطشة التي فقدت ثقتها بكل شيء ، وانهارت أمام عيونها كل المناهج المستوردة والمفروضة ، وهي في خلال بحثها عنه تلاقي الجفاء والمقت ، وتعاني من الإنكار والجحود .

ومالم يكن هناك اعتراف بهذه الحقيقة فإن جهودنا أفراداً وجماعات ستذهب سدى ، وسنبقى حيث نحن ، هدر للطاقات ، وتضحية بالكفاءات ، ومطاردة دائمة ... حتى يأتي يوم نفقد فيه الطِراد حيث نفقد الطرائد ... □

الرد على من أباح الفوائد الربوية

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

جاءنا من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز المقال التالي الذي يرد فيه على شبهات من يجيز الفوائد الربوية والمعاملات البنكية المتعلقة بها .

* * *

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه ، أما بعد :

فقد اطلعت على البحث الذي أعده الدكتور إبراهيم بن عبد الله الناصر تحت عنوان : « موقف الشريعة الإسلامية من المصارف » ، فألفيته قد حاول فيه تحليل ماحرم الله من الربا بأساليب ملتوية ، وحجج واهية ، وشبه داحضة ، ورأيت أن من الواجب على مثلي بيان بطلان ماتضمنه هذا البحث ، ومخالفته لما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة من تحريم المعاملات الربوية ، وكشف الشبه التي تعلق بها ، وبيان بطلان ماستند إليه في تحليل ربا الفضل وربا النسيئة ، ماعدا مسألة واحدة وهي مااشتهر من ربا الجاهلية من قول الدائن للمدين المعسر عند حلول الدين : إما أن تربي وإما أن تقضي ، فهذه المسألة عند إبراهيم المذكور هي المحرمة من مسائل الربا ، وماسواها فهو حلال ، ومن تأمل كتابته اتضح له منها ذلك ، وسأبين ذلك إن شاء الله بياناً شافياً ، يتضح به الحق ، ويزهق به الباطل ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وإلى القارىء بيان ذلك :

أولاً : قال إبراهيم في أول بحثه مانصه : يمكن القول أنه لن تكون هناك

قوة إسلامية بدون قوة اقتصادية ، ولن تكون هناك قوة اقتصادية بدون بنوك ، ولو تكون هناك بنوكٌ بلا فوائد .

والجواب أن يقال : يمكن تسليم المقدمة الأولى ، لأن المسلمين في كل مكان يجب عليهم أن يعنوا باقتصادهم الإسلامي بالطرق التي شرعها الله سبحانه ، حتى يتمكنوا من أداء ماأوجب الله عليهم ، وترك ماحرم الله عليهم ، وحتى يتمكنوا بذلك من الإعداد لعدوهم ، وأخذ الحذر من مكائده . قال الله عز وجل : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [المائدة / ٢] وقال سبحانه : ﴿ ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ [المائدة / ١] ، وقال تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأبى كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب ، وليملل الذي عليه الحق ، وليتق الله ربه ، ولا يبخس منه شيئاً ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ، ولايضار كاتب ولا شهيد ﴾ الآية [البقرة / ٢٨٢] ، وقال تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ الآية [النساء / ٢٩] ، وقال سبحانه : ﴿ وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ﴾ الآية [الأنفال / ٦٠] . والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وهي مشتملة على توجيه الله سبحانه لعباده إلى التعاون على كل ماينفعهم في أمر دينهم ودنياهم ، وأمرهم بالتعاون على البر والتقوى ، وتحذيرهم من التعاون على الإثم والعدوان ، كما أمر سبحانه بالوفاء بالعقود وإثبات حقوقهم بالطرق الشرعية ، وحذرهم من أكل أموالهم بالباطل ، وأمرهم سبحانه بالإعداد لعدوهم مااستطاعوا من قوة ، وبذلك يستقيم اقتصادهم الإسلامي ، ويحصل بذلك تنمية الثروات وتبادل المنافع والوصول إلى حاجاتهم ومصالحهم بالوسائل التي شرع الله لهم ، كما حذرهم سبحانه في آيات كثيرة من الكذب والخيانة وشهادة الزور وكتمان شهادة الحق ومن أكل أموالهم بينهم بالباطل والإدلاء بها إلى الحكام ليميلوا عن الحق إلى الحكم بالجور ، وعظم سبحانه شأن الأمانة ، وأمر بأدائها في قوله عز وجل : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ [النساء / ٥٨] ، وقوله سبحانه : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال

فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ﴾ الآية [الأحزاب / ٧٢] ، وحذرهم عز وجل من خيانة الأمانة في قوله سبحانه : ﴿ يأأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ [الأنفال / ٢٧] ووصف عباده المؤمنين في سورة « المؤمنون » وفي سورة « المعارج » بأنهم يرعون الأمانات والعهود وذلك في قوله سبحانه : ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ [المعارج / ٣٢ ، المؤمنون / ٨] .

فمتى استقام المسلمون على هذا التعليم والتوجيه وتواصوا به وصدقوا في ذلك فإن الله عز وجل يصلح لهم أحوالهم ، ويبارك لهم في أعمالهم وثرواتهم ، ويعينهم على بلوغ الآمال ، والسلامة من مكائد الأعداء ، وقد أكد هذه المعاني سبحانه في قوله عز وجل : ﴿ يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [التوبة / ١١٩] وفي قوله سبحانه : ﴿ يأأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ [النساء / ١٣٥] ، وقال سبحانه : ﴿ يأأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ [المائدة / ٨] ، وقال سبحانه : ﴿ وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ﴾ الآية ، وقال عز وجل : ﴿ يأأيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ [النساء / ٧١] ، والآيات في هذا أكثر من أن تحصر .

وأما المقدمتان الثانية والثالثة ، وهما قوله : ولن تكون هناك قوة إقتصادية بدون بنوك ولن تكون هناك بنوك بلا فوائد ، فهما مقدمتان باطلتان ، والأدلة الشرعية التي قدمنا بعضها ، ومادرج عليه المسلمون من عهد نبيهم ﷺ إلى أن أنشئت البنوك ، كل ذلك يدل على بطلان هاتين المقدمتين ، فقد استقام اقتصاد المسلمين طيلة القرون الماضية ، وهي أكثر من ثلاثة عشر قرناً بدون وجود بنوك ، وبدون فوائد ، وبدون فوائد ربوية ، وقد نمت ثروتهم ، واستقامت معاملاتهم ، وحصلوا على الأرباح الكثيرة ، والأموال الجزيلة ، بواسطة المعاملات الشرعية ، وقد نصر الله المسلمين في عصرهم الأول على أعدائهم ، وسادوا غالب

المعمورة ، وحكموا شرع الله في عباده وليس هناك بنوك ولا فوائد ربوية ، بل الصواب عكس ماذكره الكاتب إبراهيم ؛ وهو أن وجود البنوك والفوائد الربوية صار سبباً لتفرق المسلمين ، وانهيار اقتصادهم ، وظهور الشحناء بينهم ، وتفرق كلمتهم ، إلا من رحمه الله ، وماذاك إلا لأن المعاملات الربوية تسبب الشحناء والعداوة ، وتسبب المحق ونزع البركة وحلول العقوبات كما قال عز وجل : ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ [البقرة / ٢٧٦] والآن مايقع بين الناس بسبب الربا من كثرة الديون ومضاعفتها بسبب الزيادة المتلاحقة كل ذلك يسبب الشحناء والعداوة ، مع ماينتج عن ذلك من البطالة وقلة الأعمال والمشاريع النافعة ، لأن أصحاب الأموال يعتمدون في تنميتها على الربا ، ويعطلون الكثير من المشاريع المفيدة النافعة من أنواع الصناعات وعمارة الأرض وغير ذلك من أنواع الأعمال المفيدة .

وقد شرع الله لعباده أنواعاً من المعاملات يحصل بها تبادل المنافع ، ونمو الثروات ، والتعاون على كل ماينفع المجتمع ، ويشغل الأيدي العاطلة ، ويعين الفقراء على كسب الرزق الحلال ، والاستغناء عن الربا والتسول وأنواع المكاسب الخبيثة ، ومن ذلك المضاربات وأنواع الشركات التي تنفع المجتمع ، وأنواع المصانع لما يحتاج إليه الناس من السلاح والملابس والأواني والمفارش وغير ذلك ، وهكذا أنواع الزراعة التي تشغل بها الأرض ، ويحصل بها النفع العام للفقراء وغيرهم ، وبذلك يعلم كل من له أدنى بصيرة أن البنوك الربوية ضد الإقتصاد السليم وضد المصالح العامة ، ومن أعظم أسباب الإنهيار والبطالة ومحق البركات وتسليط الأعداء وحلول العقوبات المتنوعة والعواقب الوخيمة ، فنسأل الله أن يعافي المسلمين من ذلك وأن يمنحهم البصيرة والاستقامة على الحق .

ثانياً :

قال إبراهيم : إن وظيفة الجهاز المصرفي في اقتصاد ما تشبه إلى حد قريب وظيفة القلب بالنسبة لجسم الإنسان تماماً ... الخ .

والجواب : ليس الأمر كما قال ، بل يمكن أن يقوم الجهاز المصرفي بما ذكره الكاتب ، من غير حاجة إلى الربا ، ولا ضرورة إليه كما قام اقتصاد المسلمين

في عصورهم الماضية وفي عصرهم الأول الذهبي بأكمل اقتصاد وأطهره من دون وجود بنوك ربوية كما تقدم ، وقد نصر الله بهم دينه ، وأعلى بهم كلمته وأدر عليهم من الأرزاق والغناء ، وأخرج لهم من الأرض ماكفاهم وأغناهم وأعانهم على جهاد عدوهم ، وحماهم به من الحاجة إلى ماحرم الله عليهم ، ومن درس تاريخ العالم الإسلامي من عهد النبي ﷺ إلى ماقبل إنشاء المصارف الربوية علم ذلك يقيناً .

وإنما يؤتى المسلمون وغيرهم في اقتصادهم ونزع البركات مما في أيديهم بأسباب انحرافهم عن شريعة الله ، وعدم قيامهم بما أوجب الله عليهم ، وعدم سيرهم على المنهج الذي شرعه الله لهم فيما بينهم من المعاملات ، وبذلك تنزل بهم العقوبات ، وتحل بهم الكوارث بأسباب أعمالهم المخالفة لشرع الله ، كما قال عز وجل : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ [الشورى / ٣٠] ، وقال عز وجل : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ [الأعراف / ٩٦] ، وقال سبحانه : ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ومأأنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ الآية [المائدة / ٦٥] وقال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ [الطلاق / ٢ ، ٣] ، وقال سبحانه : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ﴾ [الطلاق / ٤] .

ثـالثاً :

ذكر إبراهيم في بحثه مانصه : والسؤال الذي لم نعثر على جواب حتى الآن هو : كيف ينظر فقهاء المسلمين إلى الظاهرة الاقتصادية للفائدة ، ولماذا يعتبر القرض بالفائدة محرماً في نظرهم ... الخ .

والجواب عما ذكره هنا إلى نهاية بحثه المشار إليه أن يقال :

إنما نظر الفقهاء من سائر علماء المسلمين في أمر الفائدة وعلقوا بها التحريم لأن الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ أناطت بها التحريم ، وهي أحاديث

مستفيضة عن النبي ﷺ ، لا مغمز فيها ، وهي تدل دلالة صريحة قطعية على أن بيع المال الربوي بجنسه مع أي زيادة ولو قلت ربا صريح محرم ، ولكن الكاتب إبراهيم المذكور هداه الله وألهمه رشده أعرض عنها كلها ، ولم يلتفت إليها ، وإنما تكلم على الربا المجمل الوارد في القرآن الكريم ، وحاول بكل مااستطاع أن يحصر الربا في مسألة واحدة هي : ماإذا أعسر المدين واتفق مع الدائن على إمهاله بفائدة معينة ، هذا ملخص بحثه ، وماسوى ذلك فقد حاول في هذا البحث إلحاقه بقسم الحلال لحاجة الناس ــ بزعمه ــ إلى ذلك وأن هذا هو الذي تقوم به المصارف ، وزعم أن الحاجة داعية إلى ذلك ، وأن مصالح العباد لاتتم إلا بهذه المعاملات الربوية التي تستعملها البنوك ، وقد تعلق بأشياء مجملة من كلام الموفق بن قدامة وشيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم رحمهم الله جميعاً فيما ذكروه عن المصلحة وأن الشرع الشريف لايمنع تحقيق المصالح التي تنفع المسلمين بدون ضرر على أحد ، ولا مخالفة لنص من الشرع المطهر .. وهذا كله لاحجة له فيه ، لأن المصالح التي أراد هؤلاء الأئمة وأمثالهم تحقيقها إنما أرادوا ذلك حيث لا مانع شرعي يمنع من ذلك ، وذلك في المسائل الاجتهادية التي لا نص فيها يوضح الحكم الشرعي ، وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ على تحريم ربا الفضل ، وعلى تحريم ربا النسيئة ، وذكر بعض أهل العلم أن تحريم ربا الفضل من باب تحريم الوسائل لأن عاقلاً لايبيع شيئاً بأكثر منه من جنسه يداً بيد ، وإنما يكون ذلك إذا كان أحد العوضين مؤجلاً أو كان أحدهما أنفس من الآخر ، ولهذا لما باع بعض الصحابة رضي الله عنهم صاعين من التمر الرديء بصاع واحد من التمر الطيب ، وأخبر النبي ﷺ بذلك قال له النبي ﷺ : « أوه عين الربا عين الربا لا تفعل » الحديث ، متفق عليه ، وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل ولا تُشِفُّوا (١) بعضها على بعض ولا تبيعوا الفضة بالفضة إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا منها غائباً بناجز » . وفي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله

---

١ ــ تُشِفُّوا : تزيدوا في البيع بعضها على بعض .

عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، سواء بسواء ، يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد » . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة في الصحيحين وغيرهما .

وأما قول النبي ﷺ في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه : « إنما الربا في النسيئة » ، فالمراد به عند أهل العلم معظم الربا ، وليس مراده ﷺ كل أفراد الربا ، للحديثين السابقين وماجاء في معناهما من الأحاديث الصحيحة . وقد علم أن المعاملات الربوية تجمع بين ربا الفضل وربا النسيئة ، فإن المودع بالفائدة قد جمع هو وصاحب البنك بين الأمرين ، وهما النسيئة والفائدة فباءا بإثم المعاملتين . وأما كون المرابي الباذل للفائدة قد يكون محتاجاً فهذا ليس هو الموجب للتحريم وحده بل قد جمع هذا العقد بين الربا وبين ظلم المعسر بتحميله الفائدة وقد عجز عن الأصل ، وبذلك تكون المعاملة معه على هذا الوجه أعظم تحريماً وأشد إثماً لأن الواجب إنظاره وعدم تحميله ماحرم الله من الربا ، وأما اشتراك الدائن والمدين في الانتفاع بالمعاملة الربوية ، وأن كل واحد منهما يحصل منها على فائدة فهذا الاشتراك لاينقل المعاملة من التحريم إلى الحل ولا يجعلها معاملة شرعية يباح فيها الربا ، لأن الشارع الحكيم لم يلتفت إلى ذلك ، بل حرم الفائدة تحريماً مطلقاً ، ونص على ذلك الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة منها ماتقدم ، ولو كان انتفاع المدين بالفائدة يحلها لنص عليه المولى سبحانه وبينه في كتابه الكريم أو على لسان رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم . وقد قال الله عز وجل في سورة النحل : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل / ٨٩] ، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال : « مابعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير مايعلمه لهم وينذرهم شر مايعلمهم لهم » ، ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الرسل وأكملهم بلاغاً وأتمهم بياناً ، فلو كانت المعاملة بالفائدة المعينة جائزة إذا كان المدين ينتفع بها لبينها النبي ﷺ لأمته ، وأوضح لهم حكمها ، فكيف وقد بين ﷺ في صريح أحاديثه تحريمها والتحذير منها والوعيد على ذلك ، وقد علم أن السنة الصحيحة تفسر القرآن ، وتدل على

ماقد يخفى منه كما قال تعالى في سورة النحل : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [النحل / ٤٤] ، وقال عز وجل : ﴿ وماأنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [النحل / ٦٤] والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وأما نقله عن الشيخ رشيد رضا في إجازته الربا في صندوق التوفير فهو غلط منه ، ولايجوز أن يعول عليه والحجة قائمة عليه وعلى غيره من كل من يحاول مخالفة النصوص برأيه واجتهاده ، وقد تقرر في الأصول أنه لارأي لأحد ولا اجتهاد لأحد مع وجود النص ، وإنما محل الرأي والاجتهاد في المسائل التي لانص فيها ، فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر إذا كان أهلاً للاجتهاد ، واستفرغ وسعه في طلب الحق ، لما ثبت عن النبي ﷺ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه مثله ، أما المسائل التي نص على حكمها القرآن الكريم أو الرسول ﷺ في سنته ؛ فليس لأحد أن يجتهد في مخالفة مادل عليه النص ، بل الواجب التمسك بالنص وتنفيذ مقتضاه بإجماع أهل العلم . والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

رابعـــاً :

ثم قال الكاتب الدكتور إبراهيم في نهاية البحث مانصه : ... وخلاصة البحث بعد هذه المقارنة الواضحة بين الربا الذي ورد تحريمه في القرآن الكريم ، وبين المعاملات المصرفية يتضح لنا أن المعاملات المصرفية تختلف تماماً عن الأعمال الربوية التي حذر منها القرآن الكريم ، لأنها معاملات جديدة لاتخضع في حكمها للنصوص القطعية التي وردت في القرآن الكريم بشأن حرمة الربا ، ولهذا يجب علينا النظر إليها من خلال مصالح العباد وحاجاتهم المشروعة اقتداء برسول الله ﷺ في إباحته بيع « السلم » رغم مافيه من بيع غير موجود ، وبيع ماليس عند البائع مما قد نهى عنه رسول الله ﷺ في الأصل ، وقد أجمع العلماء على أن إباحة السلم كانت لحاجة الناس إليه ، وهكذا فقد اعتمد العلماء على « السلم » وعلى أمثاله من نصوص الشريعة في إباحة الحاجات التي لاتتم مصالح الناس في معاشهم إلا بها .

والجواب أن يقال :

إن المعاملات المصرفية لاتختلف عن المعاملات الربوية التي جاء النص بتحريمها ، والله سبحانه بعث نبيه ﷺ إلى جميع الثقلين ، وشرع لهم من الأحكام مايعم أهل زمانه ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة ، فيجب أن تعطى المعاملات الجديدة حكم المعاملات القديمة إذا استوت معها في المعنى ، أما اختلاف الصور والألفاظ فلا قيمة له إنما الاعتبار بالمعاني والمقاصد ، ومعلوم أن مقاصد المتأخرين في المعاملات الربوية من جنس مقاصد الأولين وإن تنوعت الصور ، واختلفت الألفاظ ، فالتفريق بين المعاملات الربوية القديمة والجديدة بسبب اختلاف الألفاظ والصور مع اتحاد المعنى والمقاصد تفريق باطل ، وقد جعل النبي ﷺ قول من قال يوم حنين : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط مثل قول بني إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، ولم ينظر النبي ﷺ إلى اختلاف الألفاظ لما اتحد المعنى ، وهكذا عاقب الله بني إسرائيل لما نصبوا الشباك يوم الجمعة ليصيدوا بها الصيد المحرم عليهم يوم السبت ولم يعذرهم بهذه الحيلة مع أنهم لم يأخذوا الصيد من الشباك إلا يوم الأحد وذلك لاتحاد المعنى وإن اختلفت الوسيلة . والأمثلة على هذا كثيرة في النصوص الشرعية ، وقد صح عن الرسول ﷺ أنه قال : « لاترتكبوا ماارتكبت اليهود ؛ فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » .

وأما التشبيه بالسلم فهو من باب المغالطة والتعلق بما لاينفع ، فإن إباحة السلم من محاسن الشريعة الكاملة ، وقد أباحه الله سبحانه لحاجة العباد إليه ، وشرط فيه شروطاً تخرجه عن المعاملات المحرمة ، فهو عقد على موصوف في الذمة بصفات تميزه وتبعده عن الجهالة والغرور إلى أجل معلوم بثمن معجل في المجالس يشترك فيه البائع والمشتري في المصلحة المرتبطة على ذلك ، فالبائع ينتفع بالثمن في تأمين حاجاته الحاضرة ، والمشتري ينتفع بالمسْلَم فيه عند حلوله لأنه اشتراه بأقل من ثمنه عند الحلول ، وذلك في الغالب ، فحصل للمتعاملين في عقد السلم الفائدة من دون ضرر ولا غرور ولا جهالة ولا ربا . أما المعاملات الربوية فهي مشتملة على زيادة معينة نص الشارع على تحريمها في بيع جنس بجنسه نقداً أو نسيئة ، وجعله من أكبر الكبائر لما له سبحانه في ذلك من الحكمة

البالغة ولما للعباد في ذلك من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة التي منها سلامتهم من تراكم الديون عليهم ، ومن تعطيلهم المشاريع النافعة والصناعات المفيدة اعتماداً على فوائد الربا .

وأما زعم الكاتب إبراهيم أن المصارف والأعمال المصرفية حاجة من حاجات العباد لاتتم مصالح معاشهم إلا بها ... الخ . فهو زعم لا أساس له من الصحة ، وقد تمت مصالح العباد في القرون الماضية قبل القرن الرابع عشر وقبل وجود المصارف ، ولم تتعطل حاجاتهم ولا مشاريعهم النافعة ، وإنما يأتي الخلل وتتعطل المصالح من المعاملات المحرمة وعدم قيام المجتمع بما يجب عليه في معاملة إخوانه من النصح والأمانة والصدق والبعد عن جميع المعاملات المشتملة على الربا أو الغرور أو الخيانة أو الغش ، والواقع بين الناس في سائر الدنيا يشهد بما ذكرنا ، ولا سبيل إلى انتعاش المصالح وتحقيق التعاون المفيد إلا بسلوك المسلك الشرعي المبني على الصدق والأمانة والابتعاد عن الكذب والخيانة وسائر ماحرم الله على العباد في معاملاتهم ، كما قال الله سبحانه في كتابه المبين : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [المائدة / ٢] وقال سبحانه : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ الآية [النساء / ٥٨] ، وقال سبحانه : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ [الأنفال / ٢٧] وقال عز وجل : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولايأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً ﴾ الآية [البقرة / ٢٨٢] وقال تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [الأحزاب / ٧٠] . وقال النبي ﷺ : « البيعان بالخيار مالم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركت بيعهما » متفق على صحته ، وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، يداً بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى ، الآخذ والمعطي فيه سواء » رواه أحمد والبخاري .

وعن جابر رضي الله عنه قال : (لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : هم سواء) رواه مسلم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الذهب بالورق ربا إلا هاء وهاء . والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء ، والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء ، والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء » متفق عليه . وقال عليه الصلاة والسلام : « من غشنا فليس منا » رواه مسلم ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ فقالوا : بلى يارسول الله ، فقال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ، أو وشهادة الزور » متفق عليه . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

ولا يجوز لأحد من الناس أن يحلل ماحرم الله بالنص قياساً على ماحلل الله بالنص ، ومن حاول أن يحلل ماحرم الله من الربا قياساً على مأحل الله من السلم فقد أتى منكراً عظيماً ، وقال على الله بغير علم ، وفتح للناس باب شر عظيم وفساد كبير ، وإنما يجوز القياس عند أهل العلم القائلين به في المسائل الفرعية التي لانص فيها إذا استوفى الشروط التي تحلق الفرع بالأصل ، كما هو معلوم في محله ، وقد حرم الله القول عليه بغير علم ، وجعله في مرتبة فوق مرتبة الشرك ، وبين عز وجل أن الشيطان يدعو إلى ذلك ويأمر به كما يدعو إلى الفحشاء والمنكر ، قال الله سبحانه : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله مالاتعلمون ﴾ [الأعراف / ٣٣] ، وقال سبحانه : ﴿ ياأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ [البقرة / ١٦٨] .

فنسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ، وأن يمنحهم الفقه في الدين ، وأن يوفق علماءهم لبيان مأوجب الله عليهم من أحكام شرعه والدعوة إلى دينه ، والتحذير مما يخالفه ، وأن يكفيهم شر أنفسهم ، وشر دعاة الباطل ، وأن يوفق

الكاتب إبراهيم للرجوع إلى الحق والتوبة مما صدر منه وإعلان ذلك على الملأ لعل الله يتوب عليه كما قال عز وجل : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [النور / ٣١] ، وقال سبحانه : ﴿ إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [البقرة / ١٥٩ ، ١٦٠] .

ولاشك أن مقاله يحتاج إلى أكثر مما كتبت ، ولكن أرجو أن يكون فيما بينته مقنعاً وكفاية لطالب الحق . والله المستعان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم □







قراءة في فكر مالك بن نبي

محمد العبدة

إذا عد المفكرون من المسلمين في هذا العصر فإن مالك بن نبيّ هو من هذه القلة الذين ينطبق عليهم هذا الوصف ، فالمفكر هو الذي يدرس ويتأمل ويقارن ويحلل المشكلة إلى أجزائها ، ثم ينسق ويركب ويجتهد في إيجاد الحلول .

وقد ترددت كثيراً قبل الكتابة عن مالك بن نبي لا لأنه عميق الغور ، غواص في البحث والتنقيب ، أو لأن تتبع آرائه وأفكاره يحتاج إلى جهد ، بل لأنه يطرح أفكاراً وآراء لا تتناسب مع عمق تفكيره ، يقف الإنسان أمامها حائراً : من أين جاءته ؟ وماهي الخلفية الثقافية التي جعلته يتبنى هذا الرأي أو ذاك ؟ وهل هو مؤيد أم معارض ؟ وقد كان ذلك التردد وإعادة القراءة مرات ومرات حتى لانظلمه ، وليستبين الحق وتتضح الصورة ، وتحل الإشكالات .

إن الكتابة عن مالك بن نبي ضرورية للأجيال التي يجب عليها أن تتعرف على ماكتبه أصحاب الخبرة والتجربة في مجال الصراع الفكري المحتدم بين أوربا المستعمِرة والعالم الإسلامي منذ نهاية القرن الثامن عشر ، فلم يعد من المجدي طرح الحلول العامة والعائمة ولابد من الدخول في التفاصيل ، ومعرفة أسباب الفشل وأسباب النهضة ، ولكن العجب لاينقضي عندما ندرك أننا في كثير من الأحيان لانستفيد مما كتبه السابقون لنا الذين تصدوا للإصلاح في أوائل هذا القرن

يقول الأستاذ الشيخ محمود محمد شاكر في تقديمه لكتاب (في مهب المعركة) مصوراً هذه الظاهرة : « فإذا نحن نرى أنفسنا في ضوء ماكَتَبَ قديماً ، كأننا لم نتقدم خطوة في فهم البلاء الذي ينزل بنا ولايزال ينزل ، وأشد النكبات التي يصاب بها البشر نكبة الغفلة ... » (١) .

ولمالك مشكلة خاصة في انصراف بعض الشباب المسلم عن قراءة إنتاجه الفكري ، وهي إحدى الأسباب وليست السبب الوحيد على كل حال ، فقد كتب سيد قطب رحمه الله :

« لقد كنت أعلنت مرة عن كتاب لي تحت الطبع بعنوان : (نحو مجتمع إسلامي متحضر) ثم عدت في الإعلان التالي عنه فحذفت كلمة (متحضر) ، ولفت هذا التعديل نظر كاتب جزائري (يكتب بالفرنسية) ففسره على أنه ناشيء عن (عملية دفاع نفسيه داخلية عن الإسلام) وأسف لأن هذه العملية ــ غير الواعية ــ تحرمني مواجهة المشكلة على حقيقتها .
أنا أعذر هذا الكاتب ... لقد كنت مثله من قبل ... كانت المشكلة عندي ــ كما عنده اليوم ــ هي مشكلة (تعريف الحضارة) .. ثم انجلت الصورة : (المجتمع المسلم) هو (المجتمع المتحضر) » (٢) .

وفهم الشباب المسلم أن هذا الكاتب الجزائري واقع تحت ضغط آت من مصادر أجنبية ، فكان ذلك سبباً لابتعادهم عن قراءة فكر مالك ، ولكن القضية هي قضية مصطلحات ، فمالك يتكلم عن المجتمع الإسلامي الموجود وأنه يحتاج إلى رفعه إلى مستوى الحضارة حتى يستأنف دوره ــ وطبعاً لايعني هنا الحضارة الغربية وإنما الحضارة بتعريفه هو ــ وسيد يتكلم عن المجتمع الإسلامي المنشود وأنه إذا وجد ثَمَّ الحضارة ، والإسلام هو الوحيد الذي ينتج حضارة متكاملة ، ولاشك أن سيد رحمه الله أنقى وأوضح تصوراً وفكراً ، وهو ينظر إلى الحضارة الغربية من علٍ ، لأنه المسلم المتميز بعقيدته وتصوراته ، ولكن مالكاً هنا يبحث في التفاصيل والجزئيات ، وكيف يركبها لينتقل بالمسلم من حالة التخلف والركود

١ ــ مالك بن نبي : في مهب المعركة ، تقديم محمود محمد شاكر / ٣ .
٢ ــ سيد قطب : معالم في الطريق / ١١٧ .

إلى حالة (الإقلاع) للدخول في دورة الحضارة مرة ثانية ، وسيد يرى استيراد النظريات العلمية (مجردة) ومالك يقول : هذه الأشياء المستوردة هي نتاج حضارة وثقافة ، هذه الأشياء صنعها علم النفس وعلم الاجتماع أيضاً ، ولذلك سواء استوردناها أو صنعناها لابد أن تكون هناك ثقافة تحيط بها حتى تضعها في مكانها المناسب ، وحتى لا تتحول إلى (تكديس) وهذه الثقافة هي الثقافة الإسلامية ...

إن ظاهرة انصراف بعض الناس عن فكر معين بسبب كلمة تقال من عالم مشهور ليست جديدة ولا غريبة فعندما ترجم أحد العلماء للمؤرخ ابن خلدون تكلم فيه وانتقد عليه بعض التصرفات الشخصية عنده ، فكان ذلك من أسباب أعراض الناس عن (المقدمة) التي تعتبر أعظم ماأنتجه المسلمون في علم الاجتماع وفن النقد التاريخي ، ولمالك إيجابيات كثيرة سنتكلم عنها إن شاء الله ، وله أخطاء ، ولابد من عرض كليهما حتى يتبين وجه الصواب لمن أراده ، وهو واضح جلي والحمد لله .

نبـذة عن حياتـه :

ولد مالك بن نبي في مدينة قسنطينة في الجزائر عام ١٩٠٥ ونشأ في أسرة فقيرة لأن جده لأبيه هاجر إلى طرابلس الغرب احتجاجاً على الاستعمار الفرنسي وحمل معه كل أملاك العائلة ، هذا الميلاد جعله يتصل بالماضي عن طريق آخر من بقي حياً من شهوده (١) .

انتقل والده إلى (تبسة) فعاش فيها طفولته وكانت هذه المدينة الصغيرة بعيدة نوعاً ما عن (الحضور الفرنسي) وذلك لاحتكاكها بالقبائل المجاورة فحفظها الطابع البدوي عن الاختلاط مع الفرنسيين ، وفي (تبسة) كان يدرس في الصباح العربية والقرآن ثم يذهب في الساعة الثامنة إلى المدرسة الحكومية الفرنسية ، وفي المرحلة التكميلية كان يتابع دروس العربية والدين ، وكانت المدرسة الفرنسية تشجعه على المطالعة عن طريق إعارة الكتب .

١ ـــ مالك بن نبي : مذكرات شاهد للقرن / ١٥ .

تعرف على تلاميذ ابن باديس من الشباب ، وشعر أنه وإياهم على خط فكري واحد ، وكان يقرأ (الشهاب) و (المنتقد) قبلها ولكنه لم يتصل بالشيخ ابن باديس ولا تتلمذ عليه ، وفي (تبسة) حيث تعيش أسرته لم يتتلمذ أو يؤيد تأييداً قوياً الشيخ العربي التبسي ، وكأن هناك حاجزاً نفسياً بينه وبين المشايخ ، ويعترف بعد ربع قرن : « حينما تفحصت شعوري حول هذا الموضوع تبين لي أن السبب يكمن في مجموعة من الأحكام الاجتماعية المسبقة ، وفي تنشئة غير كافية في الروح الإسلامي » [1] ، ويتابع الحديث عن الأسباب الاجتماعية : « فأحكامي المسبقة ربما أورثتنيها طفولتي في عائلة فقيرة في قسنطينة ، زرعت لاشعورياً في نفسي نوعاً من الغيرة والحسد حيال العائلات الكبيرة التي كان الشيخ العربي ينتمي إلى واحدة منها » [2] « وكنت أعتقد أنني أقرب إلى الإسلام بالبقاء قريباً من البدوي أكثر من البلدي الرجل الذي يحيط به وسط متحضر ، وكان الشيخ العقبي يبدو في ناظري بدوياً ، بينما يبدو الشيخ ابن باديس بلدياً » [3] فقد تبين لنا أسباب جفائه لزعماء جمعية العلماء وهو شاب أما عندما نضج فكرياً فسيكون له موقف مبني على أسس عنده سنتكلم عنها إن شاء الله .

بعد الانتهاء من الثانوية عمل متطوعاً في محكمة (تبسة) وهناك تعرف ــ من خلال تجوال أعضاء المحكمة في الريف ــ على رجل الفطرة الذي يستضيف أعضاء المحكمة رغم أنهم حكموا عليه بالضرائب والغرامات ، ثم عمل موظفاً في محكمة (أفلو) التي تقع جنوبي وهران في غرب الجزائر ، وهناك أيضاً تعرف على الكرم العربي والفطرة الصادقة « فالناس في المدن لايستطيعون فهم هذه العقلية أوذاك النبل في عروق البدوي » [4] ، وتعرف على فضائل الشعب الجزائري قبل أن يفسده الاستعمار ، ثم انتقل للعمل في محكمة (شاتودان) ولم يطق معاملة موظفيها فاستقال وتوجه إلى فرنسا وذلك عام ١٩٣٠ م في محاولة للانتساب إلى معهد الدراسات الشرقية ، ولكن طلبه رفض

---

١ ــ مالك بن نبي : مذكرات شاهد للقرن / ١٣١ .
٢ ــ المصدر السابق / ١٣١ .
٣ ــ المصدر السابق / ١٣٢ .
٤ ــ المصدر السابق / ١٧٤ .

لأن الدخول لهذا المعهد ــ كما يقول هو ــ لا يخضع لمقياس علمي وإنما لمقياس سياسي .

انتسب إلى مدرسة اللاسلكي ودرس الكهرباء والميكانيك ، وهذه الدراسة أعطته بعداً آخر يقول عنها : « فتح لي عالم جديد يخضع فيه كل شيء إلى المقياس الدقيق للكم والكيف ، ويتسم فيه الفرد أول مايتسم بميزات الضبط والملاحظة » (١) ولكن دخوله مع العمل الطلابي المغربي وتعرفه على صديقه (حمودة بن الساعي) بدأ يغير من اتجاهه العلمي إلى التعمق في الدراسات الاجتماعية .

تخرج مهندساً كهربائياً عام ١٩٣٥ وبدأ رحلة شاقة في البحث عن عمل في البلاد العربية وغيرها ، وكانت الأبواب توصد في وجهه دائماً ، وسبب ذلك في رأيه هو أنه أراد تمزيق شبكة الاستعمار ولم يدر أن سمك القرش (الاستعمار) كان له بالمرصاد .

زار الجزائر في هذه الفترة ، ولاحظ وقوع الناس في حمى الانتخابات والدجل السياسي بعد المؤتمر الجزائري .

عاد إلى فرنسا في مطلع الحرب العالمية الثانية مودعاً الجزائر بهذه العبارة : « ياأرضاً عقوقاً .. تطعمين الأجنبي وتتركين أبناءك للجوع ، إنني لن أعود إليك إن لم تصبحي حرة !.. » وبقي في فرنسا حتى عام ١٩٥٦ أصدر فيها باللغة الفرنسية : الظاهرة القرآنية ، شروط النهضة ، وجهة العالم الإسلامي ، الفكرة الأفريقية الآسيوية .

زار مصر عام ١٩٥٦ وبقي فيها حتى عام ١٩٦٣ ، وكان له في مصر تلاميذ وأصدقاء ، وزار خلالها سورية ولبنان ألقى فيها المحاضرات حول موضوع مشكلات الحضارة ، وفي القاهرة أصدر : حديث في البناء الجديد ، مشكلة الثقافة ، في مهب المعركة ، تأملات في المجتمع العربي ..

---

١ ــ مالك بن نبي : مذكرات شاهد للقرن / ٢١٩ .

عاد إلى الجزائر عام ١٩٦٣ حيث عين مديراً عاماً للتعليم العالي وأصدر في الجزائر : آفاق جزائرية ، يوميات شاهد للقرن ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، المسلم في عالم الاقتصاد .

استقال من منصبه عام ١٩٦٧ وتفرغ للعمل الفكري .

توفي في ٣١ / ١٠ / ١٩٧٣ في الجزائر ، رحمه الله وغفر له .

شخصيته :

يجتمع في مالك بن نبي خطّان رافقاه طوال حياته ، فهو شخصية عاطفية ، خيالية أحياناً ، يفكر بأحلام الفلاسفة ويهيم بالتجريد . يقول عن نفسه : « أنا شديد التأثر بالحدث ، وأتلقى صدمته بكل مجامعي وبانفعالية تستطيع أن تنتزع مني دموع الحزن حين يثير الحدث الحبور من حيث المبدأ » (١) وقد بكى عندما اندحر الجيش الفرنسي أمام ألمانيا عام ١٩٤٠ مع أنه يكره الاستعمار الفرنسي ، ويعلق هو على هذا التصرف : « رأيت في ذاتي عنصراً آخر كشف كل التعقيد في ضمير مسلم » (٢) ولم يوضح ماهو هذا العنصر الآخر ولكن يبدو لي أنه عدم التوازن بين القيم الأخلاقية وأيها يصلح لتطبيقه على الحدث ، وعندما سمع حديث والدته وذكرياتها عن الحج لم يستطع حبس دموعه فكان يتظاهر بالعطش ليخرج إلى الشرفة فيطلق العنان للدمع (٣) .

هذه العاطفة أنتجت له شخصية حالمة أحياناً ، فعندما يسمع ويقرأ عن شاعر مثل (طاغور) تتفتح أمامه الأحلام عن الشرق وأن الإنقاذ ربما يأتي من روحانية الهند كما يسميها ، وعندما يسمع بأنباء الخلاف بين الملك عبد العزيز آل سعود وإمام اليمن يكتب رسالة إلى سفارة اليابان يدعو حكومتها للتدخل باسم التضامن الآسيوي لمساعدة ابن سعود حتى لا تتمزق الجزيرة العربية ، وطبعاً لم يستجب (الميكادو) لطلبه !!

---

١ ــ مذكرات شاهد للقرن / ١٣٧ .

٢ ــ المصدر السابق / ١٣٧ ، صدق مالك في تحليله هذا ؛ فقد سمعت من أحد الأخوة العاملين في حقل الدعوة الإسلامية أنه بكى عندما سمع بنبأ هلاك عبد الناصر مع أنه يكرهه كرهاً شديداً .

٣ ــ المصدر السابق / ٢٩١ .

وفي الجانب الآخر نجد شخصية مالك الناقد المحلل الذي يمتلك القدرة الفائقة على النفاذ لأعماق المشكلة وبيان أسبابها ، من خلال النظرة العلمية الصارمة ، ومن خلال اطلاع واسع على الثقافة الغربية وكيف تنشأ الحضارات مع معرفة بواقع المجتمعات الإسلامية من خلال معرفته الشخصية بالمجتمع الجزائري ، وهو في مقارناته وتحليلاته يشبه سلفه المغربي المؤرخ ابن خلدون ، حيث تلتقط الذاكرة كل جزئية وكل حادثة ثم يبدأ التحليل والمقارنة ثم يخرج بالنتائج التي يرتضيها ، يقول عن سكان (أفلو) عندما عمل عندهم كمساعد في المحكمة :

« فملكية الإنسان لأرض ما تخلق في نفسه غرائز اجتماعية قد سلم منها الراعي ، ففي دعوى أمام القضاء في (تبسّه) يستطيع كل فريق أن يقدم عشرة شهود زور بالمجان ، وشهود كل واحد من الطرفين سيحلفان أنهما يقولان الحقيقة ، أما في (أفلو) فقد لاحظت الرجل يرفض غالباً أن يحلف ولو كان ذلك لدعم حقه الواضح » (١) .

وعندما أراد القيام بعمل علمي مشترك مع صديقه (ابن الساعي) فشلت المحاولة فعلق قائلاً : « ولم أكن أعلم أن العمل الجماعي بما يفرض من تبعات إنما هو من المقومات التي فقدها المجتمع الإسلامي ثم لم يسترجعها بعد خصوصاً بين مثقفيه » (٢) .

هذان الخطان استمرا في حياة ابن نبي ، فالعاطفة التي تجمح إلى الخيال أحياناً جعلته يعقد في الخمسينات آمالاً كباراً على مؤتمر باندونغ وظن أنه سيحل مشكلة العالم الثالث ، ومن رفات (غاندي) سينطلق يوماً انتصار اللاعنف ونشيد السلم العالمي (٣) . كما استمر النقد التحليلي لواقع المجتمع الإسلامي ومواطن الضعف فيه فتكلم عن الذين يظنون أن الإصلاح يبدأ من (علم الكلام) كالشيخ محمد عبده ، يقول : « إن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود

---

١ ــ مذكرات شاهد للقرن / ١٧٦ .
٢ ــ المصدر السابق / ٢٣٥ .
٣ ــ في مهب المعركة / ٨٧ .

الله بقدر ماهي في أن نشعره بوجوده ونملأ به نفسه » (١) .

ويكتشف مالك جرثومة المرض فالذين تركوا الطواف حول القبور وأخذ البركات من الدرويش لم يستطيعوا الاستمرار فتحولوا إلى الطواف حول وثن جديد وهو وثن الأحزاب السياسية والانتخابات (٢) ، ولأن العمائم أسلمت القيادة إلى (المطربشين) لأن العلماء لم يكونوا على جانب من الخبرة بوسائل الاستعمار في مجال الصراع الفكري حتى يفطنوا إلى هذا الانحراف (الغوغائية السياسية) .

العوامل المؤثرة في ثقافته :

١ ــ ولد مالك بن نبي في عصر سمع فيه من جدته لأمه قصص الاحتلال الفرنسي للجزائر ، وعاش مأساة بلد يخطط الاستعمار لشلّ فاعليته ، ومن ثم لتحويله إلى فريسة سهلة الالتهام ، عاشها مالك يوماً بيوم في المدرسة الفرنسية حيث لايسمح (لابن البلد) إكمال الدراسة الثانوية التي تؤهله للدراسات الجامعية ، وعاشها في تحول المجتمع عن فطرته وكيف ساد الصعاليك بمعونة الإدارة الفرنسية ، وكيف أصبحت العائلات العريقة فقيرة ، ذليلة بسبب الاستيلاء على أراضيها ، وكان اليهود هم الواسطة لانتقال الملكية من أبناء البلاد إلى أبناء المستعمر ، فاليهودي دائماً كان يقرض بفائدة ٦٠٪ ، وعندما درس في فرنسا وعاش مع الجالية الجزائرية رأى الاستعمار من زواياه المختلفة ، وشعر بخبث الأساليب التي يقوم بها لتمزيق العالم الإسلامي .

٢ ــ القراءات الغزيرة المتنوعة ، فقد بدأ بالقراءة منذ أن كان صغيراً في الابتدائية ، وقرأ كتب علم النفس والاجتماع وهو لايزال في المرحلة الثانوية ، وكان يقرأ كل الصحف التي تصل إلى قسنطينة أو تبسة ، ولاشك أن هذا الاطلاع الواسع على الثقافة الغربية هو في جانب منه على حساب الثقافة الإسلامية وكان له أثر عليه أيضاً ، فكثرة قراءاته لأعمال الفلاسفة جعلته يعتبر عصر الفارابي عند

١ ــ وجهة العالم الإسلامي / ٥٥ .
٢ ــ شروط النهضة / ٣٤ .

المسلمين هو عصر خلق الأفكار مع أن الفارابي وأمثاله لم يقدموا شيئاً يذكر للحضارة الإسلامية ، وكانت نغمة (الإنسانية) و (العالمية) سائدة عند الفلاسفة الغربيين ، ونجد مالك يكررها فيتكلم عن حضارة اليوم التي تسير نحو الشمول والعالمية [1] ويستعمل أحياناً عباراتهم التي هي نتيجة انفصام عندهم بين الدين والعلم مثل قوله : « إن الطبيعة توجد النوع ... » [2] أو وهبته الطبيعة .

٣ ـــ ثقافته الإسلامية : يعترف مالك بأن الذي كان يرده عن الغلو في هذا الاتجاه (القراءات الكثيرة للفكر الغربي) هو ماكان يتلقاه من دروس في التوحيد والفقه ، وقراءاته للكتب التي تأتي من المشرق العربي مثل : الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق لأحمد رضا ، ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ، وطبائع الإستبداد للكواكبي ، والمجلات الإسلامية الجزائرية مثل الشهاب التي يصدرها الشيخ ابن باديس ، ولاشك أن ثقافته الشرعية ضعيفة ولكن عنده اطلاع على التاريخ الإسلامي وقدرة على فهم الآيات والأحاديث التي تتعلق بسنة التغيير الاجتماعي وبسبب عمق تفكيره وتحرقه على العالم الإسلامي كان يرى أن بذرة عودة الوعي للأمة الإسلامية هي في حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي يعتبرها امتداداً لما قام به ابن تيمية في التجديد ، ولنفس السبب أيد جمعية العلماء في الجزائر وكان يعقد الأمل عليهم في الاصلاح وإن اختلف معهم بعدئذ ، ولبعده عن المشرق ولضعف ثقافته الشرعية كان يمجد جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده ويرى أن الأول هو مصلح الشرق ، فثقافته الإسلامية خليط من آراء مدرسة الأفغاني ومحمد عبده ومن فهمه لآيات القرآن وسنن التغيير ، وأنه لابد من الرجوع إلى طريقة القرآن والسنة في رفع الناس إلى مستوى الروح كما يعبر هو ، والحقيقة أنه يجمع أشياء متناقضة وإن بدت منسجمة بالنسبة له .

٤ ـــ ومن المؤثرات الواضحة في شخصيته ماعاناه من الفقر الشديد في طفولته ، وحياة النَّصَب والتعب التي عاشها في شبابه بحثاً عن العمل سواء في الجزائر أو فرنسا ، فقد عمل بعد تخرجه من الثانوية في مصنع للإسمنت في

---

١ ـــ في مهب المعركة / ٣٣ .
٢ ـــ ميلاد مجتمع / ١٦ .

مدينة (ليون) بفرنسا ، فكان يحمل الأكياس على ظهره ، ومرة باع بعض ملابسه حتى يوفر وجبة غداء ، وبعد تخرجه من الهندسة طرق أبواب العمل في الدول العربية والإسلامية ولكن دون جدوى .

هذه الأوضاع النفسية جعلته يكره وهو صغير الدور المترفة التي كانت تفضح أمام ناظريه بؤس أقاربه ، وأحكامه المسبقة كانت بسبب العيش في عائلة فقيرة زرعت لاشعورياً في نفسه من الغيرة والحسد حيال العائلات الكبيرة (١) ، وكان يعجبه مطالعة صحيفة (الإقدام) التي يصدرها الأمير خالد الجزائري والتي كانت تركز على موضوع الفلاح الجزائري وبؤسه .

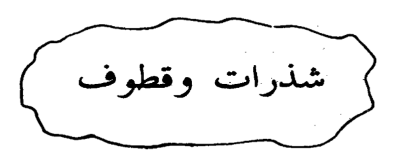
هذا مايفسر لنا ميله للدول التي بدأت بتطبيق الاشتراكية كالجمهورية العربية المتحدة (٢) والجزائر بعد استقلالها (٣) ، وبتأثير من هذه الدول كان يظن أن الاتحاد السوفييتي ليس عنده مناخ استعماري وهو صديق للشعوب □

— يتبع —



---

١ — مذكرات شاهد للقرن / ١٣١ .
٢ — ميلاد مجتمع / ٤٨ .
٣ — بين الرشاد والتيه / ٢٤ .



اختيار : مازن محمد راغب

مكانة القرآن

إن للقرآن أعلى حظوة لدى المسلمين ، وهو عندهم ليس مجرد كتاب صلوات ، أو أداة نبوية ، أو غذاء للروح ، أو تسابيح روحانية فحسب ؛ بل إنه أيضاً القانون السياسي وكنز العلوم ومرآة الأجيال ، إنه سلوى الحاضر وأمل المستقبل .

د . محمد عبد الله دراز ــ دراسات إسلامية

□□□□□□□□□□□□□

أمطر المعروف مطراً

قال ابن عباس رضي الله عنهما :
لايزهدنّك في المعروف كفرُ من كفره ، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه إليه . وأنشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر :

إن الصنيعة لاتكون صنيعة حتى تصيب بها طريق المصنع

فقال : هذا رجل يريد أن يبخِّل الناس (يدعوهم إلى البخل) أمطر

المعروف مطراً ، فإن أصابت موضعاً فهو الذي قصدت ، وإلا كنت أحق به .

وقال الحسن والحسين رضي الله عنهما لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرفت في بذل المال . قال : بأبي أنتما وأمي ، إن الله عودني أن يفضِلَ عليّ ، وعودته أن أُفضِلَ على عباده ، فأخاف أن أقطع عنه العادة فيقطع عني المادة □

□□□□□□□□□□□□□

طريقتان

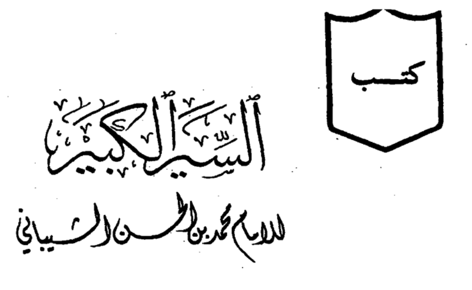
هناك طريقتان للحياة :

طريقة سلبية مبدؤها رؤية مساوىء الرجال والأعمال ، ليس لإصلاحها ؛ بل لاستغلالها بشكل هدام ، والعودة إليها بمناسبة وبدون مناسبة .

وطريقة إيجابية تنظر إلى الأمور بعين الرضا ، وتبحث عن محاسن الرجال لتنميتها وتحسينها ، وتعطف على ضعفهم وأخطائهم ، وتعمل على إصلاحها بكل دماثة □

لمحات في فن القيادة / ج . كورتوا





عثمان جمعة ضميرية

ـ ١ ـ

ألمعنا في العدد « الثاني عشر » إلماعات سريعة ، ترجمنا فيها للإمام محمد ابن الحسن الشيباني ، ليكون ذلك مدخلاً للتعريف بكتابٍ من أهم كتبه ، بل من أهم الكتب في فقه العلاقات الدولية في الإسلام ، وهو كتاب « السِّيَر الكبير » .

ـ ٢ ـ

كان الاسم الذي أطلقه المسلمون في بداية حركة التدوين في الفقه الإسلامي على دراستهم التي تناولت موقف الإسلام من السلم والحرب والحياد ، وكل مايتعلق بأحكام الجهاد ومعاملة غير المسلمين ... ، هو « السِّيَر » .

« والسير » جمع « سيرة » وتعني : السَّيْر والسلوك ، ومما يؤيد ذلك نصوص وردت عن رسول الله ﷺ ، مثل قوله ـ بعد أن دفع اللواء لأحد القواد ـ : « فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغلُّوا ولا تغدروا ، ولا تمثِّلوا ، ولاتقتلوا وليداً ولا امرأة ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم » (رواه مسلم وغيره) .

وذكر محمد بن حبيب في كتابه « المحبَّر » ، وهو يتحدث عن أسواق

العرب المشهورة في الجاهلية : أنهم « كانوا يصنعون فيها (الصنيعة : الضيافة) ، ويسيرون فيها بسيرة الملوك بدُوْمَة الجَنْدَل » [ص ٢٦٥] .

وذكر ابن سعد في « الطبقات الكبرى » كتاب النبي ﷺ إلى عبد القيس ، وفيه : « ... ولهم على جند المسلمين الشركة في الفيء ، والعدل في الحكم ، والقصد في السيرة ، حكم لا تبديل له في الفريقين » [الطبقات ١ / ٢٨٣] .

وفي هذه النصوص القليلة نجد أن سيرة الحاكم ليست فقط وقت الحرب ، بل وقت السلم أيضاً ، يشار إليها باصطلاح « سير » وذلك منذ عهد النبي ﷺ ، ولعل اتخاذ هذا المصطلح للدلالة على نظرية الحرب والسلم ، أو مايسمى اليوم بـ « القانون الدولي » كان منذ عهد أبي حنيفة الذي عرف أنه أول من استعمل مصطلح « سيرة » لتمييز مجموعة دروسه التي كان يلقيها عن الإسلام في الحرب والسلم ، ووصلت هذه الدروس منقّحة على يد تلاميذه في كتابي « السير الصغير » ، و « السير الكبير » لمحمد بن الحسن الشيباني ، و « الرد على سير الأوزاعي » لأبي يوسف ، كما أن الإمام الشافعي — رحمه الله — يشير إلى « سير الواقدي » في كتابه « الأم » .

ومن ثم ، فإنه يبدو أن كلمة « السير » قد صارت مصطلحاً فنياً يشيع استعماله بين الفقهاء في مختلف العصور ، وقد نصَّ السرخسي على هذا الفهم ، فقال في « المبسوط » وهو يشرح كتاب « السير الصغير » للإمام محمد : « اعلم أن السير جمع سيرة ، وبه سُمي هذا الكتاب ، لأنه بيَّن فيه سيرة المسلمين في المعاملة مع المشركين من أهل الحرب ، ومع أهل العهد منهم من المستأمنين ، وأهل الذمة ، ومع المرتدين الذين هم أخبث الكفار بالإنكار بعد الإقرار ، ومع أهل البغي الذين حالهم دون حال المشركين ، وإن كانوا جاهلين ، وفي التأويل مبطلين » . [المبسوط : ١٠ / ٢] .

— ٣ —

وكان الإمام محمد بن الحسن أول من أفرد للعلاقات الدولية في الإسلام مؤلفات خاصة يتناول فيها أحكام الجهاد والحرب ، وأحكام الصلح والمعاهدات ،

وأحكام الأمان ، وإرسال السفراء والمبعوثين ، وآثار قيام الحرب ، وسياسة المسلمين في تنظيم الحرب ، ومايجوز وما لايجوز في ذلك كله ... الخ .

وله في هذا كتابان : أحدهما « السير الصغير » الذي كتبه أولاً ، وقد رواه عن أبي يوسف وقرأه عليه توثقاً من النص وصحة نسبة الرأي ، والثاني « السير الكبير » وهو أوسع من الأول ، كما أنه من آخر كتب الإمام محمد تأليفاً ، وفيه إفاضة وشرح أكثر وأوسع كما يظهر من عنوان الكتابين ومن مادتهما من خلال الشروح التي وصلتنا . وفي هذه الكلمة التعريفية بالكتاب ، نخص فيها كتاب « السير الكبير » ومعه الشرح الممتع القيم الذي وضعه عليه شمس الأئمة السرخسي المتوفي في القرن الخامس الهجري مابين (٤٨٣ ــ ٤٩٠) هـ .

ــ ٤ ــ

وعن سبب تأليف هذا الكتاب يقول السرخسي : « إن السير الصغير وقع في يد عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ــ عالم أهل الشام ــ فقال : لمن هذا الكتاب ؟ فقيل : لمحمد العراقي . فقال : ومالأهل العراق والتصنيف في هذا الباب ؟ فإنه لاعلم لهم بالسير . ومغازي رسول الله ﷺ وأصحابه كانت من جانب الشام والحجاز دون العراق ، فإنها مُحْدَثَةٌ فتحاً . فبلغ ذلك محمداً ، فغاظه ذلك ، وفرَّغ نفسه حتى صنف هذا الكتاب .

فحكي أنه لما نظر فيه الأوزاعي قال : لولا ماضمَّنه من الأحاديث لقلت إنه يضع العلم من عند نفسه ، وإن الله عيَّن جهة إصابة الجواب في رأيه . صدق الله العظيم : ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ [شرح السير الكبير : ١ / ٣] .

ويناقش الشيخ محمد أبو زهرة وغيره من الباحثين هذا السبب لتأليف الكتاب ويردّه ؛ إذ لا مجال لتصديقه ، لأن الإمام الأوزاعي توفي سنة (١٥٧ هـ) والإمام محمد ولد سنة (١٣٢) ، فيكون الأوزاعي قد توفي ومحمد عمره خمس وعشرون سنة ، ومكث محمد نحو اثنتين وثلاثين سنة لا يؤلِّف ، إذ أنه توفي سنة (١٨٩) أي : بعد الأوزاعي باثنتين وثلاثين سنة ، وهذا غير معقول ولا مقبول ، ولا يتفق مع تاريخ الكتاب ولا مع حياة محمد رضي الله عنه .

وعلى ذلك فإن كلام السرخسي عن سبب تأليف الكتاب غير مقبول ، وقد يُوَجَّه توجيهاً صحيحاً بأن المقصود « السير الصغير » ، أو أن نقول إن المراد بكلام الأوزاعي هو « الرد على سير الأوزاعي لأبي يوسف » ، وليس السير الكبير .

وقد نكون في غنى عن هذا كله ، إذا علمنا شغف محمد رحمه الله بالعلم والتأليف ، وأن ذلك كان تلبية لحاجة العصر الذي عاش فيه ، فكان من الواجب الملح بيان أحكام الإسلام في التعامل مع الآخرين ، والمسلمون يقومون بواجب الجهاد ، فكتب « السير الصغير » أولاً ، ثم أوسع هذا الموضوع بحثاً في « السير الكبير » .

— ٥ —

ولبيان قيمة هذا الكتاب وأهميته نذكر أن محمداً — رحمه الله — لما فرغ من الكتاب أمر أن يكتب هذا الكتاب في ستين دفتراً ، وأن يحمل على عجلة إلى باب الخليفة .

فقيل للخليفة : قد صنف محمد كتاباً يحمل على العجلة إلى الباب . فأعجبه ذلك وعدَّه من مفاخر أيامه . فلما نظر فيه ازداد إعجابه به . ثم بعث أولاده إلى مجلس محمد — رحمه الله — ليسمعوا منه هذا الكتاب .

ومن الطريف في نقل الكتاب وروايته : أن إسماعيل بن توبة القزويني ، مؤدب أولاد الخليفة ، كان يحضر معهم ليحفظهم كالرقيب ، فسمع الكتاب ، ثم اتفق أن لم يبق من الرواة إلا إسماعيل بن توبة وأبو سليمان الجوزجاني ، فهما رويا عنه هذا الكتاب . [شرح السير الكبير : ١ / ٣ — ٤] .

* وقد أثنى على هذا الكتاب كلُّ الباحثين المهتمين بالعلاقات الدولية في الإسلام ، ووجدوا فيه علماً غزيراً ، وأسلوباً ممتعاً ، وفقهاً أصيلاً ، فقال الدكتور نجيب أرمنازي في كتاب « الشرع الدولي في الإسلام » (ص ٤٥) : « هو كتاب غزير المادة ، جم الفوائد ، قد استوعب أصول هذا العلم ، واستقصى

غرائب مسائله ، ولم يقتصر فيه على ماذهب إليه أعلام المذهب الحنفي ، بل أورد كثيراً من مذاهب الآخرين وناقش أصحابها في حججهم .

وطريق محمد في الترجيح في هذا الكتاب هو أنه نظر فيما اختلف فيه أهل العراق وأهل الشام وأهل الحجاز ، فرجَّح مااتفق عليه فريقان ، فأخذ به دون ماتفرد به فريق واحد ، وهذا خلاف ماهو ظاهر المذهب في الترجيح عند الحنفية » .

* وتحدث الدكتور محمد الدسوقي في أطروحته : « الإمام محمد بن الحسن الشيباني وأثره في الفقه الإسلامي » فقال :

« وأما كتاب السير الكبير ؛ فهو عمل فريد في بابه ، لم يؤلف فقيه غير الإمام محمد مثله في موضوعه ، سواء الذين تقدموا عليه أو تأخروا عنه . وليس معنى هذا أن الإمام محمداً اخترع كتابه اختراعاً ، فالمعروف أن بعض الفقهاء الذين تتلمذ لهم محمد تحدثوا عن السير ، كالإمام أبي حنيفة والأوزاعي وأبي يوسف ، ولكن كل ماجاء عن هؤلاء الأئمة في هذا الموضوع كان يدور في نطاق محدود من القضايا ، وكان أشبه بالمحاولات الأُولى بالنسبة للبحث الشامل المفصل الذي كتبه الإمام محمد ، فاستحق أن يكون ــ عن جدارة ــ رائد التفكير في القانون الدولي في العالم كله .

لقد استقى الإمام محمد مادة كتابه من الآثار والأخبار من علماء عصره فقهاء ومحدثين ، وكانت هذه المادة الأساس الذي أقام عليه محمد عمله المبتكر الرائع الذي يشهد له بغزارة العلم وعمق التفكير ، وشمول النظرة ، ودقة التفصيل والتبويب والتفريع » .

* وهذا كله يعلي من شأن هذا الكتاب وقيمته ، فهو بحق أول كتاب في القانون الدولي العام والخاص في العالم كله ، وهذا يضع تاج فَخارٍ على هامة الإمام محمد ، ويجعله رائد القانون الدولي ، قبل أن يتفطن علماء القانون الوضعي إلى أهمية هذا الفرع من القانون والكتابة فيه ، مما جعلهم يلتقون على إنشاء جمعية دولية باسم « جمعية الشيباني للقانون الدولي » في « غوتنجن » بألمانيا ،

وقد انتخب لرئاستها آنذاك (١٩٥٥ م) الفقيه المصري الدكتور عبد الحميد بدوي ، وتهدف هذه الجمعية إلى التعريف بالشيباني وإظهار آرائه ونشر مؤلفاته المتعلقة بأحكام القانون الدولي الإسلامي .

ثم أعاد تنظيم هذه الجمعية المستشرق العراقي الصليبي مجيد خدوري ، الذي أخرج كتاب « السير الكبير » في طبعة جديدة ، وهو مأخوذ من كتاب « الأصل » للإمام محمد ، وهو يختلف عن كتاب « السير الكبير » الذي وضعه مستقلاً بهذا الإسم وشرحه السرخسي ، وهذا يُسْلِمُنا إلى بيان شروح وطبعات الكتاب واللغات التي نُقل إليها .

— ٦ —

ذكر بعض من كتب عن الإمام محمد بن الحسن أن « السير الكبير » توجد منه نسخ خطية في مكتبات استانبول في تركيا . ولكن المعروف أنه لايوجد مستقلاً ، وإنما توجد نسخ له ممزوجة مع شروحه ، ومن ذلك :

• شرح الإمام محمد بن أحمد السرخسي (المتوفي سنة ٤٩٥ هـ) ، وهذا الشرح له نسخ كثيرة في برلين وفيينا وليدن وباريس وفي مكتبات تركيا : عاشر أفندي ، وعاطف أفندي ، ونور عثمانية ... وقد ذكر أماكن وجوده فيها المستشرق بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي (٣ / ٢٥٥) من الترجمة العربية .

وقد طبع هذا الشرح في حيدر آباد في الهند عام (١٣٣٦ هـ) ويقع في أربع مجلدات . كما نشرته جامعة الدول العربية (معهد المخطوطات) بالقاهرة مابين عامي (١٩٧١ — ١٩٧٢ م) بتحقيق صلاح الدين المنجد للأجزاء الثلاثة الأولى ، ثم أكمل بتحقيق الجزأين الرابع والخامس ، فاكتمل في خمسة أجزاء ضخمة ، ثم صورت عنها طبعة جديدة .

وقامت جامعة القاهرة بإخراج طبعة أخرى محققة له ، عام (١٩٥٨ م) ، فصدر عن مطبعتها الجزء الأول فقط وقد كتب التمهيد والتعليقات الشيخ (محمد أبو زهرة) وحقق النصوص ووضع فهارسه (مصطفى زيد) ، ولم يكتمل هذا

المشروع للجامعة .

• وللسير الكبير شرح آخر بعنوان « التيسير على السير الكبير » بقلم محمد المنيب العينتابي ، ومنه نسخة خطية بمكتبة عارف حكمة بالمدينة النبوية .

• وقد ترجم شرح السرخسي وأصله إلى لغات أخرى ، فقام الشيخ محمد المنيب العينتابي بترجمته إلى اللغة التركية ، في عهد السلطان محمود خان العثماني ، ليكون مصدراً من مصادر معرفة أحكام الجهاد في الإسلام ، وليسهل على قواد الجيش والمجاهدين في الدولة معرفة هذه الأحكام في الدولة العثمانية . وصدرت هذه الترجمة عام (١٢٤١ هـ) في استانبول ، وتقع في مجلدين اثنين .

• وترجمته منظمة اليونسكو إلى اللغة الفرنسية ، ونقل إليها جزءاً منه المستشرق « دي كررواي » ونشره في جريدة آسية ، في الأعوام (١٨٥١ ، ١٨٥٢ ، ١٨٥٣ م) .

— ٧ —

وقد لايساعدنا المقام على أن نعرض بالتفصيل لكل أبواب الكتاب بأجزائه الخمسة ، ولا تقديم دراسة وافية عنها ، فحسبنا أن نشير إلى عدد أبواب كل جزء وأهم محتوياته ، لعل ذلك يكون عاملاً يدفع إلى الاهتمام بهذا الكتاب النفيس ، الذي لايغني في التعريف به كتابة مقال في مجلة ، مهما يكن الجهد والاستيعاب .

● يضم الجزء الأول من الكتاب خمسين باباً تنتظم (٥٦٢) مسألة ، تقع بعد المقدمة في (٣٧٠) صفحة ، يليها فهارس للأحاديث والأعلام والأماكن والاستدراكات والتصويبات .

ومن الأبواب التي يشتمل عليها هذا الجزء : فضيلة الرباط في سبيل الله ، الإمارة ووصايا الأمراء ، مبعث السرايا ، الرايات والألوية ، القتال في الأشهر الحرم ، السلاح والفروسية ، الحرب وكيف يعبّأ لها ، من أسلم في دار الحرب ، أموال المعاهدين ، الجهاد مع الأمراء ، الخُمس والصدقة ، مايجب من طاعة ولي

الأمر وما لايجب ، قتال النساء مع الرجال وشهودهن الحرب ، سجدة الشكر وصلاة الخوف ، الأمان وفيه بحوث كثيرة .

● ويقع الجزء الثاني في (٨١٨) صفحة يليها فهارس متنوعة كالتي سبقت الإشارة إليها ، وهو يضم الأبواب من (٥١ ـــ ٩٠) وتشتمل على المسائل من (٥٦٣ ـــ ١٤٦٦) ، وفيه تتمة أبواب الأمان المتنوعة الشاملة لشروط الأمان وأركانه ومن يعقده ، والحديث عن الرسل (السفراء) والمستأمنين والحكم في أهل الحرب ، ثم أبواب الأنفال ، مما كان خالصاً للرسول ﷺ ، والنفل في دار الحرب ، وما يبطل فيه النفل وما لايبطل ، والسلَب والنفل لأهل الذمة والعبيد ، والاستثناء فيه ، وغير ذلك مما يتصل بهذه المباحث الهامة في سياسة المسلمين الحربية .

● وأما الجزء الثالث فيقع في (٣١٥) صفحة ويتضمن الأبواب (٩١ ـــ ١١٣) ، وفيه تتمة أبواب الأنفال والسهمان للخيل وغيرها في دار الإسلام ودار الحرب ، ودخول المسلمين دار الحرب ، والغنيمة ، وكيفية قسمة الغنيمة وبيان من يستحقها ، وقسمة الخمس والغنائم .. الخ .

● ويبحث الجزء الرابع في الأبواب (١١٤ ـــ ١٥٩) بمسائل كثيرة متنوعة ، داخل الأبواب عن : الأسارى والحكم فيهم ، والتجار الذين يدخلون دار الحرب ، وماجاء في الخيانة في الغنيمة ، والسبايا والنفقة عليهم والعدة ، وهدية أهل الحرب ، ومايكون إحرازاً للغنيمة وما لايكون ، ثم مايصيبه الأسراء والذين أسلموا من دار الحرب ، والمستأمنين يأخذون أموال أهل الحرب ، ومايحرزه المشركون ويظهرون عليه من أموال المسلمين ، والفداء ، والاستعانة بأهل الشرك ، ومايكره إدخاله دار الحرب وما لايكره ، وما يكره قتله من أهل الحرب وما لايكره وكيفية سياسة الحرب بما فيها من قواعد إسلامية رائعة ... الخ .

● وينتهي هذا السفر النفيس بالجزء الخامس الذي يقع في حوالي (٦٥٠) صفحة تضم الأبواب (١٦٠ ـــ ٢١٨) وفيها المسائل من (٣٣٦١ ـــ ٤٥٧٢) ، وهو يتضمن أبواباً هامة مثل : أبواب الموادعة ، نكاح

أهل الحرب ، إثبات النسب من أهل الحرب ومن السبايا ، الحدود في دار الحرب ، مايجب من النصرة للمستأمنين وأهل الذمة ، معاملة المسلم المستأمن مع أهل الحرب في دار الحرب ، مواريث القتلى ... باب الأسير والمفقود ، باب المرتد في دار الحرب ومايتعلق بالمرتدين من أحكام مختلفة ، العين (الجاسوس) ، مايختلف أهل الحرب وأهل الذمة في الشهادتين والوصايا ، من أسلم على شيء فهو له ، الحبيس في سبيل الله ، الوصية بالمال في سبيل الله ، باب العشور في أهل الحرب ، باب الجزية ، الخمس من المعدن والركاز يصاب في دار الحرب ، مايصدق فيه المسلم على إسلام الكافر ، الدعاء إلى الإسلام ، باب الاستبراء ، خروج العبد بأمان من دار الحرب ، العبد يعتق بالإسلام أو لا يعتق ؟

— ٨ —

وإذا أردنا أن نوجز مافي الكتاب باختصار شديد ، نقول : إنه يضع أسس العلاقات الدولية في حال السلم والحرب ، فيبين معنى السير والجهاد ، وأهمية الجهاد وغايته ، ويحدد علاقة أهل الذمة بالمسلمين ، ومايخصهم من أحكام ، وينظم حالة السلم ، ويضع أسس التنظيم والعلاقات في حال الحرب مبيناً مشروعية الجهاد ، وإقليم الدولة ومدى سريان النصوص القانونية فيها من حيث الزمان والمكان ، وسياسة الحرب في الإسلام وتحديد المقاتلين ، وبدء الدعوة للحربيين قبل الحرب ، وما يتبع ذلك من آثار في الأموال والأشخاص ، كما يحدد العلاقة مع المحايدين ، وينظم حال الحياد ، ويفصل أحكام المعاهدات والصلح والمستأمنين ... وغير ذلك مايبحثه اليوم علماء القانون الدولي .

ويضيق بنا المقام لو أردنا أن نذكر نماذج مما كتبه الإمام محمد بن الحسن في هذا الموضوع ، وماعلّق عليه وشرحه شمس الأئمة السرخسي ، كما أن ذلك لا يغنينا عن الرجوع إلى هذا الكتاب القيم الممتع لدراسته دراسة متأنية جادة ، للإطلاع على إثر نفيس من أقدم ماكتب في الفقه الإسلامي بعامة وفي فقه المعاملات أو العلاقات الدولية بخاصة ، لبيان مدى مابذل أسلافنا رحمهم الله من جهد بالغ في بيان أحكام هذه الشريعة التي جعلها الله تعلى منهجاً لحياتنا ،

وسبباً لعزتنا ومكانتنا .

— ٩ —

ومع أن بعض المهتمين بنشر الثقافة الإسلامية وكتب السلف بذلوا جهوداً طيبة في نشر كثير من الكنوز الفقهية ، إلا أن المجال لا يزال متسعاً لبذل جهود أكثر ، وخاصة في مجال إخراج تراث الإمام محمد بعامة ، وكتابه « السير الكبير » بخاصة ، وما أجدر هذا الكتاب أن ينشر نشرة ثانية تضيف إلى مافيه من تحقيق ومقابلة للنصوص تخريجاً للأحاديث والآثار الكثيرة التي استشهد بها المصنف والشارح ــ رحمهما الله ــ وعمل فهارس موضوعية تساعد على الإفادة من الكتاب .

— ١٠ —

وفي ختام هذه الكلمة التعريفية بالكاتب وبالكتاب ، أشير إلى بعض المراجع التي ترجمت للإمام محمد ودرست كتابه ، وقد أفدت منها في هذه المقالة السريعة ؛ وهذه أهمها :

ــ الآثار ، لمحمد بن الحسن الشيباني ، ومعه الإيثار برجال الآثار للحافظ ابن حجر العسقلاني (طبع كراتشي) .
ــ أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري (مصورة عن طبعة الهند) .
ــ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ، لابن عبد البر (بيروت) .
ــ بلوغ الأماني في سير الإمام محمد بن الحسن الشيباني (طبع مصر) .
ــ تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان . (دار المعارف) .
ــ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي . (بيروت) .
ــ الجامع الصغير للإمام محمد مع النافع الكبير ، للكنوي (طبع الباكستان) .
ــ الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية ، للقرشي (طبع الحلبي بمصر) .
ــ شرح السير الكبير للسرخسي (طبعة جامعة القاهرة ، وطبعة معهد المخطوطات) .
ــ الشرع الدولي في الإسلام ، للدكتور نجيب أرمنازي . (طبعة دمشق) .

ـ طبقات ابن سعد (دار صادر) .
ـ المبسوط للسرخسي (مصورة عن الطبعة الأولى المصرية) .
ـ المحبَّر ، لابن حبيب (بيروت ، مصورة عن طبعة الهند) .
ـ محمد بن الحسن الشيباني وأثره في الفقه الإسلامي للدكتور محمد الدسوقي (طبع قطر) .
ـ مناقب أبي حنيفة وصاحبيه ، للإمام الذهبي ، نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية (طبع القاهرة) .
ـ منهج الإسلام في الحرب والسلام ، عثمان جمعة ضميرية (دار الأرقم ، الكويت) .
ـ الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، للدكتور محمد حميد الله □

* * *

لم أعط زمام قلبي لأحد
حللت العقدة في وجه العمل بنفسي
اعتمدت على غير الله مرة
فسقطت من مقامي مئتي مرة

محمد إقبال



الحد الأدنى

إذا كان واقع المسلمين في هذه الأيام يضطرهم للمطالبة بـ (الحد الأدنى) من التعاون والتنسيق ، خوفاً من البديل وهو التشهير والتمزيق ، وإذا تحقق هذا التعاون اعتبر من المكاسب التي يجب المحافظة عليها والتمسك بها ، ويقولون : هذا هو الواقع ، ويجب أن نعترف به ، ولا نكون مكابرين خياليين نسرح بالأحلام .

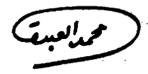
إذا كان هذا هو الواقع فنحن نوافقهم ولكن بشرط أن يكون هذا الشعار مؤقتاً ، لأن أوضاع المسلمين فعلاً تحتاج إلى بداية مثل هذه ، ولكن الذي نخشاه ونتخوفه هو أن يرضوا بهذا الواقع ، ويستمر هذا الشعار فترة طويلة فتموت الهمم ، وتسترخي العزائم ، ويستمرىء المسلمون هذه الحالة فلا يقومون بالأعمال العظيمة المطلوبة منهم في هذا العصر بالذات ، فنحن نمر بفترات حرجة لانحتاج إلى التعاون والتنسيق بل إلى الانصهار في عمل كبير يعيد للمسلم عزته وكرامته ، ويشعره بالثقة المفقودة ، يعيد إليه الأمل والرجاء ، إننا نحتاج إلى إنكار للذات بالدرجة الأولى ، فهو العقبة الكؤود كما يظهر لي ، وتأتي الخطوة التالية بالعمل الدؤوب الذي لايعرف الراحة ، وإعمال الفكر في مستقبل المسلمين والإسلام ، والطرق الصحيحة التي توحد ولا تفرق .

إن الساعات الحاسمة في التاريخ هي الساعات التي تتحول فيها الأمة كلها إلى (ورشة عمل) كل له مكانه وكل له مكانته ، يشعر كل فرد أنه يشارك في البناء بل إنه ضروري لهذا البناء ، هكذا قام المجتمع الإسلامي الأول عندما شارك المسلمون كلهم في بناء المسجد بمن فيهم قائد هذا المجتمع رسول الله ﷺ ، وعندما استقبل الأنصار إخوانهم المهاجرين وتنازلوا عن شطر أموالهم ، ونفذوا هذا عملياً ولم يكتفوا بالأدبيات والكلام عن الأخوة الإسلامية أو (يجب علينا أن نبني مسجداً !) .

وإذا كنا نتكلم عن الحد الأدنى فإن الغربيين قد انتهوا من بحث أمورهم الكبيرة ، أمورهم الاستراتيجية وفي اجتماعاتهم الآن يناقشون المشاكل الصغيرة التي لاتزال عالقة مثل مشكلة (الزبدة) كيف تصدر وتستورد ، وكيف يصرفون الفائض منها .

وإحياء الأمة ودعوتها إلى استئناف دورها الخيري لا يتأتى إلا بأعمال كبيرة ، وإن الحد الأدنى إذا استمر لاينتج إلا الضعف ، الذي يستطيع العيش طويلاً ، ولكنه يبقى ضعفاً ، وأخشى أن يسري هذا الداء حتى إلى عباداتنا وأعمالنا فلا نقوم إلا بـ (الحد الأدنى) من المطلوب ، وتمر السنون دون أن نحقق عملاً كبيراً يرضي الله ويغيظ أعداء الإسلام ويشفي صدور قوم مؤمنين .

لاشك أن الخطوة الأولى هي التعاون الصادق ، ولكن كم نتمنى أن يتلو هذه الخطوة خطوات □





نموذج اتخاذ القرار

ف فروم [١]

عرض وتحليل : طارق عبد الحليم

مقـدمـة :

يعتمد نجاح قيادة ما في أداء مهامها الموكولة إليها على عدة عناصر متداخلة ، تتفاعل لتحقق الهدف الذي ينشده القائمون على هذا العمل ... من تلك العناصر :

١ ـــ كفاءة [٢] القيادة وفعاليتها [٣] في الأداء والمتابعة .

٢ ـــ كفاءة الأتباع وفعاليتهم في التلقي والأداء .

٣ ـــ درجة الثقة المتبادلة بين الطرفين .

٤ ـــ المناسبة (الزمانية والمكانية) للمهام المطلوبة في المواقف المختلفة .

٥ ـــ الإمكانيات المتاحة اللازمة لأداء الحد الأدنى على أقل تقدير .

ويندرج تحت كل عنصر من تلك العناصر المذكورة ، عدد من العوامل

---

1 - VROOM, H. V. (A NEW LOOK AT MANAGERIAL DECISION MAKING) Organizational Dynamics, 1973, VOL 2 , P 66 - 80 .

وكذلك

VROOM, V & JAGO, A (On the Validity of the Vroom and Yetton Model), Journal of Applied Psychology, 1978, VOL 63, P 151 - 162 .

2 - Competence .

3 - Effectiveness .

الفرعية التي تؤثر على الأداء الناجح الفعال لكل من القيادة من جهة ، والمجموعة العاملة من جهة أخرى . فعلى سبيل المثال ، تتحدد كفاءة الأتباع حسب (المستوى العلمي ــ درجة التخصص ــ الصفات الشخصية كدرجة الانضباط .. ــ درجة التآلف بين المجموعة ــ الخلفية النفسية والاجتماعية ... الخ) .

وحديثنا في هذا البحث يخص أحد مركبات العنصر الأول ، أعني « كفاءة القيادة » وبالتحديد عملية « اتخاذ القرار » ، ومدى الحاجة إلى المشاركة فيه بين القيادة والأتباع في المواقف المختلفة من خلال نموذج « اتخاذ القرار » الذي قدمه للمرة الأولى العالم الأمريكي فيكتور فروم في مجال علم المنظمات والإدارة في ربيع ١٩٧٣ ، ثم طورها بعد ذلك بمعاونة آرثر يتون .

والنموذج يصلح للتطبيق في كافة مستويات الإدارة بواسطة المسؤول سواء كان القائد مع بقية أفراد مجلس الإدارة مثلاً ، أو كان قائداً تنفيذياً مع أفراد مجموعته العاملة .

النظرية

تقوم تلك النظرية على فرضية أن « مدى الحاجة إلى المشاركة بين القيادة والأتباع في اتخاذ قرار ما تتحدد حسب الموقف ومتغيراته المختلفة ، والتي تملي بالتالي نمطاً قيادياً محدداً يؤدي إلى أفضل النتائج » ويعتمد النموذج المقدم على ثلاث قواعد يتم خلالها اختيار ذلك النمط به وهي :

أولاً : الأسس التي يتم عليها تحديد متغيرات الموقف .
ثانياً : الأنماط القيادية المختلفة .
ثالثاً : متغيرات الموقف .

وعلى أساس التفاعل بين تلك العوامل الثلاثة يمكن للقيادة تحديد النمط المطلوب في هذا الموقف المحدد ، وسنتناول باختصار ذكر تلك القواعد .

أولاً : أسس اختيار وتعيين متغيرات الموقف :

- نوعية المشكلة المراد البت فيها (كمية أم كيفية ؟) .
- درجة اطلاع القائد وفهمه للمشكلة القائمة نظرياً وعملياً .
- درجة اطلاع الاتباع وفهمهم للمشكلة القائمة .
- درجة إمكانية الحصول على معلومات من خارج المجموعة (بشأن المشكلة) .
- تقبل الأفراد لقرارات القيادة وطاعتهم لها .
- درجة الإحساس بالولاء والانتماء للشركة أو المجموعة .
- درجة التجانس والتآلف بين الأتباع .

وتهدف هذه الأسس بجملتها إلى المحافظة على عدة مبادىء منها : (مبدأ التآلف) ، (مبدأ التخصص) ، (مبدأ الحرص على الكيف) ، وعلى أساسها يتم اختيار عدد من الأسئلة التي تمثل متغيرات الموقف الراهن .

ثانياً : أنماط القيادة :

تتحدد الأنماط القيادية بثلاثة أنماط (١ ، ٢ ، ٣) ، يندرج تحتها خمسة أشكال من التصرفات القيادية المختلفة (أ ، ب ، ج ، د ، هـ) .

١ ــ قيادة موجِّهة متحكمة : (Autocratic) .

أ ــ تتخذ القرار بنفسك وحسب معلوماتك الخاصة .

ب ــ تتخذ القرار بنفسك بعد جمع المعلومات اللازمة من أتباعك .

٢ ــ قيادة مشاورة : (Consultative) .

ج ــ تشاور أتباعك بطريقة فردية لمعرفة رأيهم ومعلوماتهم ثم تصدر قرارك بنفسك .

د ــ تشاور أتباعك بشكل جماعي لاتخاذ القرار بنفسك بعد المشاورة .

٣ ــ قيادة مشاركة : (Participation) .

هـ ــ تصدر القرار بشكل جماعي بعد المشاورة وأخذ الأصوات .

ثالثاً ــ متغيرات الموقف :

وهي عشرة أسئلة بنيت على الأسس التي قدمناها في القاعدة الأولى .

١ ــ في حالة تقبل الأفراد للقرار الفردي ، هل تتأثر النتائج ذاتها بطريقة اتخاذ القرار ؟

٢ ــ هل لدى القائد العلم الكافي لاتخاذ قرار كفؤ ؟

٣ ــ هل تتوفر لدى الأتباع معلومات (زائدة على معلومات القيادة) تؤدي إلى تحسين الأداء ؟

٤ ــ هل يعرف القائد نوعية المعلومات المطلوبة ، وممن يحصل عليها ، وكيفية جمعها ؟

٥ ــ هل من الضروري أن تتوفر معلومات إضافية لصالح القرار داخل حيز المجموعة ككل ؟

٦ ــ هل من الممكن جمع معلومات إضافية من مصادر خارجية قبل اتخاذ القرار ؟

٧ ــ هل تقبل القرار من الأتباع هام وحاسم لضمان حسن التطبيق ؟

٨ ــ إذا كان من المحتم اتخاذ القرار بطريقة فردية (بنفسك) هل أنت متأكد من تقبل الأتباع له ؟

٩ ــ هل يمكن الوثوق بقدرة الأتباع على اتخاذ قرارات هامة تتلاءم وأهداف العمل بشكل عام ؟

١٠ ــ هل من المحتمل حدوث خلافات بين الأتباع على نوعية الحل ؟

الطريقة :

يمكن اختيار النمط الأمثل للتصرف القيادي (وبالتالي تحديد الأنماط الممكنة في حالة القرارات طويلة المدى) في موقف ما بأن يقوم القائد المسؤول بالإجابة عن الأسئلة السابقة بادئاً بالسؤال الأول ... وحسب الإجابة بنعم أو لا ينتقل إلى السؤال التالي حتى يصل ــ عن طريق الشكل المرفق على هيئة شجرة ــ ليحدد في النهاية النمط المناسب لاتخاذ القرار .

فمثلاً : ● في حالة تقبل الأفراد للقرار .

ــ ولكن النتائج ذاتها تتأثر بطريقة اتخاذ القرار (الفردية أو الجماعية) (السؤال (١) ــ نعم) ينتقل المسؤول إلى السؤال (٢) .

ـ أما إذا كانت النتائج لا تتأثر بطريقة إتخاذ القرار (السؤال (١) ـ لا) ينتقل المسؤول إلى السؤال (٧) مباشرة .

وعند الانتقال إلى السؤال (٧) :

● هل تقبل الأفراد للقرار ورضاهم به هام وحاسم لضمان حسن التطبيق ؟

ـ فإن كانت الإجابة بنعم ... ينتقل المسؤول إلى السؤال (٨) .

ـ وإذا كانت الإجابة لا .. يكون النمط المناسب هو « اتخذ القرار بنفسك وبمعلوماتك » في حالة القرار ذي التأثير قصير المدى ... أو الأنماط ب ، ج ، د ، هـ على التوالي إذا كان القرار ذا تأثير طويل المدى وهكذا .

ومما تجدر الإشارة إليه أن القرارات ذات التأثير المحدد (قصير المدى) تتحدد بالنمط المذكور أولاً في النموذج ... ولكن حسب درجة نضوج الأتباع ومع مرور الزمن فإنه من المناسب العدول إلى الأنماط المجاورة على التوالي (بين القوسين) خاصة فيما يخص القرارات ذات التأثير المستمر (طويل المدى) .

مثال :

وحتى يسهل الأمر على القارىء ، نعتبر مثالاً يعرض طريقة استخدام النموذج للوصول إلى السلوك القيادي الأمثل .

١ ـ لنفترض أن مديراً لإحدى الإدارات بشركة ما ، يعمل تحت إمرته عشرة من العاملين من ذوي الخبرة المناسبة .

٢ ـ يتمتع العاملون العشرة بثقة المدير في كفاءتهم وحسن أدائهم للعمل بشكل متكافىء .

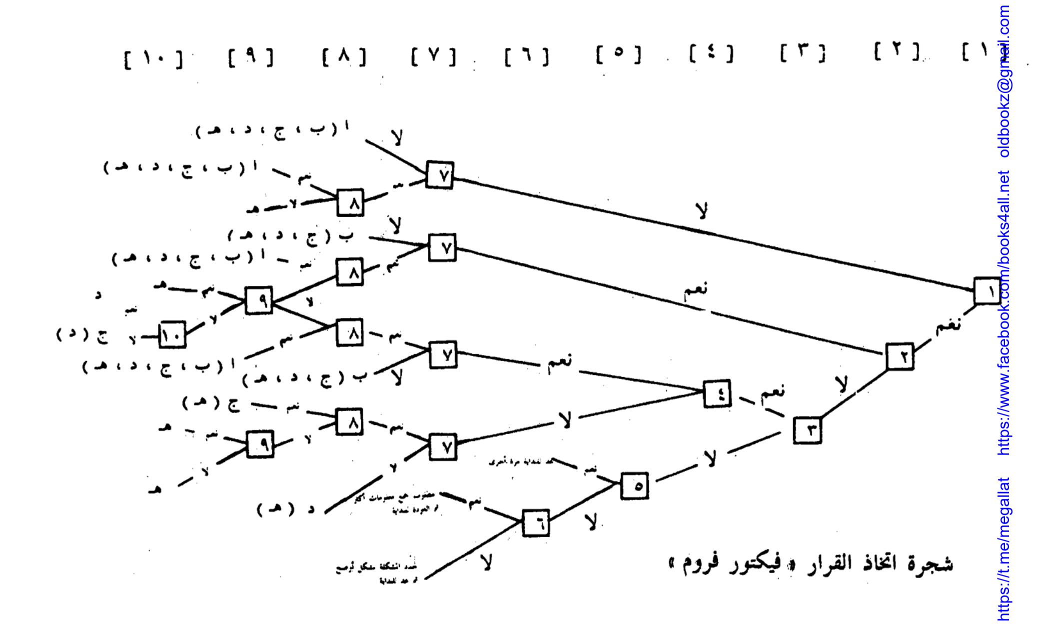
٣ ـ أرسلت الإدارة العامة للشركة تطلب ترشيح ثلاثة أفراد ، من تلك الإدارة لأداء مهمة بالخارج لفترة من الزمان .

٤ ـ يعتبر العاملون ذلك السفر أمراً غير مرغوب فيه ، كما يعلم المدير ذلك حيث يحتاج السفر لتغييرات جذرية في أوضاع الحياة الخاصة للمرشح .

أ ـ أيتخذ القرار بمفرده ويحدد من يقوم بالمهمة ؟

ب ـ أم يشاور العاملين معه فيمن يود الذهاب .

ج ـ أم يجمع العاملين ويتركهم يقلبون الأمر على وجوهه فيما بينهم لتحديد



شجرة اتخاذ القرار « فيكتور فروم »

الأسماء المرشحة ؟

وللوصول إلى القرار المناسب ، نرجع إلى الشكل المرفق لشجرة القرار ، والأسئلة العشرة .

● السؤال الأول : هل تتوقف النتائج (أداء العمل بالخارج) على طريقة اتخاذ القرار ؟

والجواب : لا ، حيث إن العاملين العشرة متساوون في الكفاءة ، والخبرة ، ويتمتعون بثقة الإدارة في قدرتهم على حسن الأداء . ← انتقل إلى السؤال (٧) .

● السؤال السابع : هل تقبل العاملين المرشحين للقرار هام وحاسم في حسن التطبيق للعمل والقرار ؟

والجواب : نعم ، حيث إن العامل حين يؤدي أمراً لايرغب فيه ، حتى مع كفاءته وقدرته وخبرته ، لايكون على المستوى المطلوب من العمل . ← انتقل إلى السؤال (٨) .

● السؤال الثامن : في حالة اتخاذ القرار بشكل فردي ، هل الإدارة متأكدة من تقبل العاملين لذلك القرار دون معارضة ؟

والجواب : لا ، حيث إن القرار بالسفر سيكون له أثر على الحياة الشخصية للمرشح ، والاحتمال الأكبر أن يلقى الترشيح معارضة ، مالم تكن الموافقة مسبقة عليه وبناء على ذلك التحليل نصل إلى النمط (هـ) والذي يعني : « أن يعقد المدير اجتماعاً حيث يعرض المسألة على العاملين معه ، ويطرح الترشيح للمناقشة حتى يصل إلى اتفاق على الأسماء الثلاثة » .

التعليق :

تعتبر هذه المحاولة التي قدمها (فروم) لبناء القرار على طريقة أكثر عقلية وتحديداً ودقة من باب النماذج (Model) التي يمكن احتذاؤها .

ولايزعم المؤلف ــ كما لانزعم نحن ــ أنها أنضج مايمكن تقديمه في هذا المجال ، بل ولا أنها تغطي كافة المواقف والاحتمالات التي يمكن أن تواجهها قيادة ما .

ولكن الجديد الذي تقدمه النظرية هو تلك الوسيلة العملية التي يمكن بواسطتها أن يضع المسؤول كافة المتغيرات التي يواجهها على الورق ليكون اختياره أكثر تحديداً ودقة ، دون أن يهمل عاملاً ما ، أو أن يبني قراره على مجرد النتائج التي يهتدي إليها بعقله بعد تقليب الأمر بينه وبين نفسه مما قد لايستغرق منه سوى لحظات قليلة ! فتارة يشاور من معه ، في حين أن المشاورة قد لاتكون في صالح القرار أو الجماعة ككل ، وتارات يتخطى الجميع ليتخذ قراره بنفسه ، في حين هو أقل علماً بالمشكلة من بعض أتباعه الذين تتوفر لديهم المعلومات الكافية والتخصص الدقيق .

ومما لا يخفى أنه ليس من المعقول المشاورة في كل أمر صغير أو كبير ، كما أنه ليس من المشروع الاستقلال بالرأي والاستبداد بالقرار على طول الطريق ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في ذلك الأمر وحدوده حين أخذ بمشورة سعد بن معاذ في بناء العريش في غزوة بدر من حيث هو أهل أعلم وثقة بهذه الأمور ، كما استشار ﷺ الصحابة والأنصار على وجه التحديد قبل الإقدام على الحرب في بدر ، حيث إن موافقتهم كان لها وزن خاص في النتائج المرتقبة ، بينما قرر ﷺ بنفسه في حادثة نعيم بن مسعود وإرساله ليخذل عن المسلمين في إبان غزوة الخندق .

ومايعنينا في هذا الموضع أن نشير إلى أن الأسس التي يقوم عليها تحديد متغيرات الموقف ــ والتي قدمناها في القاعدة الأولى ــ ومتغيرات الموقف نفسها (والتي قدمناها في الأسئلة العشرة السابقة) تخضع للتغيير والتبديل حسب نوعية العمل وحسب البيئة التي يراد تطبيق النموذج عليها ، بحيث تشمل في كل حالة مايناسبها ، ومايغطي احتياجات القيادة ، وقدرات الأتباع والمواقف المختلفة المحتملة .

ولايفوتنا أن نوجه نقداً حاسماً لذلك النموذج من حيث إهماله بشكل يكاد يكون تاماً الحالة النفسية والدوافع الداخلية التي قد يَصدر عنها القائد والأتباع على حد سواء في اتخاذ القرارات . وهو ــ وإن وضع بين الأسس التي يحدد عن طريقها متغيرات الموقف مبدأ « التآلف والتجانس » بين القيادة والأتباع من

جهة ، وبين الأتباع بعضهم البعض من جهة أخرى ، إلا أن ذلك لايعفي من ضرورة اعتبار الدوافع الذاتية الشخصية التي توجه الأفراد حين اتخاذ قرار ما ، والذي قد يتخطى في أثره الجانب العقلي الميكانيكي الذي عالجه المؤلف في نظريته ، بل ويكاد يتحكم لحد كبير في عملية اتخاذ القرارات داخل المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية .

فمثلاً : قد تقرر قيادة ما الاستغناء عن خدمات أحد أفرادها ، نظراً لعداء شخصي أو حالة نفسية محددة دون الدخول في تفاصيل الأسباب والدوافع .. والعكس ، قد يقرر فرد ما الاستقالة من عمله والانفصال عنه لدوافع خاصة قد لايصرح بها في غالب الأحوال ... وهو الوضع الذي لم يعالجه « فروم » في نموذجه ، ولم يحسب له حساباً في أسسه وقواعده وأسئلته رغم أهميته القصوى والحاسمة □



يحسب أنّ ماله أخلده

د . مصطفى السيد

ماأشقى القيم عندما يصبح المال وحده لحمتها وسداها ، وأتعس بالأمم إذا بات المال عندها معيار التفاضل ! ومنهاج التعامل ! به ترفع وتضع ، وفيه تُقدِّم وتؤخِّر ، وله تسعى وتخفِد .

وكم تؤذي السمع ، وتستدعي الازدراء قالة أقوام : « فلان رجل » وإذا رحت تسائل هؤلاء الناس : فيم استرجل فيكم فلان وجدّ ؟ أجابوا ــ وبئس الجواب ــ بثروته المالية ومكانته الاقتصادية .

وحرصاً على إثراء رصيد المسلمين بالمعرفة التاريخية ، وعمارة أرواحهم بأصل القيم ، تعاقب القصص القرآني عن الأمم السالفة ليكون من الروافد الفكرية لمكوّنات الشخصية الإسلامية .

ولقد ثبت عن الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ حبه لقصص موسى في القرآن الكريم ، والتي توزعت فصولها في كثير من آيات القرآن تحكي جهاد هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء ، وكيف اصطدم بالطغيان السياسي الذي تمثله دولة فرعون ومواجهة لبذور وجذور الرأسمالية ــ القارونية ــ التي كان قارون صنمها البارز ووثنها الشامخ .

وماذكر في القرآن من قصة قارون مع قومه تتمثل في هذه الآيات من ٨٦ إلى ٨٢ من سورة القصص .

قصة متكاملة العناصر ، فزَمَنُ القصص فترة رسالة موسى ﷺ والأماكن التي شهدت فصولها هذه الدعوة مكانها .

ووقائع القصة وإن انتهت زمناً فهي مستمرة حياة وإيحاءً ، مادام النموذج الذي عرضت له القصة قائماً في عالم الناس .

وقارون يقوم بدور البطولة بين شخصياتها المتمثلة بقومه عموماً ، ثم يتحدد هذا العموم بفئتين :

الأولى : الدنيويون .

الثانية : أولو العلم .

وموضوع الصراع هو المال مصدراً وهدفاً ومصرفاً . وتبدأ القصة معرفة بقارون هذه الشخصية البائسة التي تعايش ربيع الزمن ــ وجود النبوة ــ ولكنها في شغل عنها بالمال جمعاً وكنزاً ، ثم تفتح الآيات أعيننا على الأخطار التي تنتج عن رأسمالية فرد ، فما تكون عليه هذه المخاطر إذا كانت هذه الرأسمالية نظام حياة وأسلوب حكم .

وأولى هذه المخاطر الظلم ﴿ فبغى عليهم ﴾ فالمتيم بالمال ، والصبّ بجمعه لايهتم إلا بما يزيد هذا المال رقماً دون مبالاة بظلم مؤلم أو بغي مؤذ .

في ظل هذا الوضع تهان إنسانية الإنسان ، ويكون التعامل معه كالتعامل مع الأشياء .

والخطر الثاني : الفرح ﴿ إذ قال له قومه لاتفرح إن الله لايحب الفرحين ﴾ ، ويبدو أنه قد لازمه حتى صار خلقاً له أو كما يقول أهل النحو (صفة مشبهة أو صيغة مبالغة) فبلغ به حد الأشرة والبطر ، كما يقول القرطبي أو بلغ الحد الذي ينسي المنعم بالمال كما يقول صاحب الظلال .

والخطر الثالث : التوجه الكلي إلى الدنيا وحدها ، وهذا مايستنبط بمفهوم المخالفة من قوله تعالى ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ﴾ وكما لايظن أن ذلك دعوة إلى مقاطعة الدنيا أتبع (والله أعلم) لقوله : ﴿ ولاتنس نصيبك من الدنيا ﴾ وابتغاء وجه الله بالعمل محض الإيمان ، فلا يذل المرء للمخلوقين أو يصبح تحت رحمة أهوائهم إذا اتخذ وجوههم قبلة تحقيقاً لتوحد حب الدنيا في قلبه .

وبعد إشباع شهوة التسلط القاروني بالبغي ، وإتراعها بالفرح ومافي ذلك من مكسب إعلامي يجعل من صاحبه ــ حديث الصالونات ومحتكراً للصفحة الاجتماعية في الجرائد والمجلات ــ بعد ذلك تمضي بنا الآيات إلى الخطر الرابع وهو الفساد في الأرض ﴿ ولاتبغ الفساد في الأرض ﴾

وكلمة الفساد ينطوي في أحشائها ، وينضوي تحت راياتها ، شرور شتى وخبائث عدة ، لأن القارونية لامكان في معجمها المادي للأخلاق ، بل لاترى بأساً أن يكون في مقتل الأخلاق دخل مدار الربح كما في عوائد الربا والفوائد كما في دخول الميسر والخمر والدخان ... الخ .

والأخطار الأربعة السابقة نتيجة منطقية لرأسمالية قارون التي تدين بالحتمية المادية ــ وهذه نقطة تلاق مع الشيوعية ــ التي تجحد قدرة الله في الإعطاء والمنع ، والفقر والغنى ، وترد ذلك إلى سلطان العقل وثمرة العمل ، وتبجح قارون ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ يمثل الأبوة الروحية لكل منزع مادي ، فهو كما قال أحد المفسرين : (تَنَفَّجَ بالعلم وتعظم به) .

ومادام قارون يعتقد ألاَّ فضل لله في إيجاد هذا المال فليس له بالتالي حكم في مصاريفه وإنفاقه .

ولكن الآيات ردت على المادية القارونية بأن المادية التاريخية لم تعصم أهلها ــ بالرغم مما في يدها من علم ومال ــ ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ﴾ وماعلى القوارين إلا التأمل في مصائر الثراء وفعائل المال بأصحابه (إذ لو كان المال يدل على فضل لما أهلكهم) كما يقول القرطبي .

وكأن هذه القارونية قد أخذت على نفسها الميثاق ألاَّ تبقى عيباً من عيوب الثراء الذي لم يؤسس على تقوى ، إلا وكشفته هاهي الآيات تعرض لنا المنظر الأخير للإفلاس القيمي عند قارون الذي لم يجد مايدلل به على حضوره ثرياً إلا خروجه في زينته (كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد) التي لم يكن الحاضر فيها منه ، إلا مظاهرها المادية بعد أن فارقنا إنسانيته أو فارقتنا في سعير المظالم وسعار الشهوات وسكرة الفرح .

ولقد نقلت الآيات قارون من الجريمة الفردية إلى الجريمة الاجتماعية أو بلغة الأدب من الشخص إلـى المصطلح ومن الحدث إلى الرمز [1]

---

١ ــ قال محمد بن حازم الباهلي من شعراء العصر العباسي الأول : (١٦٠ ــ ٢١٥) :

(قارونُ) عندي في الغنى مُعدم ... وهمتي مافوقها مذهب

لتصبح القارونية عباءة لكل قارون معاصر أو ثري جحود .

لم يكد قارون يفرغ من عرض ثروته ، واستعراض زينته إلا وقد أشعل في قلوب الدنيويين مشاعر التلهف وشعائر التأسف ألاّ يكون لهم مثل هذه الثروة ﴿ ياليت لنا مثل ماأوتي قارون ﴾ فجاءت إغاثة اللهفان شأنها في كل زمان ومكان ــ من أهل العلم ــ الذين حذروا من خطورة النظرة السطحية للأمور ، والتي تريد الدنيا للدنيا ، ثم لفت أهل العلم الأنظار إلى ﴿ ثواب الله خير لمن آمن ﴾ فذلكما الأمران هما المطلوبان والمحبوبان ثواب الله والإيمان به . وفي ذلك تنبيه للدنيويين على مدار التاريخ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إن الثروة قد تدلف فجأة ، ولكن ترويض النفس على الإيمان والعمل الصالح منزلة ﴿ ولايلقها إلا الصابرون ﴾ .

وما أن ينهي أهل العلم كلامهم ، حتى تغيَّب الأرض قارون في ظلماتها ــ والعطف بالفاء ــ فخسفنا يدل على سرعة الأخذ ، والعقوبة بالخسف مناسبة لسخف المُعتَقَد . وهكذا أصبح هذا الثراء بالرثاء أجدر .

وفاجعة النهاية لاتقل في غناها المعنوي عن مأساة البداية ، فهذه الثروة الهائلة تغور في أعماق البسيطة بثوان كأن لم تكن ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض وماكانوا منظرين ﴾ .

وإذا جاء أمر الله فإنه يترك كل القوى اللائذة بأهل المال رغبة أو رهبة عاجزة عن أي دور ﴿ فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وماكان من المنتصرين ﴾ .

وبقدر ماكان الانتقام فاجعاً لقارون كان مفاجئاً للدنيويين فقد انتزعتهم النهاية من زيف أحلامهم ، وسكرة مشاعرهم لتوقفهم على الأخذ الأليم فيصرخون ﴿ وي ﴾ لتبصر البصائر ماعجزت عنه النواظر ، ويدركون ألاّ علاقة بين الهداية والثراء فالله ﴿ يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ﴾ .

ــ وقال الأستاذ عصام العطار من المعاصرين :

باللطغاة وماأشقى الأنام بهم ... عاثوا قوارين أوْ عاثوا فراعينا

كما يعترفون بفضل الله عليهم لتدارك رحمته إياهم بنصح أولي العلم ﴿ لولا أن من الله علينا لخسف بنا ﴾ كما يخرجون بتجربة ناجحة عن مستقبل الثراء الكافر ﴿ ويكأنه لايفلح الكافرون ﴾ ، والتعبير بالمضارع ﴿ يفلح ﴾ يفيد ديمومة الحكم ماوجدت أطراف القضية .

وإذا كان الفوز في الآخرة هو الفوز ، فالطريق إليه يبدأ في الدنيا بتجنب التجبّر ﴿ لايريدون علواً ﴾ ومجانبة الفساد بكل مضامينه ﴿ ولا فساداً ﴾ ولئن قدر للمبطلين أن يهيمنوا بعض الوقت ، فلن يتأتى لهم ذلك دائماً أو انتهاء لأن ﴿ العاقبة للمتقين ﴾ □

* * *

« لا تنقل إلى صديقك ما يؤلم نفسه ولا ينتفع بمعرفته ، فهذا فعل الأرذال ، ولا تكتمه ما يستضر بجهله فهذا فعل أهل الشر » .

ابن حزم

الإبداع والتقليد عند مقلدي الغرب

محمد حامد الأحمري

صلة المسلمين بالعالم المعاصر في شتى أنواعها لم تعد مجهولة الآثار ، ونتائج هذه الصلة والتأثر بها ، مايتجاوز القدرة على التجاهل ، فيعرف به المتجاهلون والغافلون رغماً عنهم ، فلم يعودوا قادرين على نكران من يصنع ملابسهم وسياراتهم وبعض غذائهم ، ولكنهم في الجانب الآخر ينكرون أن يكون لعالم الاستعمار أثر في شيء من حياتهم الفكرية والسلوكية . وهذا الجانب هو مانقصد الحديث عنه هنا .

لقد اكتسبت الحياة الفكرية في الغرب خبرة طويلة في صراعها مع الدين ، ومرت قرون من الزمن الحاد المتوتر بين الدين ورجاله وبين غيرهم هدمت على أثر ذلك عروش ، ودحرجت آلاف الرؤوس ، حتى كان للعلمانية النصر وأقامت النظم التي تريدها .

وقد تركز عداء الدين في التعليم والثقافة الشعبية ثم الحكم فيما بعد ذلك . إن الصراع كان في بدايته علمياً « العلم المادي التطبيقي » وفلسفياً ، ثم كان فيما بعد سياسياً ، وترابطت هذه العوامل « السياسة » و « العلم » و « الفلسفة » في انتاج هذا العالم المشهود الذي طارد الدين جهده ولكن الدين لم يغب أبداً عن المعركة حتى في أيامنا هذه والتي يروج أنصار « الليبرالية » أو الاتجاه التحرري من الدين انتصارهم وانهزام عالم الغيب والدين والخرافة أو مايسمونه اللامعقول .

وإنه ليجدر بنا لمعرفة مكانة النصرانية الغربية أن نلاحظ الأحزاب

الديموقراطية المسيحية في أوربا ، في ألمانيا ، في إيطاليا ، اليمينيون في فرنسا وما أشارت إليه الانتخابات الفرنسية الأخيرة ، فضائح القساوسة الأخيرة في أمريكا (بيكر) و (سواجارت) والتي كانت معلومة من قبل ولكنها استخدمت في الوقت المناسب لأسباب عديدة البعض يعد منها إبعاد القساوسة عن الانتخابات والحكم في أمريكا .

وقد جاء نشر أكثر فضائحهم بعد أن رشح أحد القساوسة نفسه للانتخابات . ثم الكل يعلم دور البابا الحالي في بولندا ــ وهو من أصل بولندي ــ دوره في مظاهرات واحتجاجات العمال في بولندا ، وفاليسا الزعيم العمالي البولندي المعارض للحكم الشيوعي إن هو إلا يد الكنيسة في المعسكر الشيوعي الشرقي ، البابا ينفق وقته في رعاية النصرانية ضد الشيوعية في أمريكا الجنوبية ، وأفريقيا وغيرها يقود التيار الكاثوليكي المتحجر في لعبة الدين والسياسة الواسعة في عالمهم .

يتضح مما سبق أن الحرب الضروس ضد الدين في أوربا وأمريكا وغيرها لم تنته بعد لصالح العلمانية وهي بالطبع ليست في صالح الكنيسة لكن كل منهما مضطر للآخر ، مضطر للحوار والاستفادة والاستغلال . والغرب بلاشك مقدم على عودة للدين لأسباب عديدة ليس هذا موضع تفصيلها لكن من هذه الأسباب الفطرة الدينية التي فطر الله الناس عليها والتي غشى عليها لفترة من الزمن الوهج العلمي والتعلق بالانتاج الصناعي ، ثم عاد العلم ليأخذ موقعه الصحيح يوماً بعد يوم وما سببه من مادية جافة سئم الناس خشونتها وانفصامها .

وكذلك ازداد اهتمامهم بدراسة ظاهرة الإسلام ، وكثرة البحوث والدراسات حول ذلك ، لاكتشاف أفضل الطرق لاحتوائه ، إضافة إلى موجة الشباب النصراني المتدين والتي تخرج في شكل دعاة متنقلين من مدينة إلى أخرى ، وينزلون مساكن الجامعات ، ويقيمون الخيام للدعوة إلى الدين النصراني ، ووجدت مجموعات متدينة يرفضون المدنية

الحديثة ويرفضون وجود أجهزة التلفزيون في بيوتهم ، ويمنعون أبناءهم من التعليم العام لما يرون في كل هذا من الانحراف عن الدين . وهذه مجموعات جديدة في أمريكا عموماً لا علاقة لها بالأيـمش الموجودين في ولاية أوهايو ولا بالمورمون في ولاية يوتا . وهذه قضايا تؤرق الدول الملحدة أو العلمانية ، يؤرقها أن يسيطر الدين ويحكم ، ويؤرقها الفراغ والإلحاد والشيوعية أن تسود ، فهي تحرص على وجود توازن مستمر بين هذه القوى المؤثرة في المجتمع ، وهي ليست قصيرة التجربة في هـذا المضمار ، لقد نضج التعامل العلماني مع الديني منذ مايزيد على قرنين من الزمن ، وعرف كيف يسخر الدين للسياسة ، ويركبه فيكون مطية ذلولاً يعرف كيف يتحكم في شموسها ونفورها لتكون طيعة مسالمة أليفة .

هذه التجربة الخطيرة في التاريخ يمكن أن نصنفها على أنها اختراع عظيم جداً يصدر للعالم المتخلف كما تصدر له الملابس الجميلة والسيارات الفخمة وهذا اختراع فخم يقدم للعالم خدمات جليلة في نظرهم أني لأي جهاز آخر أن يؤديها ؟!

لعل العديد من ضحايا الاكتشاف السابق لايعلمون بأنهم ضحاياه ، إنهم يسلمون بأن القلص (الإبل) قد هجرت وجاءت السيارة بديلاً قوياً وذهب البعير من الواجهة ، وقد ارتاح فعلاً فما عاد يرحل بليل ، ولا يتأوه آهة الرجل الحزين . قسم كبير من هذه الجمال ذهب إلى المتاحف الحيوانية ينعم برفه للفرجة والرؤية فقط ، ويمكن أن يُتنزه عليه حول الأهرام وغيرها وليكون في عيون الغريب تحفة قد تستحق النظر والإعجاب . ولكنه لا أهمية له ولا دور في حياة الناس .

إن سحب البساط من تحت الدين وتجريده من السلاح إحـدى الصادرات المهمة من هناك إلى بلاد المسلمين ، عكفوا على إنتاجها سنين وليالي وأيام حتى جاءت جاهزة . والذي نستيقنه أنه لايمكن لهذه البضاعة أن تعمل عندنا لزمن طويل ، فبلادنا حارة لاتقوى بضاعتهم على مقاومتها سيأكلها الصدأ وتهوى بها الريح في مكان سحيق .

طلائع الوهن والتبعية في بلدان

العالم الإسلامي فرخت وتوسعت دائرتها من أفراد ينادى بهم ويشنع عليهم ، إلى ظاهرة اجتماعية تملأ هذه البقاع ويمكن أن نستعير كلمة طبقة من مردديها لنقول إن طبقة في عالم المسلمين اليوم تستقر في المدن عاشت في الغرب أو لم تعش ، واعتادت الحياة الغربية وقيمها وآدابها فالحق في بلادهم ماكان حقاً في الغرب ، والباطل في الغرب باطل عندهم . أناس مسلمون غالباً مايقومون بأداء شعائر الإسلام واحترامه ، ليسوا عملاء للغرب ولا لحكوماته قد يكرهون سيطرته وإذلاله للمسلمين ، لكنهم مقهورون في أعماقهم مغلوبون في نفوسهم ، مهزومون في أرواحهم وهممهم ، راعهم بهرج الغرب ونظمه ورتابة حياته وإشباع رغباته الواسعة ، أعجبوا بحكوماته وديموقراطيته ، انتشوا بهذه الشهوات فعبدوها ، فكل غريب عندهم جليل مقدم وكل شيء من عندهم بدائي وحقير . يتمنون لبلادهم الخير ولكن ليس الذي أراد الله أو رسوله أن يكون خيراً ، إنما الذي علموه أو رأوه خيراً هناك فهو الخير هنا . هذا قطاع من خيرة شباب الأمة تعلماً ومكانة يغري أوساط الناس وعامتهم إلى تقليده لمكانته الاجتماعية ، لشهاداته ، لأسلوب حياته الذي سموه تحضراً أو تمدناً ، ولكنه في الحقيقة أجنبي على كل حال .

هذا القطاع المقطوع من قيمه يقود الأمة للهاوية . إنه يؤخرها ، ويعطل مسارها ، ويكبح إنطلاقها ، لما أصبح في حياته الفردية من عقد لاحصر لها . والمجتمع الواهن يخادع هذا القطاع بضعفه ، فيظن هؤلاء أنهم أقوياء وقدوات في ديارهم ، فيزيدون ترفعاً وتعالياً والتعالي عندهم هو الإغراق في التبعية والتقليد للمجتمع الغالب ، وهذه الطبقة تقف سداً مانعاً دون نضوج الأمة ووعيها وتقدمها ، فهي ليست عدواً ولا تقف صراحة معه ، وهي فيما تقول بل وتعمل أحياناً تعادي الغزاة وتحطم وهي تزعم البناء وتبذل كل جهدها لتكون بلادها وحياتها كأولئك وهي لن تكون ، إنها الفئة التي تحدث عنها سارتر في مقدمته لكتاب فرانتز فانون « معذبو الأرض » [1] وهي الفئة

---

١ ــ لم تترجم مقدمة سارتر للكتاب في الطبعة العربية كاملة ، ولكن ترجمت مقاطع فقط ، منها النص المشار إليه .

التي تحدث عنها أرنولد توينبي ، أما الأول فقال في معرض حديثه عن أسلوب صناعة الفكر الشرقي في الغرب (سارتر يتحدث عن مرحلة الفرد ، ونحن نتحدث عن ظاهرة الجماعة ، وهناك خلاف فيما نكتب عنه وفيما يتحدث عنه سارتر ، غير أن القضية في النهاية واحدة) يقول : « كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من إفريقيا وآسيا ، ونطوف بهم بعض أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس ، فتتغير ملابسهم ، ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة ، ويرتدون السترات والسراويل ، ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو والاستقبال والاستدبار ، ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا ، وكنا ندبر لبعضهم أحياناً زيجة أوربية ، نلقنهم أسلوب الحياة بأثاث جديد ، وطرز جديدة من الزينة ، واستهلاك أوربي جديد وغذاء أوربي ، كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوْرَبة بلادهم ، ثم نرسلهم إلى بلادهم . وأي بلاد ؟ بلاد كانت أبوابها مغلقة دائماً في وجوهنا ، ولم نكن نجد منفذاً إليها ، كنا بالنسبة إليها .رجساً ونجساً وجنا . كنا أعداء يخافون منا وكأنهم همج لم يعرفوا بشراً . لكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم ، كنا نصيح من أمستردام أو برلين أو باريس : « الإخاء البشري » ، فيرتد رجع أصواتنا من أقاصي أفريقيا أو الشرق الأوسط أو الأدنى أو الأقصى أو شمال أفريقيا . كنا نقول : « ليحل المذهب الإنساني أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة » وكانوا يرددون أصواتنا هذه من أفواههم وحينما نصمت كانوا يصمتون . ثم كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين لايملكون كلمة واحدة يقولونها غير ماوضعنا في أفواههم ، ليس هذا فحسب بل إنهم سلبوا حق الكلام من مواطنيهم .

هذا هو دور المفكر الذي يتشكل بالشكل الأوربي ويلعب في الدول الإسلامية ، دور دليل الطريق في البلاد التي لم يكن المستعمر يعرفها أو يعرف لغاتها . وهو السوس الذي عمل في الشرق من أجل تثبيت هذه المادة الثقافية والاقتصادية والأخلاقية والفلسفية والفكرية للاستعمار الغربي

داخل هذه الأشجار المورفة الأصيلة . هذا هو السوس الذي كنا قد صنعناه وأسميناه « المفكرين » . كانوا عالمين بلغاتنا ، وكان قصارى همهم ومنتهى أملهم أن يصبحوا مثلنا ، في حين أنهم أشباهنا وليسوا مثلنا . إنما نخروا من الداخل ثقافة أهلهم ، وأديانهم القومية التي تصنع الحضارات ، ومثلهم وأحاسيسهم وأفكارهم الجميلة ، وأصالتهم الأخلاقية والإنسانية وتحت أي شعار وباسم من ؟ باسم مقاومة الخرافات ، أو مكافحة الرجعية ، أو الوقوف ضد السلفية ، وباسم أولئك المفكرين الأوربيين الذين قاوموا الرجعية والكنيسة في القرنين السابع عشر والثامن عشر أمثال غاليليو وكانت وديكارت وجان جاك روسو وفولتير وغيرهم من الكتاب الموسوعيين الذين ناضلوا في سبيل الحرية ، كانوا مفكرين بالفعل وأناساً بذلوا أرواحهم في سبيل الحرية ــ يعني الحرية من طغيان الكنيسة وأصحاب الملك الإلهي ــ كانوا نوابغنا الفكريين وعلماءنا العظام » (١) انتهى كلام سارتر . وكم كان كلامه معبراً عن هذه المرحلة العصيبة في حياة المسلمين ، وواخجلاه لأتباع سارتر في بلاد المسلمين ، عبدوه في حياته ، وكادوا يهلكون لوفاته وسخروا أقلامهم ومجلاتهم وجرائدهم وكتبهم للثناء عليه وعلى أفكاره التي سخر منهم فيها كما سبق (٢) ، لكنه خلق الهزيمة والوهن والاستخذاء .

أما توينبي فيقول : « لم يكتف الأتراك بتغيير دستورهم ــ وهو شيء سهل نسبياً في مجال الإصلاح الدستوري ــ بل قامت الجمهورية التركية الوليدة بخلع المدافع عن الدين الإسلامي ــ الخليفة ــ وألغت

١ ــ فاضل رسول « هكذا تكلم علي شريعتي » دار القلم ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ م ، ص ١٢١ ــ ١٢٢ .
٢ ــ زار سارتر مصر في العهد الدابر مع جارودي حين كان شيوعياً فكان حدثاً لدى الإعلام الموتور هز القطر وصعد محمد حسنين هيكل ليستقبله على باب الطائرة ، ونودي خلال الزيارة بعبد الرحمن بدوي رأساً للوجوديين المصريين إثر إخراج كتابه عن الوجودية ، ثم توجه مع صديقته « سيمون دي بوفوار » إلى إسرائيل ، وفي باريس يخرج في مظاهرات مؤيدة لليهود والإسرائيليين ، ويجمع لهم التبرعات ، وحوادثه الفردية فقط تكفي لإدراك مدى استحقاقهم السخرية منهم وهو يجمع الرصاص لقتلهم في حين يركعون له ولكذبه ومجونه وسخريته ويجعلون من عجوزه الإباحية مثالاً للتقدم والحرية والتطور .

منصب الخلافة ، وجردت رجال الدين المسلمين وحلت منظماتهم ، وأزالت الحجاب عن رأس المرأة ، واستنكرت كل مايرمز إليه الحجاب ، وأجبرت الرجال على ارتداء القبعات التي تمنع لابسيها من أداء شعائر الصلاة الإسلامية بأكملها ، وتبنت القانون المدني السويسري بعد أن ترجمته إلى التركية ، وطبقت قانون الجرائم الإيطالي ، وذلك بفرض هذين القانونين بعد التصويت عليهما في المجلس الوطني ، وغيرت الأحرف العربية بأحرف لاتينية ، وهذا أمر لم يتم إلا بطرح القسم الأكبر من التراث الأدبي العثماني القديم . ويجب على المراقب الغربي أن يراعي حدود اللياقة فلا يغالط ولا يسخر ، لأن مايحاول المقلدون الأتراك القيام به هو تغيير وطنهم مما هم فيه إلى حالة كنا نحن منذ التقاء الغرب بالإسلام ننتقدهم لعدم وجودها فيهم ، وهاهم حاولوا ولو متأخرين إقامة صورة طبق الأصل لدولة غربية وشعب غربي . وعندما ندرك تماماً هدفهم الذي رموا إليه ، لا نستطيع إلا التساؤل بحيرة : هل يبرر هذا الهدف حقاً الجهد الذي بذلوه في صراعهم لبلوغه .

والآن بعد أن تغير التركي بتحريضنا ورقابتنا ، وبعد أن أصبح يفتش عن كل وسيلة لجعل نفسه مماثلاً لنا وللشعوب الغربية من حوله ، الآن نحس نحن بالضيق والحرج ونميل إلى الشعور بالسخط والحنق ، وأن التركي مهما فعل مخطىء في نظرنا » ثم يقول : إن حركة المقلدين متّبعة وليست مخترعة مبتدعة ، لذا ففي حالة نجاحها — جدلاً — لن تزيد إلا في كمية المصنوعات التي تنتجها الآلة في المجتمعات الصناعية ، بدل أن تطلق شيئاً من الطاقة المبدعة في النفس البشرية ، وهذه الحركة تزيد كذلك في أعداد المقلدين وتضخم المستعبدين » (1) □

1 — محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ، دار الشروق ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٣٥٧ — ٣٦٠ بتصرف وهذا نقلاً عن كتاب : « الإسلام والغرب والمستقبل » محاضرات لتوينبي في عامي ١٩٤٧ — ١٩٥٢ ترجمها د . نبيل صبحي ، دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م ، ص ٥٠ — ٥٣ .

الثبات على دين الله

— ١ —

محمد صالح المنجد

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد :

فإن الثبات على دين الله مطلب أساسي لكل مسلم صادق يريد سلوك الصراط المستقيم بعزيمة ورشد .

أهمية الموضوع :

تكمن في أمور منها :

— وضع المجتمعات الحالية التي يعيش فيها المسلمون ، وأنواع الفتن والمغريات التي بنارها يكتوون ، وأصناف الشهوات والشبهات التي بسببها أضحى الدين غريباً ، فنال المتمسكون به مثلاً عجيباً « القابض على دينه كالقابض على الجمر » .

ولاشك عند كل ذي لبّ أن حاجة المسلم اليوم للثبات أعظم من حاجة أخيه أيام السلف ، والجهد المطلوب لتحقيقه أكبر .

— كثرة حوادث الردة والنكوص على الأعقاب ، والانتكاسات بين المسلمين ، مما يحمل المسلم على الخوف من أمثال تلك المصائر ، ويتلمس وسائل الثبات للوصول إلى بر آمن .

— ارتباط الموضوع بالقلب ؛ الذي يقول النبي ﷺ في شأنه : « لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر

إذا استجمعت غلياناً » (١) .

ويضرب عليه الصلاة والسلام للقلب مثلاً آخر فيقول : « إنما سمي القلب من تقلبه ، إنما مثل القلب مثل ريشة بالفلاة تعلقت في أصل شجرة يُقلِّبها الريحُ ظهراً لبطن » (٢) ، فسبق الحديث قول الشاعر :

وماسمي الإنسان إلا لنسيه
ولا القلب إلا أنه يتقلب

فتثبيت هذا المتقلِّب برياح الشهوات والشبهات أمر خطير يحتاج لوسائل جبارة تكافىء ضخامة المهمة وصعوبتها .

ومن رحمة الله عز وجل بنا أن بين لنا في كتابه وعلى لسان نبيه وفي سيرته وسائل كثيرة للثبات . أستعرض معك ــ أيها القارىء الكريم ــ بعضاً منها :

أولاً : الإقبال على القرآن :

القرآن العظيم وسيلة التثبيت الأولى وهو حبل الله المتين ، والنور المبين ؛ من تمسك به عصمه الله ، ومن اتبعه أنجاه الله ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم .

نص الله على أن وظيفة هذا الكتاب والغاية التي من أجلها أنزله منجماً مفصّلاً هي التثبيت ، فقال تعالى في معرض الرد على شبه الكفار : ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ولايأتوك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾ [الفرقان / ٣٢ ــ ٣٣] .

كيف يكون القرآن مصدراً للتثبيت ؟؟

• لأنه يزرع الإيمان ويزكي النفس بالصلة بالله .
• لأن تلك الآيات تنزل برداً وسلاماً على قلب المؤمن الذي تعصف به رياح الفتنة ، فيطمئن قلبه بذكر الله .
• لأنه يزود المسلم بالتصورات والقيم الصحيحة التي يستطيع من خلالها أن يُقوِّم الأوضاع من حوله ، وكذا الموازين التي تهيء له الحكم على الأمور فلا يضطرب حكمه ولا تتناقض أقواله باختلاف الأحداث

١ ــ رواه الإمام أحمد والحاكم عن المقداد مرفوعاً ، صحيح الجامع (٥٠٢٣) .
٢ ــ رواه الطبراني عن أبي موسى مرفوعاً ، صحيح الجامع (٢٣٦١) .

والأشخاص .

• أنه يرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين كالأمثلة الحية التي عاشها الصدر الأول .

ماهو أثر قول الله عز وجل : ﴿ ماودعك ربك وماقلى ﴾ [الضحى / ٣] على نفس رسول الله ﷺ لما قال المشركون : (وُدِّع محمد ..) (١) ؟

ماهو أثر قول الله عز وجل : ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل / ١٠٢] لما ادعى كفار قريش أن محمداً ﷺ إنما يعلمه بشر وأنه يأخذ القرآن عن نجّار رومي بمكة ؟

ماهو أثر قول الله عز وجل : ﴿ ألا في الفتنة سقطوا ﴾ [التوبة / ٤٩] في نفوس المؤمنين لما قال المنافق : ﴿ ائذن لي ولا تفتني ﴾ [التوبة / ٤٩] ؟..

أليس تثبيتاً على تثبيت ، وربطاً على القلوب المؤمنة ، ورداً على الشبهات وإسكاتاً لأهل الباطل ..؟

بلى وربي .

ومن هنا نستطيع أن ندرك الفرق بين الذين ربطوا حياتهم بالقرآن وأقبلوا عليه تلاوة وحفظاً وتفسيراً وتدبراً ؛ منه ينطلقون ، وإليه يفيئون ، وبين من جعلوا كلام البشر جُلّ همهم وشغلهم الشاغل .

ثانياً : التزام شرع الله والعمل الصالح :

قال الله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله مايشاء ﴾ [إبراهيم / ٢٧] .

قال قتادة : أما في الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح (وفي الآخرة) في القبر . وكذا روي عن غير واحد من السلف (٢) . وقال سبحانه : ﴿ ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً ﴾ [النساء / ٦٦] أي على الحق .

وهذا بيّن ، وإلا فهل نتوقع ثباتاً

١ ــ تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨ / ٤٤٦) . ٢ ــ المصدر السابق ٢ / ٥٣٥ .

من الكسالى القاعدين عن الأعمال الصالحة إذا أطلعت الفتنة رأسها وادْلهمّ الخطب ؟! ولكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم الله إليه صراطاً مستقيماً ويثبتهم بما ثبتوا به أنفسهم في الدنيا .

ثالثاً : تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل :

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ [هود / ١٢٠] .

فما نزلت تلك الآيات على عهد رسول الله ﷺ للتسلية والتفكه ، وإنما لغرض عظيم هو تثبيت فؤاد رسول الله وأفئدة المؤمنين معه .

فلو تأملت ياأخي قول الله عز وجل : ﴿ قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا بـه كـيـداً فجعلناهـــم الأسفلين ﴾ [الأنبياء / ٦٨ ــ ٧٠] قال ابن عباس : كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار : ﴿ حسبي الله ونعم الوكيل ﴾ (١) .

ألا تشعر بمعنى من معاني التثبت أمام الطغيان والعذاب يدخل نفسك وأنت تتأمل هذه القصة ؟.

لو تدبرت قول الله عز وجل في قصة موسى : ﴿ فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا إن ربي سيهدين ﴾ [الشعراء / ٦١ ــ ٦٢] . ألا تحس بمعنى آخر من معاني الثبات عند ملاحقة الظالمين ، والثبات في لحظات الشدة وسط صرخات اليائسين وأنت تتدبر هذه القصة ؟.

لو استعرضت قصة سحرة فرعون ذلك المثل العجيب للثلة التي تثبت على الحق بعدما تبين ، ألا ترى أن معنى عظيماً من معاني الثبات يستقر في النفس أمام تهديدات الظالم وهو يقول : ﴿ آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى ﴾ [طه / ٧١] ثبات القلة المؤمنة الذي لايشوبه أدنى

١ ــ الفتح (٨ / ٢٢٩) .

تراجع وهم يقولون : ﴿ لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذي فطرنا ، فاقض ماأنت قاض ، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾ [طه / ٧٢] .

وهكذا قصة المؤمن في سورة يّس ومؤمن آل فرعون وأصحاب الأخدود وغيرها يكاد الثبات يكون أعظم دروسها قاطبة .

رابعاً : الدعاء :

من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم :

— ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

— ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا .

ولما كانت « قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » (١) كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : « يامقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك » (٢) .

خامساً — ذكر الله :

وهو من أعظم أسباب التثبيت .

وتأمل هذا الاقتران بين الأمرين في قوله عز وجل : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ﴾ [الأنفال / ٤٥] .

فجعله الله من أعظم مايعين على الثبات في الجهاد . (وتأمل أبدان فارس والروم كيف خانتهم أحوج ماكانوا إليها) (٣) بالرغم من قلة عدد وعدة الذاكرين الله كثيراً .

وبماذا استعان يوسف عليه السلام في الثبات أمام فتنة المرأة ذات المنصب والجمال لما دعته إلى نفسها ؟ ألم يدخل في حصن ﴿ معاذ الله ﴾ فتكسرت أمواج جنود الشهوات على أسوار حصنه ؟ .

وكذا تكون فاعلية الأذكار في تثبيت المؤمنين .

سادساً — الحرص على أن يسلك المسلم طريقاً صحيحاً :

والطريق الوحيد الصحيح الذي يجب على كل مسلم سلوكه هو طريق أهل السنة والجماعة ؛ طريق

١ — رواه الإمام أحمد ومسلم عن ابن عمر مرفوعاً .
٢ — رواه الترمذي عن أنس مرفوعاً ، صحيح الجامع (٧٨٦٤) .
٣ — مابين القوسين مقتبس من كلام ابن القيم رحمه الله في الداء والدواء .

الطائفة المنصورة والفرقة الناجية ، ذو العقيدة الصافية والمنهج السليم واتباع السنة والدليل ، والتميز عن أعداء الله ومفاصلة أهل الباطل ... »

وإذا أردت أن تعرف قيمة هذا في الثبات فتأمل وسائل نفسك لماذا ضل كثير من السابقين واللاحقين وتحيروا ولم تثبت أقدامهم على الصراط المستقيم ولا ماتوا عليه ، أو وصلوا إليه بعدما انقضى جلُّ عمرهم وأضاعوا أوقاتاً ثمينة من حياتهم ؟؟

فترى أحدهم يتنقل في منازل البدع والضلال من الفلسفة إلى علم الكلام والاعتزال إلى التحريف إلى التصوف والتفويض والإرجاء ...

وهكذا أهل البدع يتحيرون ويضطربون ؛ وانظر كيف حُرِم أهل الكلام الثبات عند الممات فقال السلف : أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام .

لكن فكر وتدبر هل رجع أحدٌ من أهل السنة والجماعة عن طريق سخطة بعد إذ عرفه وفقهه وسلكه ؟ فقد يتركه لأهواء وشهوات أو لشبهة عرضت لعقله الضعيف ، لكن لايتركه لأنه قد رأى أصح منه أو تبين له بطلانه . ومصداق هذا مساءلة هرقل لأبي سفيان عن أتباع محمد ﷺ ؟ قال هرقل لأبي سفيان : فهل يرتد أحدٌ منهم سَخْطَةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قال أبو سفيان : لا . ثم قال هرقل : (وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب) [1] .

سمعنا كثيراً عن كبار تنقلوا في منازل البدع أو هداهم الله فتركوا الباطل وانتقلوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة ساخطين على مذاهبهم الأولى ، ولكن هل سمعنا العكس ؟!

فإن أردت الثبات فعليك بسبيل المؤمنين □

— يتبع —

١ — رواه البخاري ، الفتح (١ / ٣١) .

التنصير في العالم العربي

خطط مستمرة

إن بعثات التنصير لاتزال تعمل بإصرار من أجل تحقيق أهدافها ، وبخاصة في أنحاء العالم الإسلامي ، والعالم العربي بشكل أخص ، وهي تعتبر أن مجال العمل في صفوف المسلمين في العالم العربي من أشق المهامّ ، وهي قلقة ــ كعادتها دائماً ــ من مزاحمة الإسلام لها ، فإذا أحرزت بعض النجاح في البلاد التي تعتبر مهداً للإسلام فإنها تكسب كسباً مادياً ومعنوياً .

أما الكسب المادي فإنها تكون قد أوجدت القاعدة التي تتكيء عليها من أهل البلاد الأصليين .

وأما الكسب المعنوي فهو ظهورها أما من يرعون نشاطات التنصير في العالم ، وخاصة في العالم الغربي بأنها حققت شيئاً فتكسب تعاطفهم وحماستهم لتأييدها بما يستطيعون ولذلك فإن التنصير يلح على أن يعمق جذوره في العالم الغربي ، ويعد من أجل ذلك الدورات والمؤتمرات ، ويشرف على النشاطات السرية والعلنية المرتبطة بمنظمات نشطة في أوربا وأميريكا .

وقد أرسل إلى هذه المجلة أحد الدعاة من أمريكا عدداً من نشرة تبشيرية تصدر هناك تسمى ديت لاين (Date Line) ، تخطط لأتباعها طرق التنصير ، وتحضهم على الانضمام إلى دوراتها التدريبية التي تعقدها لتأهيلهم للقيام بهذه المهمة .

حول النشرة :

النشرة موجهة أصلاً إلى المسيحيين الذين يهتمون بتنصير المسلمين وبأوضاع العالم العربي ، فهي من جهة تحضهم على التطوع

للعمل في هذه البلاد ، وتبث في نفوسهم العزيمة من أجل القيام بهذا العمل الشاق ، ثم تلقنهم كيفية نشر أصول الدعوة المسيحية بين المسلمين عن طريق تقريب وجهات النظر فيما يخص مفهوم التوحيد والتثليث ، ثم تركيز بشكل خاص على القسم الشمالي الغربي من أفريقيا ودعوة (للصلاة) من أجل فتح (المغرب) ، بالإضافة إلى إعلانات تتعلق بهذه الأنشطة .

تحت عنوان :

لابد أن يفتح الباب إذا واصلت قرعه .

ورد في النشرة مايلي :

يامن لهم تمرس أكبر في العمل في ديار الإسلام : أنتم ولا شك تعلمون أنه لايسمح للمسلم شرعاً أن يرتد عن دينه ويعتنق ديناً آخر ، وقد تستنتجون من ذلك استحالة العمل بينهم ، وكذلك لا مجال للبعثات التنصيرية للعمل هناك ، إذ ليس مصرحاً لها بالنشاط ، فقد أسدل الستار وبني الحصن بقوة قد تبدو غير قابلة للاختراق خاصة في نظر الذين يغفلون عما يصنعه الرب في العالم العربي .

هناك إحساس لدى العاملين في البلاد الإسلامية أننا أمام فتح مبين ، صحيح أن بعض الجهات في العالم الإسلامي أصبحت أكثر تعصباً ، ولكنها تبقى أقلية شديدة البروز فقط ، والذي يدفعنا إلى مضاعفة جهودنا الآن هو مانراه من تغير في المواقف والمزاج لدى الأغلبية .

إن مايربو على ٦٥٪ من سكان العالم العربي الآن هم دون الثلاثين ، وفي دائرة هذه السن تقوى نزعة البحث عن الحقيقة والاستقرار ، والعثور على منارة هادية في خضم الاضطرابات التي تعترضهم وهم يواجهون مشكلات العصر ، وفي الوقت الذي ارتفعت فيه نسبة المتعلمين ؛ فإن نسبة البطالة ارتفعت كذلك . صحيح أن دعوات التزمت الديني قائمة ، ولكن الذين يناصرون الغرب ، ويحبذون اتباع سبله كثر . ومما يزيد في تعقيد هذه المشكلة الأزمات الإسكانية وعدم الاستقرار الاقتصادي والاضطرابات الاجتماعية في وقت يسعى فيه الجميع إلى تحسين مستوى معيشتهم .

هناك بعثات تنصيرية فعالة تعمل حالياً بنجاح في هذه البلاد المنيعة ظاهرياً ، ولكن هذه البعثات

تتعرض يومياً إلى توترات وضغوط لايمكن تجاوزها إلا بوسائل روحانية (!!) فنحن شهود عيان لما تصنع يد الرب في أوضاع قد تبدو مستحيلة ، نحن نشهد نتائج لا يمكن تفسيرها إلا بقبول صلواتنا ، إن الصلاة هي جانب من أعظم جوانب الشعائر التي يجب على الكنيسة في الغرب الاهتمام بها ، بإمكاننا الادعاء بالنجاح في فتح الأبواب على مصاريعها ، بإمكاننا دخول أمصار جديدة ، بإمكاننا بعون الله ، وبفضل صلوات المبشرين وتضحياتهم تسريب فرق همها الشاغل هو كسر قبضة الإسلام الحديدية ، فقد عرف العالم العربي بأنه أشد المناطق صعوبة على وجه الأرض لدخول الإنجيل ، ولا يزال غير ملتَفَتٍ إليه بشكل كافٍ من قبل رجال الكنيسة نتيجة لجهلهم ، إن العالم العربي لم يحصل على هذه السمعة إلا لقلة المتطوعين للتضحية في سبيل إعلاء كلمة الإنجيل .

نحن نعيش في مجتمع يقيس النجاح بالكم ، وكلمتنا هذه نظرة للكيف عن طريق الطاعة ، وعلينا أن ننظر إلى العالم العربي من منظار الرب ، فلو أننا استصعبنا هذه المهمة لكنا قد ظننا نقصاً في قوة الرب ، فكأننا نزعم أن هذا المجال يعجز الرب عن العمل فيه . وقد وصلنا مؤخراً في اجتماعات مؤتمر الكنائس العالمي في فرنسا إلى اتخاذ قرارات حددنا فيها أهدافنا إلى عام ٢٠٠٠ م ، وبعد صلواتنا المكثفة (الحارّة) شعرنا أن الرب يحثنا على الانفتاح وعدم التواني في فتح أبواب جديدة على العالم العربي ، وسيركز العدد القادم من ديت لاين Dateline على الطرق الجريئة التي تدخلك في باب « المستحيل » ! صارخاً : افتحوا الأبواب !!

دعاء من أجل فتح المغرب !

تحت هذا العنوان تقدم هذه الفقرة لمحة تاريخية عن المغرب من وجهة نظر مسيحية ، ولكنها تعترف — مرغمة — بأن الغالبية الساحقة من سكان المغرب مسلمون ، ماعدا أقلية من اليهود ، وأخرى من المسيحيين من أصل أوربي .

ويدعو كاتب هذه الفقرة أتباعه إلى الصلاة من أجل تحقق حرية أكثر للأديان في المغرب

(يقصد حرية البعثات التنصيرية) ، ويشير إلى جهود الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى الشعب المسلم في المغرب ، وكذلك إلى جهود التنصير عن طريق المراسلة ، ويذكر أن حوالي (١٥٠) ألف مغربي ترسل لهم الدروس التنصيرية عبر البريد من أوربا ومن مركز التنصير الخاص بالعالم العربي (A W M) ، ومع اعترافه بالصعوبات التي تلقاها هذه الجهود إلا أنه مستبشر بالنتائج إذا سبقها الإصرار والمتابعة .

إرشادات للمتطوعين :

الفقرة التالية فيها تحذير أن تقع نشرات خطط التنصير بأيدي المسلمين لأن في ذلك خطراً وتعطيلاً لبرامج نشر المسيحية بين المسلمين :

إن مديرنا العام كثيراً ماذكّرنا بأننا لسنا في نزهة ترفيهية ، **وإنما نحن في حالة حرب** (!!) لهذا فنحن نؤكد على أهمية الصلاة والدعاء وطلب العون من محبي ومؤيدي الصلاة ، ولكي يكون لصلاتنا معنى ؛ فنحن بحاجة إلى الوقت والجهد وتحمل أعباء العالم الإسلامي ، وإلى المعلومات الصحيحة الوافية .

إن كنت تريد الصلاة دورياً والحصول على نشرتنا الشهرية « آخر الأنباء » فالرجاء إعلامنا بذلك ، إن هذه النشرة تحتوي على معلومات سرية حول الصلاة ، ولأننا نعمل في بلاد معادية للمسيحية فهذه النشرة ترتدي طابعاً سرياً لا يجوز أن يطلع عليه العوام ، فلو وقعت هذه المعلومات في أيدٍ غير موثوقة لربما أدى ذلك إلى عواقب وخيمة . لهذا السبب نطلب تزويدنا باسم كنيستك والقسّ الذي يديرها لأسباب أمنية فقط .

طبيعة عمل بعثات التنصير :

تسعى بعثات تنصير العالم العربي أولاً إلى تأسيس كنيسة يسوع المسوح في العالمين البربري والعربي (!!) ولدينا فرق تعمل في صفوف المليوني مسلم من المغرب العربي في فرنسا ، ونبث برامج مراسلة وإذاعية لنشر الإنجيل على أوسع نطاق ممكن انطلاقاً من مركزنا الإعلامي الموجه إلى العالم العربي .

التحدي :

نهدف ـــ في هذه المرحلة

تحديداً — إلى دخول ۱۰۰ مدينة جديدة موزعة على ۲۰ دولة حتى عام ۲۰۰۰ م ، ونحن ننتظر بشوق وحماسة إمكانية نجاحنا في إيصال « البشارة » إلى أمكنة لم يسبق أن وصلتها من قبل .

فرصة سانحة :

إن العالم الإسلامي هو أحد الأماكن التي تحظى بالقليل من الرعاية والكثير من الإهمال من قبل المنصرين حالياً ، فخمس سكان العالم اليوم (كذا) مسلمون ، وهو أحد الخطوط الدفاعية الأخيرة التي لابد للإنجيل من اختراقها ، فإن كنت ترغب في مواجهة التحدي وتوسيع الأفق ، والتعرف على حاجات العالم الإسلامي الحالية فهلمّ للمشاركة في إحدى دوراتنا التدريبية الصيفية ، اكتشف حقيقة الإسلام ، تعرّف على مايؤمن به المسلم ، وعش معنا تلك اللحظات التي يشترك فيها النصراني مع المسلم في الرسالة .

دورات ومهامّ :

نحن نؤمن بأننا دخلنا في عهد مليء بالانتصارات داخل العالم العربي ، لماذا لا تشارك في إحدى الدورات التالية ، ولا تشهد بنفسك صنع الرب (!) داخل العالم الإسلامي ؟

في مونتريال — تورنتو — فيلادلفيا : دورات مكثفة حول المسائل الإسلامية والرد المسيحي عليها — تدريب على الانفتاح المركّز على التنصير عن طريق الصداقة (٤ أسابيع) .

في فرنسا : الخروج إلى مدينة فرنسية نسبة المغاربة فيها كبيرة (٤ أسابيع) .

لندن : دراسات إسلامية والرد المسيحي (أسبوعان) .

في تونس : برنامج توجيهي وخروج . تدريبات في لندن ، طِره إلى تونس وتجول في أرجاء البلاد وزرْ مدناً كثيرة (٤ — ٦ أسابيع) .

الشرق الأوسط : برنامج توجيهي ومخيّم في عمّان ، جولة في سورية ومصر ، برناج الخروج في لندن (٦ — ٨ أسابيع) .

المغرب : برنامج توجيهي وخروج في لندن ، زيارة برية للمغرب عبر أوربا (٤ — ٦ أسابيع) .

هذه دورات مكثفة تحتاج إلى

صبر ومتابعة ومرونة وينبغي أن يتصف راغبو الالتحاق بها بالوعي وبتزكية موثوقة .

يشتمل البرنامج على خروج واتصال بالمسلمين وباقي نشاطات بعثات التنصير في العالم العربي ، السن المطلوبة : ١٨ فما فوق .

شـــبهات :

الفقرة التالية فقرة إرشادية لمن يقومون بالتنصير بين المسلمين ومايواجهونه من صعوبة في الرد على فكرة الشرك والتثليث عند النصارى :

« لا إله إلا الله » يرددها المسلم العادي مراراً كل يوم في صلواته ، وإعلاناً عن عقيدته الإسلامية . والقرآن يعتبر أن أعظم الذنوب وأكبر الكبائر هي الإشراك بالله . ومع أن القرآن يعترف في مواضع عدة منه بعبادة اليهود والنصارى لإله واحد ؛ فإنه يشير أيضاً بأن النصارى يعبدون أكثر من إله ، أو أنهم يعبدون عيسى المسيح من دون الله :

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ [المائدة / ٧٣] .
﴿ وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ ﴾ [المائدة / ١١٦] .
﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ [المائدة / ١٧] .

يعتقد كثير من المسلمين أن النصارى مثلثون يؤمنون بثلاثة آلهة ، بدلاً من حقيقة كونهم موحدين (!) يؤمنون بوجوه ثلاثة للإله الواحد .

والثالوث هو : (الرب ، مريم ، عيسى) أو : (الرب ، وعيسى ، والروح القدس) . وهكذا يعتقد المسلمون أن النصارى يناقضون في عقيدتهم الركن الأساسي في الإسلام وهو توحيد الله الذي ليس كمثله شيء ، وهكذا يكونون قد سقطوا في وهدة الشرك وعبادة الأصنام .

فعلى المسيحي أن يسارع بطمأنة صديقه المسلم منذ بداية النقاش أن الكتاب المقدس يشهد بأن الله واحد ، وأنه الوحيد الجدير بالعبادة (سفر الخروج ٢٠ / ٢ ــ ٣) (مرقس ١٢ / ٢٩) .

لابد لنا فعلاً من الاعتراف بأن الله واحد وأنه لا إله إلا هو حتى نكون عباداً صالحين له ، ولكن علينا أن نفهم كنهه وطبيعته وما صنعه من

أجلنا تكرماً منه ، ومايطلب منا أن نكون ، وأن نعمل على طاعته .

تعليق أخير :

بعد قراءة محتوى هذه النشرة هناك نقاط كثيرة يحسن الوقوف عندها ، ونكتفي ببعضها ، موجهين الكلام إلى الذين قد يقعون تحت تأثير هؤلاء المنصرين فيقفون أمامهم إما حيارى أو متعاطفين .

١ ــ يتهم هؤلاء المنصرون بعض المسلمين بالتعصب الديني وينسون أنفسهم ، ونحن لاندري بماذا نسمي عملهم هذا الذي يهدف إلى حث المسلمين على ترك دينهم واتباع الإنجيل ، ولئن دل هذا على شيء ؛ فإنه يدل على قلة الحياء والتلاعب بالألفاظ ، وهما من أهم صفات المنصرين في كل عصر .

٢ ــ إن دراسة هؤلاء لظروف المسلمين في العالم ــ وفي العالم العربي بشكل خاص ــ تدفعنا إلى أن نكون نحن أولى بذلك ليكون فهمنا للواقع وتحليلنا للظروف التي يمر بها المسلمون دافعاً للسيطرة على العقبات ، وأساساً لمعالجة هذه الأزمات .

٣ ــ إن أشد مايثير حنق المنصرين وأتباعهم هو « **قبضة الإسلام الحديدية** » لذلك هم يعملون جاهدين لانحلال هذه القبضة عن طريق تشكيك أجيال المسلمين بدينهم ، وزرع المفاهيم الغربية بينهم .

٤ ــ يصلي هؤلاء من أجل تحقيق حرية الأديان في المغرب ، وهم يقصدون حرية النشاطات التنصيرية في المغرب أكثر مما هي عليه الآن ، وهم لو كانوا منصفين لأقروا بأن المغرب من أكثر الدول تسامحاً مع اليهود والنصارى .

ولأمر ما تركز مراكز التنصير على المغرب العربي ، فهو الجزء الأقرب إلى أوربا وهو جسر العبور إلى باقي العالم العربي وأفريقيا ، وهو المكان المحتمل منه الخطر على الحضارة الأوربية أكثر من غيره .

٥ ــ ليس هناك أصدق ولا أبلغ من وصف حالة المنصرين مع المسلمين بأنها « حالة حرب » كما ورد في (إرشادات للمتطوعين) وهذا الوصف كلمة حق ينطق بها العدو من

أجل أن يُعرَف كيده ويحتاط له الاحتياط كله .

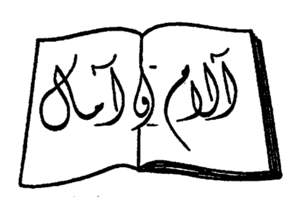
٦ ــ إن من فضل الله على المسلمين أن جعل عقيدتهم سهلة واضحة ، تتقلبها الفطرة ، وتأبى على الأساليب الملتوية ، والمداورات التشكيكية ولا غرابة في ذلك فهي عقيدة الرسل جميعاً من لدن آدم إلى الرسول ﷺ . وإن عقيدة التوحيد هي الأساس الذي يتحطم عليه كل ادعاء ، وأي مسلم يقرأ محاولة هؤلاء المنصرين إثبات أنهم يؤمنون بإله واحد كإيمان المسلمين يكتشف أنهم يتلاعبون بالحقائق ، ويسخرون من العقول . وهم إذا أرادوا من المسلم أن يتجاوز عن وصف القرآن لهم بالكفر في أكثر من موضع فهم أمام أمرين :

أ ــ أن يشك المسلم بأن هذا القرآن أو بعضه كلام الله ــ وهذا كفر صريح لايقدم عليه مسلم (وهم يطمحون إلى ذلك طبعاً) ــ .

ب ــ أو أن يقولوا له : إن القرآن حين وصف من وصف من النصارى بالكفر إنما وصف طائفة منهم انقضى أمرها ونحن لسنا منها في شيء ، أما نحن فنرفض التثليث ونؤمن بالله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، وعند ذلك ينتفي عنهم الشرك ــ وهم لايقبلون ذلك طبعاً بل يصرون على التثليث من حيث يوهمون أنهم يقولون بالتوحيد . والمسلم لا يرى فرقاً بين (من يؤمن بثلاثة آلهة ؛ وبين من يؤمن بثلاثة وجوه للإله الواحد !!) فكل ذلك كفر .

نعوذ بالله من همزات الشياطين ونفثات المبشرين ! □

* * * *



شعر : محمد امين ابو بكر

الأرض ناحت والخطوب جسام ... لكننا بين الأنام نيام
في محنة بسطت سحائب بؤسها ... بكت العراق لهولها والشام
أننام والآفاق ترعد حولنا ... والريح تعصف والضياع طعام
والعقل يصرخ والضمائر تشتكي ... والموت في جل العيون ينام
في حقبة من عمرنا أضحى بها ... يُخشى الضياءُ ويُعشق الإظلام
أوما كفى نوماً يغال حياتنا ... وتموت في ظلماته الأحلام
البعد عن شمس الهداية مأتم ... دفنت مفاخرنا به الأقزام
لِمَ لاتعود إلى الضياء عقولنا ... ويضيء كل دروبنا الإسلام
لِمَ لايعود إلى الصدارة ركبنا ... يمضي وتخفق فوقه الأعلام
لنقيم أبراج الإباء بهمة ... في ركبها تتهلل الأعوام
فالمجد في ساح البطولة صنعة ... لا الغيد تصنعه ولا الأوهام
والظلم يلتهم الأنام بنابه ... ويضج فيها من لظاه ضرام

هاقد علت بين الديار نوازل | يهتزُّ منها الترب والآكام

النيل يزأر والفرات مضرَّجٌ | وضفافُ كابل لفها الإجرام

والليل يعوي والزوابع لاتعي | والقدس في وضح النهار تسام

من قاتل عشق الجريمة بعدما | سخرت به وبجنده الأقوام

هبوا إلى العلياء إن تراثنا | في كل أرض سيد وإمام

فإذا استقام على الهداية ركبنا | يخضرُّ فوق هضابنا الإقدام

وترف أغصان السعادة فوقنا | وتزول من أصقاعنا الأسقام





شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

- ☐ باكستان ... بعد ضياء الحق
- ☐ من ينقذ السودان ؟
- ☐ الانتخابات الرئاسية في لبنان
- ☐ آخر الكوارث في بنغلاديش

باكستان ... بعد ضياء الحق

صرح مصدر أمريكي مسؤول أن [يولي فورونتسوف] نائب وزير الخارجية السوفياتي حذر السفير الأمريكي في موسكو من أن السوفيات سيلقنون الرئيس الباكستاني درساً إذا لم يوقف دعمه للمجاهدين الأفغان .

وأضاف المسؤول الأمريكي أننا اعتقدنا أنهم ـــ أي السوفيات ـــ سيقومون ببعض التفجيرات في أهداف في باكستان ، وقد ذهبنا إلى السوفيات وحذرناهم من تفجير أي أهداف باكستانية وأكدنا لهم اهتمامنا العميق بباكستان ، وردوا بقولهم : إنهم لن يفجروا شيئاً ولكنهم سيلقنون ضياء الحق درساً [1] . كان ذلك حوالي ٧ / ٠٨ / ١٩٨٨ .

وفي ١٥ / ٨ / ١٩٨٨ أعلن المسؤولون في الكرملين بأن دور باكستان لم يعد من الممكن احتماله أو التسامح به ، وأن الاتحاد السوفياتي يحتفظ لنفسه بحق اتخاذ مايرى من الإجراءات ضد هذا الدور [2] .

وفي ١٧ / ٨ / ١٩٨٨ ـــ أي بعد تهديد موسكو بيومين ـــ مات الرئيس

---

١ ـــ الصنداي تلغراف ٢٨ / ٨ / ١٩٨٨ .
٢ ـــ التايمز ١٩ / ٨ / ١٩٨٨ .

الباكستاني ضياء الحق عندما انفجرت في الجو الطائرة التي كانت تقله من مطار [باوالبور] إلى مطار [روالبندي] ، وعثرت فرق البحث التابعة للقوات الجوية الباكستانية على جثث الرئيس الباكستاني ورئيس أركانه ، والسفير الأمريكي وآخرين من كبار الضباط والمستشارين متناثرة فوق سهل رملي قريب من حدود باكستان مع الهند ـــ أي في إقليم البنجاب ـــ ... ونقل ماتبقى من هذه الجثث بعد أن بذلوا جهوداً مضنية للوصول إلى جثة الرئيس وتمييزها عن غيرها من الجثث ، هكذا قالوا ، ولربما وضعوا يد هذا مع صدر أو رأس ذاك .

هكذا ينتهي مصير الإنسان في لحظات بينما هو يخطط لعشرات السنين ، وربما كان الرئيس مشغولاً قبل الموت بثوان بالانتخابات والمعارضة ومايفعل بهذا ومايدبر لذاك .

قال تعالى : ﴿ إن الله عنده علمُ الساعةِ ، وينزل الغيث ويعلمُ مافي الأرحام ، وماتدري نفس ماذا تكسب غداً وماتدري نفس بأي أرض تموت ، إن الله عليمٌ خبير ﴾ [لقمان / ٣٤] .

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله جلَّ وعلا بعلمها ، فضياء الحق ماكان يدري أنه سيموت في إقليم البنجاب ، الأرض التي ولد ونشأ وترعرع فيها ، ورحل منها مع والديه وأهله عام ١٩٤٧ أي بعد إنشاء باكستان .

ماكان يدري السفير الأمريكي الداهية المتمرس بشؤون العالم الإسلامي أن طموحه سيقوده إلى هذه النهاية التعيسة ... فلربما كان يخطط ليكون رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية ومؤهلاته تسمح له بمثل هذه الطموحات .

لقد ذهل الناس في باكستان لأن الرحلة كانت سرية ولم يعلن عنها ، ومبلغ علمهم أن رئيسهم في [إسلام آباد] ، وهاهو يموت في إقليم البنجاب ... رئيسهم الذي لمع نجمه ، وعظم شأنه ، وأثبت جدارة في الحكم ودهاء وحنكة في السياسة .

- كم نتمنى أن تنقل إلينا بصدق أحاسيس الطغاة (١) البغاة ومشاعرهم عندما سمعوا هذا النبأ ... لكأننا بهم يخشون من جدران منازلهم ومكاتبهم ، وترتعد فرائصهم من حرسهم وخدمهم ، وتتضاعف دقات قلوبهم عندما يركبون حافلة أو طائرة ... ألا ما أتعس حياة الذين يعيشون في قلق واضطراب ، وماأذل الذين يستبدون وينكلون بالأبرياء الأحرار ليتلذذوا بالحكم وينعموا بالجاه والمال ، ويتناسوا يوماً يرجعون فيه إلى الله ﴿ ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون ﴾ [آل عمران / ١٦١] .

أما المؤمنون القانتون المتصدقون ، فقد أعدوا للموت عدته ، وتزودوا بالتقوى والعمل الصالح ، ويعلمون حق العلم أنهم قد يموتون في كل يوم ، وفي كل سفر ، ويتشوقون إلى تلك الحياة الأبدية السرمدية التي ليس فيها ظلم ولا قهر ولا طغيان ، ويرجون أن ينعم الله عليهم بجنان الخلد وملك لايفنى .

ننتقل خطوة أخرى في هذا الموضوع الحساس ، وقبل تحليلنا لأبعاد مقتل ضياء الحق ، وتحديد هوية القاتلين نريد تسجيل هذه الملحوظات المهمة :

أولاً : مسكين من يقرأ الصحف العربية وحدها ومنها يريد معرفة أوضاع المسلمين في باكستان بعد مقتل ضياء الحق ...

— سيجد فيها صحفيين ينعتون الرئيس الباكستاني الراحل بأقبح النعوت ، لأنه حاكم عسكري مستبد ، مع أنهم يسبحون بحمد حكام عسكريين يحصون أنفاس مواطنيهم ، ولا يتورعون عن قتل كل من يقول لهم لا ، وضياء الحق سمح بوجود معارضة ، وكانت تشتمه وتتآمر ضده ، كما سمح لهم بإصدار نشرات وصحف ومراكز ، وأكثر أحزاب المعارضة كانت تتحالف وتتكتل ضده ، وماأباد منطقة ولا مدينة ولا قرية ، وإنما كان يواجههم بحنكته السياسية فما بال هؤلاء يرون القذى في عيون الناس ولا يرون الجذوع والأغصان في عيونهم ؟!

— سيجد فيها — أي في هذه الصحف — تجاهلاً مؤسفاً لأوضاع المسلمين في باكستان بعد مقتل ضياء الحق ، مع أن باكستان — وكما ذكرنا

١ — ليس في قولنا هذا تعريض لضياء الحق رحمه الله .

في مقالات سابقة ــ من أكثر دول العالم اهتماماً وحماسة للقضايا العربية ، بل ولا تستطيع أية حكومة من الحكومات المتعاقبة فيها أن تتخذ موقفاً معادياً لمصالح العرب في فلسطين المحتلة أو في غيرها ، وهذه الصحف نفسها استنفرت أشد الاستنفار عند مقتل [أنديرا غاندي] رئيسة وزراء الهند السابقة ، ووصفتها بأحسن الصفات وأرفعها ... مع أن العلاقات بين الهند وإسرائيل لم تعد سراً من الأسرار ، لانجد سبباً لمعظم هذه الصحف إلا كرهها للشعوب الإسلامية ، وحبها للشعوبِ العلمانية ، ففي صحيفة عربية يومية دولية تقرأ في عدد من أعدادها الحلقة رقم [٢٠] عن تطورات معركة الرئاسة اللبنانية ، وموضوعات أخرى عن لبنان وطوائف لبنان ، وقطاع طرقها في حين نشرت هذه الصحيفة خبراً لا يتجاوز بضعة أسطر عن مقتل الرئيس الباكستاني ، وأعقبته في اليوم الثاني بتحليل قصير نقلت فيه سموم وكالات الأنباء وانتهى الأمر عند هذا الحد ، وكأنها تتحدث عن الأرجنتين أو عن السويد (١) ، أفلا تكون باكستان عندهم مثل لبنان التي لاتقلل من أهمية المؤامرات التي تدبر ضده ؟!

ثانياً ــ من المصادر التي اعتمدنا عليها : الصحف الغربية وذلك لسببين :

السبب الأول : لأن ساسة الغرب في واشنطن ولندن وغيرهما على صلة وثيقة برئيس باكستان الراحل ومن سبقه ومن يأتي بعده ... يعرفون أسرارهم ومخططاتهم بل ولهم دور مهم في رسم هذه المخططات ، والبلدان الغربية ديمقراطية ، وبدهي أن تتسرب هذه الأسرار أو مايسمى بأسرار إلى كبريات الصحف الغربية لأنها تعمل مع أجهزة مخابرات هذه الدول ... والحقيقة أن كبار السياسيين الغربيين يتعمدون نشر هذه الأخبار لإحراج من يسمونهم أصدقاء في دول العالم الثالث وللضغط عليهم .

نعم إن زعماء الدول الغربية بل رجال المخابرات فيها يعلمون خفايا ومخططات زعماء [إسلام آباد] وغير إسلام آباد ، في حين لايعلم كبار العلماء والدعاة شيئاً ذا بال عن أمور هؤلاء الزعماء ، وإذا سألوا كانت الردود متناقضة

---

١ ــ نستثني مجلات عربية إسلامية ــ على ندرتها ــ اهتمت بشؤون باكستان ونسأل الله أن تزداد كماً وكيفاً .

يكذب آخرها أولها ، ومن هؤلاء العلماء من تغلب عليه السطحية ، ويصدق كل مايقال له .

والسبب الثاني : أن أهم ماتنشره الصحف العربية تقوم بترجمته عن الصحف الغربية ، وهذه ــ والله ــ هي البلية بعينها أن يحدثنا الغربيون من النصارى واليهود عن خفايا أمورنا وأسرارنا ، وبعد كل حدث يحدث في بلادنا تتجه أنظارنا إلى صحفهم وأجهزة إعلامهم لنجد فيها الوثائق والأسرار ... وإذا كان الأمر كذلك فنرجو أن نوفق في غربلة ماينشرون فنرد أكاذيبهم وماأكثرها ، وننقل عنهم مايثبت عندنا بعد التمحيص والتثبت .

ثالثاً : تتحكم العواطف في عقول كثير من الإسلاميين في مثل هذه الظروف ، ولا يقبلون شيئاً يصدم عواطفهم وينكأ جراحهم ، ولو كان حقاً ومدعوماً بالشواهد والأدلة . ونحن لاننكر أن لنا عواطف كما أن لهم عواطف ، ونشعر بعظم المصيبة التي وقعت في بلد نحبه ونحب أهله ، ونعرف حجم الضرر الذي لحق بإخواننا المجاهدين الأبطال من رجال الأفغان ، ونعلم أن ضياء الحق أعطاهم عهداً بعد التوقيع على معاهدة جنيف بأنه لن يتخلى عنهم ... نعرف هذا وغيره لكننا سنقول في هذا التحليل ما نعتقد أنه حق ، ولو كان يصدم عواطف كثير من الناس ، والذي نرجوه من الذين يخالفوننا أن ينظروا في الأدلة التي اعتمدنا عليها ، وإن أصروا بعد هذا على موقفهم فعليهم أن يتذكروا أن هذه المسألة من المسائل التي يجوز فيها الاجتهاد واختلاف وجهات النظر .

وبعد ذكر هذه الملحوظات ننتقل إلى خطوة أخرى ينتظرها القارىء بفارغ الصبر ، وطبيعة الموضوع تفرض علينا تقسيمه إلى الفقرات التالية :

أولاً ــ نبذة عن حياة ضياء الحق .
ثانياً ــ المتهمون بقتل ضياء الحق .
ثالثاً ــ الدور الأمريكي في باكستان .
رابعاً ــ باكستان بعد ضياء الحق .

أولاً ــ نبذة عن حياة ضياء الحق :

ولد ضياء الحق في ١٢ / ٨ / ١٩٢٤ في مدينة « جولاندار » في مقاطعة البنجاب ، وتلقى تعليمه في كلية « سانت ستيفنز » في دلهي والتحق بعدئذٍ بالجيش البريطاني في الهند ، وأصبح ضابطاً فيه سنة ١٩٤٥ ــ سلاح الفرسان ــ ، وفي عام ١٩٤٨ رحل مع أسرته إلى كراتشي في دولة باكستان الجديدة وأصبح ضابطاً في جيشها ، وكان يُعرف عنه أنه ضابط هادىء منضبط ، وليس له طموحات سياسية ، وكان يحب العسكرية كما كان محبوباً بين زملائه ومرؤوسيه .

وفي باكستان واصل علومه العسكرية ، وتخرج من كلية الأركان عام ١٩٥٥ ثم عاد ليعمل مدرساً في الكلية المذكورة .

وفي عام ١٩٦٥ شارك في الحرب التي نشبت بين باكستان والهند ، وفي عام ١٩٦٩ م سافر للأردن وعمل مستشاراً عسكرياً ، ومن الجدير بالذكر أن علاقات الأردن مع باكستان متميزة ، وشهد في الأردن معارك أيلول ، وفي عام ١٩٧١ شارك في الحرب الهندية الباكستانية التي انتهت بانفصال الجزء الشرقي من باكستان عن الجزء الغربي ، وسميت هذه الدولة ــ بنغلادش ــ .

وفي عام ١٩٧٦ م اتخذ الرئيس الباكستاني السابق قراراً بترقية ضياء الحق إلى رتبة جنرال ، وعينه قائداً للجيش ، وتجاوز ــ بوتو ــ جنرالات آخرين كانوا أقدم من ضياء الحق ، وذلك بسبب ثقة بوتو به واطمئنانه إليه .

وفي عام ١٩٧٧ م راح بوتو ينكل بخصومه وقاوم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، وعمل على نشر الأفكار العلمانية ، وثقافة الغرب وأخلاقياته ومفاسده ، فعارضته الجماعات الإسلامية ، وأدت هذه المعارضة إلى وقوع قلاقل واضطرابات انتهت باستيلاء الجيش على زمام الأمور في البلاد ، وكان ضياء الحق قائد الانقلاب العسكري الذي أطاح بنظام بوتو وقدمه إلى محاكمة ، وحكمت عليه المحكمة بالإعدام ، وتم إعدامه فعلاً لأنه دبر جريمة قتل أحد معارضيه .

وشكل ضياء الحق حكومة شاركت فيها الجماعات الإسلامية مهمتها

تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية غير أنه تراجع فيما بعد أمام معارضة أمريكا والدول الغربية ، وشركائه العسكريين .

وفي عام ١٩٧٩ م وقف ضياء الحق إلى جانب المجاهدين الأفغان في حربهم ضد الغزاة البلاشفة السوفيات ، ومهما كان هدفه من تأييد المسلمين الأفغان ــ والنوايا لايعلمها إلا علام الغيوب ــ فقد اكتسب شهرة عالمية ، وتعززت علاقاته مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وتدفق المال والسلاح على باكستان بعد فتور في العلاقات بسبب المفاعل النووي وغيره .

وفي عام ١٩٨١ لعب دوراً مهماً في اللجنة التي شكلها مؤتمر القمة الإسلامي لتسوية النزاع بين العراق وإيران ، وفشلت اللجنة في مهمتها أمام تعنت إيران وإصرارها على استمرار الحرب ، واعتبرت العراق ضياء الحق طرفاً في النزاع وليس وسيطاً ، واتهمته بالانحياز إلى جانب إيران .

توفي في ١٧ / ٨ / ١٩٨٨ بعد سقوط طائرته وترك وراءه أرملة وولدين وثلاث بنات .

ثانياً ــ المتهمون بقتل ضياء الحق :

من حق القراء علينا أن نطلعهم على أهم مانشرته الصحف ووكالات الأنباء عن مقتل الرئيس الباكستاني ، وبعد هذا العرض سنقول رأينا ونبين موقفنا والقرائن التي اعتمدنا عليها .

وخلاصة مانشر ــ فيما اطلعنا عليه ــ ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ السوفيات والهنود .
٢ ــ أتباع إيران .
٣ ــ الجيش الباكستاني .

١ ــ السوفيات والهنود :

قالت صحيفة [الأوبزرفر] في عددها الصادر بتاريخ ٢٨ / ٨ / ١٩٨٨ :

• أصبحت السلطات الباكستانية الآن مقتنعة بمسؤولية جهاز المخابرات الهندية عن تحطم طائرة ضياء الحق ... وفشل فريق الخبراء الأمريكي الذي تولى مهام فحص حطام الطائرة في التوصل إلى معرفة سبب الحادث .

غير أن راجيف غاندي رئيس وزراء الهند أعلن في أعقاب مقتل الرئيس ضياء الحق أن حكومته غير مسؤولة عن الحادث ، كما أعلن الحداد لمدة ثلاثة أيام في جميع أنحاء الهند ، إلا أن مسؤولين باكستانيين على مستوى رفيع لاحظوا باهتمام وصول ٣٠٠ من رجال جناح الأبحاث والتحليل الهندي أي جهاز المخابرات المسؤول عن القضايا الخارجية إلى كابول قبل حادث الطائرة .

وتعتقد باكستان بأن هناك تحالفاً بين المخابرات الهندية وجهاز المخابرات الأفغاني [خاد] ، وجهاز المخابرات السوفياتي [كي ، جي ، بي] ، ويقال أن جنرالاً سوفياتياً مسؤولاً عن التنسيق بين هذه الأجهزة الثلاثة .

ومن المؤكد أن معظم جهود وعمليات جهاز المخابرات الهندي موجهة مباشرة ضد باكستان ، ويعترف المسؤولون في إسلام آباد باختراق جهاز المخابرات الهندي لقواتها المسلحة على مستويات منخفضة ، ويستفيد جهاز المخابرات السوفياتي ونظيره الأفغاني من هذا الاختراق في عملياتهم المشتركة ضد باكستان .

وجدير بالذكر أنه في صبيحة اليوم الذي تحطمت فيه طائرة الرئيس ضياء الحق ، أُطلِق [؟ . ؟] صاروخاً على المجمع النفطي الكبير في ميناء كراتشي المعروف باسم [كماري] ولكن هذه الصواريخ التي يتهم الباكستانيون الهنود بإطلاقها ، لم تصب أهدافها ، ولو أصابت أهدافها لاشتعل نصف مدينة كراتشي .

وتؤكد تقارير الصحف الباكستانية أن طائرتين عموديتين تابعتين للجيش الأفغاني هبطتا عن طريق الخطأ في قضاء خرّم الواقع في شمال غربي باكستان كانتا تقلان ضباطاً سوفيات وهنود ، ويعتبر وجود الضابط الهندي تأكيداً آخر على التعاون بين دلهي وكابل وموسكو .

وفي إقليم السند الجنوبي من باكستان الذي يشهد حالة من الاضطرابات ،

تشير أصابع الاتهام إلى عملاء جهاز المخابرات الهندي ، بتمويل المجموعة المحلية المنشقة . ويقال إن المساعدات الهندية لهذه المجموعات الانشقاقية هي رد على الدعم الباكستاني المزعوم للمتطرفين السيخ الذين يطالبون بالاستقلال في إقليم البنجاب في الهند ، ورغم أن دلهي هي كما هو متوقع الطرف الذي تلقى عليه إسلام آباد مسؤولية معظم المشاكل التي تواجهها إلا أنه مما لاشك فيه أن الهند ونظام كابول المدعوم من جانب السوفيات يعملان معاً ضد المجاهدين الأفغان .

فثمة مصلحة مشتركة تجمع الهند وأفغانستان في الحيلولة دون وصول المجاهدين الأفغان الذين كانوا يحظون بدعم ومساندة الرئيس ضياء الحق إلى السلطة في أفغانستان بعد إكمال الانسحاب السوفياتي . وكانت نية الرئيس ضياء الحق المعلنة أن يحتفل بالانتصار الأخير للمجاهدين ، وذلك بأداء الصلاة في المسجد المركزي في العاصمة كابول . وكانت الهند قلقة من أن انتصار المجاهدين سوف يرجح ميزان القوى ضد مصلحتها في المنطقة .

ــ ونقلنا في طليعة هذا التحليل مانشرته [الصنداي تايمز] في عددها الصادر بتاريخ ٢٨ / ٨ / ١٩٨٨ عن تهديدات المسؤولين السوفيات في موسكو العلنية لضياء الحق ونظامه ، وأضافت الصحيفة :

« وكانت موسكو قد تعرضت لنكسة كبيرة في ١٣ / ٨ / ١٩٨٨ عندما دمر صاروخان أطلقهما المجاهدون أكداساً هائلة من العتاد خارج مدينة كابول ، وقالت مصادر رسمية أمريكية أن [٥٠٠] من الروس سقطوا قتلى فيما جرح أكثر من [١٠٠٠] آخرين ، كما دمرت كميات من الأسلحة التابعة للحكومة كانت كافية لمدة سنة .

وصدرت عدة تصريحات لمسؤولين حكوميين منهم رئيس الوزراء وغيره تشير إلى أن أجهزة الأمن الباكستانية كان لديها معلومات تفيد أن أعداء ضياء الحق من السوفيات وعملائهم في كابول وحلفائهم في دلهي يخططون لقتل ضياء الحق وأن الأخير أجاب عندما أخبروه : « الموت والحياة بيد الله » .

ثانياً ــ دور أتباع إيران :

هناك من يقول : إن أتباع إيران وراء تنفيذ هذه الجريمة ، ويذكرون شواهد على ذلك نوجزها فيما يلي :

١ ــ صباح ٥ / ٨ / ١٩٨٨ تم قتل المدعو عارف حسين الحسيني رئيس حركة تطبيق الفقه الجعفري في باكستان ، ونفذ القاتل عمله بواسطة مسدس كاتم للصوت ، وألقى المسدس فوق الجثة وفر بعيداً ولم يعثر له على أي أثر ، واتهم أنصاره الحكومة بالقتل في بيان نشرته صحيفة [نواي وقت] بالأردو بتاريخ ٧ / ٨ / ١٩٨٨ وتعهدوا بالثأر له ، رغم اهتمام ضياء الحق الشديد بمقتل زعيم الشيعة ، وكان أحد الذين صلوا على الجنازة .. كان ذلك قبل مقتل ضياء الحق بعشرة أيام .

٢ ــ ضياء الحق كان متهماً من قبل العراق بانحيازه لإيران ، وثبت أنه قدم لهم مساعدات كثيرة ، وغض الطرف عن نشاطهم في باكستان ، ومع ذلك فمؤامرات إيران ضده لم تنقطع ، وكانوا يقاومون مبدأ تطبيق الشريعة الإسلامية بمختلف وسائلهم وطرقهم المعروفة ، ولا يتورعون عن التعاون مع أعداء الإسلام داخل باكستان وخارجها ، ولهذا فمن يراقب تحركاتهم خلال السنتين الماضيتين يعلم أن صلاتهم مع الهند من جهة ومع الاتحاد السوفياتي من جهة أخرى كانت قوية جداً ، وكانوا يتعاونون مع هاتين الدولتين ضد المسلمين السنة في باكستان وأفغانستان .

٣ ــ قالت صحيفة الصنداي تايمز في عددها الصادر بتاريخ ٢١ / ٨ / ١٩٨٨ :

« ... والشيعة في طليعة الذين يتشوقون لسماع نبأ موت ضياء الحق ، ويكنون له كل كراهية لعلاقاته مع أمريكا (١) ، ولتطبيقه أحكام الشريعة الإسلامية السنية ، ويعتقدون أن ضياء الحق كان وراء اغتيال عارف الحسيني ــ زعيم طائفتهم ــ في منطقة قرب بشاور ، وأقسم أتباعه على الأخذ بالثأر ، كما أنهم

---

(١) ــ كلهم ذاك الرجل .

احتفلوا حين سماعهم نبأ مقتل ضياء الحق » .

وقالت صحيفة [الجارديان] في عددها الصادر بتاريخ ١٩ / ٨ / ١٩٨٨ :

« وأقام الشيعة احتفالات احتفاءً بمقتل ضياء الحق في مختلف المناطق التي يكثرون فيها ، ومنها [براشنار] على الحدود الباكستانية الأفغانية وقد اعتقلت الشرطة الباكستانية مائة منهم لإطلاقهم الأعيرة النارية في الهواء تعبيراً عن فرحتهم ، وفي مدينة مجاورة خرجت جموع السنة في موكب ثأري » .

وذكرت [الفايننشال تايمز] في عددها الصادر بتاريخ ١٩ / ٨ / ١٩٨٨ أن المتشددين الشيعة هم المتهمون بمقتل ضياء الحق .

٤ ــ ذكرنا في المقال السابق [باكستان وتحكيم الشريعة الإسلامية] أن لأتباع إيران ثقلاً في الجيش ــ رغم أن نسبتهم من عدد السكان لاتتجاوز ٥٪ وهم يزعمون أنها أضعاف هذه النسبة ــ وأشارت الجارديان الصادرة بتاريخ ٢٤ /٨ / ١٩٨٨ م إلى نفوذ الشيعة في سلاح الجو فقالت :

« يجري التحقيق مع أفراد من الأقلية الشيعية يعملون في سلاح الجو الباكستاني ، متهمين بحادث إسقاط الطائرة ، ويقول دبلوماسي رفيع المستوى : إن فريق الخبراء الأمريكي الباكستاني المشترك قد أُخبِرَ أن عضواً في طاقم القيادة في الطائرة الرئاسية كان شيعياً متحمساً وناقماً بسبب اغتيال زعيم الطائفة الشيعية الذي تم في ٧ / ٨ / ١٩٨٨ .

ويبحث [الفريق] الآن في احتمال قيام ذلك الضابط ــ عضو طاقم القيادة ــ بوضع قنبلة على متن الطائرة ، أو قيام أحد غيره بإحداث أمر ما أدى إلى خروج الطائرة عن نطاق السيطرة ، وحسبما يقوله مصدر دبلوماسي آخر فإن فريق التحقيق مازال يحقق في النظرية القائلة : إن عمال الشيعة على أرض مطار [باوالبور] قاموا بتهريب مواد متفجرة إلى الطائرة ، **ويصر السياسيون الباكستانيون أن سقوط الطائرة جاء نتيجة لعمل تخريبي ، وأنهم لا يستطيعون الإفصاح عن هوية الفاعل »** .

وإذن فقائد الطائرة أو عضو في طاقم قيادة الطائرة الرئاسية من الشيعة المتحمسين لإيران ، ووزير دفاع آخر حكومة باكستانية أمر بتشكيلها ضياء الحق ـــ محمود هارون ـــ من شيعة إيران ، فماذا بقي من أسرار أجهزة أمن ضياء الحق ؟! ، ومن قبل مر ذكر كثافة وجودهم في سلاح الجو هذا الذي عرفنا ـــ رغم إطلاعنا المتواضع ـــ ومالم نعرفه أكثر ، والأمر لله من قبل ومن بعد .

٣ ـــ الجيش الباكستاني :

قالت صحيفة [الجارديان] في عددها الصادر بتاريخ ١٩ / ٨ / ١٩٨٨ م مايلي :

« عندما كان المحققون يفحصون حطام الطائرة [سي : ١٣٠] التي تحطمت يوم ١٧ / ٨ / ١٩٨٨ والتي كانت تقل ضياء الحق ، كانت أصابع الاتهام تتجه إلى الجيش الباكستاني ، وفي خضم عدد من النظريات التي تحاول تفسير لغز الحادث بردّه إلى قوى خارجية غير مسماة ، وإلى سياسيين متعصبين ، يرى المحللون أن البحث عن القتلة يجب أن يبدأ بين أوساط الجيش مالم تتم الإجابة عن الأسئلة الحاسمة التي تبين الظروف التي قتل بها ضياء الحق .

وضياء الحق كان لايسافر في العادة إلا في وسط احتياطات أمن صارمة ، وكان يعتمد في ذلك بشدة على الجيش ، كما أنه كان يصطحب معه على طائرته ـــ طبعاً ليس حباً في الصحبة ـــ فريق [التقنيين] الذين يقومون بخدمة وصيانة الطائرات التي يسافر بها ، ويشرف على هذه الترتيبات المخابرات العسكرية المعروفة باليقظة والحذر لاسيما بعد محاولة الاغتيال التي جرت في عام ١٩٨١ م ، وهناك أجهزة أمنية أخرى تشارك المخابرات العسكرية دورها .

وكان ضياء الحق ينتقل ـــ يوم ١٧ / ٨ / ١٩٨٨ ـــ من قاعدة شديدة الحراسة قرب [بهاولبور] إلى أخرى في [روالبندي] ، والأهم من ذلك أن رحلته غير معلن عنها وغاية في السرية ، وكان من بين ماشملته مشاهدة عرض سري لدبابة [M 1] الأمريكية ، ويقول المحللون ، طالما أنه من الصعب

الاعتقاد أنه بمقدور المخابرات الأفغانية [خاد] أو غيرها جمع معلومات كافية عن تنقلات ضياء الحق بحيث تمكنهم من وضع قنبلة أو منصة إطلاق صواريخ في طريق الطائرة ، فإنه من المرجح أن يكون ضباط غير موالين للنظام من المخابرات العسكرية قد حصلوا على معلومات عن رحلات ضياء الحق وتحركاته . والجيش الباكستاني حافل سجله بمثل هذه المؤامرات . ونظراً لقسوة ضياء الحق مع خصومه ، فقد يكون الضباط الكبار الذين يمكن الاعتماد عليهم أصبحوا أقل من قليل ... وفي المرتبة التي تلي ضياء الحق ورجاله الكبار نجد ضباطاً منقسمين على أنفسهم ، وبعضهم يتعاطف مع [بنازير بوتو] ، كما أن كثيراً منهم ذوو ثقافة غربية ولهذا يعارضون توجهات ضياء الحق الإسلامية ، وعلى مختلف اتجاهات الضباط فمعظمهم يعارضون تورط باكستان في أفغانستان » .

وقالت مصادر رسمية باكستانية :

إن إمكانية الوصول إلى الطائرة كانت مقصورة على شخصيات عسكرية رفيعة المستوى . ويستبعد الخبراء العسكريون أن يكون سقوط الطائرة بسبب عطل [تقني] لأن الطائرة [سي ـــ ١٣٠] من أكثر طائرات النقل استقراراً في العالم ويمكن أن تحلق بمحرك واحد وأن تهبط في أي مكان يتسع لها ، وهناك متسع في مكان الحادث ، ولو كان الأمر ناتجاً عن عطل تقني لكان الطيار قد اتصل بالراديو ثم حاول الهبوط ولكنه لم يفعل .

وكالات الأنباء ١٨ / ٨

وذكرت وكالات الأنباء [٢١ / ٨ / ٨٨] عن مصادر رسمية أن السلطات الباكستانية حققت مع [٥٠٠] شخص بعد أن ألقت القبض عليهم ، وذلك في مدينتي [باوالبور وملتان] الشرقيتين ، وفي قاعدة [تشاكالا الجوية] القريبة من إسلام آباد ، وفي مدينة لاهور الوسطى ، كما ألقت القبض على مسؤولي الأمن وعدد من عمال الأمتعة في مطار روالبندي الذي أقلعت منه الطائرة ... وذكرت وكالة رويتر في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ / ٨ نقلاً عن ضابط متقاعد من الجيش قال : إن المحققين يستجوبون [٥٥] جندياً من سرية المدفعية الثانية والعشرين كانوا يتولون حراسة الطائرة ، وعاملين في سلاح الجو لم يحدد عددهم

بخدمة الطائرة وصيانتها خلال وجودها في [باوالبور] وطلب الضابط المتقاعد وهو برتبة [ميجر] كان يخدم سابقاً في السرية المذكور عدم الكشف عن اسمه .

ونقلت وكالات الأنباء الصادرة بتاريخ ٢١ / ٨ / ١٩٨٨ عن الرئيس الباكستاني بالوكالة قوله :

« إن العدو اخترق الدفاع الداخلي للبلاد مضيفاً أن لبلاده أعداء في الداخل والخارج يمكنهم تنسيق عملهم » .

ومن يتصفح أسماء الذين قتلوا مع ضياء الحق يتعجب من قوة اطلاع الذين نفذوها . لقد قتل في هذه المجزرة رئيس أركان الجيش الجنرال [أختر عبد الرحمن] الذي كان الساعد الأيمن لضياء الحق ، وكان يتولى مسؤولية الاتصال مع المجاهدين الأفغان ، ويدربهم على الأسلحة التي تقدمها لهم الولايات المتحدة الأمريكية ، وقتل معه تسعة من كبار الضباط المعروفين بولائهم لضياء الحق ، وكانوا أصحاب القرار في الجيش ، وكأن الذين اخترقوا الجيش الباكستاني هم الذين خططوا لهذه الرحلة ليتخلصوا من جميع الذين يزعجونهم ويقلقونهم ، ولينفردوا بعدهم بشؤون الحكم .

وقالت صحيفة [هانغ] الناطقة بالأردو : إن بعض الأشخاص في المطار دسوا مادة قابلة للاحتراق في الطائرة ، وإذا ماصح هذا الافتراض فأجهزة الأمن تريد معرفة أسباب إخفاق معدات الكشف في المطار في معرفة هذه المادة .

والذي نراه : أن جيش ضياء الحق هو الذي قتل ضياء الحق ، فلو قبلنا الرواية التي تقول : إن السوفيات وعملاءهم في كابول هم الذين دبروا هذا الحادث لكان من مستلزمات قبولنا لها القول : إنهم ــ أي السوفيات ــ استخدموا عملاء لهم في المخابرات أو في سلاح الجو الباكستاني في تنفيذ هذه المهمة ، وقل مثل ذلك عن الهنود والإيرانيين ، وهذا الذي حذرنا منه في مقالنا السابق ، وهذه هي سيرة قادة جيوشنا المعاصرة .

وكنا نعلم أن الجهات المسؤولة في إسلام آباد وواشنطن لن تعلن عن هوية المسؤولين عن هذه الجريمة ، فالولايات المتحدة الأمريكية لاتريد مواجهة عسكرية مع السوفيات أو مع الهند أو حتى مع إيران ، ولو خسرت رجلاً من أبرز سفرائها في الخارج ، وهذا القول يفسر لنا الخبر التالي :

ـــ « صرح مسؤولون باكستانيون في الأسبوع الأول الذي أعقب تحطم الطائرة أي من ٢٢ إلى ٢٧ / ٨ أن الولايات المتحدة حريصة على عدم كشف حقيقة تورط الروس في الحادث » . ونضيف : وكذلك فإنها حريصة على عدم كشف تورط الهند وإيران .

ـــ وذكرت وكالات الأنباء في ٢٠ / ٨ أن السلطات الباكستانية منعت الصحافيين وحتى بعض المسؤولين الحكوميين من الوصول إلى المنطقة التي تحطمت فيها الطائرة . وهذا المنع يدل على أنهم لايريدون الإعلان عن نتائج التحقيق منذ البداية .

ـــ ونشرت صحيفة الصنداي تايمز في عددها الصادر بتاريخ ١١ / ٩ / ١٩٨٨ م الخبر التالي :

« بات المحققون الباكستانيون مقتنعين أن طائرة ضياء الحق تحطمت بسبب انفجار قنبلة فيها ، وتقول المصادر الرسمية في إسلام آباد أن ست فرق تحقيق باكستانية وأمريكية توصلت إلى شبه إجماع على أن انفجار قنبلة كان السبب في سقوط الطائرة وتحطمها .

ويخشى المسؤولون أن يكون الإفصاح عن تورط تخريبي داخلي سبباً في تقويض الاستقرار السياسي الهش في باكستان ... ونتيجة لذلك يتوقع المسؤولون احتمال بقاء نتائج التحقيق سراً دائماً من أسرار الدولة .

وقال مسؤولون باكستانيون : إن مما توصل إليه فريق التحقيق التابع لشركة [لوكهيد] المصنعة للطائرة هو أن الطائرة لم تسقط بسبب عطل ميكانيكي ، أما المحققون العسكريون فهم مقتنعون بأن الأدلة القوية تشير إلى أن الطيار كان

قد فقد السيطرة بعد وقوع انفجار منخفض القوة بالقرب من غرفة قيادة الطائرة .

وبشكل استثنائي فقد اقتصرت التحقيقات على شخصيات عسكرية ، وتقول هذه المصادر أن نتائج التحقيقات تقدم مباشرة إلى الجنرال [ميرزا اسلام بيك] المسؤول عن عمليات التحقيق » .

وجملة القول فإنهم يخشون من إعلان نتائج التحقيق ، ولو كان المتورطون حزباً أو جماعة من جماعات المعارضة ، وكان أصحاب القرار من العسكريين والمدنيين المسؤولين من أصحاب ضياء الحق ومحبيه لأعلنوا النتائج وكانت هذه هي فرصتهم للبطش بالمعارضة أو بركن من أركان المعارضة وتعريتها أمام الشعب .

ولو كان المتورطون هم السوفيات والهنود ، وكان أصحاب القرار في باكستان صادقين في قولهم بأنهم لن يغيروا أو يبدلوا من سياسة باكستان الداخلية أو الخارجية ... لوجب عليهم الإعلان عن نتائج التحقيق ليحرجوا هاتين الدولتين ، ويكسبوا عطف وتأييد المناهضين للإجرام وسفك الدماء .

فلم يبق أمامنا إلا احتمال واحد : أن يكون أتباع إيران هم المدبرين لهذه الجريمة ، وفي هذه الحالة يصعب أن يعلن المسؤولون نتائج التحقيق لأنهم في هذه الحالة يخشون حرباً طائفية في البلاد ، وهم لايمتلكون الجرأة ، ولا يريدون أن يكون مصيرهم كمصير ضياء الحق ، والأدلة التي ذكرناها فيما مضى على ترجيح هذا الاحتمال ليست ضعيفة ، أما أن الجيش هو الذي قتل ضياء الحق فهذا مما نجزم به .

عودة إلى تصريحات رئيس الدولة بالوكالة :

نقلت صحيفة [الأوبزرفر] في عددها ٢٨ / ٨ عن مسؤولين باكستانيين في إسلام آباد اعترافهم باختراق العدو لقواتهم المسلحة .

ونقلت وكالات الأنباء ٢١ / ٨ عن الرئيس بالوكالة قوله : « إن العدو اخترق الدفاع الداخلي للبلاد مضيفاً أن لبلاده أعداء في الداخل والخارج يمكنهم تنسيق عملهم » .

وهذا التصريح لابد أن يفهم ضمن الأطر التالية :

١ ــ جاء في ظروف بالغة الحساسية ، لايستطيع المرء فيها أن يكبت عواطفه أو يكبح مشاعره ، جاء بعد مقتل ضياء الحق بأربعة أيام .

٢ ــ طبيعة الرئيس الجديد متحفظ يحب أن يسمع ولا يحب أن يتكلم ــ سنذكر في موضع آخر أهم صفاته ــ ، ويعزف عن إصدار التصريحات والبيانات .

٣ ــ صدر هذا التصريح عن رئيس باكستان بالوكالة وهذا يعني أنه يعكس أكداساً من التقارير الأمنية ، ويعبر عن وجهة نظر لجنة التحقيق الباكستانية ، ويعبر أيضاً عن موقف كبار القادة من العسكريين والمدنيين ... وبسبب أهمية هذا التصريح وخطورته ، نريد أن يعرف كل مسلم في أي مكان من المعمورة مايلي :

ــ إن اختراق الأعداء في الداخل والخارج لم يبدأ في ١٧ / ٨ يوم منقطت الطائرة وقتل من كان على متنها ، ولا قبل هذا التاريخ بعام أو عامين ، ولم يكن قاصراً هذا الاختراق على حرب عام ١٩٧١ التي انتهت بانفصال باكستان الشرقية عن الغربية .

ــ لقد بدأ هذا الاختراق عندما تولى الإنكليز أمر تأسيس هذا الجيش عام ١٩٤٧ ، وتولوا تدريب ضباطه وتعليمهم وتثقيفهم ، ولم يكن هذا التدريب ــ في العواصم الغربية ــ على السلاح بقدر ماكان على الأفكار والمجون والخلاعة والفجور .

واستمر هذا الاختراق عندما أسند إلى الأمريكان أمر الإشراف على هذا الجيش ، فكانوا أقل ذكاء ودهاء وشجاعة من الإنكليز ، ولم يرضهم

ماكان يرضى به الإنكليز ، وأصبح خبراؤهم ومستشاروهم القادة الفعليين لهذا الجيش .

ـ وبدأ هذا الاختراق عندما خالف القائمون عليه من الباكستانيين تعاليم دينهم الحنيف [لا نستعين على مشرك بمشرك] ، وفتحوا الباب على مصراعيه أمام الباطنيين والقاديانيين والشيوعيين وغيرهم وغيرهم من الملاحدة الفاسقين ، وأصبح هؤلاء قادة في البر والبحر والجو .

ومن يتصفح تاريخنا الإسلامي يعلم أن هؤلاء لم ولن يكونوا مخلصين لباكستان وغير باكستان من بلدان العالم الإسلامي ، ولن يكفوا عن الكيد والاختراق والتآمر ، ولن يتورعوا عن التعاون مع الشيطان وحزب الشيطان ضد المسلمين الذين يلتزمون منهج الصحابة رضوان الله عليهم ، وقاعدتهم المعروفة من ليس معنا فهو ضدنا ... وسوف يستمر هذا الاختراق والتآمر مادام لهؤلاء وجود في جيوشنا .

ـ ومهما كانت الظروف التي دعت الرئيس الجديد بالوكالة إلى الإدلاء بهذا التصريح فقد كان صريحاً وجريئاً ، وغيره لايعترف بهذه الحقيقة ، ولا يسمح لأحد أن ينطق بها ، أو يحذر من عواقبها رغم وجود هذه الاختراقات وتكرار الهزائم بسببها ، ففي أعقاب هزيمة ١٩٦٧ لم يقل قائد من قادة دول المواجهة مع إسرائيل :

لقد استطاع العدو اختراق جيشنا ، مع أن عجائز هذا البلد تتحدث عن هذه الاختراقات ، ونشرت وثائق عجيبة في العالم عن هذه الاختراقات ، وبعض هذه الوثائق نشرها الرفاق الذين كانوا يشاركون في صنع القرار أيام الهزيمة ... نشروها بعد أن انقلب الود إلى ضده ... ووثائق أخرى نشرها كوهين وباروخ نادل وغيرهما من جواسيس إسرائيل الذين زرعتهم في بلادنا .

أما الذين كانوا أسرع من الغزلان في الهزيمة ، ولم يطلقوا رصاصة واحدة ضد العدو ، فلقد امتلأت صدورهم وظهورهم وسواعدهم أوسمة وحازوا فيما بعد أعلى المناصب .

ليسأل كل مسلم نفسه :

هل يقبل الاتحاد السوفياتي مسلمين ملتزمين بالإسلام كضباط ، بل كجنود في جيشه ومخابراته ؟!

وهل يقبل اليهود في فلسطين المحتلة مسلماً في جيشه ... هذه فلسطين المحتلة فاسألوا أهلها ؟! . وقل مثل ذلك عن الهندوس وغيرهم وغيرهم .

بل أخبرونا بالله عليكم عن مسلم سني – ولو كان فاسداً منافقاً – تولى قيادة لواء من ألوية جيش الخميني أو تولى وزارة من الوزارات في حكوماته المتعاقبة ؟!

فإلى متى يقبل المسلمون أن يكون النصارى والباطنيون والشيوعيون والملاحدة ضباطاً وقادة في جيوشنا ؟! ، وإلى متى نعيش غرباء في أوطاننا ؟! □

تنويـــــه

تتمة هذا الموضوع [باكستان بعد ضياء الحق] لن تنشر في أعداد قادمة من البيان ، وستنشر مع غيرها من الموضوعات المهمة التي سبق نشرها في البيان في كتاب مستقل وسيكون بين أيدي القراء في وقت قريب جداً إن شاء الله .

من ينقذ السودان ؟

بالإضافة إلى ماعاناه السودان من الصعوبات المتواصلة ، وما يلاقيه من مختلف المعوقات التي تعوق نموه وتقدمه ، فإن كارثة الفيضانات الأخيرة جاءت لتضيف عبئاً جديداً على كاهل هذا البلد العربي المسلم .

وهكذا أضيفت إلى ماسبقها من الحكم الديكتاتوري ، والجفاف الطويل ، والحرب الأهلية التي تغذيها القوى الخارجية التي لايسرها هدوء العرب ، ولا استقرار المسلمين .

فقد داهمت السيول والأمطار السودان فشردت عشرات الآلاف من السكان وجعلت نهر النيل يفيض ليغرق المساكن والمدخرات ، ويدمر المحاصيل الزراعية ويشل حركة معظم البلد تقريباً .

إن مايزيد المأساة هو أن هذا الطوفان أضاف إلى معاناة الأعداد الكبيرة من السكان الذين يسكنون في ضواحي المدن في بيوت متواضعة ، وفي أحوال يصعب وصفها ، وأكثرهم من اللاجئين الهاربين من مسرح الحرب الأهلية الدائرة والتي يشب نارها الصليبيون والذين يدعمونهم من أعداء السودان الخارجيون .

والدروس المستفادة من هذه الكارثة كثيرة منها :

١ ــ إن مساعدات العالم الغني لم تكن كما هو منتظر ، وهذا واضح من اعترافات المسؤولين السودانيين ، ومن مقارنة المعونات التي قدمتها هذه الدول بما قدمته بعض الدول العربية والإسلامية . مع أن هذه الدول الغنية عليها التزام أدبي بمساعدة الدول الفقيرة أو التي تتعرض للكوارث التي لايد لها فيها . وهذا يوضح انحياز هذه الدول وضعف أخلاقياتها .

٢ ـــ لقد انتهزت هذه الدول الغنية (الأوربية والأميركية) هذه المناسبة لتكيل (عبر مراسليها الصحفيين وإرسالياتها التنصيرية) التهم جزافاً للحكومة السودانية ، وتصفها بالقصور والتمييز في توزيع مواد الإغاثة وقبل وصول هذه المواد أحياناً ، ولم توجه كلمة لوم واحدة للمتمردين وقطاع الطرق الذين يقودهم « جورج قرنق » ونحن نتساءل : ترى لو كانت الأدوار متبادلة ، وقرنق هو الحاكم الشرعي للسودان ومن اتهمتهم هم المتمردون أين ستميل عواطفها الإنسانية ؟

٣ ـــ يجب على الدول العربية والإسلامية أن تعتمد على نفسها ، وتتكافل من أجل مساعدة بعضها بعضاً ، فليس هناك بلد معصوم من الكوارث ، وغير معرض للجوائح والمصائب الجماعية ، لعل في ذلك مايساعد على جمع الشمل ، والتنبه إلى العمل بروح جماعية بين الدول العربية ، وتكون للكارث والمصائب حكمة وفائدة كما قال الشاعر :

« إن المصائب يجمعن المصابينا »

٤ ـــ أن بلداً كالسودان كان ينبغي أن يحسب حساباً لهذه الفيضانات التي وإن كانت مدمرة في قوتها وغزارتها لكنها لها سابقة في تاريخ هذا البلد ، وعلى هذا فإن من أشد الضروريات أخذ الاحتياطات اللازمة ، وتقديم المعلومات للسكان القريبين من المناطق المعرضة لذلك أكثر من غيرها ، هذا على الأقل إذا لم يكن بالإمكان وضع حل يخفف من الآثار المدمرة لهذه الفيضانات □



الانتخابات الرئاسية في لبنان

كان يوم الخميس الموافق للثامن عشر من شهر آب المنصرم هو الموعد المقرر لاجراء الانتخابات الرئاسية في لبنان لتعيين الرئيس الجديد الذي سيخلف الرئيس الحالي في الأعوام الستة القادمة .

إن الراصد لمجريات الأحداث عن كثب في بلد كلبنان ليدرك تماماً وبدون عناء أن قرارات رئيسية كالانتخابات الرئاسية وماشاكلها لايكون لها أن تمضي دون مباركة من قبل واضعي سياسات ذلك البلد ممن تكمن مصالحهم الخاصة في إبقائه في هذه الدوامة من النكبات والفواجع في انتظار اللحظة المناسبة للإجهاز عليه تماماً واقتسام أشلائه ، وفي طليعتهم الأنظمة الباطنية وإسرائيل وأمريكا وآخرون .

وبغض النظر عمن وضع أو سيوضع على كرسي الرئاسة هذه المرة ، فإنه من المعروف جيداً أن النفوذ الذي يتمتع به شاغل هذا المنصب في لبنان بات لايمكنه من البت في اتخاذ أبسط القرارات السياسية مهما كانت تافهة بل إن سلطاته لاتكاد تتعدى أسوار قصره ، وعلى الرغم من ذلك فإن القوى الخارجية ذات المصالح الخاصة في لبنان مافتئت تسعى جادة لضمان فوز مرشحها الذي ينفذ رغباتها ليكون فيما بعد ريشتها التي ترسم بها ــ وبشيء من الشرعية ــ سياساتها الإجرامية المستقبلية ضد شعب هذا البلد المنكوب . لذا فإنه من غير الحكمة الوقوف طويلاً عند هذه الانتخابات التي لاتنطوي على أية

منفعة مرجوة بالنسبة للمسلمين ، ولا التلهف لمعرفة إفرازاتها ، لاسيما أن جميع مرشحي الرئاسة ــ وكما هو معروف ــ من الموارنة المتعصبين لطائفتهم ، ولايبقون لأهل السنة إلا فتاة الموائد .

إن مايجب أن يحرص أبناء السنة في لبنان ــ على مختلف فئاتهم ــ على تحقيقه واعطاء الأولية له وفي ظروف حرجة كالتي يمرون بها ، هو مبدأ التعاون والتناصح ونبذ الخلافات الجانبية والوقوف سداً منيعاً في وجه المتآمرين ضدهم ، كما أن عليهم أن يشمروا عن ساعد الجد لإبراز شخصيتهم المستقلة ودورهم المتميز الواضح تجاه مجريات الأحداث ، وأن يسعوا ليكونوا هم الوجه الحقيقي للمسلمين هناك ، وأن يفوّتوا الفرصة على المتاجرين باسم هذا الدين ، كما يجب أن يكون لهم منبرهم المستقل وأن لاتكون أصواتهم منطلقة من خلال منابر غيرهم من الطوائف والنِّحل التي تزخر بها أرض لبنان ممن يظهرون لهم المودة ويبيتون لهم الحقد والكراهية الدائمين □

****

آخر الكوارث في بنغلاديش

رغم اعتياد أهل بنغلاديش الكوارث فإن كارثة هذا العام فريدة من نوعها ، فقد تواصل هطول الأمطار ، وعمت الفيضانات أغلب أنحاء البلاد ، وكان هناك دمار شامل لكثير من البيوت والمحاصيل الزراعية ، حيث إن ٤٧ من ٦٤ محافظة غطتها المياه ولحقتها أضرار بالغة ، (أكثر من ٣٣ ألف ميل مربع من البلاد) ، وأصبح أكثر من ٢٥ مليون نسمة مشردين بدون مأوى ، والأخطر من ذلك كله أن عمليات الإنقاذ والإغاثة أصبحت غير ممكنة وقد غمرت السيول مطار داكا المركزي فتعذر نزول الطائرات التي تحمل مواد الإغاثة من أنحاء العالم ، وقد

تعطلت حركة النقل والمرور البرية وكذلك خطوط السكك الحديدية التي توقفت نتيجة للسيول التي جرفت أكثر من ٢٥٠ جسراً ، وأصبحت وسيلة النقل هي السفن والزوارق عبر السيول التي غمرت الشوارع والساحات والطرق .

واضطر الناس إلى شرب المياه الموحلة والمختلطة بمياه المجاري المتعفنة التي سببت الأمراض السارية . ورغم أنهم ليس هناك إعلان رسمي عن عدد قتلى الفيضانات فقد قدروا بأكثر من ألفي قتيل ، وهذا غير الأعداد الهائلة من المصابين بحالات الإسهال والتلوث .

وقد انتهت المشكلة الرئيسية إلى نقص في الدواء ، والماء الصالح للشرب ، والطعام المطبوخ . وكل ذلك يعتمد على إمكانية هبوط الطائرات في مطار دكا .

تعتبر بنغلاديش من أفقر وأكثر الدول ازدحاماً بالسكان (١١٠ مليون) ومعدل الدخل السنوي (١٢٠) دولار للفرد .

وهناك أضرار بالغة لحقت المحاصيل الزراعية : قصب السكر ، والقنَّب ، والخضار ، وقد أتت السيول على كثير من مدخرات الدولة من الحبوب ، وعلى مدخرات السكان من البذور .

والفيضانات تسبب مشكلة دائمة لبنغلاديش لاجتماع عدة أنهار غزيرة على رقعة أرضها الضيقة ، وهذه الأنهار هي : (الغانج ، براهما بوترا ، جاموتا ، وماغنا) ، ومايتفرع عنها من فروع لاتحصى تفيض كلها على السهل الساحلي وتصب في بحيرة البنغال .

وقد أصبحت هذه المشكلة صعبة ومُلِحَّة منذ انحصار بنغلاديش داخل حدودها الحالية بعد تقسيم شبه القارة الهندية ثم بعد انفصال بنغلاديش عن باكستان ، وكل ذلك طبعاً ببركات الاستعمار البريطاني الذي ظال جاثماً على الهند قروناً طويلة ثم تركها نهباً للفقر والفرقة □



انتشار الإسلام

لايكاد يمضي شهر واحد دون أن تحتل أخبار الإسلام الصحفات الأولى في الصحف ، فالإسلام أسرع دين في الانتشار في العالم ، ويشكل المسلمين الغالبية العظمى في واحد وأربعين دولة ، وفي خمسين دولة أخرى يمثل المسلمون أقليات ضخمة ، ويعزى ذلك إلى ارتفاع نسبة المواليد بين المسلمين ، ولايزال الإسلام يكتسب أرضية واسعة .

ففي مصر وفي بداية السبعينات لم يكد يكون هناك طالبة واحدة ترتدي الحجاب الإسلامي في أروقة الجامعة ، أما اليوم فإن الطالبات اللاتي لايرتدين الحجاب بتن يقاطعن من قبل الأخريات المحجبات ، وفي ماليزيا ترتدي الفتيات مايغطي شعورهن ابتداء من سن السادسة حتى إذا مابلغن سن الرشد لبسن الحجاب الكامل ، وفي تركيا فقد بات أداء الصلوات في الأماكن العامة والطرقات ظاهرة ملفتة للنظر لاسيما في المدن الصغيرة الواقعة في شرق الأناضول التي يتزايد فيها نشاط الجماعات الدينية ، وكانت تركيا قد أعلنت دولة علمانية في العشرينات من قبل زعيمها أتاتورك ذي الاتجاهات الغربية ، وفي دولة فقيرة كـ (مالي) يحرص الفتيان والفتيات على تعلم تلاوة القرآن على الرغم من صعوبة قراءة الأحرف العربية ، وفي السنغال تقوم الدراسات الدينية الإسلامية بنقش آيات القرآن

الكريم على ألواح من الخشب لغرض دراستها ، وفي الاتحاد السوفياتي حيث يبلغ عدد المسلمين من ٥٥ إلى ٦٠ مليون وهم الأغلبية في خمس جمهوريات من أصل (١٥) تخشى السلطات الحكومية من انتشار الأصولية بين صفوف المسلمين هناك □

تلغراف الأسبوعية ٧ / ٩ / ١٩٨٨ م

****

ارتفع عدد المسلمين في الولايات المتحدة من حوالي عشرة آلاف مسلم سنة ١٩٠٠ إلى ٣ ملايين مسلم في الوقت الحالي ، وينتمي غالبية هؤلاء إلى مهاجرين قادمين من دول إسلامية ، ولكن نرى أن ثلث هذا المجموع أمريكيون ممن اعتنقوا الإسلام وخاصة من السود .

وفي هولندا قبل وزير الثقافة مؤخراً ــ نتيجة لضغوط المسلمين مدة عشر سنوات ــ باستيراد ١٣ ساعة من البرامج التلفزيونية ، وتخصيص ٥٢ ساعة إذاعية في السنة للدعوة إلى الإسلامية باللغة الهولندية □

عن مجلة (اسلامك وورلد ريفيو)

****

الأطفال يدفعون الثمن

تمخض مؤتمر دولي عقد في مدينة ريمي (إيطاليا) في الأسبوع الثاني من شهر أيلول عن بروز صورة مروّعة عن الاستغلال والإساءة اللذين يلقاهما الأطفال في دول مختلفة في العالم .

فقد أكد مندوب لبنان الخاص لدى المؤتمر أنه في خلال مدة ثلاثة أشهر من هذه السنة ــ نيسان ، أيار ، حزيران ــ تم العثور على جثث (١٧) طفلاً في دهاليز وسلالم أبنية مدينة بيروت .

وتوضح الاحصائيات (التي لم تخضع للتمحيص) القادمة من لبنان كيف أصبح الأطفال الضحية الأولى للحرب الأهلية ، فمنذ عام ١٩٧٥ م وحتى اليوم بلغ عدد الضحايا من الأطفال اللبنانيين (٧٠٠) ألف مصاب ، (١٧) ألف مفقود ، (١٠٠) ألف يتيم ، (١٤) ألف مخطوف [عثر على جثث ١٠ آلاف منهم] بالاضافة إلى (١٠٠) ألف آخرين من المقاتلين المسلحين المنتشرين في الشوارع .

وتكلم متحدث آخر في المؤتمر عن اعتقال الأحداث الذين بلغ عددهم (١١) ألف في جنوب أفريقيا لوحدها على سبيل المثال ، وعن المتسولين من الأطفال ــ (٥٠) ألف في أثيوبيا ــ وكذلك الأطفال المهجورين (من قبل آبائهم) في الشوارع ــ (٤٠) مليون في أمريكا اللاتينية ــ .

وقدر أحد المسؤولين القياديين في المنطقة عدد الأطفال المجهولين النسب في إيطاليا بمليون طفل وهو مايشكل نسبة ٧٪ من مجموع الأحداث البالغ عددهم (١٣٫٥) مليون □

التايمز ١٣ / ٩ / ١٩٨٨





حاجتنا إلى إعلام اسلامي هادف

من غير المعقول أن يتجاهل المسلمون وسائل الاعلام المختلفة الموجودة في العصر الحديث ، وهنا كان على الدعاة المسلمين أن يفكروا في خير الطرق لجعل وسائل الاعلام الحديثة عوامل إصلاح ، لاوسائل فساد ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بإيجاد إعلام إسلامي هادف يمنع شباب المسلمين من التأثر بها تحمله وسائل الإعلام الفاسدة من ألوان الإلحاد والانحلال .

إن الإعلام الإسلامي هو إعلام عقيدة ذو مهمات متشعبة ، ومسؤوليات كبرى ، وأعباء كثيرة وثقيلة تتوزع على دوائر وممتد إلى آفاق بعيدة مترامية الأطراف ... إنه إعلام غير محدود ولا تنتهي رسالته في معركة يخوضها ، أو عند فكرة يذود عنها ، أو رأي يضمن له الذيوع والانتشار .

ومجابهة التطورات التي تطرأ على ساحة الصراع العقائدي ، وفي ظل التقدم الحضاري الذين ترافقه أو تنبثق عنه تحولات فكرية وانحرافات حادة تعاني منها البشرية وتفرض على الإعلام الإسلامي أن يبصر بها مجتمع المسلمين ويحميه من شرورها وأخطارها باستمرار وهذا كله يتطلب من الإعلام الإسلامي أن يكون في مستوى ماهو مدعو للقيام به في وجه تحديات وقوى وخصومات قديمة

ومتجددة .

إن المسلم مطالب بالإعلام والدعوة لدين الله مادام فيه نفس يتردد ... ولقد تجلت جهود المسلمين الأوائل في الإعلام بدين الله وتحمل المكائد والصعاب في سبيل ذلك وعدم التواني عن المجاهدة والمكابدة رغم مؤامرات الأعداء ومناصبتهم العداء للإسلام والمسلمين وحسبنا أن نشير إلى سير الصحابة رضوان الله عليهم ، وماعانوه وماتكبدوه من مشاق في سبيل التبليغ بكل مراتب التبليغ والتبشير حتى تقدم موكب الإسلام الزاحف عبر الأراضي الشاسعة والبلدان الواسعة بما يشهد لهؤلاء الدعاة الأبطال انهم كانوا اعلاميين ناجحين بل ودعاة مجاهدين لنشر الإسلام في ربوع العالم كله ، واليوم إن أو لياء أمور المسلمين في مختلف الأقطار الإسلامية والعالمية مطالبون بأن يضعوا حداً للعبث ومظاهر الفساد في وسائل الاعلام بصورتها الحالية بأن يراقبوها ويمنعوها من اغراق المسلمين وأبنائهم بالتيارات الضالة المضللة وإشاعة الفساد والانحلال بينهم وخاصة الشباب □

عوض عبد الله بارحمة

oooooooooo

الفكر المطلوب

يخطيء من يظن أن على كل مسلم إدراك المفاهيم الإسلامية والنظرات الواقعية الإسلامية والنظرات الواقعية للمجتمع الإسلامي وأن يكون لديه تصور شامل لما يجب أن يكون عليه حال الأمة وأن يدرك المؤامرات التي تحاك ضدها والغزو الفكري الموجه نحوها .

يخطىء من يظن ذلك لأن المفاهيم ليست متناً أو مقرراً دراسياً يكفي حفظه أو تكفي مذاكرته فحسب .

إن الفكر الإسلامي ـــ وأي فكر ـــ يختلف مدى إدراك أتباعه لمفاهيمه يختلف هذا الإدراك من فرد لآخر وذلك حسب مرونة عقل هذا الفرد ، وحسب قدرته على معرفة أسباب الداء واكتشاف الدواء له .

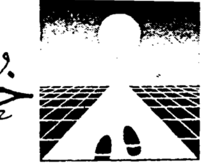
ومن ميزات هذا الدين استيعابه لجميع الطبقات الاجتماعية مهما كان مستواهم الفكري أو المادي أو قدراتهم ومواهبهم .

ندرك مما ذكر أن المطلوب من كل مسلم أن يدرك ماهو معلوم من الدين بالضرورة وأن يدرك المفاهيم الأساسية لهذا الدين وأن يكون على حذر من المفاهيم الخاطئة أو الآراء المغلوطة ، وماسوى ذلك فحسب قدرته وموهبته وتخصصه ، أما كيف يتسنى له هذا فذلك مبحث آخر .

نسأل الله التوفيق والسداد وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم □

ناصر بن عبد العزيز آل عبد الكريم



خطوة في المسار الصحيح

هناك قصور ملحوظ في مجال العلم الشرعي يتفق عليه جُلُّ العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ، وهو راجع إلى أسباب كثيرة لامجال للخوض في تفاصيلها ، وأهمها عدم الاهتمام المتعمد ، والإهمال المقصود لهذا الجانب من قبل الذين يمسكون بجانب التخطيط التربوي للأجيال الإسلامية .

وهذا القصور لايستدرك ولا يزال عن طريق المحاضرات التي تعقد هنا وهناك ، وتخضع لاعتبارات أغلبها لايقوم على أساس تزويد المسلم بالمعلومات المحددة والواضحة والأساسية التي يبنون عليها فهمهم للواقع الذي يعيشون فيه .

وإدراكاً من « المنتدى الإسلامي » لذلك ، وحرصاً منه على تقديم النافع من العلم الشرعي في حدود الطاقة ، ودون إنفاق الجهود في الشكوى والتذمر واقتراح الحلول الكثيرة التي يبقى أكثرها حبراً على ورق ؛ فقد عقد دورة مكثفة (ولمدة أسبوعين من ٥ / ٨ / ١٩٨٨ إلى ١٩ / ٨) للعلوم الشرعية ، ودعا إليها الراغبين من الإخوة الذين يديرون بعض الأنشطة الإسلامية في أوربا ، وقدم المادة المدروسة بعض الأساتذة المختصين في علوم العقيدة ، وأصول الفقه ، وأصول الحديث ، والتفسير ، واللغة العربية .

وقد أعطيت فكرة مكثفة عن بعض العلوم الإسلامية ومصطلحاتها ، وهي وإن لم تكن كافية إلا أنها تساعد على تأصيل الأفكار ، وإزالة الغموض عن بعض مايشكل عند مطالعة كتب العلم الشرعي ، وقد أكد على الجانب العملي التطبيقي من هذه العلوم دون الخوض في دقائقها والتي لاتهم إلا المختصين والمتفرغين .

بالإضافة إلى دروس تقويمية ألقت أضواءً على مسيرة الفكر الإسلامي الحديث ، والإضافات التي أضافها إلى الثقافة الإسلامية بشكل عام ، والتحديات التي لازالت تعترض مسيرة هذا الفكر ليأخذ دوره الصحيح في بناء شخصية المسلم الفكرية المتماسكة ، وقد تركت الدورة صدى طيباً ومشجعاً في نفوس المشاركين يدعو إلى مواصلة السير إعداداً وتحسيناً □

ضع الغلاف من الصمغ والصق هنا

قسيمة اشتراك

أرجو اعتباري مشتركاً في مجلة « البيان » اعتباراً من العدد ....

الاســم : .... Name

العنوان : .... Address

....

مرفق طيه قيمة الاشتراك : وذلك لمدة ☐ سنة

شيك ☐ ☐ سنتين

يكتب الشيك باسم : AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

وبالجنيه الاسترليني فقط .

ضع الغلاف من الصمغ والصق هنا

ضع الغلاف من الصمغ والصق هنا

اطو هنا

مقترحات إضافية

....

....

....

....

....

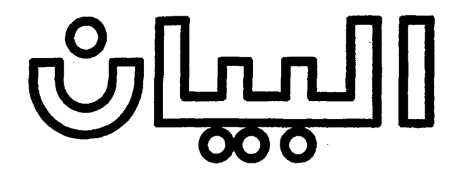
....

إذا كنت لا تحتاج هذه القسيمة فأعطها لمن تأنس به الرغبة

الطابع
Stamp

AL - BAYAN
AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
7 Bridges Place, Parsons Green,
London SW6 4HR
U . K .

Name .... : الاسم
Adress .... : العنوان
City .... : المدينة
Country .... : البلد



العدد الخامس عشر : ربيع الثاني / ١٤٠٩ هـ ـــ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨ م

مجلة إسلامية جامعة
تصدر عن

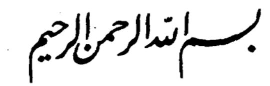
المنتدى الإسلامي

لندن

تصدر مؤقتاً كل شهرين

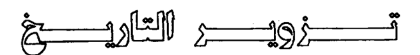
رئيس التحرير
محمد العبدة

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 01-731 81645
Fax : 01-736 4255



المحتوى

الافتتاحية



بعض من يطلقون على أنفسهم صفة دارسي التاريخ روجوا — ويروجون — مقولات لايسأمون من ترديدها وتكرارها ، وهذه المقولات لاتساق في معرض وضع وتحديد الأسس الصحيحة لدراسة التاريخ ؛ بل تقحم في ثنايا حديثهم الموجه دائماً للهجوم على كل ما له صلة بالإسلام ، فيتخذونها تكأة للتنفير من الرموز الإسلامية : حضارة وشخصيات ، ودعوة لنبذ كل ماله علاقة بهذا التاريخ تحت دعاوى أصبحت مملولة وممجوجة مثل : التطور ، التقدم ، النهضة ، التحرر ..

وهؤلاء الذين اتخذوا التاريخ مجالاً لنفث سمومهم غالباً مايخرجون بنتيجة هي أننا حتى نبرأ من تلك العيوب — التي توصلوا إليها بدراستهم القاصرة ، ونياتهم الفاسدة — لابد لنا من اتخاذ العلمانية مبدءاً للحياة ، فنفرق بين ماهو دين وماهو دنيا ، ونعطي مالقيصر لقيصر ، وما لله لله ، ونقيم حياتنا على العلم البعيد عن العواطف ، ونبنيها على التخطيط الذي يعطي نتائج محايدة ، ونتيح تكافؤ الفرص للجميع ، فيُعطى كل مايستحقه ، ونخرج من دوامة الاختلاف والتفرق ، وهكذا لايكون التاريخ حِكراً على شخص أو أشخاص ، وإنما يقوم على جهد جماعي يؤدي كل فرد فيه واجبه ، ويعرف له حقه .

هذا هو مجمل الفكرة التي تدور في فكر الذين أرادوا للأجيال الإسلامية — في ظل الاستعمار الغربي — أن ترسخ في نفوسهم ، واستدلوا عليها

بصنوف من التزوير والتهويش ، فرموا التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ أشخاص ، وأبرزوا من هذا التاريخ كل الجوانب السلبية ، وكتموا كل الجوانب المضيئة ، وحملوا الإسلام والحضارة الإسلامية وزر كل مخالف عاش في ظلالها ، ومرغوا ــ بكل خِسَّة ووقاحة وظلم واضح ــ كل الصفحات المشرقة بالتراب ، وسودوا الكتب الكثيرة بأهواء نفوسهم وخزاياهم ، وأسقطوا على كل مكرمة عيوبهم فاستحالت مثلبة ، وسلبوا حق الدفاع من المتهم ، فكانوا خصوماً وقضاة في ثوب واحد .

هكذا كان ، وهكذا انكشف عن المسلمين عصر ، وحل عصر .

ماذا نجد إذا نظرنا خلفنا خلال قرن ، وهي الفترة التي نُحِّيَ الإسلام بالقوة عن أن يقول كلمته في حياة الناس ؟

يكفينا في هذا المجال أن ننظر إلى هدفين من أهداف العلمانيين هما : العلمانية نفسها ، ثم الحرية .

أما إذا نظرنا إلى الهدف الأول ، وهو العلمانية ، فلا أحد يستطيع القول إن المسلمين يعيشون في ظل شرعية إسلامية ، (وهذا لحسن حظ من يشمئزون عند ذكر الإسلام) ، حتى الزاوية الضيقة جداً ، التي سمح للإسلام ــ عن غير طيب خاطر طبعاً ــ أن يبقى فيها ، وهي زاوية الأحوال الشخصية ، تُتَحَيَّف مرة من هنا ، ومرة من هناك ، ويا ما أكثر المناسبات التي رأينا وسمعنا وقرأنا عنها ، حيث يقف ساقط أو ساقطة يتنقص أخص مايخص المسلمين من أحكام كالطلاق ، وتعدد الزوجات ، ومسائل الإرث ، والولاية في الزواج وغير ذلك ، ويصب جام غضبه على هذا الدين وأهله ، بين تصفيق السفهاء وتشجيع المشجعين دون أن يؤذن لمسلم بالرد على هذه التهجمات المسعورة ، والترهات الباطلة .

لقد خلت الساحة للعلمانية أن تسود ، وبعد أن كانت مطمحاً لدعاة التغريب في أواخر عهد الدولة العثمانية ؛ أصبحت حقيقة واقعة بعد القضاء عليها ، وتولت فرضها بالحديد والنار الدول الصليبية المستعمرة ، ثم النخبُ الحاكمة المستظهرة بها بعد ذلك .

ولكن أية علمانية تلك التي طبقت على العالم الإسلامي ؟ هل هي العلمانية

الغربية بنصها ، والتي كانت المثل الأعلى والنموذج المحتذى ؟
لا !

ففي حين نادت علمانية الغرب بالفصل بين الكنيسة والدولة ، وجعلت كل جهة مستقلة كل الاستقلال عن الأخرى : فلا الكنيسة تتدخل بشؤون الدولة ، ولا الدولة تتدخل بشؤون الكنيسة ونشاطها الخاص ، وليس لها كلمة لا في إرسالياتها ، ولا في برامجها داخل الكنيسة ، ولا في أوقافها ، وأموالها .

نقول : بينما كانت علمانية الغرب المقتدى به هي هذه ؛ إذا بنا نرى علمانية أخرى كأنما صنعت لنا خصيصاً ،

فلم تكُ تصلح إلا (لنا) ولم (نك نصلح) إلا لها!!

علمانية تفترس كل شيء ، وتتدخل في كل شيء ، وتجتاح كل شيء ، حتى البيوت والمساجد ، لا تتدخل في أخص خصائص الإسلام فحسب ؛! بل هي التي تفتي وتشرع وتحدد للمسلم : ماذا يجب أن يقرأ ، وماذا يجب أن يسمع ، وماذا يجب أن يأخذ ، وماذا يجب أن يدع ، علمانية تعطي الحرية لكل الأديان إلا الإسلام ، وتتأدب عند دخول كل معابد الملل والنحل إلا الإسلام .

فهل آل أمر العلمانية إلى أن تصير إلى هذه الصورة ، وهل على المسلم من سبيل إذا ماطوى جوانحه على مقت هذه العلمانية ، ومقت دعاتها ، وأسرّ وجهر بالبراءة منها ، وتربص بها حتى يحين موعد رميها في وجوه أصحابها ؟!

إن الباحث في تاريخ تطبيق العلمانية على الشعوب الإسلامية ليهوله أن يرى أن كل الكوارث التي حلت بهم مرجعها إلى هذه الوصفة الحمقاء ، ولا أحد يستطيع أن يدعي أن مانعاني منه ، وماعانينا خلال الفترة السابقة ، قد حصل في ظل هيمنة إسلامية ، أو توجه له أدنى علاقة بالإسلام كنظام مستقل متفرد شامل ، بل إن الانهيار الاقتصادي المتمثل بالديون التي ترهق كاهل الشعوب الإسلامية ؛ والأزمات التي تشغل بالها ؛ والانهيار الحضاري المتمثل في فقدان الثقة بالنفس ؛ وشيوع الاتكالية ؛ والفساد ، والتسلط ، والبطالة المقنعة ، وضعف الكفايات ،

وهجرة الأدمغة ... كل ذلك هو بعض أعراض فصل المجتمعات الإسلامية عن قيمها التي تستمد منها مبرر وجودها ، هذه القيم التي لايمكن أن نجد لها مصدراً صحيحاً خارج الإسلام .

الهدف الثاني هو الحرية .

والحرية شعار ومصطلح قد يثير الالتباس ، ويعطي معاني مختلفة باختلاف الأمكنة والأزمنة التي يرفع فيها ، وباختلاف الأشخاص الذين يرفعونه .

فبينما كانت الحرية تعني في عصر الاستعمار إخراجه من البلاد ، والاستقلال عن وصايته وتدخله في شؤون الشعوب المستعمرة ؛ أصبحت بعد الاستقلال شعاراً يحمل مضامين أخرى :

ــ فهي عند عبيد الغرب التحرر من سيطرة الأفكار الإسلامية .
ــ وهي عند فريق من الفقراء التحرر من تسلط الأغنياء والرأسماليين .
ــ وهي عند الأقليات التحرر من سلطان الأغلبية ، وهكذا ..

وفي ظل الغموض الذي يحيط بهذا الاصطلاح الفضفاض الذي فتن ــ ومازال يفتن ــ الناس تسربت إلى حياتنا مؤثرات نعاني أشد المعاناة من أجل التخلص منها ، وانقلب معنى الحرية في كثير من الأحيان إلى ضده ، وتقلص وانحسر في أحيان أخرى لينعم بخيره فرد أو عائلة أو طبقة صغيرة أو نخبة هي التي تملك حق فهم معناه وشرحه وتفسيره ، ووضع الحواشي والتعليقات على متنه ! أما غيرها ممن هو خارج نطاق هذا الأكليروس (*) الزائف فليس له إلا حق السمع والطاعة .

من قال إن حكم الكنائس في العصور الوسطى قد ولى بعد الثورة الفرنسية إلى غير رجعة ؟! لقد انتقل عبر مايسمى بعملية « تناسخ الأرواح » لتحل روحه في عصر مابعد الاستعمار !!

إن من بركات الحرية التي نعيش فيها أن يضرب بحجاب صفيق على كل

---

١ ــ الأكليروس : طبقة رجال الدين عن النصارى الذين لهم الحق في تفسير الأناجيل .

الحوادث والشخصيات التي كان لها أثر لايمكن إنكاره في تحرر الشعوب من شرور المستعمرين الغاصبين ، وإبقائها في الظل ، وبتر كل مايتعلق بها من الكتب والدوريات ، في حين توجه الأنظار والأفكار إلى شخص واحد من أجل غرس حقيقة أن الأمة قد خلقت من أظافر قدميه ، وخيراتها نبعت من تحت أخمصيه !

إن أمة يقودها فرد يقنع نفسه بذلك ، ويصدق تملق المتملقين الذين يخدعونه بتملقهم الرخيص هذا ؛ فيسلطهم على رقاب العباد والبلاد ؛ لهي أمة مقضي عليها بالفشل في أي مجال تخوض .

آخر ماحملته الأخبار أن الحكومة التونسية قد أعادت الاعتبار إلى الشيخ عبد العزيز الثعالبي بعد أن أسدل عليه ستار كثيف من التجاهل المتعمد والإهمال المفروض طيلة حكم بورقيبة .

والشيخ عبد العزيز الثعالبي (١٨٧٤ ــ ١٩٤٤) زعيم تونسي ، وخطيب ، وكاتب ، أبرز مناهضي الاستعمار الفرنسي ، نفته فرنسا من تونس ، فعاش متنقلاً بين مصر وسورية والعراق والحجاز والهند ، مشاركاً في الحركات الوطنية ، مقاوماً الاستعمار الفرنسي ، عاملاً على التعاون بين حركات التحرير في بلاد المغرب العربي .

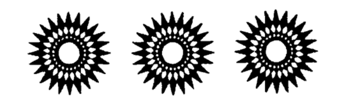
ناوأه بورقيبة وأنصاره العداء لأنه أراد الحفاظ على هوية تونس العربية الإسلامية ، بينما أراد هؤلاء ربطها بالغرب ، وبفرنسا خاصة ، وعمل بورقيبة خلال حكمه على محو آثار الشيخ الثعالبي وتصفية دوره من كتب التاريخ ، بل أصبح يتهكم عليه كثيراً في خطبه .

ماالجريمة التي اقترفها الشيخ الثعالبي فدعت الحاكم السابق أن يصب عليه جام سفهه وغضبه ؟ ليست إلا اعتباره تونس بلداً عربياً إسلامياً ، وليس ولاية من ولايات فرنسا ، ولا تربطها بأوربا أية صلة .

ليس الغرض من الحديث عن الشيخ الثعالبي باعتباره فرداً ؛ ولكن الهدف الإشارة إلى مايمثله من قيم وفكر وتوجه ، وكذلك ليس القصد هنا شن هجوم

على حاكم تونس السابق بعد أن جرد من سلطانه ، واستراح الناس من هيْنه وهيلمانه ــ فهذا متروك للتاريخ الذي احتكره لنفسه قرابة أربعين عاماً ــ وإنما القصد الوصول إلى ماكان يمثله من أفكار « العلمانية المصنَّعة » والحرية « حرية بطانته » التي ربطت بلداً عربياً إسلامياً ربطاً متعسفاً بالغرب ، وحولته إلى منتجع يعيث به هؤلاء فساداً ، بينما عاش التونسي أزمات خانقة ، ليس له من الأمر شيء ، إلا أن ينام ويصحو على أخبار دمًى يتلاعب بها ذاك الأفاك العابث الأثيم .

كذلك لم نشر إلى هذه الحادثة إلا إشارة لأنها تمثل ظاهرة في تاريخنا الحديث في كثير من البلاد الإسلامية : يُعلل الناس بأكاذيب ، وتتلى على أسماعهم أباطيل فترة تطول أو تقصر ، ثم يأتي الله بأمره ، ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاءً ، وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ □



وقفه مع آية

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ [الإسراء / ٩] .

... ومن هدي القرآن التي هي أقوم هديه إلى أن التقدم لاينافي التمسك بالدين ، فما خيله أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي إلى الإسلام من أن التقدم لايمكن إلا بالانسلاخ من دين الإسلام باطل لا أساس له ، والقرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين ، ولكن ذلك التقدم في حدود الدين ، والتحلي بآدابه الكريمة ، وتعاليمه السماوية ، قال تعالى : ﴿ وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ﴾ ، وقال : ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلاً ياجبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد ﴾ يدل على الاستعداد لمكافحة العدو في حدود الدين الحنيف ، وداود من أنبياء « سورة الأنعام » المذكورين فيها في قوله تعالى : ﴿ ومن ذريته داود ﴾ ، وقد قال تعالى مخاطباً لنبينا ﷺ وعليهم بعد أن ذكرهم : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ .

وقد ثبت في صحيح البخاري عن مجاهد أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما من أين أخذت السجدة في « ص » ، فقال : أوماتقرأ ﴿ ومن ذريته داود ... أولئك الذي هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ فسجدها داود ، فسجدها رسول الله ﷺ .

فدل ذلك على أنا مخاطبون بما تضمنته الآية مما أمر به داود . فعلينا أن نستعد لكفاح العدو مع التمسك بديننا ، وانظر قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ﴾ فهو أمر جازم بإعداد كل مافي الاستطاعة من قوة ولو بلغت القوة من التطور مابلغت . فهو أمر جازم بمسايرة التطور في الأمور الدنيوية ، وعدم الجمود على الحالات الأُوَل إذا طرأ تطور جديد ، ولكن كل ذلك مع التمسك بالدين □

أضواء البيان ــ للشيخ الشنقيطي ٣ / ٣٩٦ ــ ٣٩٧

هجـر المبتـدع

الشيخ بكر ابو زيد

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإنه في حال من انفتاح ماكان يخشاه النبي ﷺ على أمته في قوله عليه الصلاة والسلام : « أبشروا وأملوا مايسركم ، فوالله لا الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم » (١) .

وانفتاح العالم بعضه على بعض ، حتى كثرت في ديار الإسلام الأخلاط ، وداهمت الأعاجم العرب ، وكثر فيهم أهل الفرق ، يحملون معهم جراثيم المرض العقدي والسلوكي .

وفي وسط من تداعي الأمم كما قال ﷺ : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق ... » (٢) وأمام هذا : غياب رؤوس أهل العلم حيناً ، وقعودهم عن تبصير الأمة في الاعتقاد أحياناً ، وفي حال غفلة سرت إلى مناهج التعليم ، بضعف التأهيل العقدي ، وتثبيت مسلمات الاعتقاد في أفئدة الشباب ، وقيام عوامل الصد والصدود عن غرس العقيدة السلفية وتعاهدها في عقول الأمة .

---

١ ــ انظر : فتح الباري ٦ / ٢٥٨ ، ٢٦٣ .
٢ ــ السلسلة الصحيحة برقم / ٩٥٦ ، وصحيح الجامع الصغير برقم / ٨٠٣٥ .

في أسباب تمور بالمسلمين موراً ، يجمعها غايتان :

الأولى : كسر حاجز « الولاء والبراء » بين المسلم والكافر ، وبين السني والبدعي ، وهو مايسمى في التركيب المولّد باسم : « الحاجز النفسي » ، فيكسر تحت شعارات مضللة : « التسامح » ، « تأليف القلوب » ، « نبذ : الشذوذ والتطرف والتعصب » ، « الإنسانية » [1] ، ونحوها من الألفاظ ذات البريق ، والتي حقيقتها « مؤامرات تخريبية » تجتمع لغاية القضاء على المسلم المتميز ، وعلى الإسلام .

الثانية : فُشو « الأمية الدينية » حتى ينفرط العقد وتتمزق الأمة ، ويسقط المسلم بلا ثمن في أيديهم وتحت لواء حزبياتهم ، إلى غير ذلك مما يعايشه المسلمون في قالب : « أزمة فكرية غثائية حادة » أفقدتهم التوازن في حياتهم ، وزلزلت السند الاجتماعي للمسلم « وحدة العقيدة » كل بقدر ماعلّ من هذه الأسباب ونهل ، فصار الدخل ، وثار الدخن وضعفت البصيرة ، ووجد أهل الأهواء والبدع مجالاً فسيحاً لنثر بدعهم ونشرها ، حتى أصبحت في كف كل لافظ ، وذلك من كل أمر تعبدي محدث لا دليل عليه « خارج عن دائرة وقف العبادات على النص ومورده » .

فامتدت من المبتدعة الأعناق ، وظهر الزيغ ، وعاثوا في الأرض الفساد ، وتجارت الأهواء بأقوام بعد أقوام فكم سمعنا بالآلاف من المسلمين ، وبالبلد من ديار الإسلام يعتقدون طرقاً ونحلاً محاها الإسلام .

إلى آخر ماهنالك من الويلات ، التي يتقلب المسلمون في حرارتها ، ويتجرعون مرارتها ، وإن كان أهل الأهواء في بعض الولايات الإسلامية هم : مغمورون ، مقموعون ، وبدعهم مغمورة مقهورة ، بل منهم كثير يؤوبون لرشدهم ، فحمداً لله على توفيقه ، لكن من ورائهم سرب يحاولون اقتحام العقبة ،

---

١ ــ عن « مذهب الإنسانية » انظر : مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب : / ٥٨٩ ــ ٦٠٤ ، وفي : معجم المناهي اللفظية ، حرف الألف ، ومقدمة طه العلواني لكتاب : النهي عن الاستعانة والاستنصار في أمور المسلمين بأهل الذمة والكفار ، لمصطفى الوارداني .

لكسر الحاجز النفسي وتكثيف الأمية الدينية في ظواهر لا يخفى ظهور بصماتها في ساحة المعاصرة وأمام العين الباصرة ؟

والشأن هنا في تذكير المسلم بالأسباب الشرعية الواقعية من « المد البدعي ، واستشرائه بين المسلمين ، والوعاء الشامل لهذه الذكرى :

القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة ، والتبصير في الدين ، وتخليص المنطقة الإسلامية من شوائب البدع والخرافات ، والأهواء والضلالات ، وتثبيت قواعد الاعتقاد السلفي المتميز على ضوء الكتاب والسنة في نفوس الأمة .

ومن أبرز معالم التميز العقدي فيها ، وبالغ الحفاوة بالسنة والاعتصام بها ، وحفظ بيضة الإسلام عما يدنسها :

نصب عامل « الولاء والبراء » فيها ، ومنه : إنزال العقوبات الشرعية على المبتدعة ، إذا ذكروا فلم يتذكروا ، ونهوا فلم ينتهوا ، إعمالاً لاستصلاحهم وهدايتهم ، وأوبتهم بعد غربتهم في مهاوى البدع والضياع ، وتشييداً للحاجز بين السنة والبدعة ، وحاجز النفرة بين السني والبدعي ، وقمعاً للمبتدعة وبدعهم ، وتحجيماً لهم ولها ، عن الفساد في الأرض ، وتسرب الزيغ في الاعتقاد ؛ ليبقى الظهور للسنن صافية من الكدر ، نقية من علائق الأهواء وشوائب البدع ، جارية على منهاج النبوة وقفو الأثر ، وفي ظهور السنة أعظم دعوة إليها ، ودلالة عليها ، وهذا كله عين النصح للأمة .

فالبصيرة إذاً في : العقوبات الشرعية للمبتدع : باب من الفقه الأكبر كبير ، وشأنه عظيم ، وهو رأس في واجبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأصل من أصول الاعتقاد بدلالة الكتاب والسنة والإجماع ، ولهذا تراه بارز المعالم في كتب الاعتقاد السلفي « اعتقاد أهل السنة والجماعة » .

كل هذا تحت سلطان القاعدة العقدية الكبرى « الولاء والبراء » (1) التي

---

1 ــ هذه القاعدة مبحوثة في كتب الاعتقاد ، وقد أفردت بمؤلفات منها : تحفة الإخوان ... للشيخ حمود التويجري ، سبيل النجاة ، للشيخ حمد بن عتيق ، الولاء والبراء ، للشيخ محمد سعيد القحطاني ، الموالاة والمعاداة للشيخ محمد الجلعود ، الولاء والبراء للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ، وخمستها مطبوعة .

مدارها على الحب والبغض في الله تعالى ، الذي هو « أصل الدين » وعليه تدور رحى العبودية .

وهذه العقوبات الشرعية التي كان يتعامل بها السلف مع أهل البدع والأهواء ، متنوعة ومتعددة في مجالات :

الرواية ، والشهادة ، والصلاة خلفهم وعليهم ، وعدم توليتهم مناصب العدالة كالإمامة والقضاء ، والتحذير منهم ومن بدعهم وتعزيرهم بالهجر ، إلى آخر ماتراه مروياً في كتب السنة والاعتقاد ، مما حررت مجموعه في « أصول الإسلام لدرء البدع عن الأحكام » .

ومافي هذه الرسالة هو في خصوص « الزجر بالهجر للمبتدع ديانة » [1] لأهميته في : التميز ، والردع ، وعموم المطالبة به ، ولأنه أصبح في الغالب من « السنن المهجورة » ، تحت العوامل المذكورة في صدر هذه المقدمة ؛ لهذا رأيت إفراده بهذه الرسالة إحياءً لهذه السنة ونشراً لها بضوابطها الشرعية التي تحفظ للمبتدع كرامته مسلماً ، وتكشف بدعته بوصفه مبتدعاً ، مالم تكن مكفرة كبدعة : القدر [2] ، والباب ، والبهاء ... وتحفظ على أهل السنة والجماعة ، كف بدعته ، ومداخلتها في صفوفهم ، وهذا واجب باتفاق المسلمين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان وجوب النصح لصالح الإسلام والمسلمين :

« ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة ، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة ، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم ، واجب باتفاق

---

١ ـــ للسيوطي رسالة باسم (الزجر بالهجر) ولم أقف عليها ، وللشيخ محمد الزمزمي بن محمد الصديق الغماري رسالة باسم : إعلام المسلمين بوجوب مقاطعة المبتدعين والفجار والظالمين طبعت بتطوان بلا تاريخ ، رد بها على أخيه عبد الله في رسالته (القول المسموع في بيان الهجر المشروع) ، وكان الزمزمي قد قاطع أخاه عبد الله لما لديه من الدعوة إلى القبوريات وإلى بناء المساجد على القبور ، وخدمة زاوية أبيه ، في سلسلة يطول ذكرها من البدع المضلة ، فبلغت السورة الغضبية [illegible] الله فألف رسالة (النفحة الزكية) هجر فيها دلالة النصوص على الهجر ، وخرق إجماع [illegible] عليه ، وهي من [illegible] لايلتفت إليه ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

٢ ـــ ماأحسن ماقاله الحربي أبو إسحاق رحمه الله تعالى : من لم يؤمن بالقدر لم يتهنَّ بعيشه . انظر : ولاية الله للشوكاني / ٣٩٦ .

المسلمين ، حتى قيل لأحمد بن حنبل : الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع ؟ فقال : إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين ، هذا أفضل ، فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين ، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب ومافيها من الدين إلا تبعاً ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً » ا . هـ (١) .

هذا وما سيمر نظرك عليه في هذه الرسالة ، فإنه ينتظم في جملته أحكام الهجر الشرعي للكافر ، والمبتدع الضال ببدعته والعاصي المجاهر بمعصيته ، لكن صار نسج الكلام وجلب الروايات والنقول في « هجر المبتدع » ؛ لأن ضرره أعظم وخطره أشد ، كما مرَّ بك في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، ويأتي له نظائر إن شاء الله تعالى .

وتجد رؤوس المعتبرات في هذه الرسالة على مايلي :

١ ـــ مقاصد الإسلام في الهجر .

٢ ـــ أنواعه .

٣ ـــ شروطه .

٤ ـــ صفته .

٥ ـــ منزلة هجر المبتدع من الاعتقاد .

٦ ـــ الأدلة العلية من الكتاب والسنة والاجماع .

٧ ـــ إعمال الصحابة فمن بعدهم له في مواجهة المبتدع .

٨ ـــ ضوابط الهجر في الشرع .

٩ ـــ عقوبة من والى المبتدعة .

١٠ ـــ التحذير من إشاعة البدعة .

فاللهم « ارزقنا هدياً قاصداً » (٢) و « جنبنا منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء » .

---

١ ـــ الفتاوى ٢٨ / ٢٣١ ـــ ٢٣٢ . ٢ ـــ اقتباس من حديثين مرفوعين رواهما ابن أبي عاصم في « السنة برقم / ١٣ ، ٩٥ ، وانظر : ظلال الجنة ١ / ١٢ ، ٤٦ .

المبحث الأول :

مقاصد الإسلام في الهجر :

فوائد الهجر للمبتدع التي قصدها الشرع كثيرة ، منها مايعود إلى الهاجرين القائمين بهذه الوظيفة الشرعية العقدية ومنها مايعود إلى المهجور ، وإلى عامة المسلمين ، وإلى حماية السنن من البدع والأهواء ، فالهجر الشرعي ، ومنه « هجر المبتدعة » عقوبة زجرية متعددة الغايات والمقاصد الشرعية المحمودة ، وهي على مايلي :

١ ــ أن « الزجر بالهجر » عقوبة شرعية للمهجور ، فهي من جنس الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ، وأداء لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تقرباً إلى الله تعالى بواجب الحب والبغض فيه سبحانه وتعالى .

٢ ــ بعث اليقظة في نفوس المسلمين من الوقوع في هذه البدعة وتحذيرهم .

٣ ــ تحجيم انتشار البدعة .

٤ ــ قمع المبتدع وزجره ؛ ليضعف عن نشر بدعته ، فإنه إذا حصلت مقاطعته ، والنفرة منه ، بات كالثعلب في جحره .

أما معاشرته ومخالطته ، وترك تحسيسه ببدعته فهذا تزكية له ، وتنشيط وتغرير بالعامة ؛ إذ العامي مشتق من العمى فهو بيد من يقوده غالباً ، فلابد إذاً من الحجر على المبتدع استصلاحاً للديانة ، وأحوال الجماعة ، وهو ألزم من الحجر الصحي لاستصلاح الأبدان .

وبعد أن نقل الشاطبي رحمه الله تعالى بعض الآثار في النهي عن توقير المبتدع قال :

« فإن الإيواء يجامع التوقير ، ووجه ذلك ظاهر ، لأن المشي إليه والتوقير له ، تعظيم له لأجل بدعته ، وقد علمنا أن الشرع يأمر بزجره وإهانته وإذلاله بما هو أشد من هذا ، كالضرب والقتل ، فصار توقيره صدوداً عن العمل بشرع الإسلام ، وإقبالاً على مايضاده وينافيه ، والإسلام لاينهدم إلا بترك العمل به والعمل

بما ينافيه .

وأيضاً فإن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان بالهدم على الإسلام :

أحدهما : التفات العامة والجهال إلى ذلك التوقير ، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس ، وأن ماهو عليه خير مما عليه غيره ، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنة على سنتهم .

والثانية : أنه إذا وقر من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرض له على انتشار الابتداع في كل شيء .

وعلى كل حال فتحيا البدع وتموت السنن ، وهو هدم الإسلام بعينه ... » ا . هـ (١) .

٥ ـ إعطاء ضمانة للسنن من شائبة البدع ومداخلتها لصفاء السنن . والله أعلم .

المبحث الثاني

أنواع الهجر :

وهي ثلاثة :

الأول : الهجر ديانة ، أي « الهجر لحق الله تعالى » وهو من عمل أهل التقوى ، في : هجر السيئة ، وهجر فاعلها ، مبتدعاً أو عاصياً .

وهذا النوع من الهجر للفجار على قسمين :

١ ـ هجر ترك : بمعنى هجر السيئات ، وهجر قرناء السوء الذين تضره صحبتهم إلا لحاجة أو مصلحة راجحة .

قال الله تعالى : ﴿ والرجز فاهجر ﴾ وقال سبحانه : ﴿ واهجرهم هجراً

---

١ ـ الاعتصام ١ / ١١٤ .

جميلا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم ﴾ وفي الحديث أن النبي ﷺ قال : « المهاجر من هجر مانهى الله عنه ﴾ .

٢ ــ هجر تعزير : وهذا من العقوبات الشرعية التبصيرية التي يوقعها المسلم على الفجار كالمبتدع ، على وجه التأديب في دائرة الضوابط الشرعية للهجر ، حتى يتوب المبتدع ويفيء .

وهذا القسم وهو الذي تدور عليه الأبحاث في هذه الرسالة المباركة .

وهذا النوع بقسميه من أصول الاعتقاد ، والأمر فيه أمر إيجاب في أصل الشرع ، ومباحثه في كتب السنن والتوحيد والاعتقاد وغيرها .

تنبيه : في هجر الكافر :

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :

« قال الطبري : قصة كعب بن مالك أصل في هجران أهل المعاصي وقد استشكل كون هجران الفاسق أو المبتدع مشروعاً ولايشرع هجران الكافر ، وهو أشد جرماً منهما لكونهم من أهل التوحيد في الجملة .

وأجاب ابن بطال : بأن لله أحكاماً فيها مصالح للعباد وهو أعلم بشأنها وعليهم التسليم لأمره فيها ، فجنح إلى أنه تعبد لايعقل معناه .

وأجاب غيره : بأن الهجران على مرتبتين : الهجران بالقلب ، والهجران باللسان ، فهجران الكافر بالقلب وبترك التودد والتعاون والتناصر لاسيما إذا كان

---

١ ــ الفتح ٢٨ / ٢١١ ــ ٢١٣ ، ٢١٦ ــ ٢١٧ ، ٢٠٣ ، فتح الباري ١٠ / ٤٩٧ . الترغيب والترهيب ٣ / ٤٥٤ ــ ٤٦٢ ، الدرر السنية ٤ / ٢٠٨ ــ ٢١٦ .

حربياً ، وإنما لم يشرع هجرانه بالكلام ، لعدم ارتداعه بذلك عن كفره ، بخلاف العاصي المسلم فإنه ينزجر بذلك غالباً ، ويشترك كل من الكافر والعاصي في مشروعية مكالمته بالدعاء إلى الطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنما المشروع ترك المكالمة بالموادة ونحوها » اهـ.[1] .

والظاهر ماقاله النووي رحمه الله تعالى من أن للمسلم هجر الكافر من غير تقييد [2] ، لما هو معلوم من الأصل الشرعي العام من تحريم موالاة الكفار والتحذير من موادتهم وتعظيم مايؤدي إلى ذلك ، ونصب الأسباب الموصلة إلى ظهور المسلم عليهم كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لاتبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه » رواه أحمد ومسلم وغيرهما . والنصوص في تحريم موالاة الكافرين من الكتاب والسنة وآثار السلف كثيرة مشهورة ، والله أعلم [3] .

ــ يتبع ــ



١ ــ فتح الباري ١٠ / ٤٩٧ .
٢ ــ فتح الباري ١٠ / ٤٩٦ .
٣ ــ انظر : تحفة الإخوان ، فهو مهم في هذا ، والدرر السنية ٤ / ١٣٥ ، ١٤٠ ــ ١٤٣ ، ٢٠ ، ٢٠٨ ــ ٢١٦ ، ومن النظر فيها يتبين أن مااستشكله الطبري غير مشكل والله أعلم .
٤ ــ الترغيب والترهيب ٣ / ٤٥٤ ــ ٤٦٢ .



رجل الفطرة

يرجع الداعية ـــ في بحثه الدؤوب عن أصحاب الفطر السليمة ، الذين لايحملون بين جوانحهم عومل الضعف والهزيمة النفسية ـــ إلى سيرة معلم الخير محمد ﷺ ، ليستلهم منها معالم تنير له الطريق .

ومن الدروس المستفادة من السيرة النبوية ، أن الله سبحانه وتعالى بعث أكرم خلقه من بيئة لاهي بالحضرية المدنية المغرقة في الترف وفنون النعيم والملذات ، ولا هي بالبدوية الجافية البعيدة عن التمدن والعمل المشترك ، فالأسر القرشية لم تصل بعد إلى تعقيدات المدنية ولم تأسرها الشكليات والمظاهر ، ولايزال شباب قريش يألفون الخشونة والفروسية ، رغم عيشهم في بيئة تجارية مبتعدين عن خلق المذلة والمراوغة التي يألفها من استحكمت فيه عوائد الترف أو عاش تحت قهر الاستبداد والبحث عن لقمة العيش في بيئة مادية لارحمة فيها ولاشفقة .

ولا نعني من هذا أنه لابد من العيش في قرى أو مدن صغيرة كمكة عند البعثة ، فهذه سطحية في التفكير وسذاجة ، ولكن المقصود هو العيش في أجواء الفطرة السليمة ، أجواء التخفف من القيود التي تكبل المسلم عن الانطلاق في دعوته ، هذه القيود التي لم يأت بها شرع ولا حكم بها عقل ، ولكن دواعي الانحطاط هي التي تهتف بها .

فالدعوة لايتم أمرها ولايقوى عودها إلا برجال تعودوا الخشونة ، تتجافى جنوبهم عن الانغماس في النعيم ، كلما سمعوا هيعة طاروا إليها .

والرجل الذي عاش حياته راضياً بالقليل ، بل خائفاً من ذهاب هذا القليل ،

عاش يسمع وصايا والدته تحذره وتخوفه من أي عمل عدا العمل الذي سيعيش منه ، هذا الرجل قد انغرس في نفسه الضعف ، وأصبح بعيداً جداً عن المغامرة وركوب المصاعب ، فهو دائماً يخاف من المجهول ، يخاف من المستقبل ، يفكر دائماً في الاحتياطات اللازمة لتدبير (العيش) .

هذا الرجل الذي يحمل أتعاب مدينة مرت عليها قرون وهي تعيش تحت قهر كل متغلب ، وتألف كل قادم ، هو لاشك يشعر بضآلة نفسه وقصور همته ، ولا يسمح لتفكيره بأن يخطر له ذكر الأعمال الكبيرة والمشروعات العظيمة ، بل إذا حمل فكرة قوية يمسخها إلى (نصف) فكرة يؤولها حتى تتمشى مع ضعفه وانحطاطه ، فهو دائماً في منتصف طريق ، ونصف نهضة لاهو بالبادىء ولا هو بالمنتهي ، فإذا تعلم ودرس أصبح نصف دارس أو نصف طبيب ، وإذا كان موظفاً يحس أنه جزء صغير من آلة ضخمة ، فمثل هذا لايساعد على التحفز لعمل كبير ، فهو رجل (الحد الأدنى) .

ونحن نريد رجل الفطرة الذي يملك حيوية الاندفاع والتضحية ، فيه بساطة وسمو ، فإذا عقل الإسلام وفقهه فقد جمع (نوراً على نور) وهو الرجل المؤهل للتغيير □

محمد العبدة



حق الرســـول ﷺ على أمتـه

د . سليمان العايد

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وبعد :

فإن الله خلق البشرية لغاية واضحة ، وهي غاية شريفة بمقدار مايحققها الإنسان ترتفع منزلته عند الله ، هذه الغاية هي عبادته وحده كما قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة ﴾ وقد كانت بداية البشرية التوحيد فكانت عليه حقبة من الزمن ثم ضلت عنه كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ، قال رسول الله ﷺ : يقول الله : « إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين ، فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ماأحللت لهم » . قال ابن عباس : بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على التوحيد . ثم طرأ الشرك عليهم بعد إيمان ، وأرسل الله الرسل للبشرية ليردوهم إلى الحق ويذودوهم عن حياض الشرك ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى ، فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

وكان مبدأ الشرك من الغلو في

الصالحين وإنزالهم فوق منزلتهم ، واعتقاد أن الخير يأتي عن طريقهم ، وأنه لايُوصَل إلى الله إلا بهم . قال المفسرون في تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا لاتذرن آلهتكم ، ولاتذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ قالوا : « هذه أسماء رجال صالحين من بني آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين يقتدون بهم : لو صورناهم لكانوا عوناً لنا على العبادة ، ولذكرتنا صورهم فعل الخير ، فصوروهم ، فلما انقرض ذلك الجيل ، وجاء من بعدهم أوحى إليهم إبليس بأن آباءهم كانوا يعبدون تلك الصور ، وبهم يسقون المطر ، فعبدوهم » .

وهذا يدلنا على أن مبدأ الانحراف عن التوحيد إلى الشرك إنما كان بسبب الغلو في بعض من يظن بهم الصلاح .

وقد حذر نبي هذه الأمة ، محمد ابن عبد الله ﷺ أمته أن تقع فيما وقعت به الأمم السابقة من الغلو والإطراء الذي لاتسيغه الشريعة ، ولا يقبل به عقل سليم ، ولا يقره منطق قويم ، حذرنا بقوله فيما رواه عنه عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد الله ورسوله » متفق عليه . وقد كان من شأن النصارى أنهم قالوا في عيسى : هو الله ، وبعضهم قال : هو ابن الله ، وبعضهم قال : هو ثالث ثلاثة ، كما حكى الله عنهم تلك الأقوال . ورد عليهم قولهم ، فقال : ﴿ وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم آأنت قلت للناس : اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، قال : سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ، ماقلت لهم إلا ماأمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ .

وقد غلا إخوانهم اليهود من قبل مثل هذا الغلو حين قالوا : عزير ابن الله ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ .

وقد جاء التحذير عاماً عن الغلو في كل شيء ، قال رسول الله ﷺ :

« إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » رواه أحمد والترمذي وابن ماجه . وقال رسول الله ﷺ فيما رواه عنه ابن مسعود : « هلك المتنطعون ، قالها ثلاثاً » رواه مسلم .

وقد أخبر رسول الهدى أن هذه الأمو ستقلد الأمم السابقة فقال : « لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم حذو القُذَّةِ بالقُذَّةِ ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » متفق عليه .

وقد كان من متابعة الأمم السابقة الغلو في الصالحين والأنبياء ، ومن أمثلة ذلك غلو بعض الناس بالنبي محمد ﷺ ، فيعتقد أنه يعلم الغيب كما قال القائل :

فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

وفات هؤلاء قوله تعالى : ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ﴾ . ورسول الله ﷺ لايدري متى وقت الساعة كما جاء في حديث جبريل عليه السلام .

وبعضهم يعبد الله ومحمداً ، فيصرفون له شيئاً من العبادة ، ويجعلونه نداً لله ، وبعضهم يقول : إن الله خلق آدم وجميع المخلوقات من أجل الرسول محمد ﷺ .

وبعضهم يعتقد أن الأرزاق من كفه ﷺ ، وهذا مناقض لقوله تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إني ملك ، إن أتبع إلا مايوحى إلي ، قل : هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ .

والغلو لايقف عند حد ، وإنما يجمعه أنه تجاوز القدر الصحيح ، فالرسول محمد ﷺ هو محمد بن عبد الله ، رسول الله ، ونبيه ، وعبده ، لايجوز هذه المنزلة ، وهو سيد ولد آدم ، والشافع لهم يوم الحشر بإذن الله كما قال تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ، فاستقيموا إليه واستغفروه ، وويل للمشركين ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : « إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ﴾ وكل مسلم يقول : أشهدأن محمداً عبده ورسوله . وذلك في تشهد الصلاة .

فكون الرسول بشراً لا ينقص من قدره ، ولا يجعلنا نرفض الاقتداء به

كما قال المشركون ﴿ أبشراً منا واحداً نتبعه ، إنا إذاً لفي ضلال وسعر ﴾ ، بل إن بشريته هي التي تجعل منه القدوة التي نقتدي بها ، والأسوة التي نتأساها ، وقد اختار الله نبيه من خير الناس كما قال رسول الله ﷺ : « فأنا خيار من خيار من خيار » . واختاره لأعظم عمل ، وهو الرسالة وتبليغ دينه للعالمين ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ وقد استغرب المشركون اختياره دون واحد من العظماء ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ ورباه الله على أحسن الخلق ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ .

وقد قام بالبلاغ أتم قيام ، وبلغ رسالته للعاملين أتم بلاغ ، كما قالت عائشة : « من قال لكم إن محمداً كتم شيئاً مما أوحاه الله فقد أعظم الفرية ، ولو كان مخفياً شيئاً لأخفى قوله ﴿ وتخفي في نفسك ماالله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ . وقد تحمل في سبيل تبليغ دعوته صنوف الأذى ، والاضطهاد ، وكابد المشقات حتى نصره الله وبلغ دينه .

وله — في ذلك — على كل مسلم أجر ، وله على كل مسلم حق ، فما هو حق الرسول ﷺ على أمته ؟ أهو إطراؤه وقد نهى عنه ؟ أم هو المدائح وفيها من الغلو الشيء الكثير ؟ أم هو صرف شيء من العبادة إليه كالاستشفاع والاستغاثة ودعائه من دون الله ؟.

إن كل هذا يناقض أمر الرسول ﷺ ، وقد نهى عنه أشد النهي كما تقدم ، إذن ماهي حقوق الرسول ﷺ على أمته ؟ يمكن أن نجمل تلك الحقوق في أربعة أمور :

١ — تصديقه ، والإيمان به واتباع سنته وطاعته .
٢ — محبته ﷺ ، ومحبة سنته ، ومحبة مايحبه .
٣ — توقيره وتعزيره .
٤ — الصلاة والسلام عليه .

وسنتعرض لهذه الأمور بذكر الأدلة عليها من القرآن والسنة فنقول :

١ — تصديقه ، والإيمان به ، واتباع سنته وطاعته ، وهذا هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله ، قال تعالى : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير ﴾ وقال : ﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله

فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً ﴾ . وقد أمر الله عباده بطاعة نبيه فقال : ﴿ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ، ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى ، قالوا : يارسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » رواه البخاري والحاكم .

وقد أمر الله عباده المؤمنين باتباع نبيه ، والاقتداء بسنته ، فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم ﴾ و ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي ، الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ .

ورغب في قبول حكمه ، والتسليم لقضائه والرضى بأمره ، ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ وقد جعل الله عبده محمداً قدوة المؤمنين وأسوة المتأسين ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ [الأحزاب / ٢١] ، وحذر من مخالفته ، والخروج عن أمره ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ، ونصله جهنم ، وساءت مصيرا ﴾ [النساء / ١١٤] .

٢ ــ محبته [ﷺ] ، قال ﷺ : « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » رواه الشيخان ، وأخرجا عن أنس أيضاً : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنجاه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » .

« وقال عمر للنبي ﷺ : لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي ، فقال له النبي ﷺ : لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ، فقال عمر : والذي أنزل

عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي ، فقال له النبي ﷺ : الآن ياعمر » رواه البخاري ، « وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : متى الساعة يارسول الله ؟ قال : ماأعددت لها ؟ قال : ماأعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله ، قال : أنت مع من أحببت » رواه مسلم والبخاري .

ولمحبته ﷺ علامات ، منها : الاقتداء به ، وإيثار شرعه ، وتقديمه على أهواء النفس ، وذكره بالصلاة عليه كما شرع ، ومحبة أصحابه ومايحبه ﷺ كحب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وأزواجه مثل عائشة التي سُئل رسول الله ﷺ : « من أحب الناس إليك فقال : عائشة ، قالوا : من الرجال ، قال : أبوها » .

٣ ـــ تعزيره وتوقيره ، وتعظيم أمره : قال تعالى : ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ [الفتح / ٨ ـــ ٩] ، وروى مسلم عن عمرو بن العاص قال : « وماكان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه ، وماكنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه ماأطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه » وخير تعظيم لرسول الله تعظيم سنته .

٤ ـــ الصلاة والسلام عليه : لقوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ ، والصلاة من الله ثناؤه على أنبيائه ، والصلاة من الملائكة الاستغفار ومن الناس الدعاء والتعظيم والتكريم .

والصلاة عليه من أعظم الذكر ، روى الإمام أحمد عن عامر بن ربيعة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ماصلى علي ، فليُقِلَّ عبد من ذلك أو ليكثر » . وروى عبد الرحمن بن عوف وعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن جبريل أتاني فبشرني أن الله عز وجل يقول لك : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، فسجدت لله عز وجل شكراً » .

وروى الترمذي عن ابن مسعود : أن رسول الله ﷺ قال : « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

وتتأكد الصلاة على النبي ﷺ في مواضع وأعمال ، منها :

١ ــ إذا ورد ذكر النبي ﷺ لقوله : « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي » رواه أحمد وإسماعيل القاضي ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة » رواه الترمذي وقال : حسن غريب . ومثل هذا الحديث يدل على مشروعية الصلاة عليه كما ذكر ، وقال بعضهم بوجوبها كل ماذكر ، وقال بعض آخر : تجب أول مرة ، وتسن فيما بعد .

٢ ــ الصلاة عليه في المجالس لقوله ﷺ عن أبي هريرة : « ماجلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » .

٣ ــ الصلاة عليه عند سماع المؤذن لقوله ﷺ : « إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة » رواه أحمد ومسلم وغيرهما .

٤ ــ الصلاة عليه عند دخول المسجد والخروج منه . وعند المرور بالمساجد ، لأنه ﷺ كان إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال : « اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك » ، وإذا خرج صلى على محمد وسلم ، ثم قال : « اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك » رواه أحمد . ولقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « إذا مررتم بالمساجد فصلوا على النبي ﷺ » ، رواه إسماعيل القاضي في كتاب الصلاة .

٥ ــ الصلاة عليه في التشهد الأخير وهو ركن من أركان الصلاة

أو واجب ، وأما الصلاة عليه في التشهد الأول فهي مستحبة.

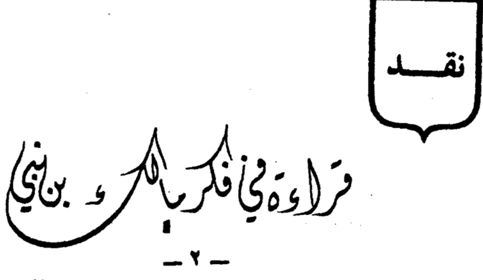
٦ ـ الصلاة عليه في صلاة الجنائز فإن من السنة أن يقرأ في التكبيرة الأولى بفاتحة الكتاب ، وفي الثانية يصلي على النبي ﷺ ، وفي الثالثة يدعو للميت وفي الرابعة يقول : اللهم لاتحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده .

٧ ـ الصلاة عليه بين تكبيرات صلاة العيد لما رواه إسماعيل ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ، وأبي موسى ، وحذيفة .

٨ ـ تستحب الصلاة عليه عند ختم الدعاء لقول عمر : « الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك » رواه الترمذي بسند صحيح .

٩ ـ يوم الجمعة وليلته يستحب الإكثار فيه من الصلاة عليه لقوله ﷺ : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي ، قالوا : يارسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ـ يعني وقد بليت ـ قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وقد ذهب الإمامان الشافعي وأحمد إلى وجوب الصلاة عليه والسلام في خطبتي الجمعة . ولا تصح الخطبتان إلا بذلك □





مشكلة الحضارة :

ينطلق فكر ابن نبي من سؤال لايزال يلح على المسلمين منذ أن صُدموا بالحضارة الغربية وهي تطرق الأبواب وتدخل من كل المنافذ ، وكان السؤال : ماهي أسباب تقهقر المسلمين ؟ وماهي شروط النهضة ؟ ليستعيد المسلمون دورهم وفاعليتهم المفقودة وليكونوا شهداء على الناس . وكانت الإجابة عن هذا السؤال هي محور كتابات وأقوال الذين تصدوا لحركة الإصلاح والنهوض بالأمة على اختلافهم في القرب أو البعد عن الصواب . بل إن كثيراً منهم كانوا « لايعالجون المرض بقدر مايعالجون أعراضه » (١) وأما الإجابة المتبادرة (لابد من العودة للدين) فهي وإن كانت صحيحة بلاشك ولكنها بحاجة إلى تفاصيل ، فعندما ندخل في عمق الموضوع ونبدأ بالعمل سنجد أن هذا المسلم المقتنع بهذا الجواب يحمل بين جنبيه أمراضاً اجتماعية وفكرية ونفسية تعيقه عن فهم الكتاب والسنة فهماً صحيحاً ، ليتحول هذا الفهم إلى فعالية للتغيير ، وهذه الأمراض كانت نتيجة تراكم عصور من الابتعاد عن العلم النافع والعمل المثمر ، فالأمة الإسلامية (كالفارس الذي أفلت الركاب من قدميه ولم يسترده بعد ، فهو يحاول أن يستعيد توازنه » (٢) .

---

١ ــ مالك بن نبي : شروط النهضة / ٥٩ . ٢ ــ مالك بن نبي : مشكلة الأفكار / ٢١٧ .

كيف نصوغ عقل هذا المسلم مرة أخرى حتى يعود إلى فعاليته ؟ من هنا ينطلق ابن نبي ليقول : « إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية ، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته مالم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية ، مالم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها » (١) .

فالمسلم الآن لا يعيش حالة (حضارة) وإنما هو من بقايا حضارة وهي الحضارة الإسلامية طبعاً ، ولابد من إدخاله مرة ثانية في دورتها ، فالإنسان السابق على الحضارة (العربي قبل البعثة مثلاً) هو مثل جُزَيْء الماء قبل وصوله إلى خزان ينتج الكهرباء ، فهذا الجزيء منطو على طاقة مذخورة ، قابل لتأدية عمل نافع ، ولكن هذا الجزئي يفقد طاقته بعد أن استنفذها في إنتاج الكهرباء ، وإذا أردنا أن نعيد له قوته علينا أن نرفعه مرة ثانية إلى مكان عال أو أن يتبخر ثم يتكثف ليعود جزءاً من طاقة مائية تقع قبل خزان معين » (٢) .

ورفع المسلم إلى هذا المكان السامق لايتم إلا بشحنة إيمانية عالية وأخلاق كأخلاق الصحابة ولايتم هذا إلا (بتوتر روحي) حسب تعبير مالك .

ماذا يقصد بالحضارة ؟

« هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده ، في كل طور من أطواره وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية » (٣) أو « هي إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ » (٤) « هي ليست كل شكل من أشكال التنظيم للحياة البشرية في أي مجتمع كان ، ولكنها شكل نوعي خاص بالمجتمعات النامية واستعداد هذه المجتمعات لأداء وظيفة معينة » (٥) « وهي جوهر الوجود

---

١ ــ شروط النهضة / ٢٣ .
٢ ــ المصدر السابق / ١٠٦ .
٣ ــ آفاق جزائرية / ٣٨ .
٤ ــ مشكلة الأفكار / ٤٩ .
٥ ــ آفاق جزائرية / ٧٧ .

للمجتمع وعكسها هو الهمجية والعودة إلى البدائية المترحلة » (٢) فالعرب انتقلوا بالإسلام إلى حضارة ، والشعوب الأخرى انتقلت بعقيدة من العقائد إلى حضارة ، فهي قدر محتوم لمجتمع يتحرك لبناء نفسه ولأهداف معينة .

أما العوامل التي تشكل الحضارة فقد صاغها على شكل المعادلة التالية : ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت ، ولكن هذه المعادلة لابد لها من مُركّب أو مفاعل ، وهذا المركب هو (الدين) سواء كان ديناً حقاً كالإسلام ، أو بقايا دين أو عقيدة تبلغ عند أصحابها مبلغ الدين في الحماسة لها والتضحية في سبيلها .

« لكي نقيم حضارة لايكون ذلك بأن نكدس المنتجات ، وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها » (٣) فالحضارة لاتستورد ولا تفصل لكل أمة على مقاسها ، وهي التي تلد منتجاتها وليس العكس .

من هذه التعاريف يتبين لنا أن ابن نبي له تعريفه الخاص للحضارة ، فهي شكل راق من الحياة الأخلاقية والمادية ، وهناك حضارة إسلامية ، حضارة غربية ... الخ .

وحسب تعريفه هذا فإن الصين الحديثة أقلعت باتجاه حضارة فقد اجتمع لها الحماس للفكر واستخدام التراب والوقت وقبلها اليابان وروسيا ... ورغم أهمية هذه المعادلة بالنسبة للعالم الإسلامي الذي لم يقلع بعد . ورغم نقد ابن نبي للحضارة الغربية المادية وجشعها ، فإن رائحة المادية تفوح من هذه التعاريف فروسيا أقامت نهضتها الصناعية بعد أن قتلت وشردت الملايين ، وقل مثل ذلك في الصين ، فهل المهم هو استغلال الوقت والتراب ولو على حساب الإنسانية ! وأما العنصر الأخلاقي أو الروحي (Ethics) أو ماأسماه (الفكرة الدينية) التي يكون أصلها من السماء ، فقد استوحاها من (كسرلنج) الذي يقول : « وكان أعظم ارتكاز حضارة أوربا على روحها الدينية » .

---

١ ــ فكرة الأفرو آسيوية / ٨٥ .
٢ ــ شروط النهضة / ٦٦ .
٣ ــ شروط النهضة / ٨٤ .

ويعرف الروح الدينية : « ولست أعني بالروح ذلك الشيء الدال على منطق أو عقل أو مبادىء مجردة ، وإنما هو بصفة عامة ذلك الشعور القوي في الإنسان ، والذي تصدر عنه مخترعاته وتصوراته وتبليغه لرسالته ، وقدرته الخفية على إدراك الأشياء » (١) .

فهذا المفكر يعتبر أن الروح المسيحية ومبدأها الخلقي هما القاعدتان اللتان شيدت عليهما أوربا سيادتها التاريخية ، وجاء مالك وأخذ عنه هذه الفكرة ووضعها قاعدة عامة لكل الحضارات ، وأخذ عنه أيضاً وعن (شبنجلر) تقسيمه لدورة الحضارة إلى المراحل الثلاث : روحية ، وعقلية ، وغرائزية ، وإن كان ابن خلدون قبلهم قد قال بمثل هذا ولكنه تكلم على الدول ولم يتكلم عن الحضارات ، ومقولة أنه لاتوجد حضارة إلا وللدين أثر فيها صحيحة من حيث الجملة وقد قال بها ابن تيمية أيضاً (٢) ، ولكن يبقى الإشكال هو وضع الإسلام موضع المساواة مع أي فكرة دينية واعتباره شعلة أخلاقية تصلح لتركيب المعادلة ، هنا موضع الخطورة والنقص ، فالمفكر (كسرلنج) عندما يتكلم عن النصرانية يتكلم عنها كجزء من الأجزاء المكوّنة للحضارة الغربية ، ولكن الإسلام دين شامل وليس مبدأ أخلاقياً فحسب ، وقاعدته الأساسية هي التوحيد الذي ينبني عليه الأخلاق والآداب والتشريعات ... ومايعتبر فناً رائعاً عند من يكتب عن الحضارات يعتبر حراماً في الإسلام .

والواقع أن ابن نبي غير واضح في هذه المسألة ، فنراه واعياً لمسألة الشمولية عندما يعتبر العصر الراشدي هو النموذج دائماً وتعاطفه وتأييده للحركات الإسلامية مثل حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وحركة جمعية العلماء في الجزائر ، وربما يكون ضعفه في العلوم الشرعية هو الذي جعله يقع في أخطاء توحي بعدم الشمولية وخاصة في موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية .

ومع ذلك فإن طرحه لمشكلة الحضارة بمعناها الواسع هو من الأهمية بمكان ، ولذلك سنمضي معه في وقفته الطويلة عند هذا الموضوع .

---

١ ــ شروط النهضة / ٨٤ .
٢ ــ انظر ماكتب عن هذا الموضوع في العدد الأول من البيان / ١١٦ .

إن ارتفاع المسلم إلى مستوى (حضارة) « فيتعلم كيف يعيش في جماعة ، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية »[1] ، ويتعلم كيف يكون لبنة في (البنيان المرصوص) ، هذا الارتفاع لابد منه وهو المطلوب الآن ، بينما نرى في الواقع أن المسلم الذي لاينقصه الإخلاص لايستطيع مجابهة مشاكله ، وكيف يحلها ، لأنه تعلم وأخذ شهادات مدرسية ولكنه لم يتثقف ، ولم يتشرب من بيئته في المنزل والمدرسة كيف يكون فعّالاً ، وكيف يقوم بأعمال مشتركة مع الآخرين ، والإسلام عندما رفع العرب إلى مستوى (حضارة) عدّل من طباعهم حتى تكون وسطاً ، ووضعهم بين حديّ الوعد والوعيد ، وعدّل من غرائز الإنسان ولم يكبتها (حرّم الزنا وشجع الزواج) وهكذا دخل العربي وغير العربي في حضارة الإسلام ، وأصبحت شخصية المسلم شخصية سوية ليس فيها عُقد نفسية أو اجتماعية ، وعندما عُزل خالد بن الوليد رضي الله عنه عن قيادة الجيوش في الشام لم يُحدث عزله أي مشكلة ، ولو حصلت هذه الحادثة بعد بضعة عقود من السنين لزلزلت الأرض .

والمسلم الذي هو (خارج من حضارة) كما يعبر مالك بن نبي يتصرف بأنانية مفرطة ، قد تضخمت عنده (الأنا) فلا يرى إلا نفسه ولا يهتم إلا بمصلحته الخاصة ، ولا يستطيع أن يقوم بعمل تعاوني مع غيره وإذا ذهبت إلى منزل هذا المسلم (الطيب) ستجد آثار تضييع المال ودون قصد منه في كثير من الأحيان ، فأولاده يحطمون كل شيء ، وبقايا الطعام تتناثر فوق السجاد الفاخر ، والأم الجاهلة تنظر إليهم وكأن شيئاً لم يكن ، ولأنه لم يرتب أموره الاقتصادية تذهب أمواله إلى أصحاب المصانع في الغرب والشرق لتكون عوناً لهم على المسلمين ، مع أنه يعلم أن الرسول ﷺ نهانا عن « إضاعة المال » .

وعندما أراد بلد كأندونيسيا النهوض باقتصاده استدعى الخبير المشهور (شاخت) ، ولكن خطط هذا الخبير لم تنجح في أندونيسيا ونجحت في ألمانيا الغربية والسبب هو أن الشعب الأندونيسي لم يرق بعد إلى مستوى (حضارة) .

---

١ ــ ميلاد مجتمع / ٨٨ .

وعندما يتم استيراد الأجهزة الحديثة من أفضل ماأنتجته التقنية الغربية لا يستفاد منها كثيراً في بلادنا ، لأنه لا يوجد جو اجتماعي ثقافي يحيط بها ويحفظها ، فالنظم الاستبدادية جعلت العقول العلمية تهاجر إلى الغرب .

هذا مايقصده مالك بن نبي عندما يبدأ ويعيد في موضوع الحضارة ، وأن المسلم لايعيش ولا يتنفس الثقافة الملائمة له ، وإنما يحمل أمراض بيئته المتخلفة وهو لايشعر ونحن نوافقه من هذا الجانب ، ولذلك سنبدأ بعرض بعض المعوقات التي يراها مانعة من دخول المسلم في (بادرة حضارة) وتعرقل مساعيه للانطلاق والنهوض .

القابلية للاستعمار :

عندما يستعرض مالك بن نبي التاريخ الإسلامي يقسمه إلى فترات ثلاث :

١ ـــ الفترة الروحية التي دخل المسلمون فيها إلى حضارة إسلامية ، وتبدأ ببداية البعثة النبوية وتنتهي عند معركة صفين ، وتتميز هذه الفترة « بأروع صور الزهد والتقشف التي كان الرسول ﷺ مثلها الأعلى ، كما تتميز بالتضحية من قبل الصحابة مثل أبي بكر وعثمان وعمر ... » [1] .

وفي هذه الفترة خضعت كل النوازع للإيمان ، وغابت كل الأنانيات والعصبيات ، واندفع المسلم بكل طاقاته وإمكاناته ، وكانت شبكة العلاقات الاجتماعية على أقوى مايتصوره إنسان ، وبلغة علم النفس فإن الفرد يكون في أحسن ظروفه ويعيش التوازن الدقيق بين الروح والعقل أو بين الروح والمادة .

٢ ـــ الفترة العقلية : وتمثل أوج ازدهارها المدنية الإسلامية كالفترة الأموية والعباسية الأولى ، وفيها تدون العلوم وتتأسس المدينة ويستبحر العمران كمايعبر ابن خلدون . بيد أن العقل لايملك سيطرة الروح على الغرائز ، فتشرع في التمرد بالتدريج » [2] وتضعف قليلاً شبكة العلاقات الاجتماعية ولكن المجتمع يستمر قوياً بالاندفاع الأول حتى يصل لمرحلة تنتهي فيها قوة الاندفاع كمحرك استنفد

---

١ ـــ مشكلة الأفكار / ٥٣ .
٢ ـــ فهمي جدعان : أسس التقدم عند مفكري الإسلام / ٤١٤ .

آخر قطرة من وقوده وتنتهي هذه الفترة بانتهاء عصر دولة الموحدين في المغرب .

٣ ــ مرحلة الغرائز : التي تستمر حتى بداية هذا القرن ، حيث يحاول العالم الإسلامي النهوض ، وفي هذه الفترة تتغلب الغرائز الفردية والتفكك الاجتماعي ، ويعيش المسلم على هامش التاريخ ، والمجتمع مكوّن من أفراد لاينقصهم التدين في كثير من الأحيان ولكنه تدين فردي ، فهو يحاول انقاذ نفسه في الآخرة ولكن لم يعد يملك التماسك الاجتماعي ، وتسخير ماخلق الله له لبناء حضارة ، فهم أفراد من بقايا حضارة يحملون بين جنوبهم مايسميه مالك بن نبي (القابلية للاستعمار) فالمجتمعات الإسلامية المعاصرة لم تُستعمر إلا لوجود هذه القابلية لديها ، وقد يتعرض بلد من البلدان للاحتلال والغزو ولكنه يقاوم ، أما الاستعمار فهو صفات نفسية في المستَعمِر والمستعمَر ، فهناك فرق بين الاستعمار والاحتلال ، وقد استعمرت بريطانيا بلداً كبيراً كالهند ولكنّ إقليماً صغيراً كايرلندا الشمالية استعصى عليها ، وإن بلداً كاليمن لم يدخله الاستعمار ولكنه مصاب بنفس أمراض العالم الإسلامي .

وقبل أن نمضي مع مالك بن نبي في تحليله للفترة الثالثة ، لابد من إبداء تحفظ على هذا التقسيم الحاد للتاريخ الإسلامي الذي يبدو فيه أقرب إلى عقلية المهندس (١) منه إلى عقلية المؤرخ ، فتركيزه على صفين جعل حكمه قاسياً على الفترة التي أعقبتها ، بل وقع في أخطاء تاريخية وشرعية ، والضعف العلمي الذي غلب على الأمة الإسلامية إنما هو بعد القرن التاسع وليس بعد الموحدين مباشرة .

وقد عبّر ابن خلدون عن هذه الحالة بنبرة الأسى والحزن : « وكأني بالمشرق قد نزل به ماقد نزل بالمغرب ولكن على مقدار ونسبة عمران ، وكأنما لسان السكون ينادي في العالم بالنوم والخمول فأجاب » (٢) ، ومجيء دولة قوية كالدولة العثمانية لم يغير من الناحية الحضارية شيئاً ، حتى إذا جاء القرن الثاني عشر الهجري كانت الأمة الإسلامية في غاية الضعف والتمزق . « وأصبحت دوافع الحياة فاترة يعبر عنها قول أحدهم عندما يسأل عن مهمة حياته : نأكل

١ ــ الذي هو اختصاصه ، فقد تخرج عام ١٩٣٥ مهندساً كهربائياً .
٢ ــ مشكلة الأفكار / ٤٣ .

القوت وننتظر الموت » (١) .

إن الأمراض الاجتماعية والنفسية التي يركز عليها مالك بن نبي ربما تظهر لبادي الرأي أنها صغيرة وليست هي مشكلة المسلمين الرئيسية ، والجواب على ذلك أننا حتى لو اعتبرناها صغيرة ولكنها مهمة جداً لأنها كحبات الرمل التي تستطيع ايقاف آلة ضخمة .

الشلل الأخلاقي :

إن أخطر مرض أصاب المسلمين هو الانفصام بين النموذج القرآني والتطبيق العملي ، فقد انعدمت الدوافع الآلية التي حركت الرعيل الأول من الصحابة ، (٢) ويلخصها قول الفرزدق الشاعر للحسين بن علي رضي الله عنه واصفاً أهل العراق : « قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية » وبدأ ضمير المسلم يتهرب من الحقائق المنزلة « وحركة الخوارج والمعتزلة مثال على ذلك » (٣) ولكن هذا المرض ازداد فشواً في مجتمع (مابعد الموحدين) فأصبح المسلم نتيجة لغروره لايحاسب نفسه ، ولا يعترف بأخطائه ، وأصبحت المعادلة : « بما أن الإسلام دين كامل وبما أنه مسلم ، فالنتيجة أنه كامل ، وبذلك اختلت أي حركة عنده لزيادة الجهد والتقدم » (٤) .

ونتيجة لهذا الخلل ضعفت الروابط الاجتماعية : « فعالم الأشخاص لايتألف ضمن منهج تربوي ، يهتم بالأخلاق » (٥) ، وهذا التآلف مهم جداً ، قال تعالى : ﴿ لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ [الأنفال / ٦٣] ، ومبدأ المؤاخاة الذي قام بين المهاجرين والأنصار أصبح من الخطابات السعيدة ، والأخوة الإسلامية أصبحت كلاماً للزينة وشعور تحجر

---

١ ــ تأملات / ٤٠ .
٢ ــ مشكلة الأفكار / ٢١٤ .
٣ ــ وجهة العالم الإسلامي / ١١٤ .
٤ ــ المصدر السابق / ٧٧ .
٥ ــ مشكلة الثقافة / ٦٠ .

في نطاق الأدبيات (١) ، وهذا الضعف يقصد به المجتمع ككل ولا يقصد به كل فرد ، فلا يزال في الأمة (كأفراد) خير كثير ، ولا يزال الناس في الريف أقرب للفطرة .

عدم الفعالية :

وكان من نتائج هذا الانفصام الأخلاقي أن المسلم يحمل أفكاراً صحيحة ولكنه لايستطيع تطبيقها في دنيا الواقع ، كفريسة تعرضت للشلل حتى يسهل ابتلاعها ، لأن البيئة التي تحيط به وتغذيه بثقافتها أصبح مثلها الأعلى هو الزهد الأعجمي والصوفية أصحاب المرقعات ، ولا يتمثلون بعمر بن الخطاب أو بعبد الله بن المبارك أو الإمام مالك « والمسلم في هذه الحالة إنما يغالط نفسه ليهرب إلى هذه التعلات الصوفية الكاذبة » (٢) ، وفي المقابل نجد عند الغربيين أفكاراً قد لاتثبت أمام النقد الموجه لها ولكنهم استخدموها إلى أقصى مايستطيعون ، مثل فكرة (التقدم) والمسلم يحمل القرآن ولكنه لايستفيد منه كثيراً في التخطيط لنهضة قادمة ، فعقلية مابعد الموحدين تشله عن الإبداع ، هناك خلل في طريقة تفكيره ، فعندما اكتشف ابن النفيس الدورة الدموية لم يستفد منها المجتمع الإسلامي لأنه لم يكن على المستوى الثقافي الذي يحيط هذا الاختراع بالرعاية ، والمشكلة « أن مجتمع مابعد التحضر يسير إلى الخلف بعد أن انحرف عن طريق حضارته وانقطعت صلته بها » (٣) .

أمثلة على هذا الخلل :

١ ــ ذهان السهولة (مرض السهولة) : يميل المسلم في تقويمه للأشياء ، إما للغلو فيها أو للحط من قيمتها ، ويتمثل هذا في نوعين من الأمراض : فإما أن الأمور سهلة جداً ولا تحتاج إلى تعب وكد فكر ، والحل بسيط ، وإما أن الأمور مستحيلة ، وأبرز مثال على مرض (السهولة) قضية فلسطين ، فقد قيل

---

١ ــ وجهة العالم الإسلامي / ٤٦ .
٢ ــ آفاق جزائرية / ٢٣ .
٣ ــ مشكلة الأفكار / ٤٣ .

إن إخراج اليهود سيتحقق بعد أشهر ، ولو نفخنا عليهم نفخه واحدة لطاروا ولكنهم في الحقيقة لم يطيروا ، » وهناك من يظن أنه بخطبة رنانة تحل مشاكل المسلمين وبعضهم يكره أن تدعوه إلى تفكير عميق في موضوع ما من الموضوعات لأنه يؤثر السهولة ويكتفي بتفسير سطحي ، وعندما تخطط السياسة طبقاً لمبدأ السهولة فإنها سوف تجتذب إلى تيارها كثيراً من الناس ذوي النوايا الطيبة ، الذين يقدرون الأشياء بناء على سهولات الحاضر لا على صعوبات المستقبل » (١) .

وأيسر طريق لأصحاب السياسات الانتهازية أن يستخدموا كلمات مثل : الاستعمار والامبريالية والوطنية للتغرير بالشعوب ، هذه الكلمات التي « تليق جداً لتشحيم المنحدر حتى يكون الانزلاق عليه نحو السهولة ميسور جداً » (٢) .

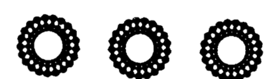
٢ ــ ذهان الاستحالة : وقد يحدث العكس فيرى المسلم أن الأمور مستحيلة ويقف أمامها عاجزاً ، وهي في الحقيقة غير مستحيلة ولكن ربما يضخمها عمداً حتى لايتعب نفسه في الحل ، أو أنه يشعر بضآلة نفسه وصغر همته فيحكم عليها بالاستحالة ، وقد مرت فترة كانت بعض الشعوب تنظر إلى صعوبة إخراج المستعمر من بلادها (٣) . وقد تجد اليوم بعض المسلمين الذين ينتظرون (معجزة الرجل الوحيد) كأن يأتي صلاح الدين آخر ليوحد المسلمين من جديد ، ويعتقدون استحالة أية محاولة لاستئناف حياة إسلامية .

٣ ــ طغيان الأشياء : عندما يكون مجتمع ما في حالة نهوض يجب أن يتحقق الانسجام والتوازن بين هذه العوالم (الأشياء والأشخاص والأفكار) ، ولكن الحقيقة أن النزعة (الكمية) هي المسيطرة ، « فلا يسأل المؤلف عن الموضوع الذي تناوله في بحثه ، وإنما يسأل عن عدد صفحات الكتاب ، وقد يقع المؤلف نفسه في هذه النزعة فيفتخر بأنه أخرج كتاباً من كذا صفحة » (٤)

[illegible] في البلاد المستعمرة / ٢٧ .
[illegible] / ٢٧ .
[illegible] الإسلامي / ٨٠ .
٤ ــ مشكلة الأفكار / ١٠٢ .

وعندما تريد إحدى المصالح الحكومية تجهيز مقرها تزوده بعدد خيالي من المكاتب ، بحيث يتعذر توفير المكان اللازم لها ، والموظف الكبير يجب أن يكون في غرفته أربعة تلفونات وخمس أجهزة تكييف ، ومشكلة التنمية تعالج بزيادة الضرائب التي تشل جميع أوجه النشاط الفردي ، وفي هذه الأجواءِ يظن الفرد أن (التكديس) هو الحضارة فيشتري منتجات الغرب بكميات أكثر مما يحتاج له » وإذا كان مجتمع ما قبل التحضر فقيراً في عالم الأشياء ، فإن مجتمع «ابعد التحضر مكتظ بالأشياء ولكنها خالية من الحياة » [1] .

يتبع



١ ــ مشكلة الأفكار / ٤٤ .



الثبات على دين الله

— ٢ —

محمد صالح المنجد

● التربية : التربية الإيمانية العلمية الواعية المتدرجة عامل أساسي من عوامل الثبات .

التربية الإيمانية التي تحيي القلب والضمير بالخوف والرجاء والمحبة ، المنافية للجفاف الناتج من البعد عن نصوص القرآن والسنة ، والعكوف على أقاويل الرجال .

التربية العلمية القائمة على الدليل الصحيح ، المنافية للتقليد والإمعية الذميمة .

التربية الواعية التي تعرف سبيل المجرمين وتدرس خطط أعداء الإسلام وتحيط بالواقع علماً ، وبالأحداث فهماً وتقويماً ، المنافية للانغلاق والتقوقع على البيئات الصغيرة المحدودة .

التربية المتدرجة التي تسير بالمسلم شيئاً فشيئاً ، ترتقي به في مدارج كماله بتخطيط موزون ، والمنافية للارتجال والتسرع والقفزات المحطِّمة .

ولكي ندرك أهمية هذا العنصر من عناصر الثبات ، فلنعد إلى سيرة رسول الله ﷺ ونسائل أنفسنا : ماهو مصدر ثبات صحابة النبي ﷺ في مكة ، إبّان فترة الاضطهاد ؟ كيف ثبت بلال وخباب ومصعب وآل ياسر

وغيرهم من المستضعفين وحتى كبار الصحابة في حصار الشعب وغيره ؟

هل يمكن أن يكون ثباتهم بغير تربية عميقة من مشكاة النبوة ، صقلت شخصياتهم ؟ لنأخذ رجلاً صحابياً مثل خباب بن الأرت رضي الله عنه الذي كانت مولاته تحمي أسياخ الحديد حتى تحمّر ثم تطرحه عليها عاري الظهر فلا يطفئها إلا ودك (شحم) ظهره حين يسيل عليها ، ماالذي جعله يصبر على هذا كله ؟ وبلال تحت الصخرة في الرمضاء ، وسميَّة في الأغلال والسلاسل ...

وسؤال منبثق من موقف آخر في العهد المدني ، من الذين ثبتوا مع النبي ﷺ في حنين لما انهزم أكثر المسلمين ؟ هل هم مُسلِمة الفتح الذين خرج أكثرهم طلباً للغنائم ، وحديثوا العهد بالإسلام ؟ كلا ... إن غالب من ثبت هم أولئك الصفوة المؤمنة التي تلقت قدراً عظيماً من التربية على يد رسول الله ﷺ . لو لم تكن هناك تربية ترى هل سيثبت هؤلاء ؟

ثامناً ــ الثقة بالطريق :

لاشك أنه كلما ازدادت الثقة بالطريق الذي يسلكه المسلم ، كان ثباته عليه أكبر ... ولهذا وسائل منها :

ــ استشعـــار أن الصراط المستقيم الذي تسلكه ليس جديداً ولا وليد قرنك وزمانك ، وإنما هو طريق عتيق (*) قد سار فيه من قبلك من الأنبياء والصديقين والعلمـاء والشهداء والصالحين ، فتـزول غربتك ، وتتبدل وحشتك أنساً ، وكآبتك فرحاً وسروراً ، لأنك تشعر بأن أولئك كلهم إخوة لك في الطريق والمنهج .

ــ الشعور بالاصطفاء ؛ قال الله عز وجل : ﴿ الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ [النمل / ٥٩] ، ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ [فاطر / ٣٢] ، ﴿ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ﴾ [يوسف / ٦] ... وكما أن الله اصطفى الأنبياء فللصالحين نصيب من ذلك الاصطفاء وهو ماوَرِثوه من علوم الأنبياء .

ماذا يكون شعورك لو أن الله

(*) عتيق : صفة مدح ، مثل : ﴿ وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ ، « عليكم بالأمر العتيق » .

خلقك جماداً ، أو حيواناً ، أو كافراً ملحداً ، أو داعية إلى بدعة ، أو فاسقاً ، أو مسلماً غير داعية لإسلامه ، أو داعية في طريق متعدد الأخطاء ؟

ألا ترى أن شعورك باصطفاء الله لك ؛ وأن جعلك داعية من دعاة أهل السنة والجماعة من عوامل ثباتك على منهجك وطريقك ؟

تاسعاً ـ الالتفاف حول العناصر المثبتة :

تلك العناصر التي من صفاتها ماأخبرنا به عليه الصلاة والسلام : « إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر » (١) .

البحث عن العلماء والصالحين والدعاة المؤمنين ، والالتفاف حولهم معين كبير على الثبات حتى قال بعض السلف : ثبت الله المسلمين برجلين ؛ أبي بكر يوم الردة ، والإمام أحمد يوم المحنة .

وهنا تبرز الأخوة الإسلامية كمصدر أساسي للتثبيت ، فإخوانك الصالحون هم العون لك في الطريق ، والركن الشديد الذي تأوي إليه فيثبتونك بما معهم من آيات الله والحكمة ... الزمهم وعش في أكنافهم وإياك والوحدة فتتخطفك الشياطين .

عاشراً ـ الثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام :

نحتاج إلى الثبات كثيراً عند تأخر النصر ، حتى لاتزل الأقدام بعد ثبوتها . قال الله تعالى : ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وماستكانوا والله يحب الصابرين . وماكان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ﴾ [آل عمران / ١٤٦ ـ ١٤٨] .

ولما أراد رسول الله ﷺ أن يثبت أصحابه المعذبين أخبرهم بأن المستقبل للإسلام في أوقات التعذيب والمحن . فماذا قال ؟

---

١ ـ حسن . رواه ابن ماجه عن أنس مرفوعاً . صحيح الجامع (٢٢١٩) .

جاء في حديث خباب عند البخاري : « وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه » (١) .

فعرض أحاديث البشارة بأن المستقبل للإسلام على الناشئة مهم في تربيتهم على الثبات .

حادي عشر ـ معرفة حقيقة الباطل وعدم الاغترار به :.

في قول الله عز وجل : ﴿ لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ﴾ [آل عمران / ١٩٦] تسرية عن المؤمنين وتثبيت ، وفي قوله عز وجل : ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾ [الرعد / ١٧] عبرة لأولي الألباب في عدم الخوف من الباطل والاستسلام له .

ومن طريقة القرآن فضح أهل الباطل وتعرية أهدافهم ووسائلهم ﴿ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ [الأنعام / ٥٥] حتى لايؤخذ المسلمون على حين غرة ، وحتى يعرفوا من أين يؤتى الإسلام ، وكم سمعنا ورأينا حركات تهاوت ودعاة زلت أقدامهم ففقدوا الثبات لما أتوا من حيث لم يحتسبوا بسبب جهلهم بأعدائهم .

الثاني عشر ـ استجماع الأخلاق المعينة على الثبات :

وعلى رأسها الصبر ، ففي حديث الصحيحين : « ماأعطي أحد قط خيراً وأوسع من الصبر » وأشد الصبر عند الصدمة الأولى ، وإذا أصيب المرء بمالم يتوقع تحصل النكسة ويزول الثبات إذا عُدم الصبر . تأمل فيما قاله ابن الجوزي رحمه الله : (رأيت كبيراً قارب الثمانين وكان يحافظ على الجماعة فمات ولد لابنته ، فقال : ماينبغي لأحد أن يدعو ، فإنه مايستجيب . ثم قال : إن الله تعالى يعاند فما يترك لنا ولداً) (٢) ، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً .

لما أصيب المسلمون في أحد لم يكونوا ليتوقعوا تلك المصيبة لأن

---

١ ـ البخاري .
٢ ـ الثبات عند الممات لابن الجوزي .

الله وعدهم بالنصر ، فعلمهم الله بدرس شديد بالدماء والشهداء : ﴿ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ﴾ [آل عمران / ١٦٥] .

ماذا حصل من عند أنفسهم :
— فشلتم ، — وتنازعتم في الأمر ، — وعصيتم ، — منكم من يريد الدنيا .

مواطن الثبات :

وهي كثيرة تحتاج إلى تفصيل نكتفي بسرد بعضها في هذا المقام :

أولاً : الثبات في الفتن :
التقلبات التي تصيب القلوب سببها الفتن ، فإذا تعرض القلب لفتن السراء والضراء فلا يثبت إلا أصحاب البصيرة الذين عمر الإيمان قلوبهم .

ومن أنواع الفتن :
— فتن المال : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ﴾ [التوبة / ٧٥ — ٧٦] .

— فتنة الجاه : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا . ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ [الكهف / ٢٨] .
— فتنة الزوجة : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾ [التغابن / ١٤] .
— فتنة الأولاد : « الولد مجبنة مبخلة محزنة »(١) .
— فتنة الاضطهاد والطغيان والظلم : ويمثلها أروع تمثيل قول الله عز وجل : ﴿ قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود ، ومانقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد ﴾ [البروج / ٤ — ٥] .
وروى البخاري عن خباب رضي الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة . فقال عليه السلام : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيؤتى بالمنشار ،

١ — صحيح الجامع (٧٠٣٧) .

وروى البخاري عن خباب رضي الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة . فقال عليه السلام : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيؤتى بالمنشار ، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ، مادون لحمه وعظمه ، مايبعده عن دينه ... » .

ــ فتنة الدجال : وهي أعظم فتن المحيا : « ياأيها الناس إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله آدم أعظم من فتنة الدجال ... ياعباد الله ، أيها الناس : فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه قبل نبي ... » (١) .

وعن مراحل ثبات القلوب وزيغها أمام الفتن يقول النبي ﷺ : « تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أُشربها نكتت في قلبه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا ؛ لاتضره فتنة مادامت السموات والأرض ، والآخر أسود مُربَدّاً كالكوز مُجَخِّياً لايعرف معروفاً ولاينكر منكراً إلا ماأشرب من هواه » (٢) .

ثانياً ــ الثبات في الجهاد :

﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ﴾ [الأنفال / ٤٥] .

ثالثاً ــ الثبات على المنهج :

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، ومابدلوا تبديلاً ﴾ [الأحزاب / ٢٣] مبادئهم أغلى من أرواحهم ، إصرار لايعرف التنازل ...

رابعاً ــ الثبات عند الممات :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ [فصلت / ٣٠] .

اللهم اجعلنا منهم ، اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين □

---

١ ــ رواه ابن ماجه والحاكم عن أبي أمامة . صحيح الجامع (٧٧٥٢) .
٢ ــ رواه أحمد ومسلم عن حذيفة مرفوعاً .

الزيارة بين النساء

على ضوء الكتاب والسنة

خولة درويش

أهمية الوقت لدى المرأة وأضرار إضاعته :

لقد جرت العادة في أكثر بلادنا الشرقية أن تخصص المرأة فترة بعد العصر لاستقبال صديقاتها أو زيارتهن على اختلاف في طريقة الزيارة أهي دورية منظمة أم عفوية ، وأياً كانت الحال لايخلو البيت يومها من إعلان حالة الطوارىء فيها : فاستعدادات فوق العادة تستنزف الجهد وتضيع الوقت وتبعثر المال . وتحول يوم الاستقبال إلى مباراة بين الأسر فيما يقدم للضيوف ، وفي إبراز مظهر البيت مظهر البيت ولباس أهله .

ولو سئلت غالبية النساء عن الهدف من هذه الزيارة لكان أحسن مايفصحن به : إنه التلاقي لقتل الوقت والتسلية ودفع السأم والملل عنهن .

ولا أدري هل الوقت إلا عمر الإنسان الذي يسأل عنه ؟ ومتى السؤال ؟ إنه يوم الفزع الأكبر .. يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله .

عن أبي بردة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تزل قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه ماعمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » (١) .

١ ــ رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

ومن السائل ؟ إنه رب العالمين الذي خلق الجن والإنس لعبادته لا للهو ولا للتسلية ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين ﴾ [الأنبياء / ١٧] .

فماذا نقول لرب العالمين إذا سألنا عن الوقت المهدور الذي إن لم يخل من المحرمات فلا يخلو من لغو الكلام والثرثرة التي ذمها الرسول ﷺ : « إن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون المتشدقون والمتفيهقون » (١) .

ومن أضاع وقته فقد أضاع جزءاً لايعوض من حياته وجدير أن تطول عليه حسرته ، وهل الوقت للمرأة وحدها ؟ أين حق الزوج والأولاد ؟ ومتى تؤدي حقوق مجتمعها وأمتها الإسلامية ؟

لمن تترك مهمتها إذا كان همها الخروج من البيت واللهو الفارغ ؟ وقد تقول إحداهن : إنها أدت واجباتها ظناً منها أن مهمتها محصورة في التنظيف وإرضاء الزوج والإنجاب ، وإن التفتت إلى تربية من أنجبتهم فقد لايتعدى اهتمامها إطعامهم وكسوتهم المناسبة ودراستهم المتفوقة .

لا ياأختاه ، فأنت مربية الأجيال وممولة للمجتمع المسلم بِبُناته من نساء ورجال ، إن واجبي وواجبك التربية الرشيدة لأبنائنا وإعدادهم إعداداً إسلامياً يجعلهم قادرين على حمل الأمانة والنهوض بالأمة وبناء المجتمع الفاضل المنشود .

فإن تركتُ وإياك أبناءنا والتفتنا للتسلية فقد خلفنا أبناءً هم الأيتام حقاً رغم وجود أبويهم :

إن اليتيم هو الذي تلقى له
أماً تخلت أو أباً مشغولا

بل من فقد والديه بالموت قد يجد من يشفق عليه ويرعاه ويحنو عليه أما من فقدهما في اللهو عنه فأنى يجد من يرحمه ويفطن لمأساته ، فالمرأة المشغولة بنفسها دائماً لن تجد الوقت الكافي للإشراف على فلذات كبدها وتوجيههم ومتابعتهم والأنس بهم مما يساعدها على أداء رسالتها وإرضاء

١ ــ أخرجه الترمذي في البر والصلة من حديث جابر وحسنه . وهو في المسند ٤ / ١٩٣ ، وانظر شرح السنة ١٢ / ٣٦٧ .

ربها .

صحيح أن الدنيا ــ هي دار الامتحان ــ مليئة بالمتاعب والصعاب وفي اللقاء تسلية ومؤانسة ... لكن هل التسلية غاية من تشعر أنها على ثغر من ثغور الإسلام فلا يؤتى من قبلها ؟ أم هي غاية العابثات أما وإن الترويح ضروري بين الفينة والأخرى فليكن على غير حساب الأخريات وأوقاتهن ...!!

كثيراً مانشكو من غزو أعدائنا الفكري ... وأننا مستهدفون محاربون فهل أعددنا العدة لمجابهتهم ، أو على الأقل هل حصنا أنفسنا ضدهم روحياً وثقافياً لنطالب بالتسلية ؟ ولا تنصر الدعوات وتنتشر بالتشكي والأسى .

إن مانعانيه يوجب علينا أن نراعي واقعنا على أسس إسلامية لنستطيع النهوض من كبوتنا ، وإلا ستبقى آمالنا سراباً وأمانينا حلماً نرجو أن يتحقق وهيهات أن يتحقق بدون عمل وجهد وجهاد . ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

إن العقوبات التي يوقعها الله في أمتنا ماهي إلا لتخاذلنا عن نصرة ديننا وعدم القيام بواجبنا ، والانهزامات التي أصابتنا قد ساهمت بها المرأة من حيث لاتدري يوم بدأ دورها ينحسر وتخلت عن القيام بواجبها كما ينبغي في التربية والتنشئة والتعليم .

وهذه الحقيقة المؤلمة التي تدمي القلب وتحز في النفس ، تدفعنا في الوقت نفسه إلى الاستفادة من أوقاتنا للقيام بمهمتنا التي سنسأل عنها : « المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها » (١) .

فلنقم بواجبنا في تربية رجال وأمهات المستقبل ثم لنلتفت إلى التسلية . هذا وإن الرسول ﷺ دلنا على طريقة لإبعاد الهم عن النفس : ألا وهي توثيق الصلة بالله ، نقبل عليه بالطاعات ، ونجعل همنا الدار الآخرة فما الهم إلا نتيجة الحرص على الفانية .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي

١ ــ صحيح مسلم بشرح النووي ١٢ / ٢١٣ .

راغمة ، ومن كانت الدنيا همه ، جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ماقدر له » (١) .

ولقد قال تعالى مبيناً مدى الضيق والضنك ، والعيش النكد الذي يكون به الغافل المعرض عن ذكر الله وذلك في الدنيا قبل الآخرة : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ [طه / ١٢٦] .

فلنجعل غايتنا رضى الله تعالى ، وسبيلنا اتباع شريعته ، عندها نشعر أنه لا فراغ يثقل على النفس ويجلب الهم والحزن ، بل أوقاتنا معمورة بذكر الله وطاعته والحياة كلها تصبح عبادة وقربة ، واستفادة من كل لحظة في حياة الإنسان عملاً بقول المصطفى ﷺ : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » (٢) .

وإن كان ابن الجوزي قد عجب من أهل زمانه وإضاعتهم للوقت فقال : « رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً ، وإن طال الليل فبحديث لاينفع أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسمر ، وإن طال النهار فبالنوم وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق نشبههم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم وماعندهم خبر ، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود ، فهم في تعبئة الزاد للرحيل ، إلا أنهم يتفاوتون ، وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلد الإقامة » (٣) .

فماذا نقول نحن عن الناس في زماننا ؟! وقد أصبح العبث الفارغ أساس حياة أكثرهم ، والتبرم بالحياة سبباً في أمراض نفسية غريبة ، وصار الضيق والهلع من المجهول شبحاً

١ ــ رواه الترمذي / ٢٥٨٣ .
٢ ــ أخرجه أبو نعيم في الحلية مرسلاً ، وأخرجه الحاكم ٤ / ٣٠٦ موصولاً . ينظر شرح السنة ١٤ / ٢٢٤ .
٣ ــ صيد الخاطر / ١٤٢ .

يطارد ضعاف النفوس والإيمان ؟!

إن أساليبهم في اللهو وإضاعة الأوقات تفوق الخيال : فبعد السهر والسحر على شتى البرامج في وسائل اللهو الحديثة المحرمة والمباحة ، النوم حتى الضحى ، واللهاث بقية النهار للدنيا فقط ، وفي أعمال الدنيا .. وكثرة النوم والتناوم هو شأن الخاملين اللاهين . أما الجادون فيحرصون على أوقاتهم حرص الشحيح على ماله أو أشد حرصاً . حقاً « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » (١) .

أيهما أفضل المخالطة أم الإنفراد ؟

وكأني بك أختي المسلمة تتساءلين : وهل هذا يعني البعد عن الناس وعدم الاختلاف بهم ؟

« إن اختيار المخالطة مطلقاً خطأ ، واختيار الانفراد مطلقاً خطأ » (٢) ، والإسلام دين تجمع وألفة ، والاختلاط بالناس والتعارف بينهم من تعاليمه الأساسية ، وقد فضل الرسول ﷺ المسلم الذي يخالط الناس على ذلك الذي هجرهم ونأى عنهم : « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لايخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » (٣) ، وكيف يكون الإحسان للجيران والأقارب إلا بمواصلتهم ومعرفة أحوالهم ؟

فكم من زيارة دلت على خير في الدنيا والآخرة ؟! مسحت بها المسلمة آلام أختها المصابة ، تقوي عزيمتها ، تشد أزرها وتدفعها إلى الصبر ، تحيي عندها حسن الظن بالله وقرب الفرج ، تشاركها أفراحها ، تعلمها ماتجهله من أمور الدنيا والدين ، تتناصح وإياها وتتشاور لما فيه خيرها وخير المسلمين .

أما المخالطة العشوائية التي لايأبه لها كثير من النساء ، فما هي إلا مظهر من مظاهر انهزام المرأة وتخاذلها عن القيام بواجباتها الأسرية ، وهروب من التبعات المنزلية لتمضي مع صويحباتها فترة

---

١ ــ رواه البخاري الرقاق والترمذي في الزهد .
٢ ــ فتاوى ابن تيمية ١ / ٤٢٦ .
٣ ــ مصنف ابن شيبة ٨ / ٥٦٤ .

لهو ولغو . وهي حالة مرضية من حيث الهدف والمضمون . فحري بنا أن نسعى حثيثاً للعلاج قبل أن يأتي يوم لامرد له من الله . ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، ياويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر [illegible] وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ [الفرقان / ٢٧ — ٢٩] .

ولما للمرأة من مكانة عظيمة في توجيه الناشئة وغرس العقيدة الصافية في نفوس الأبناء — أجيال المستقبل — كان لابد من محاولة جادة للاستفادة من وقتها وعدم إضاعته سدى في مجاملات تافهة ، ومظاهر فارغة .

لقد كانت المرأة أماً وزوجة خير عون على الخير لما تطلعت نحوه ، وشر دافع نحو الخراب والدمار لما سعت إليه . كانت مطية للأفكار الهدامة في القرن العشرين ، وستكون مشعل نور للأجيال إن تمسكت بعقيدتها ودينها .

والله أسأل أن يجعل هذه المحاولة لبنة تعين الأسرة المسلمة على إكمال رسالتها وأن يلهم مسلمة عصرنا رشدها لتعود كسالفتها الصالحة مرشدة لكل خير وفضيلة □

— يتبع —



الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن

عرض وتقديم
محمد عبد الرحمن آل الشيخ

الاهتمام بالقرآن وتفسيره مظهر من أهم مظاهر الاهتمام بالإسلام ، ومنذ عصر الإسلام الأول ومكتبة التفسير تزداد غنى وتضخماً حتى أصبح القارىء اليوم يجد نفسه في حيرة أمام هذه الكتب ومناهجها ، فلا يكاد يسلم له اختيار ، ولا تستقيم له قراءة ، إذا لم يبذل جهداً كبيراً في اختيار الكتاب والكاتب ، من هذا المنطلق عني جماعة من علماء المسلمين بأصول التفسير ومنهجه ، فكتبوا عن التفسير وتاريخه ومراحل تطوره ، وكتبوا عن المفسرين واتجاهاتهم وغاياتهم ، ليخلصوا بعد ذلك إلى منهج واضح في التعامل مع المفسرين في كتبهم تعين القارىء المسلم في تناوله لكتب التفسير ، وتجعل أمامه معايير واضحة في القبول والرد ، لأي فكرة أو عبارة .

ويعد الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي ــ رحمه الله ــ واحداً من علماء المسلمين الذين تخصصوا في التفسير وعلمه ، فعاش مع الأولين والآخرين من خلال قراءته لكتبهم المطبوعة والمخطوطة ، ويكفي شاهداً على مكانته في هذا المجال كتابه القيم « التفسير والمفسرون » ، غير أن للشيخ كتيباً آخر ــ وإن كان جزء كبير منه مأخوذاً من الكتاب الأول ــ يقع في حوالي مائة صفحة تحت عنوان « الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن دوافعها ودفعها » ومع صغر حجم الكتاب إلا أنه وفّى الموضوع توفية جيدة ، وأبان فيه كثيراً من أحوال الذين دخلوا عالم التفسير ولكن لم تسلم مؤلفاتهم من انحرافات وأخطاء ، ولا نعني بها الأخطاء

الفردية الجانبية ، بل المنهجي منها حيث يلتزم المؤلف في تفسيره منهجاً غير سليم في تناول النصوص القرآنية يخالف أهل السنة .

والكتاب يقع في مقدمة ، وتسع مقالات ، تكلم في المقدمة عن تدرج التفسير ، وعن مبدأ ظهور الإنحراف ، ثم في المقالات التسع ذكر أحوال تسعة اتجاهات تناولت القرآن تناولاً فيه انحراف في جانب من جوانب منهجها .

المقدمة :

تكلمت المقدمة أولاً عن تدرج التفسير فتكلم المؤلف في البداية عن تفسير النبي ﷺ القرآن للصحابة ، وذكر خلاف العلماء حول : هل فسر النبي ﷺ القرآن جميعه للصحابة أم بعضه ، واختار أن النبي ﷺ إنما فسر معظم القرآن ، وأن هناك أشياء لم يفسرها للصحابة مثل ماستأثر الله بعلمه ، أو ماتعرفه العرب بلغتها ، أو مايعرفه المرء من القرآن بداهة ، أما الأمور التي هي من اختصاص العلماء فهي التي كانت مجال التفسير كبيان المجمل ، وتخصيص العام وتقييد المطلق ... وغير ذلك مما خفي معناه والتبس المراد به .

ثم جاء بعد ذلك عصر التابعين الذين أخذوا التفسير مشافهة من الصحابة ، وزادوا على ذلك باجتهاداتهم بمقدار مازاد من الغموض الذي كان يتزايد كلما بعد الناس عن عصر النبي ﷺ . وهكذا استمر تنقل التفسير بين الطبقات يزداد الناس بعداً عن عصر النبي ﷺ وتزداد اجتهادات العلماء لسد تلك الفجوة ، حتى ظهر عصر التدوين .

ويقسم المؤلف مراحل التفسير منذ عصر التدوين إلى يومنا هذا إلى أربع مراحل : فيجعل الأولى يوم كان التفسير جزءاً من كتب الحديث ، وكان التفسير بالمأثور يروى بأسانيده ، وأحياناً يفرد له باب داخل كتب الحديث . والمرحلة الثانية يوم انفصل التفسير في كتبه المستقلة ، ومن أعلام هذه المرحلة ــ عند المؤلف ــ ابن ماجة (ت : ٢٣٧ هـ) وابن جرير الطبري (ت : ٣١٠ هـ) وغيرهما ، وقد عدّ الكاتب هاتين المرحلتين من المراحل الخيرة في تاريخ تدوين التفسير بالمأثور . ولكن المرحلة الثالثة لم تكن كسابقتيها ، حيث شهدت ظهور

تفاسير لم تعتن كثيراً بالأسانيد واثباتها بل عمدت إلى اختصارها وذكر أقوال السلف من غير سند ، ومأخذ الكاتب على هذه المرحلة ننقله بعبارته حيث يقول : **فدخل الوضع في التفسير ، والتبس الصحيح بالعليل ، وكان هذا مبدأ ظهور الوضع في التفسير .**

ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي أوسع المراحل حيث امتدت من العصر العباسي إلى هذا اليوم ، يقول رحمه الله : **فبعد أن كان التفسير مقصوراً على رواية مانقل عن سلف هذه الأمة ، وجدناه يتجاوز هذه الخطوة إلى تدوين تفاسير اختلط فيها الفهم العقلي بالتفسير النقلي، وكان ذلك على تدرج ملحوظ فبدأ أولاً على هيئة محاولات فهم شخصي وترجيح بعض الأقوال على بعض ، وكان هذا أمراً مقبولاً مادام يرجع الجانب العقلي منه إلى حدود اللغة ، ودلالة كلمات القرآن** . ولكن جانب الفهم العقلي أخذ يخرج عن اطاره المقبولي مع مرور الزمن إلى أن وصل إلى مرحلة قال عنها : **حتى وُجد من كتب التفسير مايجمع أشياء كثيرة لاتكاد تتصل بالتفسير إلا عن بعد عظيم .**

واشتملت المقدمة كذلك على مبحث في مبدأ ظهور تلك الاتجاهات المنحرفة ، مع دراسة تحليلية موجزة لأسباب ذلك .

ليس من الصعب على من يقرأ كلام المؤلف أن يخلص إلى أنه يرجع أسباب تلك الانحرافات إلى عاملين ، أولهما : حذف الأسانيد ، والعامل الآخر اتجاه أهل الرأي في تفسير القرآن حيث يقول : **ولاشك في أن انتهاء التفسير بالرأي إلى اخضاعه لميول شخصية ، ومذاهب عقدية وغير عقدية فتح على المسلمين باب شر عظيم . ولهذا العامل عنده سببان :**

أولهما : أن يعتقد المفسر معنى من المعاني ، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى قسراً ، وإن كان ماقصد إليه معنى حسناً ، ولكن لاعلاقة له بالآية ، كمن فسر قوله تعالى ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ... ﴾ [النساء / ٦٦] بأن قتل النفس هنا مخالفتها ، والخروج من الديار هو إخراج حب الدنيا من القلوب . وقد يكون المعنى الذي قصد إليه خطأ أصلاً ، ومع هذا يريد أن يحمل كلام الله عليه ، ومثل

على ذلك بمن فسر قوله تعالى ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ [المزمل / ٨] اذكر اسم ربك الذي هو أنت ، أي اعرف نفسك ولا تنسها فينسك الله .

والسبب الثاني : أن يقف المفسر مع ظاهر اللفظ دون نظر في حال القوم الذين نزل فيهم القرآن ، أو سبب نزول الآية .

وبعد هذه المقدمة ، بدأ في تناول الاتجاهات المنحرفة وهي :

١ ــ اتجاه الإخباريين والقصاص .

٢ ــ اتجاه أصحاب المذاهب النحوية .

٣ ــ اتجاه من يجهل قواعد النحو .

٤ ــ اتجاه المعتزلة .

٥ ــ اتجاه الشيعة .

٦ ــ اتجاه الخوارج .

٧ ــ اتجاه الصوفية .

٨ ــ اتجاه أصحاب التفسير العلمي .

٩ ــ اتجاه مدعي التجديد .

وقد استغرق الكلام على هذه الاتجاهات بقية الكتاب ، وسنقتصر في هذا المقال على ذكر اتجاهين اثنين أحدهما قديم والآخر حديث ، هما الشيعة ومدعي التجديد .

وقد نهج المؤلف في دراسته لهذه الاتجاهات نهجاً تحليلاً موفقاً ، فبدأ وقدم لكل اتجاه بمقدمة موجزة تكلم فيها عن مذهب القوم وبعض عقائدهم التي تخالف عقائد أهل السنة ، ثم أخذ أمثلة من تفاسيرهم ، وذكر انحرافاتهم فيها ، وكيف أولوا آيات القرآن لتوافق آراءهم ومذاهبهم ، ويتبع ذلك غالباً بالرد على ادعاءاتهم ، وإبطال تأويلاتهم .

الاتجاهات المنحرفة في تفسير الشيعة :

بدأ الحديث عن الشيعة بذكر أقسامهم من جهة غلوهم في أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولخص بعد ذلك عقائد الإمامية الاثني عشرية القائلين بإمامة اثني عشر إماماً فقال : **وللإمامية الاثني عشرية تعاليم أشهرها : العصمة والمهدية والرجعة والتقية . وأتبع ذلك بشرح موجز لكل عقيدة من هذه العقائد .**

وتكلم بعد ذلك عن تفاسير القوم ، وضرب أمثلة لكيفية اعتسافهم لآيات القرآن الكريم لتوافق عقائدهم ، وحسبنا أن نورد هنا مثالاً واحداً مما ورد في الكتاب ، فقد نقل عن البحراني في تفسير للآيتين ٨ ، ٩ من سورة الذاريات ﴿ إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك ﴾ أنه قال : يروى عن أبي جعفر أنه قال في تفسيرها : اختلف في ولاية هذه الأمة ، فمن استقام على ولاية علي دخل الجنة ، ومن خالف ولاية علي دخل النار ، وأما قوله ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ قال : يعني علياً ، ومن أفك عن ولايته أفك عن الجنة . ثم يرد المؤلف على هذا الانحراف رداً منهجياً جيداً حيث يقول : **ولسنا بحاجة إلى الإطالة في إبطال هذا الاتجاه ، بعدما أثبت لنا علماء الحديث ونقاده أن كل الروايات في ولاية علي ليس لها أساس من الصحة ، وأنها من وضع الشيعة أنفسهم ليروجوا بها مذهبهم في الإمامة والأئمة .**

القارىء لهذا الفصل من الكتاب يصل في نهايته إلى حيث أراد الكاتب من أن تفاسير القوم لم توضع بتجرد وإخلاص ، ولايمكن اعتبارها تفاسير للقرآن بقدر مايمكن اعتبارها قنوات لصب أفكار الشيعة وعقائدهم من خلالها .

الاتجاهات المنحرفة في التفسير لبعض مدعي التجديد :

إذا كان الكاتب قد التزم الاتزان في العبارة ، والهدوء في المناقشة والرد ــ وهو خلق جيد ــ فإنه هنا وإن لم يخرج عن هذا الاطار إلا أنه استخدم عبارات أشد وأسلوباً أقوى مع أصحاب هذا الاتجاه ، ولعل ذلك عائد إلى أنه عدّ بعضهم ممن يريد الكيد للإسلام وأهله ، وبعضهم ممن أقحم نفسه في هذا المجال وليس من أصحابه ، فنجد المؤلف في هذا الفصل بعد أن ذكر أن الإسلام بُلي بقوم كادوا له ، وعملوا على هدمه ، نراه يقول بعد ذلك : **مني الإسلام**

بهذا من أيامه الأولى ، ومني بمثل هذا في أحدث عصوره ، فظهر في هذا القرن أشخاص يتأولون القرآن على غير تأويله ، ويلوونه إلى مايوافق شهواتهم ، ويقضي حاجات نفوسهم ... فمنهم من حسب أن التجديد ولو بتحريف كتاب الله تعالى سبب لظهوره وشهرته في المحيط العلمي ، فذهب يفسر كتاب الله تفسيراً لاتقره لغة القرآن ، ولا يتفق مع قواعد الدين العامة ، ومنهم من تلقى من العلم حظاً يسيراً لا يرقى به إلى مستوى العلماء ، ولكنه اغتر بما لديه فحسب أنه بلغ مبلغ الراسخين في العلم ، ونسي أنه قل في علم اللغة نصيبه ، وخف في علم الشريعة وزنه ، ... فأخذ يهذي بأفكار فاسدة تتنافى مع ماقرره علماء اللغة وأئمة الدين .

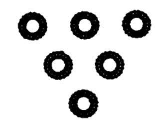
بهذا الإسلوب وبهذه الروح تناول الكاتب أصحاب هذا الاتجاه .

ومن أصحاب هذا المنهج صاحب كتاب « الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن » وقد ثار على هذا الكتاب علماء الأزهر حتى صودر ومنع ، فقد تسلط صاحب هذا التفسير على معجزات الأنبياء وجرّدها من معانيها الإعجازية ، فلا عيسى عنده ينفخ في الطين فيصير طيراً بإذن الله ، ولاهو يبرىء الأكمه والأبرص ولا يحيي الموتى بإذن الله . ومما نقله عنه المؤلف في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ﴾ [الأنبياء / ٧٩] يقول : ﴿ يسبحن ﴾ يعبر عما تظهره الجبال من المعادن التي كان يسخرها داود في صناعته الحربية ﴿ والطير ﴾ يطلق على كل ذي جناح ، وكل سريع السير من الخيل والقطارات البخارية والطيارات الهوائية ، وفسر قوله تعالى ﴿ ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ﴾ [الأنبياء / ٨١] يقول : ﴿ تجري بأمره ﴾ الآن تجري بأمر الدول الأوربية وإشاراتها في التلغراف والتلفونات الهوائية .

فليس بعد ذلك من عجب أن يقسو الذهبي رحمه الله على هذا المفسر ويقول عنه : **وهذا بلا شك خروج صريح عن مدلولات النصوص القرآنية ، وإلحاد في آيات الله سبحانه وتعالى .**

وبعد ، فهذا هو الكتاب كما قرأته ، لايخلو كل قارىء له من أن يصل

في نهايته إلى معرفة الإنحرافات التي قد ترد على كتب التفسير وأسبابها ، ولايخلو القارىء كذلك أن يستنتج من إجمال الكتاب المنهج الصحيح في التفسير ، الذي به نستطيع قبول قول المفسر أو رده ، ولم يتوسع ــ رحمه الله ــ في ذلك ولم يعرضه عرضاً مستقلاً لأن عنوان الكتاب مقصور على الاتجاهات المنحرفة ، ولكن يمكن أن نستنتج جانباً من ذلك من خلال كلامه وردوده ، فأهم مقومات المنهج الصحيح فيما ذكر : الاهتمام بالأسانيد وتمحيصها ليعلم الصحيح من الدخيل ، ويضاف إلى ذلك التجرد في تناول الآيات القرآنية دون اخضاعها لمؤثرات ومقررات سابقة □



قل موتوا بغيظكم

حكمت الحريري

ذكر ياقوت الحموي في كتاب « معجم البلدان » قصة تتعلق بموقف عمر ابن عبد العزيز من جامع دمشق الذي بني في عهد الوليد بن عبد الملك فقال :

« لما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال : إني أرى في أموال مسجد دمشق كثرة فقد انفقت في غير حقها ، فأنا مستدرك ماستدركت منها فردت إلى بيت المال ، أنزع هذا الرخام والفسيفساء وأنزع هذه السلاسل وأصير بدلها حبالاً ، فاشتد على أهل دمشق ، حتى وردت عشرة رجال من ملك الروم إلى دمشق فسألوا أن يؤذن لهم في دخول المسجد فأذن لهم أن يدخلوا من باب البريد ، فوكل بهم رجلاً يعرف لغتهم ويسمع كلامهم وينهي قولهم إلى عمر من حيث لايعلمون ، فمروا في الصحن حتى استقبلوا القبلة فرفعوا رؤوسهم إلى المسجد فنكس رئيسهم رأسه واصفر لونه فقالوا له في ذلك فقال : إنا كنا معاشر أهل رومية تتحدث أن بقاء العرب قليل فلما رأيت مابنوا علمت أن لهم مدة لابد أن يبلغوها ، فلما أخبر عمر بن عبد العزيز بذلك قال : إنـي أرى مسجدكم هذا غيظاً على الكفار ، وترك ماهمّ به » .

تلك هي القلوب الخفاقة المتعلقة بربها عز وجل والتي عزفت عن الركون إلى الدنيا وشهوات النفس ، وارتفعت فوق الإحن ولم تعرقلها السلبيات ، فتجد أن مواقف أولئك الرجال عزة لدين الله ، متمثلة لقول بارئها وواعية له : ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ وغيظاً لاعداء الله ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ .

والذي جعلني أتذكر قصة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وموقفه ذاك نظرة كبار المؤرخين والمفكرين من أعداء الإسلام وموقفهم من الحركات الإسلامية المجددة منها خاصة والتي تعمل على تجديد معالم الدين وإعادة الروح الإسلامية الخالصة الحقيقية إلى أبناء الأمة الإسلامية ، تلك الحركات التي لم تقبل الانقياد للأفكار الغربية الملحدة ولم تخضع وتنكسر للحاقدين على الإسلام .

وسأذكر فيما يلي موقف بعض الحاقدين على تلك الحركات المجددة لدين الإسلام فيصفها بصورة مشوهة ، ويظهر التحامل وعدم الرضا منها .

وصدق الله عز وجل : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ .

وأول المواقف التي أريد التعرض لها والحديث عنها لأحد مشاهير المؤرخين الأوربيين « أرنولد توينبي » وذلك في محاضرتين ألقاهما مابين عامي ١٩٤٧ ـــ ١٩٥٢ ، وقد ترجمهما الدكتور نبيل صبحي الطويل إلى اللغة العربية في كتيب بعنوان « الإسلام والغرب والمستقبل » وطبع للمرة الأولى عام ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م .

تحدث توينبي في محاضرته الأولى عن بداية العلاقة بين الإسلام والغرب وذكر أنها بدأت في القرن السابع الميلادي ، حينما حرر المسلمون سلسلة من الدول الشرقية من سيطرة الرومان ، من سورية شرقاً إلى أسبانيا غرباً ، بعد أن كانت تحت الحكم الروماني مدة ألف عام تقريباً .

واستمر الفتح الاسلامي حتى شمل جميع بلاد الهند وانتشر أيضاً في اندونيسيا والصين شرقاً وفي أفريقيا الاستوائية جنوباً ، وكل ماتبقى من العالم المسيحي الشرقي في آسيا الوسطى ، وجنوب شرقي أوروبا خضع في القرنين الرابع عشر والخامس عشر لحكم المسلمين العثمانيين ، وبقي علم الهلال يرفرف فوق السواحل الشرقية لبحر الادرياتيك حتى عام ١٩١٢ ، وبعد أن فشل الأتراك للمرة الثانية في حصار فيينا عام ١٦٨٣ بدأ الهجوم الغربي المعاكس على العالم

الإسلامي .

ولم يكن هذا الهجوم رداً مباشراً مماثلاً للغزو الصليبي بل كان تطويقاً للإسلام عن طريق السيطرة على المحيطات ، ونجح الغرب في عقد الحبل حول عنق الإسلام في أواخر القرن السادس عشر ولم يتم الخناق إلا في القرن التاسع عشر [الإسلام والغرب والمستقبل / ١٦ ـــ ١٨] .

وفي هذه الفترة الزمنية أدرك العثمانيون أنهم بحاجة إلى التقنية الغربية أي بعد فشلهم بمائة سنة من حصار فيينا خاصة في المجال العسكري وكان مصطفى كمال واحداً من الضباط الذين تشربوا الأفكار الغربية حينما كانوا يتعلمون الفنون الحربية الغربية ، وكان هدف هذا العسكري هو التغريب الكامل لتركيا وفرض برنامجه على الناس بقوة القانون ، فتحرير المرأة وإزالة الدين الإسلامي وفرض الأحرف اللاتينية بدل الأبجدية العربية كل ذلك شرّع بقوانيـــن مابيـــن ١٩٢٢ ـــ ١٩٢٨ » (ص ٢٥) .

ثم يقول : « من المؤكد أن الشعب التركي بوحي من أتاتورك قد خدم العالم الإسلامي كله !!! عندما حاول حل المسألة الغربية المشتركة باقتباسه الحياة الغربية الحديثة كلها بدون أية تحفظات والقومية الغربية جزء منها » (ص ٢٩) .

هذا هو ملخص المحاضرة الأولى لتوينبي :

ولكن ... إنه لمنطق عجيب أن يدعي توينبي بأن مصطفى كمال أتاتورك خدم العالم الإسلامي !!

أية خدمة هي التي يقول عنها توينبي قبل قليل أن أتاتورك أزال الدين الإسلامي !! وحرر المرأة !! وذلك يعني بأنه أخرجها من سترها وحشمتها سافرة عارية وأصبحت سلعة رخيصة كما هي حال المرأة في الغرب .

وأية خدمة قام بها مصطفى كمال بتغيير الحروف العربية ووضع بدلها الحروف اللاتينية !!

ولكن العجب ينقضي عندما يعلم المسلم أن هذا هو منطق الحاقدين على الإسلام وأهله ، خدمته هي القضاء عليه ! والكلام لايحتاج إلى طول تعليق .

وأما المحاضرة الثانية والتي

عنوانها : « الإسلام والغرب والمستقبل » فلا أريد التعرض لكل ماذكره توينبي فيها ، بل أكتفي بالتركيز على موضع الشاهد من القصة التي أوردتها في البداية .

بعد غزو الغرب للعالم الإسلامي ، فإنه انقسم إلى قسمين شأنه في ذلك شأن كل المجتمعات المغلوبة التي تواجه مجتمعاً آخر متحضراً وفي هذا يقول توينبي كما هو في النص المترجم :

« كلما واجه مجتمع متحضر مثل هذا الموقف ــ أي الغزو ــ أمام مجتمع متفوق آخر نجد طريقين لا ثالث لهما للرد على هذا التحدي ... فريق أصبح متمسكاً متحمساً متعصباً (ZEALOT) وفريق ثاني أصبح مقلداً متكيفاً (HERODION) ، ويعرض توينبي الفريق الأول (المتحمس) بأنه الإنسان الذي يتهرب من الشيء المجهول ويلجأ للشيء العادي المتعارف عليه . ويذكر أن ممثلي هذا الطريق ــ المتحمس ــ في العالم الإسلامي المعاصر « هم تلك الحركات السلفية أمثال السنوسية في شمال أفريقيا والوهابية في أواسط شبه جزيرة العرب » .

ويعتبر أن من الخصائص الملحوظة عند هؤلاء المتحمسين هي أن معاقلهم تقع في مناطق مجدبة قليلة السكان بعيدة عن الطرق الرئيسية الموصلة إلى العالم الحديث .

ثم يذكر أيضاً من الأمثلة على المتحمسين في العالم الإسلامي الإمام « يحيى حميد الدين » في صنعاء ، ومن الأمثلة على المقلدين التي يذكرها توينبي محمد علي باشا في مصر ، ومصطفى كمال أتاتورك .

وكما ذكرت فيما سبق من حرصي على نقل مقاطع مترجمة حرفياً من أقوال توينبي ليكون القارىء على بينة من نظرة الحقد التي ينظرها الصليبيون إلى العالم الإسلامي ، وماتخفي صدورهم أكبر ، تجاه الحركات الإسلامية الأصيلة ، حيث يصفها بالتعصب والتحمس وعدم استعمال العقل والتفكير ...

وفي حالة حصول المواجهة بين الغرب وأولئك المتحمسين المتعصبين على حد تعبيره يقول : « ولكن المتحمس المسلح ببندقية أوتوماتيكية لم يعد ذلك المتحمس المتصوف

التقي ، لأنه باستعماله لأسلحة الغرب ... قد وطيء أرضاً دنسة ، ولاشك أنه إذا فكر في الأمر وقليلاً مايفعل ذلك لأن سلوكه في الأساس غريزي غير عقلاني يقول في نفسه لن أتعدى الحدود التي وصلتها في تعاملي مع الغرب » .

وفي مقطع آخر يقارن توينبي بين المقلدين والمتحمسين ، فيتحامل على المتحمسين ويلمز بهم وينتقصهم فيقول :

« والواقع أن حركة المقلدين المسلمين هي أكثر فعالية وتأثيراً من حركة المتحمسين ... لهذا يلجأ المتحمس إلى الماضي كالنعامة التي تحاول وأد رأسها في الرمال لتختبيء من ملاحقيها ، أما المقلد فيواجه الحاضر بشجاعة ، ويحاول اكتشاف المستقبل فالمتحمس تسيره الغريزة ، والمقلد يسيره العقل » .

ثم تعرض مرة أخرى إلى الحديث عن الثورة التي حصلت في تركيا أي في عهد مصطفى كمال ، وأن ثورته لم تقتصر على تغيير الدستور فيقول : « قامت الجمهورية التركية الوليدة بخلع المدافع عن الدين الإسلامي — الخليفة — وألغت منصبه وجردت رجال الدين المسلمين وحلت منظماتهم وأزالت الحجاب عن رأس المرأة واستنكرت كل مايرمز إليه الحجاب ، وأجبرت الرجال على ارتداء القبعات التي تمنع لابسيها من أداء شعائر الصلاة الإسلامية التقليدية ... وكنست الشريعة الإسلامية بأكملها » .

كل هذه الأعمال التي قام بها مصطفى كمال تعتبر إصلاحية ، وخدمة للعالم الإسلامي في نظر توينبي !! ومهما حصل من أخطاء في طريقة التنفيذ فلهم عذرهم المقبول حسب رأيه ، وفي محاولة تبريره لتلك الجرائم يقول توينبي :

« ولقد قامت ثورة المقلدين الأتراك بهذه الروح فواجهت عقبات ضخمة ومعاكسات شديدة حتى إن أي مراقب متفائل يضع في حسابه احتمالات قيام أخطاء فاحشة بل حتى جرائم ، ويرجو للثورة النجاح في القيام بأعبائها الهائلة » .

ومن الشعوب التي يعتبرها أيضاً من المتحمسين المتعصبين قبائل الباتان التي قامت ضد الطاغوت الذي

كان يحكم أفغانستان الملك « أمان الله » ، ثم يتحدث عن نوعية الاصطدامات التي تقع بين المتحمسين من المسلمين والمقلدين الذين ينتسبون للإسلام ظاهراً ، ويعادونه خفية وباطناً ، بل ربما تنكروا للإسلام ظاهراً وباطناً ، يقول :

« ويمكن أن نلاحظ في سياق بحثنا أن أي اصطدام وقع ويقع بين المتحمسين وأبناء جلدتهم من المقلدين المسلمين ، يلقى المتحمسون فيه عناءً شديداً ، ويعاملهم المقلدون معاملة قاسية لايتجاسر الغربيون على القيام بها ، فالغربيون يعذبون المتحمسين بالسياط أما المقلدون المسلمون فيعذبونهم بالعقارب » .

والأمر الذي يخشاه توينبي ويحذر من عودته هو الوحدة الإسلامية وعودة الإسلام إلى الساحة مرة أخرى كما كان عليه من قبل ليلعب دوره الرئيسي في القضاء على الفساد الناتج عن امتداد الغزو الغربي الذي يرافقه التفرقة العنصرية ، والاختلال الطبقي وغيرها من مفاسد الحضارة الغربية وفي ذلك يقول توينبي :

« أما في المستقبل البعيد فيمكن التكهن باحتمال قيام الإسلام بالاسهام في أوجه جديدة للدين ، وهذه الاحتمالات المتعددة تتوقف على الوجهة السعيدة التي سيتمخض عنها وضع الإنسانية الحاضر » (ص ٦٨) .

ثم يقول : « صحيح أن هذه الإمكانية المدمرة للإسلام لاتظهر الآن حتمية الوقوع لأن الكلمة المؤثرة « الوحدة الإسلامية » .. بدأت مؤخراً تفقد سيطرتها التي كانت على عقول المسلمين » ثم يقول : « فحركة الوحدة الإسلامية نفسانياً هي الدعوة المثلى التي تسري في عروق المسلمين المتحمسين أمثال الوهابيين والسنوسيين ، إلا أن هذا الاستعداد النفسي للوحدة يصطدم بصعوبات تكنيكية » (ص ٦٨) .

ثم يعبر عن خشيته من عودة الوحدة الإسلامية بعبارات واضحة جلية وهذا مايختم به محاضرته فيقول :

« صحيح أن الوحدة الإسلامية نائمة ولكن يجب أن نضع في حسابنا

أن النائم قد يستيقظ ، إذا ثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرب ضد السيطرة الغربية ، ونادت بزعامة معادية للغرب فقد يكون لهذا العداء نتائج نفسانية لاحصر لها في إيقاظ الروح النضالية للإسلام ، حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام .

هناك مناسبتان تاريخيتان كان الإسلام فيهما رمز سمو المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي ، ففي عهد الخلفاء الراشدين بعد الرسول ﷺ حرر الإسلام سورية ومصر من السيطرة اليونانية التي أثقلت كاهلهما مدة ألف عام تقريباً ، وفي عهد « نور الدين » و « صلاح الدين » و « المماليك » احتفظ الإسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول ، فإذا سبب الوضع الدولي الآن حرباً عنصرية يمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى ، وأرجو ألا يتحقق ذلك » (ص ٧٣) .

أخي القارىء الكريم هذا هو كلام المؤرخ الأوربي الشهير الذي يعتبر أسوة لأبناء جلدته ومن شاكلهم في الحقد على هذا الدين وعلى تلك الحركات الأصيلة ، وهذه الكلمات التي يختم بها محاضرته « أرجو ألا يتحقق ذلك » !! يرجو ألا تعود الوحدة الإسلامية لتقف الأمة في مكانها الرائد ولتقوم بدورها المطلوب في إنقاذ الشعوب وتحريرها من سيطرة الطواغيت والأنظمة الجاهلية بكل مسمياتها وإعادتها إلى نظام توحيد الألوهية الذي دعت إليه جميع الرسل وتنفيذ قول الله عز وجل ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ .

إن مما يغيظ الحاقدين على الإسلام ويثير حنقهم تلك الحركات التي يتهمها بالتعصب والحماس ... الوهابية والسنوسية وقبائل الباتان تلك الحركات التي يحكم توينبي بأن نهايتها الموت المحقق والفناء الكامل ، لأنها تواجه الحضارة الغربية .

ولقد خيب الله تعالى ظن توينبي وأمثاله إذ ظنوا أنهم سيقضون على الأصوات التي ارتفعت تنادي بالعودة إلى شرع الله والأيادي التي حملت السلام لتذود عن دين الله .

ظن أن مافعله محمد علي باشا

بإشارة من الإنكليز والفرنسيين في ضرب الحركة الوهابية في عقر دارها ، ظن أنها ستنتهي إلى الأبد وهيهات له ذلك ، فلقد تأثر بأفكار محمد بن عبد الوهاب معظم الحركات الإسلامية في شرق العالم الإسلامي وغربه .

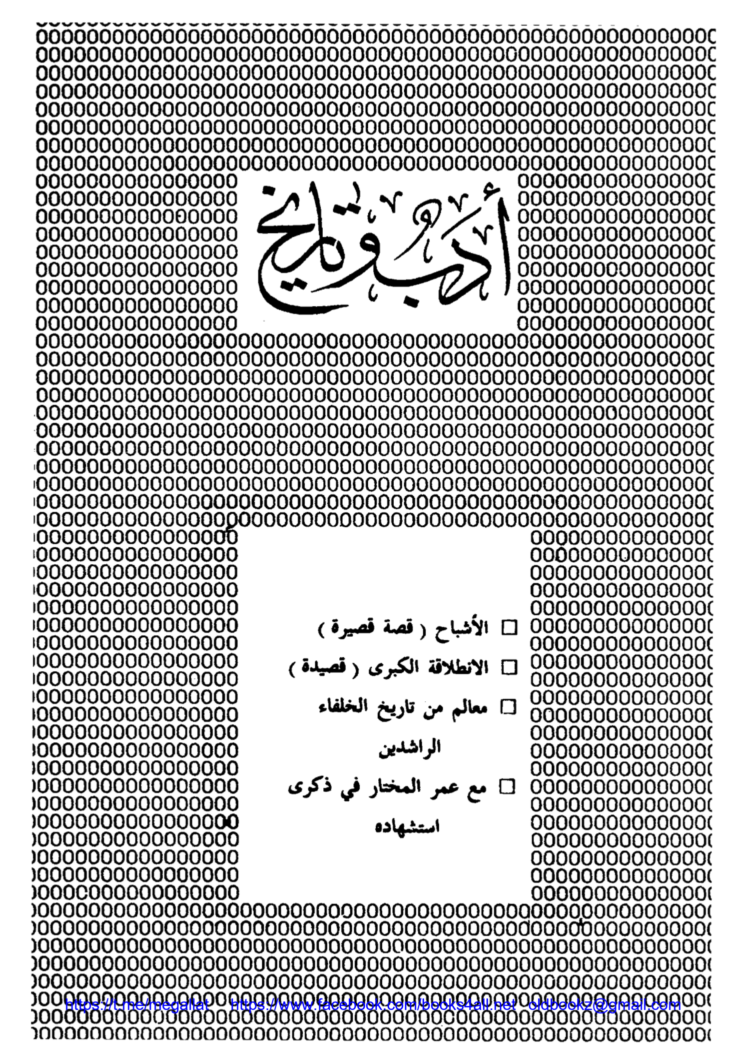
وظن أن مافعله الملك أمان الله مع قبائل الباتان في قيامه ضدهم وتعاونه مع الانكليز للقضاء عليهم في أفغانستان ظن أنهم قد قضي عليهم وانتهوا ، فكيف لو اطلع توينبي ورأى مايحدث بأفغانستان على أيدي من يصفهم بالمتعصبين المتحمسين ، من مواجهتهم لأظلم وأشرس وأشد طواغيت الأرض من الشيوعيين ، لقد أرغم هؤلاء المتحمسون أنف الروس والشيوعيين وأذاقوهم كؤوس المنون بالرغم من كل ماتمتلكه روسيا وبالرغم من كل ماتعده من مكر الليل والنهار ، ونسأل الله أن يجعل كيد الخائنين في نحورهم فما كان الروس يتوقعون أن تحدث لهم مثل هذه المذلة باحتلالهم لأفغانستان ، الذي كانوا يظنونه أن احتلال أفغانستان كسب مهم لروسيا وخطوة عملية بضمهم أفغانستان للامبراطورية الشيوعية وذلك لكثرة خيرات أفغانستان وثرواتها ، ولكن « رب حتف امرىء فيما تمناه » .

إنني أهيب بالمخلصين من دعاة الإسلام وحملة رايته بشتى أصنافهم شيباً وشباباً ، علماء وطلاب علم وأدعوهم إلى أن يتمثلوا موقف الخليفة الراشد مجدد القرن الأول عمر بن العزيز رضي الله عنه في كل مايغيظ أعداء الله وأعداء هـذا الدين (١) .

فلنقوِّ ونؤازر كل مايغيظ أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ وبذلك ننال رضى الله تعالى ، ونحقق معنى الموالاة لأولياء الله والبراءة من أعداء الله ، وبذلك يتحقق قول الله عز وجل : ﴿ لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ... ﴾ وقول النبي ﷺ : « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله » ، ثم لينطلق لسان المؤمن بربه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام بعد قراءة هذا المقال بقول الله تعالى : ﴿ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴾ □

---

١ ــ انظر مجلة البيان العدد الثالث حيث ورد كلام مفصل عن التجديد في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .


أدب وتاريخ
□ الأشباح (قصة قصيرة)
□ الانطلاقة الكبرى (قصيدة)
□ معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين
□ مع عمر المختار في ذكرى استشهاده

الأشـــباح

علي محمد

كانت عقارب الساعة متعبة متثاقلة ، تقترب من الحادية عشرة مساءً عندما كان السيد حمدي يقطع الطريق المتلوي الذي تشخص إليه عيون الأشجار الكهلة الكثيفة ، زائغة مضطربة تحت أشعة ضوء القمر التي تدس أنفها في كل زاوية ، فاضحة أسرار الظلام مشكلة أخيلةً ، جميلة حيناً ، محيِّرة حيناً ، مخيفة حيناً آخر ، بينما تأخذ النسمات الشمالية اللطيفة الباردة دورها في تحريك الأخيلة يمنة ويسرة ، وتعبث بالأوراق والأغصان محدثة أصواتاً ترمز أو لاترمز إلى شيء .

وكان الحديث الذي دار في تلك الأمسية عن الجن والعفاريت يملأ وعيه ، ويعشش بين ضلوعه وماإن بدأت بعض الحصيات تتطاير بفعل الحركة المرنة لمؤخرة حذائه الإسفنجي الصيفي حتى بدأ بإسقاط كل مادار في تلك الأمسية على مخاوره الذاتية النفسية ، معللاً كل حركة ومؤولاً كل خيال ، مستخدماً كل معلوماته في الجغرافيا وعلم الاجتماع .

هذه الحركة الخشنة البطيئة المرعبة عند تلك الشجرة الضخمة ، أقرب ماتكون إلى حركة شمهورش ملك الجن الأحمر ... وهذه رمانة .. وهيلانة تحاولان النزول بهدوء من فوق ذلك الحائط بحركة رشيقة أشبه بحركة اللصوص الظرفاء . نَـ نَـعم ـم ، إنهما يقتربان لكن ؟! من هذا الذي يرمي علي الحصى من الخلف ؟

ـ هل أضمروا لي شراً ياترى ؟

ـ ماذا يريدون ؟
ـ هل سيقتادونني مثل اللجان الشعبية إلى حيث لا أدري ؟
ـ لكنّ موقفي المعلن لم يكن ضدهم في الحديث الذي دار منذ قليل !! أم .. أم ؟!
ـ كما أنني لم أسخر من بقرة سيدنا الشيخ علي !!

ـ وكيف أسخر منها وهي الكرامة الحية التي تناقلها أفاضل الناس ، يوم أن قالت قولتها المشهورة « إما حراثة وإما حليب » حين أتعبها الشيخ علي بالحراثة ؟!
ـ لكن ياترى هل يستطيعون أن يعلموا مادار في خلدي ؟ لا أعتقد ذلك . فالله عز وجل يقول على لسانهم « وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا » ؟!
ـ لكن أرى أنهم يريدون بي شراً ... كل الدلائل تشير إلى ذلك ؟!
ـ ماذا عملت ياترى ؟
ـ أكان علي أن أرد على زملائي الذين سخروا من حراس مقام بقرة سيدنا ؟!
ـ إنهم يقتربون !!
ـ يالإلهي !!

الحركة تزداد من هنا ، وهذا الشيخ قادم إلي من هناك .. آه الحصى بدأ يتكاثر علي ... لقد أصبحت على مقربة من المقام .. علي أن أسرع ...

علي أن أسرع قبل أن يصيبني مكروه ..
ـ لكن ياترى هل هؤلاء من الجن المؤمنين أم من الكافرين ؟
ـ وإن كانوا من المؤمنين ، فلماذا يضمرون لي الشر ؟
ـ وإن كانوا من الكافرين فما شأنهم بحراسة المقام ؟
ـ وكيف يستعين سيدنا الشيخ علي بالجن ؟!
ـ ألم يسمع قول الله عز وجل : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾ ؟
ـ « ومع ازدياد حركته يزداد تطاير الحصى ، وتزداد حركة أخيلة الأشجار ، وتزداد نبضات قلبه خوفاً وهلعاً » .

ـــ يا إلهي !!

ـــ كيف يقول لنا الأستاذ فهمان أن كل هذه الأشياء خرافات نسجتها العجائز ؟!

ـــ إن وجود الجن حقيقة ، كما قال عز وجل : ﴿ وخلق الجان من مارج من نار ﴾ ، وأنهم يروننا ولانراهم حقيقة ، كما قال عز وجل أيضاً : ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم ﴾ .

ـــ كما إن كلام الست درية خانم عن جارتها أم الهيرة عن الإسكافي أبي كارم [أن رجلاً سافر إلى أحد الأودية هناك ، فوجدوه مشلولاً ، عاجزاً عن النطق من كثرة ماضربه الجن على رأسه] كلامٌ متصل السند لايعتريه شك ، وبالتالي .. وبالتالي ...

ـــ وبالتالي ، فأسأل الله عز وجل أن يحفظني من بطشهم هذه الليلة ، فإنه لاقوة لهم مع الله ولا حيلة ، ألم يقل عز وجل على لسانهم : ﴿ وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا ﴾ ؟

ولما تجاوز المقام بسلام ، توقف توقف الحذر ، يتلفت يمنةً ويسرةً ، بل تسلق أحد الجدران متشجعاً من حيث الظاهر ، يكاد ينخلع قلبه هلعاً من الداخل ، راقب المكان بدقة ، فلما لم يعد يرى أو يسمع شيئاً ، تابع مسيره إلى البيت مسرعاً مطمئناً بعض الشيء .

وفجأةً ينتصب على يمين الطريق ماردٌ عملاق عجيب مخيف يرتفع رأسه فوق الأشجار ، انهارت أقدام حمدي ، وانعقد لسانه ، وأيقن بالهلاك ، ووجد نفسه بشكل لا إرادي يركض ويركض ، لاهثاً ، مسرعاً ، خائفاً مرتعداً .

وكان كلما أسرع يزداد عدد الحصى المتطاير ، وتزداد سرعة الأخيلة ، التي تعني هجوم مرجانة وشمهورش وكل حراس المقام .

سقط على الأرض مراراً ، تحامل على نفسه ولم يشعر بالجروح في ركبتيه ويديه ، أخذ يصيح بشكل عفوي ، يارب ... يارب ... سلّم .. سلّم ، وصل إلى البيت ، تلفت عشرات المرات المتتالية ، وراء أمام ، يمين ، يسار ، فتح باب البيت أسرع من البصر ، دلف إلى غرفته ، اندس في الفراش ، غطى وجهه باللحاف ، أخذ اللحاف يرتفع وينخفض ، متجاوباً مع حركة الصدر الخائف

المضطرب .

وكان كلما هدأ روعه ، واغفى إغفاءة قصيرة ، هبَّ من نومه فزعاً ، مرتعداً ، ينادي هناك .. هناك .

وأحست الحاجة زهدية بالموقف دون أن تدري ماالسبب ، وبدأت تتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وتقرأ الفاتحة ، والمعوذات ، وأشعلت مبخرتها لتطرد الأرواح الشريرة .

ــ سلامتك ياابني .. سلامتك ياحبيبي .

وفي الصباح كان على حمدي أن يقطع نفس الطريق ذاهباً إلى مدرسته ، ومشى حمدي بخطى خائفة حذرة ، خاصة عندما اقترب من مكان الشبح الذي رآه بالأمس .

ــ وفجأة ؟!! تسمَّر في مكانه . إنه هو ... نعم ... نعم .. إنه هو ، هذا هو رأسه ، فوق تلك الشجرة ، ياإلهي !!!؟

ــ أنا أعلم أن الأشباح لاتظهر في النهار ؟

ــ أنا إذاً مطلوب ، مطلوب من دولة الأشباح ، ليلاً أو نهاراً .

ــ لكن ماذا عملت ؟

ــ إنه يتحرك ... يتحرك .

وانتبه زميله فائز ، فسأله مستغرباً ، مابك ياحمدي ؟!

ــ ألا ترى الشبح ؟

ــ وأي شبح ؟

ــ ذلك المارد على تلك الشجرة .

ــ ذاك ؟

ــ نعم ذاك .

ــ ذاك خيال وضعه جدي لإخافة العصافير حتى لاتأكل المشمش ، وليس لإخافة الشبان أمثالك .

ــ تداخل حمدي في بعضه خجلاً ، وابتسم ابتسامة شاحبة اللون ، وقال بانكسار : إن جدك على مايبدو صانع ماهر للتماثيل □

الانطلاقة الكبرى

شعر : محمد ظافر الشهري

كابد القيدَ لحمُها والعظامُ … وبنو قومها شِباعٌ نيامُ
وهي في الأسر والهوان حَصَانٌ … لم يدنس جنابَها الظُّلاَّم
كلما أصبح الصباحُ عليها … حملتها وقيدَها الأقدام
فتطيل الوقوف تَنْشُدُ نوراً … فلقد ساد ليلَها الإعتام
فإذا استيأست .. جثت ، فَقُواها … أنهكتها القروحُ والآلام
وأشدُّ العُجابِ أن ذويها … يشهدون العذابَ وهي تُسام

ذي فلسطينُ في القيود تنادي … وتطيل النداءَ .. وا .. إسلام
بعد أن سلَّمتْ مقاليدَها الفا … روقَ أضحى يسوسها الحاخام
فأذيقتْ من العذاب صنوفاً … كبّتَها ... فكبلت الأقدام
واستمات اليهود في ضيمها جب … ناً ، ولكنَّما الجبان يضام
وإذا قصّرت سهامُ يهودٍ … ساندتها من الصليبِ سهام

أين منها الرجال يُعْنَوْن بالعر … ض ، وإن كان دونه الإعدام
كم حلمنا بردها وبكينا … ثم خابَ البكاءُ والأحلام
لن يُذِلَّ اليهودَ رقصُ سعادٍ … أو تغني ـــ فيُصرعون ـــ هيام
كيف يرجى لنجدة القدس من قد … أثقلته الذنوبُ والآثام

قد أضعناكِ يافلسطينُ لمَّا ... فتنتنا الخمورُ والأنغام
وشعارُ القرومِ كلَّ زمان ... لا يَفُلُّ الحسامَ إلا الحسامُ

مالأضاع الأميرُ من أرضها شبـ ... ـراً فما كان شأنه الإجرام
غير أن الجدود كانوا عماليـ ... ـقاً .. وقد جاء بعدهم أقزام
ضيع الخَلْفُ قدسهم ونَسَوْها ... وتتالت عليهم الأعوام
يذكر القدس في المحافل يومٌ ... كل عام .. وتُعرض الأيام
وكأن الجهاد صار مباحاً ... بعضَ يوم وماعداه حرام
غير أن الجهاد في ذلك اليو ... م أغانٍ مثيرةٌ وكلام
وخلال الظلام شب ضياءٌ ... فتلاشى بنوره الإظلام
فعتاد المجاهدين حصاةٌ ... ودروع المجاهدين لثام
فتذكرتُ وعد خيرِ رسولٍ ... صلواتٌ تحفُّهُ وسلام
فكلام النبي ليس وربي ... تعتريه الشكوك والأوهام
سَنَحُسُّ اليهود نحصدهم حصـ ... ـداً .. وتنهار عندها الأصنام
وتسودُ البلادَ رايةُ حق ... رايةٌ تنحني لها الأعلام



المكرم الأستاذ رئيس تحرير البيان سلمه الله ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فإن من فوائد الرحلة في طلب العلم ــ وهي من سنن علمائنا ــ لقيا أهل العلم وربط العلاقات العلمية والصلات الثقافية ، ولقد سعدت أثناء رحلتي إلى بريطانيا للبحث عن المخطوطات العربية بلقياكم وزيارة المنتدى الإسلامي في لندن ، وأشد ماجذبني هو المجلة التي يصدرها المنتدى ، إنها علم وبيان واسم طابق المسمى بما فيها من الأبحاث القيمة واللغة السليمة والأسلوب الأدبي الرفيع ، لقد حرصت على متابعة أعداد المجلة وسعدت بأبحاثها ، خاصة بحث التجديد في الإسلام ، والبحث التاريخي المنهجي « معالم حول كتابة التاريخ الإسلامي » والذي هو بقلمكم فأنا من المهتمين بالقضايا التاريخية المنهجية في تاريخنا الإسلامي ، فرسالتي في الماجستير عن هذا الموضوع ، وحقيقة أنني أقدر جهدكم وأطلب منكم المزيد من الأبحاث المنهجية في التاريخ الإسلامي ، وإنني كنت على صلة علمية بما تكتبون من أبحاث من قبل أن تطل علينا « البيان » فكتابكم عن حركة محمد بن عبد الله بن حسن المعروف « بالنفس الزكية » قرأته مراراً وهو دراسة موضوعية جيدة وتحليلية واعية ، توضح للقارىء كيفية الاستفادة من الماضي ، ولقد كان بودي أن أعد عنها وعن « معالم حول كتابة التاريخ » دراسة نقدية ولكن لم تتيسر الظروف .

ومساهمة مني في اثراء الأبحاث التاريخية في مجلة البيان أبعث إليكم بمقالتين واحدة عن « خطط ووسائل الغزو الفكري في التاريخ » والأخرى بعنوان « معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين » عسى أن تجد مجالاً للنشر في مجلة البيان ، فإني أحسب أن فيها فائدة لعامة القراء فضلاً عن المتخصصين .

محمد بن صامل السلمي
مكة المكرمة
٢٧ / ٢ / ١٤٠٩ هـ

معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين

محمد بن صامل السلمي

الخلفاء الراشدون هم الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين ، وهم الذين خلفوا رسول الله ﷺ في قيادة الأمة ، ومدة خلافتهم من انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى في ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ إلى مقتل علي بن أبي طالب في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ [١] تسع وعشرون سنة وستة أشهر وخمسة أيام .

وإذا أضيفت لها خلافة الحسن بن علي (من مقتل أبيه عن تنازله لمعاوية بن أبي سفيان ٢٥ ربيع الأول سنة ٤١ هـ) [٢] تكون ثلاثون سنة بالتمام وقد اختصوا بوصف الراشدين لصفات تميزوا بها في سلوكهم الذاتي وفي ادارتهم لشؤون الأمة ورعايتهم لدينها وعقيدتها وحفاظهم على النهج الذي جاء به رسول الله ﷺ من الدعوة والجهاد وإقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والرشد ضد الغي والهوى وهو الاستقامة الكاملة على المنهاج النبوي ، وقد جاء وصفهم بهذه الصفة في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه : « ... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور » [٣] .

---

١ ـــ تاريخ الطبري ٣ / ٢١٧ ، ٥ / ١٤٣ ، ويذكر قولاً للمدائني في تاريخ قتل علي مقارب لهذا .
٢ ـــ تاريخ الطبري ٥ / ١٦٣ ويذكر ذلك عن ابن شبة عن المدائني قال : سلم الحسن بن علي الكوفة إلى معاوية ودخلها معاوية لخمس بقين من ربيع الأول ويقال من جمادى الأولى .
٣ ـــ رواه أبو داود ٤ / ٢٠١ ، والترمذي ٥ / ٤٤ . وقال حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند ٤ / ١٢٦ .

كما جاء وصف خلافتهم في بعض الأحاديث النبوية : أخرج الإمام أحمد في مسنده عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ... الحديث » (١) .

وفي حديث سفينة رضي الله عنه تحديد لزمن الخلافة الراشدة قال رسول الله ﷺ : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء » (٢) ، قال سفينة : امسك خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين ، وخلافة عثمان رضي الله عنه اثني عشر سنة ، وخلافة علي رضي الله عنه ست سنين (٢)

وقد تميز عصرهم من بين سائر عصور الدول الإسلامية بجملة من المميزات التي تميزه عن غيره ، وصار العصر الراشدي مع عصر النبوة معلماً بارزاً ونموذجاً مكتملاً تسعى الأمة الإسلامية وكل مصلح إلى محاولة الوصول إلى ذلك المستوى السامق الرفيع ، ويجعله كل داعية نصب عينيه فيحاول في دعوته رفع الأمة إلى مستوى ذلك العصر أو قريباً منه ، ويجعله معلماً من معالم التأسي والقدوة للأجيال الإسلامية ، ومن ثم صار كل مصلح وكل حاكم عادل وكل إمام مجتهد يقاس بهذا العصر ويوزن بميزانه ، حتى لقب كثير من العلماء الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (خامس الخلفاء الراشدين) (٣) ونسبوه إليهم وذلك لأنه سار بسيرتهم وسلك طريقهم وأعاد في خلافته رغم قصرها (٩٩ — ١٠١ هـ) معالم نهجهم وأحيا طريقتهم في الحكم والإدارة وسياسة الرعية .

وفي هذه المقالة نتعرف على بعض معالم عصر الخلفاء الراشدين

---

١ — المسند ٤ / ٢٧٣ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ١٨٩) : رواه أحمد والبزار ورجاله ثقات . وقد حسنه الشيخ الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم (٥) .
٢ — أخرجه أبو داود ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة وهذا لفظه . والترمذي في العلم باب ١٦ .
٣ — انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (باب في أنه من الخلفاء الراشدين المهديين) والنووي ، تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ١٧ ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء ٥ / ١٢٠ .

رضي الله عنهم لتكون مثالاً يحتذى وصدى يهتدى بها في طريق الدعوة إلى الله .

١ ــ توحيد مصدر التلقي :

ومصدر التلقي هو الكتاب والسنة المطهرة ، وهذه قضية مهمة جداً فما وقع التفرق والاختلاف إلا عندما قصَّر المسلمون في فهم الكتاب والسنة وزاحموهما بمصادر ومقررات خارجية من فلسفات الأمم وأهواء النفوس ، والبشرية لايمكن لها أن تتقارب وتتوحد إلا إذا وحدت مصادر فهمها وتلقيها ، فإن الناظر في الفلسفات البشرية والمذاهب الفكرية والسياسات العملية يجد بينها بوناً شاسعاً واختلافاً كبيراً يصل إلى التضاد والتناقض ، ولذلك فإنه لاسبيل لوحدتها وإزالة مابينها من اختلاف وتناقض وبرأ من النقص والهوى ويخضع له الجميع سوى وحي الله المنزل في كتابه وسنة رسوله ﷺ لأنه من تشريع الله الخالق لكل شيء الحكيم الخبير الذي أحاط علمه بكل شيء ، قال تعالى : ﴿ وماكان ربك نسيا ﴾ [مريم / ٦٤] ، وقال تعالى : ﴿ لاتأخذه سنة ولانوم ﴾ [البقرة / ٢٥٥] ، وقال : ﴿ وكان الله بكل شيء عليما ﴾ [النساء / ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿ الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ [الفرقان / ٢] ، وقال تعالى : ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [الأعراف / ٥٢] ، وقال تعالى : ﴿ والله يعلم مافي السموات ومافي الأرض والله بكل شيء عليم ﴾ [الحجرات / ١٦] .

فما كان الخلفاء الراشدون يتلقون أو يأخذون نظمهم ولا سياستهم ولا مناهج علمهم وكافة أمورهم إلا من الكتاب المنزل من الله والسنة الموحى بها إلى رسول الله ﷺ ، ولم يكن الاقتصار منهم على الوحي الرباني عن فقر في العلوم والثقافة في عصرهم ولكنه عن علم وقصد واتباع لأمر الله وأمر رسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون ﴾ [الجاثية / ١٨] .

فكل ماخالف الوحي فهو

هوى وجهل وعمى ، وقال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ [الروم / ٣٠] .

ولقد غضب رسول الله ﷺ عندما رأى في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة وقال : « لقد جئتكم بها بيضاء نقية ... والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ماوسعه إلا أن يتبعني » [١] ، وأقوال الخلفاء الراشدين بعد وفاة رسول الله ﷺ ومواقفهم توضح ذلك وتبينه . قال الخليفة الأول صديق هذه الأمة بعد أن بويع بالخلافة في خطبة عامة : « إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فقوموني » [٢] .

وقال عمر الخطاب رضي الله عنه : قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا ــ أي يكون آخرنا ــ وإن الله قد أبقى فيكم الذي به هدى رسوله فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم [٣] (يعني أبا بكر) .

وقال أيضاً : إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ماأعزنا الله به أذلنا الله » [٤] .

فالاعتصام بالكتاب والسنة والتلقي منهما قضية مسلمة لاتقبل النقاش ، ولقد استمرت الأمة على هذا الفهم قروناً ولكنها أصيبت في الأعصر المتأخرة بالانحرافات حتى جهلت المسلمات ووجد من أبنائها من يجادل في هذا ، بل وربما وجد فيمن ينتسبون إلى الدعوة فلا حول ولا قوة إلا بالله .

٢ ــ حماية جانب العقيدة :

لقد جاءت الشريعة بسد باب

١ ــ رواه أحمد ٣ / ٣٨٧ ، من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله . وقال الحافظ في الفتح ١٣ / ٢٣٤ رواه ابن أبي شيبه والبزار ، وسكت عنه وقد صرح في مقدمة الفتح أن مايسكت عنه هو حسن عنده ويشهد لمعناه ماوراه البخاري في صحيحه ١٣ / ٣٣٣ الفتح عن ابن عباس قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله أحدث تقرؤونه محضاً لم يشب .

٢ ــ تاريخ الطبري ٣ / ٢٢٤ .

٣ ــ البداية والنهاية ٦ / ٣٠١ ، وقال : إسناده صحيح .

٤ ــ رواه الحاكم في المستدرك ١ / ٦٢ وقال صحيح على شرطهما وسكت عنه الذهبي وقال الألباني : صحيح .

الذرائع المؤدية إلى الشرك ومحاربة البدع والمحدثات في الدين ولهذا لم يكن الخلفاء الراشدون يرون وظيفتهم تقف عند حفظ الأمن والحكم بين الناس بل انها تتعدى ذلك لتشمل كافة مصالح الأمة الدنيوية والأخروية ، ومن ثم قاموا على نشر العقيدة الصحيحة وسدوا كافة المنافذ المؤدية إلى الابتداع في الدين أو النقص منه أو الانحراف في فهمه وقاوموا كل مبتدع أو مشكك في الدين وطبقوا قوله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » (١) .

والوقائع التاريخية والمواقف المنقولة عنهم في هذا المعنى كثيرة نذكر نماذج منها :

ــ موقف الصديق رضي الله عنه في الردة بعد وفاة النبي ﷺ فقد واجه المرتدين بكل قوة وصلابة وحزم وشجاعة ، ورفض مهادنة مانعي الزكاة رغم قلة الجند الإسلامي ومشورة كثير من الصحابة له بذلك منهم عمر بن الخطاب ، فقال رضي الله عنه قولته الشهيرة : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى لرسول الله لقاتلتهم عليه » (٢) .

وقال لعمر بن الخطاب : « أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام ؟ إنه قد انقطع الوحي وتم الدين أو ينقص وأنا حي ؟ (٣) .. فهو يعلم رضي الله عنه أن واجب الخليفة حراسة الدين من الزيادة والنقصان لذلك قال مستفهماً هذا الاستفهام : « أوينقص وأنا حي ؟ » أي أن ذلك غير ممكن ولا أقبل به أبداً مادمت حياً ، ولذلك قال أيضاً : والله لأقاتلنهم ماستمسك السيف في يدي ولو لم يبق في القرى غيري (٤) .

ــ مواقف عمر بن الخطاب كثيرة :

فقد كان رضي الله عنه شديداً على أهل الأهواء والبدع ، فقد ضرب صبيغ بن عسل التميمي بجريد النخل وعراجينه عند ما أخذ يثير بعض الأسئلة المشككة حتى قال له : والله

١ ــ رواه مسلم ٣ / ١٣٤٤ حديث رقم ١٧١٨ ، ط فؤاد عبد الباقي .
٢ ــ رواه مسلم في صحيحه ١ / ٢٠٦ بشرح النووي .
٣ ــ قال في الرياض النضرة في مناقب العشرة ، ص ٢٤٧ خرجه النسائي بهذا اللفظ ومعناه في الصحيحين .
٤ ــ البداية والنهاية ٦ / ٣٠٤ .

لقد ذهب ماأجد بأمير المؤمنين ، ثم بعث به إلى والي البصرة أبي موسى الأشعري وأمره بمنعه من مخالطة الناس ، فحجز حتى تاب واستقام أمره وأقلع عن بدعته (١) .

— وقولته رضي الله عنه عند تقبيله الحجر الأسود : إني أعلم أنك حجر لاتضر ولاتنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ماقبلتك (٢) ... دليل واضح على المتابعة الدقيقة لرسول الله ﷺ وابعاد لأي اعتقاد ينشأ عند بعض الناس بأن الحجر ينفع أو يضر بذاته .

— وكذلك قطعه للشجرة التي بايع تحتها رسول الله ﷺ أهل الحديبية بيعة الرضوان ، عندما بلغه أن بعض الناس يقصدها بعبادة كالصلاة عندها أو الدعاء والتبرك بها (٣) .

— موقف عثمان رضي الله عنه في سد باب الفتنة والاختلاف في القرآن الكريم حيث سارع عندما قدم عليه حذيفة بن اليمان من أرمينية وأخبره بما رأى من الاختلاف في قراءة القرآن إلى الأمر بكتابة مصحف واحد من عدة نسخ وبعث إلى كل قطر وناحية نسخة وأمر بإحراق بقية النسخ والصحف الموجودة عند الناس فجمع الناس على مصحف واحد وقطع الله بعمله هذا دابر الفتنة وحقق الله على يديه صيانة كتابه وحفظه من الزيادة والنقصان (٤)

— قتال علي رضي الله عنه للخوارج وللشيعة الذين غلوا فيه حتى ألّهوه رضي الله عنه فنصحهم عن ذلك ثم لمّا لم ينتهوا أمر بإحراقهم بالنار وقال :

لما رأيت الأمر أمراً منكرا
أججت ناراً ودعوت قنبرا (٥)

— يتبع —

١ — سنن الدارمي ١ / ٥٤ ، ٥٥ ، ومسند أحمد .
٢ — رواه الجماعة : انظر المنتقى من صحيح الأخبار ، حديث رقم (٢٥٣٦) .
٣ — طبقات ابن سعد ٢ / ١٠٠ ، وأخبار مكة للفاكهي ٥ / ٧٨ .
٤ — انظر صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن .
٥ — ابن حزم ، الفصل ٤ / ١٨٦ .

عمر المختار في ذكرى استشهاده

حسن علي احمد

في السادس عشر من شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣١ اعتلى البطل عمر المختار ، وقد جاوز السبعين من عمره أعواد المشنقة بعد جهاد طويل دام قرابة الثلاثين عاماً ، حارب فيها الفرنسيين في مملكة كانم وواداي في نيجيريا والسودان ، وعمل على نشر الإسلام في تلك البلاد ماشاء الله له ، ثم عاد ليحارب الإنجليز في مصر ، وليقضي بقية عمره بعد ذلك في قتال الإيطاليين الذين جاءوا مستكبرين محتلين لبلاده ومغتصبين لأرضه ، فكانت له وقائع مشهودة ومواقف محمودة ، وأبلى في الجهاد بمن معه من المؤمنين الصادقين حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله جل وعلا .

قالت عنه صحيفة التايمز البريطانية في مقال نشرته في اليوم التالي لإعدامه تحت عنوان « نصر إيطالي » : « حقق الإيطاليون انتصاراً خطيراً ونجاحاً حاسماً في حملتهم على المتمردين السنوسيين في برقة ، فقد أسروا وأعدموا الرجل الرهيب عمر المختار شيخ القبيلة العنيف الضاري ... » ، ثم تستمر الصحيفة حتى تقول : « ومن المحتمل جداً أن مصيره سيشل مقاومة بقية الثوار ، والمختار الذي لم يقبل أي منحة مالية من إيطاليا ، وأنفق كل ماعنده في سبيل الجهاد وعاش على ماكان يقدمه له أتباعه ، واعتبر الاتفاقيات مع الكفار مجرد قصاصات ورق ، كان محل إعجاب لحماسته وإخلاصه الديني ، كما كان مرموقاً لشجاعته

وإقدامه » ونحن نقول :

ومليحة شهدت لها ضراتها
والفضل ماشهدت به الأعداء

لقد كانت حياة المختار مكرسة كلها للعلم والدعـوة والجهاد . طلب العلم في الزوايا التي أنشأتها الحركة السنوسية ، ثم كان أحد روادها في الدعوة وتربية الناس حتى نادى منادي الجهاد فقضى بقية عمره معتلياً صهوة جواده ، ممسكاً بسلاحه ، لم يهادن أبداً ولم يستسلم لعدوه بل قارعه مقارعة الند للند ، رغم قلة الإمكانات ورغم عدم التكافؤ في العدد والعدة ، ولكنه استعلاء الايمان وقوة اليقين ، الذي ازداد صلابة وعمقاً في ميادين الجهاد وساحات المعارك ، إن جهاد المختار سيظل معلماً بارزاً في تاريخ ليبيا وتاريخ الأمة الإسلامية كلها وسيظل دليـــلاً علـــــى أن الإسلام صنع ـ ولايزال ـ نماذج عظيمـة من البطولات على مر العصور وعلى أن العطاء الحقيقي إنما هو عطاء الإيمان .

وفاءً ببعض حق عمر المختار علينا نقف معه هذه الوقفة القصيرة ، نستذكر فيها أحد الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وثبتوا على الحق الذي آمنوا به ، نستعرض فيها شيئاً من حياته ، والعوامل التي جعلت منه بطلاً شجاعاً غير هياب ، ولا وجل ، جاهد رحمه الله إعلاءً للحق وأهله وإزراءً للباطل وأتباعه ، حياة هذا المجاهد تستحق الدراسة والاعتبار ، فدروس التاريخ هي أبلغ الدروس ، والجيل الذي لايتعلم من تلك الدروس ولا يستفيد ممن سبقوه لايمكن له أن يقود حركة التاريخ قيادة صحيحة ، ولا أن يحقق أهدافه المنشودة .

ولد البطل عمر المختار بن عمر المنفي في منطقة البطنان من برقة عام (١٢٧٧ هـ) ١٨٥٨ م ويرجع نسبه إلى بيت فرحان من قبيلة المنفة . وكانت نشأته في بيت عز وكرم ، تحيط به شهامة العرب وحرية البادية ، طلب العلم في زاوية جنزور ، ثم انتقل إلى زاوية الجغبوب التي كانت مركز قيادة الحركة السنوسية آنذاك ، حيث أتيحت له الفرصة أن يتلقى العلم على يدي بعض المشائخ الذين كان لهم دور رئيسي في نشر الدعوة الإسلامية

أمثال السيد الزروالي المغربي الجواني ، والعلامة فالح بن محمد بن عبد الله الظاهري المدني ، وقد ظهرت عليه علامات النباهة ورجاحة العقل منذ الصغر ، وظل محل إعجاب وثناء كل من عرفه حتى لقي ربه عز وجل مقبلاً غير مدبر ، فكان ذلك أكبر دليل على صدقه في التعامل مع الناس وفي إقباله على الله .

وبعد فترة قصيرة عينه السيد المهدي السنوسي شيخاً على زاوية القصور في الجبل الأخضر فقام بأعباء المهمة خير قيام ، من تعليم الناس أمور دينهم إلى فض المنازعات بين القبائل والسعي في مصالحهم وجمع كلمتهم ، وسار في الناس سيرة غبطه عليها العقلاء وزادت من مهابته عند غيرهم ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن اختياره للقيام على أمور هذه الزاوية كان مقصوداً من قبل المهدي السنوسي حيث إن هذه الزاوية كانت في أرض قبيلة العبيد التي عُرفت بشدة الشكيمة وصعوبة المراس ، فوفقه الله في سياسة هذه القبيلة ، ونجح في ترويضها بما أودع فيه من صفات القيادة والحكمة

ثم كلف بأمر الجهاد في واداي ، فقارع الاستعمار الفرنسي الذي كان قد بدأ زحفه إلى وسط أفريقيا فبذل الوسع حتى لفت الأنظار عزمه وحزمه وفراسته قال عنه المهدي السنوسي : « **لو كانت لدينا عشرة مثل المختار لاكتفينا** » وبقي في واداي يعمل على نشر الإسلام ودعوة الناس وتربيتهم إلى جانب قتال الفرنسيين وحماية بلاد المسلمين ، وكانت المناطق التي يتولى المختار قيادتها وحراستها أمنع من جبهة الأسد ، ولا يخفى مافي ذلك من إدراك القيادي المسلم لواجبه تجاه دينه ووطنه .

وفي عام ١٩٠٦ م رجع إلى الجبل الأخضر ليستأنف عمله في زاوية القصور ولكن ذلك لم يكن يستمر طويلاً ، فقد كانت المعارك قد بدأت بين الحركة السنوسية والبريطانيين في منطقة البردي ومساعد والسلوم على الحدود الليبية المصرية ، ولقد شهد عام ١٩٠٨ أشد المعارك ضراوة والتي انتهت بضم منطقة السلوم إلى الأراضي المصرية تحت ضغوط بريطانيا على الدولة العثمانية ، وعاد الشيخ إلى زاوية القصور يدير شئونها مرة أخرى

حتى امتدت يد الفاشست الآثمة إلى التراب الليبي ، وهب المختار كعادته ليكون في طليعة من لبّى نداء الجهاد ، وهب ليقود حركة وقفت في مواجهة الغزاة عشرين عاماً ، سطّر فيها المختار ومن معه من المجاهدين الأبطال ملاحم أسطورية تحدث عن عظمها وقوتها الأعداء قبل الأصدقاء ؛ ولقد ذكر الجنرال رودلفو جراستياني في كتابه الذي سماه « برقة الهادئة » ــ يقصد أنها هادئة بعد إعدام المختار والقضاء على حركة الجهاد فيها ــ إنه نشبت بينه وبين المختار ٢٦٣ معركة ومواجهة في مدة عشرين شهراً فقط ، فأعظم به من بطل وأكرم به من شهيد .

وفي عام ١٩٢٣ أسندت إليه النيابة العامة للحركة السنوسية وقيادة الجهاد في برقة ، وعلى الرغم من الشدائد التي عاشتها البلاد قاطبة نتيجة لانتشار الطاعون والأوبئة ، وتمكن الإيطاليين من السيطرة على المناطق الغربية من ليبيا ، وانقطاع الإمدادات على قلتها والتي كانت تأتي من مصر عن طريق زاوية الجغبوب . وعلى الرغم من أن مناطق المعارك لم تزد مساحتها على بضع عشرات من الأميال ، ومن أن المختار جاوز الستين من عمره ، على الرغم من هذا كله كان على إيطاليا وجنرالاتها أن تخوض حرباً لاهوادة فيها لمدة ثمانية أعوام أخرى كانت أصعب وأطول سني الحرب كلها ، ولقد جردت إيطاليا كل مالديها ... آلاف الجنود والمدافع والدبابات والطائرات والضباط والقادة الذين تخرجوا من الكليات العسكرية المتقدمة والتي كانت مصدراً يفخر به الغرب على المسلمين ، لكن الذي لم يدركه الإيطاليون وأدركه المختار أن المقاييس في مثل هذه الأحوال لاتخضع دائماً للتقديرات المادية ، فقوة الإيمان وعزائم الرجال وتجردهم في سبيل الله يرجح الموازين ويخزي الظالمين .

ونستمع إلى كلمات المختار من وراء السنين تجلو الهمة والعزيمة والإصرار التي يتميز بها عندما دعي إلى التفاوض مع إيطاليا : « **إنا حاربناكم ثمانية عشرة سنة ولا نزال بعون الله نحاربكم ولن تنالوا منا بالتهديد** » إلى أن يقول : « **لن أبرح الجبل الأخضر مدة حياتي ولن يستريح الطليان فيه حتى تواري**

لحيتي في التراب » .

إن أمة مثل هذه لاسبيل لقهرها إلا بالقضاء عليها وماأحوج المسلمين اليوم لأن يدركوا مثل هذه العبرة ، وأن يتعلموا مثل هذا الدرس .

ولم يبق أمام إيطاليا إلا خيار واحد ، وهو أن تقطع عن المجاهدين كل إمكانية للإمداد ، فجمعوا كل الليبيين في برقة في معسكرات اعتقال جماعية مع ماشيتهم وأغنامهم ، وأحرقوا بعد ذلك الأخضر واليابس ، ومدوا الأسلاك الشائكة على طول الحدود الليبية المصرية ، لكن ذلك لم يكن ليفت في عضد المجاهدين الذين وطنوا أنفسهم على إحدى الحسنيين ، فاستمروا في قتالهم شهوراً عديدة حتى كان يوم الجمعة ٢٨ ربيع الثاني ١٣٥١ هـ (١١ سبتمبر ١٩٣١ م) إذ فاجأتهم كتيبة من الجيش الإيطالي في جنوب قرية سلنطة ، ودارت بين الطرفين معركة سقط فيها أكثر المجاهدين وقتل جواد المختار فوقع به على الأرض جريحاً ، وقاتل حتى نفذت ذخيرته فأسره بعض الجنود الذين تعرفوا عليه ، وكان ذلك إيذاناً بانتهاء الجهاد والمقاومة حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً . وفي يوم الأربعاء ، الثاني من جمادى الأولى ١٣٥١ هـ (١٦ سبتمبر ١٩٣١ م) وفي مدينة سلوق جيء بالمعتقلين وبجمع غفير من الناس ليشهدوا الإعدام ووضع الجلاد الحبل حول عنقه ، وصعدت روحه الطيبة تشكو إلى ربها عنت الطواغيت ، وظلم الظالمين . أسكنه الله فسيح جناته ، وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء .

لقد كان جهاد المختار ورفاقه ضد الإيطاليين درساً من الدروس العظيمة لرفض الظلم والاستعباد والمضي في ثبات على طريق الجهاد مهما كانت الظروف والإمكانيات ، ولعل من المفيد هنا أن نعرض بإيجاز بعضاً من السمات والخصال التي كونت شخصية عمر المختار فتوحدت خلفه صفوف الليبيين وأصبح علماً على جهادهم ، وانتشرت أخبار بطولاته فأيقظت الرأي العام الإسلامي والعالمي فصارت الصحافة تعني عناية جادة بمصير ليبيا ، وكانت قد تناقص اهتمامها بعد انسحاب الأتراك من الحرب عام ١٩١٢ م :

ـــ إن أوضح سمات المختار ولاشك هي قوة إيمانه بالله ، وصدق توكله عليه ، كما كان ظاهراً في كل أقواله وأفعاله ، كما أن ذلك أيضاً هو مصدر كل صفاته الحميدة الأخرى من الشجاعة والثبات والمروءة ، وكيف لا وهو الذي تربى وقضى عمره في حركة إسلامية كان لها الدور الرئيسي في بعث الإيمان في تلك البلاد ، وإحياء ماالدرس من معالم الدين والدعوة إليه وتربية الناس على ذلك (١) ، لقد نشأ المختار في بيئة أكسبته الفقه في الدين ، وعلمته الدعوة إليه وأعظمت في عينه فضيلة الجهاد ، ولا أدل على ذلك من أنه قضى عمره يجاهد أعداء الإسلام ، ويصارع أعظمهم جبروتاً وكبراً على أرض ليبيا وخارجها ، ولاشيء يصقل إيمان المسلم ويزيد من توكله على ربه كساحات المعارك ومقارعة الباطل والظالمين .

ومع هذا الإيمان الراسخ كان عمر المختار واسع الأفق عالماً بواقعه ، مدركاً لما يجري حوله متابعاً له ، وقد كان ذلك أكبر عون له على صحة مواقفه وقوتها التي فرضت الاحترام من أعدائه قبل أصدقائه ، وماأعظم أن يجتمع الإيمان والفقه بالواقع ، وماأقبح أن يتفرقا . ولئن كان هذا واضحاً جلياً في كل مواقف المختار وآرائه إلا أنه يتجلى كأوضح مايكون في إدراكه لعدم جدوى المفاوضات السياسية والمهادنات مع الحكومة الإيطالية التي وقع فيها ـــ للأسف ـــ كثير من قادة الجهاد الليبي فكانت نتائجها سلبية سيئة وكذلك في اعتماده على الإمكانيات المتوفرة لديه ، وعدم التجائه إلى الشرق أو الغرب طلباً للعون السياسي أو المادي :

والمستجير بعمرو عند كربته
كالمستجير من الرمضاء بالنار

شخصيته القيادية وقدرته على تأليف قلوب من حوله ، وتوجيههم كما أثبت ذلك في إدارته لشؤون زاوية القصور وفي نجاحه في

---

١ ـــ لابد من الإشارة هنا وقد بينا محاسن الحركة السنوسية ودورها في قيادة الجهاد ضد الإيطاليين أننا لانوافق على كل منهجها وخاصة في الجانب التربوي الذي اعتمد أساليب الصوفية ، وكان فيه بعض الغلو ، ولكن كان ذلك قد ازداد واستفحل عند المتأخرين منهم ، وبعد وفاة أحمد الشريف إلا أن جذوره كانت ولاشك في أصل منهجهم . والحركة السنوسية لم نعط بعد حقها من الدراسة والبحث .

قيادة الجهاد بمراحله ومتطلباتـه المختلفة : من التخطيط للمعارك وقيادتها ، إلى متابعة أصداء الجهاد في الداخل والخارج والتفاعل معها .

وننقل هنا ماجاء في رسالة بعثها للأمير شكيب أرسلان الذي بذل جهداً إعلامياً كبيراً في الدفاع عن الجهاد الليبي وتوضيحه للعالم ، يقول فيها :

« إنه من خادم المسلمين عمر المختار إلى الأمير أخينا في الله الأمير شكيب أرسلان حفظه الله : قد قرأنا مادبجه يراعكم السيال عن فضائح الطليان وماقترفته الأيدي الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار فإنني وعموم إخواني المجاهدين نقدم لمقامكم السامي خالص الشكر وعظيم الممنونية .

كل ماذكرتموه مما اقترفته أيدي الإيطاليين هو قليل من كثير وقد اقتصدتم وأحفظتم كثيراً ولو يذكر للعالم كل مايقع من الإيطاليين لاتوجد أذن تصغي لما يروي من استحالة وقوعه ، والحقيقة ــ والله وملائكته شهود ــ أنه صحيح ، وإننا في الدفاع عن ديننا ووطننا صامدون وعلى الله في نصرنا متوكلون ، وقد قال تعالى : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هـ »(١) .

ــ العقلية العسكرية الفذة التي اكتسبها من خلال حياته في الزوايا التابعة للحركة السنوسية ، حيث كان التدريب على أعمال الجهاد جزءاً أساسياً من برنامج الحياة فيها .

يقول الأمير شكيب أرسلان يصف ذلك ، وكان قد زار ليبيا والتقى بمجاهديها : « حدثني السيد أحمد الشريف أن عمه المهدي كان عنده خمسون بندقية خاصة به وكان يتعهدها بالمسح والتنظيف بيده لايرضى أن يمسحها أحد من أتباعه قصداً وعمداً ليقتدي به الناس ويحتفلوا بأمر الجهاد وعدته وعتاده ، وكان نهار الجمعة يوماً خاصاً بالتمرينات الحربية من طراد ورماية وماأشبه ذلك . فكان السيد يجلس في مرقب عالٍ والفرسان تنقسم

١ ــ كتاب قصة الأدب العربي في ليبيا ، ص ١٤١ ، محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الخراز ١٩٦٥ م .

صفين ويبدأ الطراد فلا ينتهي إلا في آخر النهار »[1] ، هذا بالإضافة إلى الخبرة الطويلة التي اكتسبها من ميادين القتال حتى أصبح ذا كفاءة عالية في استخدام المتوفر من القدرات ، وفي استغلال طبيعة ميدان المعركة ، وذلك بشهادة القادة من أعدائه كما يذكر جراتسياني عنه أنه ترك المواجهة في الصحراء واتخذ من الجبال مقراً له فكان ذلك من أكبر العوائق أمام الإيطاليين في صراعهم مع المجاهدين .

ــ وفي هذا كله كانت أقواله تصدقها الفعال ، بل إن الصدق كان من أبرز سماته على الإطلاق ، الصدق مع الله ... الصدق مع النفس ، ومع الآخرين حتى إن كانوا ألدّ الأعداء .. حتى أمام المحكمة التي حكمت عليه بالإعدام ...

ــ هل أنت قائد الثوار ضد الحكومة الإيطالية .

ــ هل حاربت الدولة وحرضت الناس على ذلك .

ــ هل أشهرت السلاح في وجه القوات الإيطالية واشتركت في القتال فعلياً .

ــ هل أمرت بتحصيل الأعشار من الأهالي .

ــ هل أمرت بقتل الطيارين اللذين وقعا في الأسر .

أجاب عن كل هذا بنعم باستثناء حادثة الطيارين اللذين نفى علمه بمقتلهما رحمه الله رحمة واسعة . إن شعباً أنجب المختار وأمثاله من المجاهدين لن يعقم أبداً .

إن من أكبر الدروس التي نتعلمها من حياة هذا المجاهد البطل هو أن الجهاد من أجل حماية العقيدة ونشرها وإقامتها في واقع الحياة ، وبذل المهج والأرواح في سبيل ذلك هو من أسمى غايات المسلم ؛ وأن القيادة الشرعية إنما هي في حقيقتها قيادة جهادية تعمل على ذلك وعلى تخليص المسلم من الظلم والإذلال كما تعمل على نشر العلم وبيانه ، وأنه لتحقيق ذلك لابد من وجود الصلة القوية بين العالم أو الداعية والمجتمع عن طريق العلاقة الوثيقة بالناس وبواقعهم ومايعانونه من مشكلات □

---

١ ــ كتاب الأمير شكيب أرسلان ، القضية الليبية / ١٢ ، محمد رجب الزائدي ، مكتبة الخراز ١٩٦٤ م .

شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

- ☐ رأي في أحداث الجزائر
- ☐ المجاهدون الأفغان : إرادة فولاذية استعداداً للمعركة النهائية
- ☐ محنة التعليم الإسلامي في أندونيسيا
- ☐ حدث في زنجبار

راي في أحداث الجزائر

هذا أول عدد من أعداد مجلتنا « البيان » يصدر بعد الأحداث الدامية التي شهدتها الجزائر في ٨ / ١٠ / ١٩٨٨ ، وماكنا لندع هذا الحدث الأليم يمر دون أن نقول رأينا فيه ، لأن الشعب الجزائري المؤمن عزيز علينا ، مايؤلمه يؤلمنا ومايسره يسرنا ، ولن ينسى المسلمون في كل مكان جزائر المليون شهيد الذين بذلوا الغالي والنفيس من أجل أن يعود بلدهم إسلامياً عربياً لا أثر فيه للصليبية ولا للكفر والإلحاد .

وقد حاول العلمانيون بعد الاستقلال نشر الشيوعية والإلحاد ، ولكن الله أخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وجعلهم عبرة لمن يعتبر ، وبقيت كتائب ابن باديس والإبراهيمي والتبسي ترفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله خفاقة عالية يرفعونها في المساجد والجامعات والمدن والأرياف ، والثكنات وفي كل مكان .

إذن : ليس غريباً أن نعيش مع إخواننا في محنتهم ... بل كنا نراقب فساد نظام الحزب الواحد ، ومايجره على الجزائر من دمار وويلات ولسنا وحدنا الذين نقول هذا القول ، لقد قاله المسؤول الأول في الجزائر ــ رئيس الجمهورية ــ ففي ١٩ / سبتمبر الماضي ألقى خطاباً أمام أعضاء لجان التنسيق في الولايات : تحدث فيه عن المشكلات الاقتصادية المستعصية ، وقال بالحرف الواحد :

« إن هناك بعض العناصر في النظام تثار حولها الشبهات ، ولن نقبل أبداً بأن يستمر هؤلاء الأفراد في السلطة ... وقال بأن بعض هؤلاء المسؤولين في القمة ويعملون داخل مؤسسات تابعة للحزب وللحكومة وفي أجهزة أخرى ، وهاجم المؤسسات الاقتصادية الوطنية لأنها لاتؤدي دورها المطلوب » .

ولم تكن هذه الفضائح سراً من الأسرار ، لقد كان يتحدث عنها المواطن العادي ، وتنشرها الصحف داخل الجزائر وخارجها ، ومن الأمثلة على ذلك : قضية اختلاس البنك المركزي ، ولم يكن المختلسون نكرات في السلطة ...

ومما ينبغي أن يعرفه كل عاقل منصف : أن المسؤول الذي لايعمل في سبيل الله ، ولا يعرف الخوف من الله طريقاً إلى قلبه سوف يسرق ويظلم ويفسد ، وينهب ويدمر البلاد والعباد .. وهو يزعم أنه مصلح وعادل وزاهد وفقير لايملك من حطام الدنيا شيئاً ... والجزائريون وغيرهم وغيرهم يعرفون أمثلة كثيرة تؤكد صحة مانقول .

ونتيجة لذلك فقد سبقت الأحداث أزمة اقتصادية خانقة ، فكثير من المواد الضرورية : كالزيت ، والدقيق ، والخضروات ، واللحوم اختفت من الأسواق ، وكثر العاطلون عن العمل الذين يقرعون أبواب الوزارات والمؤسسات بحثاً عن وظيفة ولا يجدون من يجيبهم ويسد حاجتهم ، ونسبة البطالة ١٧٪ من السكان القادرين على العمل .

والأدهى من ذلك والأمر قضية السكن : فالجزائر ثاني دولة افريقية من حيث المساحة ، ومع ذلك ففيها أزمة سكن مع أن مساحتها تتسع لخمسة أمثال عدد سكانها ، والمشكلة كل المشكلة في الإجراءات الإشتراكية التي فرضها « بومدين » وسلفه « بن بلا » ولا يزال النظام غير قادر على التخلص منها ... فالذين وجدوا سكناً يعيشون في غرف لايحسدون عليها ، فالأسرة التي يبلغ عدد أفرادها عشرة يعيشون في حجرتين صغيرتين ... وبكل أسف هناك الكثير الكثير من يتمنى مثل هذا السكن .

وهذه المآسي لاتبرر المذبحة التي وقعت بين المتظاهرين والجيش ، فمن حق المواطنين أن يطالبوا بحقوقهم ، ويعبروا عن مشاعرهم ، ويندوا بالظلم والظالمين .. ولكن ليس من حقهم أن يعتدوا على المؤسسات والمرافق العامة ، ويلحقوا بها أضراراً فادحة ، وقد بلغت كمية الخسائر ١٧٠ مليون دولار ... والذين أتلفوا هذه الأمور لايدركون أبعاد القاعدة الإسلامية التي سنها رسول الله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » .

ومن حق رجال الأمن والجيش أن يحافظوا على الأمن ولكن ليس من حقهم حصد أرواح المتظاهرين ، وقد بلغ عدد القتلى عدة مئات ، ومن بين القتلى أطفال ونساء كانوا في شرفات منازلهم ... فالجيش من الشعب ، ووظيفته أن يقاتل أعداء المسلمين ، وليست وظيفته مقاتلة الشعب ... وكم نتمنى أن يتحقق الوعي عند الجندي المسلم بحيث لو أصدر قائده الأمر إليه ليطلق النار على رواد المساجد أو الأبرياء من المواطنين لرفض ذلك وقال : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » لن أقتل أخي المسلم ، فاقتلوني إن شئتم ، لن أقتله ... لو تحقق هذا الوعي لما كنا في مثل هذا الذل والهوان ، ولما كانت الفجوة واسعة جداً بين الحاكم والمحكوم ، ولما نظر المواطن إلى العسكري نظرة يشوبها الحقد والكراهية أو الحذر والخوف .

والذين كانوا يتابعون الأحداث يعلمون أن وكالات الأنباء والصحف العالمية والعربية أجمعت على شيء واحد ... وكان هذا الذي أجمعت عليه عارياً عن الصحة ملفقاً ليس فيه عدل ولا حق ... أجمعوا على اتهام « الأصوليين » بالأحداث .

وهم يخترعون أسماء ويلصقونها بالإسلاميين كقولهم « أصولي .. متشدد » وما إلى ذلك من أسماء كاذبة . والأنكى من ذلك أن صحفاً ومجلات عربية تتبع نظاماً عربياً « عفلقياً » شنت حملة ظالمة على الداعية الشيخ علي بلحاج وزعمت أنه يتردد على إيران وأن له علاقات وثيقة مع السفير الإيراني في الجزائر ... وأن إيران كانت وراء هذه الأحداث من خلال الشيخ « علي بلحاج » .

ياهؤلاء : أنتم تظنون بغيركم كما تظنون بأنفسكم ، فأنتم تتقاضون أموالاً من النظام العفلقي ، وتنشرون المعلومات التي تأمر بها أجهزة مخابرات هذا النظام الذي لم يتعظ ولم يرعو ... ونحن على صفحات مجلتنا نخاطب أسيادكم فنقول لهم :

الشيخ علي بلحاج ــ ولا نزكي على الله أحداً والحي لاتؤمن فتنته ــ ليس نكرة ولستم أهلاً للحديث عنه ... إنه داعية من دعاة أهل السنة والجماعة عقيدة

وسلوكاً ونظام حياة ، وهو يعرف إيران الخميني كغيره من علماء أهل السنة المتأسين بسلف هذه الأمة من رجال خير القرون ، ومن كان هذا مسلكه ومنهجه يرفض إقامة علاقة مع سفير إيران ، كما يرفض زيارة إيران .

ياهؤلاء : ليس خلافنا مع إيران على أمتار أو كيلومترات من الأراضي أو الماء ، ولا نتبع نظاماً من الأنظمة فإذا سوى هذا النظام خلافاته مع إيران تبعناه في السلم والحرب كما تفعل الصحف المأجورة ... إن خلافنا معهم عميق الجذور ... ونحن الذين ندرسكم عن أخطار الشعوبيين وموقفهم الخبيث من رسول الله وأصحابه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .. بل نتوقع أن يأتي يوم تتفقون معهم ويجمع بينكم وبينهم عداوة أهل السنة كما فعل ويفعل ابن حزبكم الباطني !!

ولذلك نقول لكم بلغة جازمة : إن الشيخ علي بلحاج لم يزر إيران ، وليس له أي علاقة بسفير إيران أو بأحد الزعماء الجزائريين المتعاونين مع إيران .

وليس له علاقة بالأحداث الدموية ، كان يرى أن يقوم بمظاهرة سلمية غير أن حكيم علماء الجزائر الشيخ سحنون حفظه الله أقنعه أن لايفعل فاستجاب له ، وماكان موجوداً في مسجد « بلكور » في يوم المظاهرة ، والإسلاميون لايملكون سلطة ليمنعوا المظاهرة .

فهل تجدون في أنفسكم شجاعة لتصحيح الخطأ الذي أخطأتموه ؟!

نجزم بأنكم لن تفعلوا لأن احتمال حسن النية غير وارد عندكم ، ولأن إحدى مجلاتكم المأجورة مختصة بالكذب على الإسلاميين ، وقبل هجومها على دعاة الإسلام في الجزائر كانت تهاجم الإسلاميين في بلاد الشام الذين ظنوا أن في التحالف معكم يحققون خيراً لبلدهم فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار .

إن خير حل نراه أن يتفق الإسلاميون على مقاطعة صحفكم وتحذير الأمة من أكاذيبها .

أما محاولاتكم لتأليب النظام الجزائري ضد الإسلاميين فيكفينا في الرد عليكم قوله تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ .

يادعاة الإسلام في الجزائر : إن الإجماع الإعلامي العالمي الكاذب يعبر عن خوف الدوائر الاستعمارية وعملائها من وعي الإسلاميين ونشاطهم في الجزائر فكونوا على يقظة وحذر ووحدوا صفوفكم وحذار من الخلاف والفرقة ، أما منهج هذه الوحدة فهو الذي أنزله الله وبلغنا إياه رسول الله ﷺ إنه منهج أهل السنة والجماعة ، وليس قول هذا ولا شعار ذاك ، واعلموا أن أية وحدة أو تقارب محكوم عليه بالفشل إذا تجاهل دعاتها المنهج .

واستفيدوا بإخواننا من أخطاء الماضي القريب ، ولتكن معرفتكم بواقعكم المعاصر دقيقة ... والدعاة الذين يجهلون السياسة أو الذين يفصلون بين السياسة والمنهج يخسرون خسراناً عظيماً .

وحذار حذار من أهل الغلو فلقد كانوا سبباً في كوارث عديدة أربكت العمل الإسلامي وأعاقت تقدمه ، وويل لجماعة يقودها شباب أغرار يجهلون أصول دينهم ، ويجهلون مشكلات عصرهم ، ولا يقبلون النصح ، ولا يتعظون من أخطائهم أو أخطاء غيرهم .

وأخيراً : اعلموا أننا وحدنا ــ أعني دعاة الإسلام ــ الذين نعبر بصدق وأمانة عن آلام هذا الشعب وبؤسه : فالأسرة الكبيرة التي تسكن في غرفة أو غرفتين من أسرنا ، والعاطل عن العمل أخونا أو ابننا ، أما غيرنا فيتاجر بالفقراء والعمال من أجل أن يصل ثانية !! إلى كرسي الحكم ، وإذا وصل فسوف ينهب ويفسد ويسفر عن وجهه الأول الكالح ، ويتنكر لكلماته الطيبة التي كان يقولها عن الإسلام أحياناً .

فاقطعوا الطريق عليه وعلى غيره ، ولاتقبلوا قيادة غير رجالكم الذين لايعصون لله أمراً .

نسأل الله أن يجمع بين قلوبنا ، ويشتت صفوف عدونا ويجعل لنا من بعد عسر يسرا إنه سميع مجيب .

المجاهدون الأفغان

إرادة فولاذية استعداداً للمعركة النهائية

في قرى إقليم لوغار الواقع إلى الجنوب قليلاً من كابل ، يبدو أن كل الأسباب تدل على أن نتيجة الحرب أصبحت لمصلحة المجاهدين الأفغان ، وأنصارهم من المدنيين . فقد طوق المجاهدون الأفغان العاصمة الإقليمية هناك ، وبات شريط من المباني الآيلة للسقوط طوله نصف ميل هو آخر معاقل الحكومة في هذا الإقليم .

كما سيطر المجاهدون على الطريق المؤدية إلى الشمال باتجاه العاصمة وقطعوا خطوط الإمداد الحكومية الحيوية إلى ثلاثة أقاليم .

وفي كل يوم ، تصل الحافلات المحمّلة بالمدنيين من كابل ، ويتحدث هؤلاء عن تعمّق الصراعات بين صفوف الحزب الشيوعي الحاكم وكذلك عن احتمال سقوط النظام المدعوم من قبل موسكو ــ وهو مايراه معظمهم أمراً يتعذر الحيلولة دونه ــ عند اكتمال انسحاب القوات السوفييتية .

وكانت القوات السوفييتية قد أوقفت انسحابها يوم ٤ / ١١ / ١٩٨٨ م في أعقاب تزايد هجمات المجاهدين ، وكان النائب الأول لوزير الخارجية السوفييتي قد صرح بأن هجمات المجاهدين على الوحدات السوفييتية ، منذ بدء الانسحاب الوفيتي ، قد بلغت (٥٥٠) هجمة وأن تلك الهجمات قد شملت (٨٨) هجوماً بالصواريخ و (٤٤٠) هجوماً آخراً على نقاط حراسة عسكرية سوفييتية وتمخضت عن سقوط (٧٥٠) قتيلاً في العاصمة وحدها .

ومن ناحية أخرى فقد حذر النظام الحاكم في كابل من أنه سيقوم باستخدام صواريخ سكود السوفييتية البعيدة المدى والتي زُود بها حديثاً من قبل موسكو ، ضد قواعد المجاهدين في محاولة منه للحدّ من تزايد قصفهم .

الأوبزرفر ٣٠ / ١٠ / ١٩٨٨ م ، التايمز ٥ / ١١ / ١٩٨٨ م

محنة التعليم الإسلامي في أندونيسيا

إذا كان من الصعب إلغاء التعليم الإسلامي بصراحة في بلد ذي أغلبية إسلامية ، فإن من السهل جداً الاحتيال على هذا التعليم حتى لايؤدي النتائج المنتظرة ، وذلك عندما يأتي دور التنفيذ لتوصيات الدولة في هذا المجال ، فإن الجهات التي يوكل إليها تنفيذ التوصيات تعرف عملها جيداً ، فتقوم بالواجب خير قيام ، حيث إن هذه الجهات غالباً ماتكون غير راضية لا عن الإسلام ولا عن مايتعلق به من تربية وتعليم ، فتؤتمن على أمر يسوءها أن يكون من ورائه نتيجة إيجابية تعود على المعنيين الذين شُرع لهم « ومن استرعى الذئب ظلم » .

هذا ماحصل في بلد يشكل المسلمون فيه الأكثرية الساحقة من السكان ، ولكن لأجل خواطر الأقليات الأخرى فيه يحرم الأطفال المسلمون من معرفة حدود هويتهم الإسلامية ويخضعون لتعاليم أخلاقية مائعة لا لون لها .

فقد أقر تشريع جديد في أندونيسيا يهمل التعليم الديني الإسلامي في المدارس الحكومية ، ويوضع بدلاً منه معلومات عامة مستوحاة من « البلانشسيلا » وهي مجموعة مبادىء مستحدثة تقوم على أسس وثنية وتاريخية وقومية واتخذتها حكومة أندونيسيا لتكون بدلاً عن العقيدة الدينية .

حتى المدارس الخاصة التي يمكن أن توفر تعليماً إسلامياً يسد بعض النقص الذي تسببه المناهج الرسمية قد سحب البساط من تحت أقدامها وستصبح غير معترف بها ، وهكذا فما على المسلمين إلا أن يهملوا دينهم رسمياً وشعبياً ويذوبوا في خضم الأقليات الصينية واليابانية والمسيحية التي تتحكم بها .

وقد يكون هذا التخلي منطقياً ولكن بشرط أن يقابله تخلٍ آخر من هذه

الأقليمية عن خصوصياتها وشراهتها لابتلاع الأكثرية ، فهل هذا هو حالها ؟! لا ، بل إن هذه التشريعات ماوضعت إلا لتقويتها وزيادة سطوتها لافتراس الأغلبية الصامتة التي تجرد من كل أسباب المقاومة يوماً بعد يوم .

إن النظام الحاكم في أندونيسيا نظام أقلية قام على أساس العنف والمكر ، تحتكر السلطة فيه حفنة من العسكريين الفاسدين وأصحاب رؤوس الأموال من الصينيين والنصارى ، وزيادة في سوئه فإنه يتلقى الدعم من الشركات المتعددة الجنسيات في الخارج ومن مجلس الكنائس العالمي الذي يصر على تنصير هذا البلد بأعداد مسلميه الهائلة .

وهناك ظاهرة تلفت النظر وهي الهجرة الصينية الكثيفة منذ بداية السبعينات إلى الآن ، أفواج هائلة من الصينيين تأتي عبر سنغافورة وهونج كونج بشكل غير قانوني ، ولكن بتآمر مع الأوساط الرسمية في البلاد ، ومن المعتاد ملاحظة « أندونيسيين » في كثير من المدن يحملون كافة الأوراق الثبوتية والوثائق التي تثبت أندونيسيتهم رغم ملامحهم الصينية ورغم أنهم لايتكلمون كلمة واحدة من اللغة الأندونيسية .

المشكلة نفسها التي حصلت للخليج حصلت في أندونيسيا هناك .

إن النظام التعليمي في أندونيسيا متجه إلى الانقسام إلى شعبتين :

١ ــ الشعبة العامة وهي تعليم كمي متجه إلى عامة الشعب همه محو الأمية دون عمق .

٢ ــ الشعبة الخاصة وهي تعليم نوعي ونخبوي يسعى إلى تخريج طبقة هي المؤهلة للإمساك بزمام البلاد ، وقيادة نتاج الشعبة العامة ، وهذا غالباً مايكون تحت سيطرة وتمويل وتوجيه البعثات النصرانية .

الداء واحد في كل البلاد الإسلامية وهو يقظة الأعداء وتصميمهم وتعاونهم فيما بينهم ، وغفلة المسلمين ، وذهاب ريحهم في الخلافات .

هل ينتظرون إلا أن يصبحوا أقلية حتى ينتبهوا إلى المشاكل التي تعصف بهم فيحافظوا على وجودهم من الانقراض ؟!□

حدث في زنجبار

إذا أردت بطاقة للعبور إلى الشهرة ، أو لتسلم منصب مهم ، فالأمر لايحتاج إلى مؤهلات كثيرة ومعقدة ، كل ماهو مطلوب أن تقف على منصة في اجتماع عام لحزب أو منظمة وتهاجم الإسلام ، أو شيئاً من تعاليمه ، وعندها ستصبح نجماً شهيراً ، وبطلاً مكافحاً ، ومناضلاً وطنياً ، ولكن ضد مَنْ : ليس ضد الإسلام طبعاً ! ولكن ضد الرجعية والتخلف وعدم مسايرة التطور وروح العصر .... إلى آخر مافي جعبة مهاجمي الإسلام والمسلمين بالهجوم على شرعه ومبادئه .

هذا ماحصل في تانزانيا المؤلفة من اتحاد ماكان يعرف بـ تانجنيقا وزنجبار . فقد وقفت عضوة في الاتحاد النسائي الذي هو منظمة تابعة للحزب الحاكم في البلاد : حزب السفاح نيريري الذي لازال له تأثير كبير في مجرى الحياة هناك على الرغم من أنه ليس الرئيس الفعلي للدولة ــ وقفت لتكيل التهم والهجوم على الشريعة الإسلامية ، وطالبت بإزالة كل مايمت إلى هذه الشريعة بصلة من قوانين ، وخاصة قضية تعدد الزوجات .

ولدى معرفة المسلمين بهذا الهجوم المشين على دينهم وعلى عقيدتهم أعلنوا احتجاجهم على ذلك ، والنتيجة المنتظرة معروفة ، كما يحصل في كل أرض إسلامية للمسلم عندما يعبر عن رفضه للتهجم على دينه بأي وسيلة ، تتدخل قوات الأمن لا بخراطيم الماء والقنابل الدخانية بل بالذخيرة الحية ، فيسقط القتلى والجرحى وعندما لاتستطيع الأجهزة الرسمية نفي سقوط القتلى تقلل عددهم إلى الحدود الدنيا : قتيل أو قتيلان وبضعة (!) جرحى .

ومن جهة أخرى فقد أقالت وزارة التربية أربعة مدرسين زعمت أنهم متورطون في مؤامرات سياسية للتحريض على العصيان وبث الفوضى في المدارس ، وقد ورد بمرسوم لوزارة التربية أنه سيعاد تعيين الموظفين المعنيين في وقت لاحق في وظائف أخرى .

وقد كان من جملة الاتهامات لهؤلاء تشويههم لسياسة البلاد وتورطهم في أعمال تخريبية . ووجهت إنذارات إلى مدرسين آخرين ومسؤولين في وزارة التربية بجزيرة « بامبا » أقيلوا من أعمالهم بانتظار مزيد من التحقيقات .

والقضية في زنجبار ليست هي تهجم آني على دين أهل البلاد ، بل هي أبعد من ذلك ، وجذورها تعود إلى (الاتحاد بالإكراه) الذي حصل للجزيرة مع البر الإفريقي ، نتيجة للقصف بالقنابل ، والمذابح الجماعية التي قام بها الكاثوليكي المتعصب جوليوس نيريري وأنصاره ضد أهل البلاد ذوي الأغلبية العربية الإسلامية .

وفي ظل هذا الاتحاد بين جهتين غير متكافئتين تراجعت أهمية الجزيرة التي كانت مركزاً اقتصادياً كبير الأهمية في شرق أفريقيا ، وغدت مكاناً مهملاً حين جردتها القوى الصليبية من تأثيرها ، وهي ماضية لتجريدها حتى من وجهها وهويتها □

● ● ●



الإحصائيات تؤيد الفروق الطبيعية بين الجنسين

جميع المحاولات المحمومة لدى العاملين دعاة المساواة بين الجنسين ، مدعي البحث العلمي المجرد ، المعادين للتفرقة الجنسية ؛ والأمهات اللاتي يشتغلن في أعمال ميكانيكية ، والأقارب الذين يشترون لبنات أقاربهم آلات ميكانيكة ، كل هذه الجهود باءت بالفشل ، فالبنات الصغيرات اخترن أن يكنّ ممرضات ، وطبيبات ، لا مهندسات .

فقد أجرت شركة « كالاردو بوسر » لصناعة الحلوى دراسة ميدانية لطلبات السوق ، فسألت (٥٧٩) طفلاً تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١١ سنة عن رغباتهم في العمل عندما يكبرون ، فكان معظم الأجوبة ــ إن لم تكن كلها ــ تقليدية (يقصد كل جنس اختار مايناسبه) ، فقد عبر ١٧٪ من البنات عن رغبتهن في أن يصبحن ممرضات ، واختار ١٠٪ منهن الحلاقة ، في حين حبذ ٩٪ منهن التعليم . أما البقية فقد كنّ يتطلعن إلى العمل كطبيبات للحيوانات ، أو مضيفات في شركات الطيران ، أو سكرتيرات أو بائعات في الأسواق المركزية ولم تحبذ الهندسة إلا بنت واحدة ، ولم تختر أية واحدة العمل في إطفاء الحرائق أو أبحاث الفضاء أو القوات المسلحة .

أما الذكور ففضل أكثرهم الرياضة ــ ١٧٪ منهم ، واختار ١٤٪ منهم

الالتحاق بالشرطة مقابل ٥٪ لدى البنات ، والباقون اختاروا قيادة الطائرات وأعمال البناء والنجارة والأعمال الميكانيكية وقيادة الشاحنات ، ولم يختر أحد منهم التمريض أو الحلاقة واختار اثنان فقط التعليم .

وقد فضّل ١٠٪ من الفتيات العمل مع الأطفال والرضع بينما رفض الذكور ذلك ، وفي حين اختار ١٢٫٥٪ من الذكور العمل في مجالات السيارات والدراجات وغيرها من وسائل النقل فإن نسبة الفتيات التي اختارت ذلك لاتزيد عن ١٪ .

الاندبندنت ١ / ٩ / ١٩٨٨

* * *

غزل شيوعي يهودي

أعلنت اللجنة العالمية للهجرة يوم ٢ / ١١ أن هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتي قد وصلت أعلى حد لها في شهر تشرين الأول (أكتوبر) الماضي منذ عام ١٩٨٠ م حيث بلغ عدد اليهود الذين سمح لهم بالمغادرة في ذلك الشهر وحده (٢٤٧٣) فرداً .

وأضافت اللجنة أن الاتحاد السوفييتي كان قد سمح لـ (١٤٢٨٨) يهودي بالمغادرة هذا العام وأن (١٢٣٢) منهم فقط توجهوا إلى فلسطين .

ومن جهة أخرى فقد وافق مسؤولون سوفييت على السماح بتدريس اللغة العبرية وهو ماكان يعتبر في الماضي جريمة تستحق العقوبة كما تمت الموافقة على السماح لليهود بالمشاركة بالمؤتمر اليهودي العالمي ، جاء ذلك على لسان مسؤول في المؤتمر المذكور .

وفي برلين الشرقية حيّا رئيس المؤتمر اليهودي العالمي الزائر موقف

الحكومة الشيوعية تجاه اليهود الذين قتلوا في الحرب العالمية الثانية على أيدي النازيين واستعدادها لدفع تعويضات مالية مرضية لليهود الذين يقيمون حالياً خارج ألمانيا الشرقية . وذكر أن التعويضات ستبلغ (٦٠) مليوم دولار . وينظر إلى موقف الحكومة الألمانية هذا على أنه محاولة لتمهيد الطريق لإقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل ، وكان رئيس الوزراء الألماني الشرقي قد ألمح بشكل واضح قبوله بحق إسرائيل بالوجود .

الجارديان ١٩ / ١٠ / ٨٨ ، التايمز ٣ / ١١ / ٨٨

□ □ □

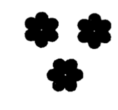
عندما تكيل الصحف الغربية بصاعين !

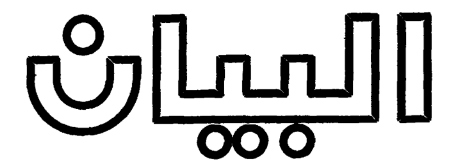
أدى رئيس الوزراء التركي فريضة الحج العام المنصرم ، وهو حدث كان ينبغي أن يكون عادياً جداً وأن يمر دون الوقوف عنده ، ولكن الصحف الغربية التي عودتنا على الكيل بصاعين ، فيما يخص الأمور الدينية ، وعلى سلوك سبيل التهويل وتحميل تصرفات بعض الناس دلالات بعيدة لم يعجبها هذا الأمر ، كما لم يعجب العلمانيين داخل تركيا ، فمن جهة أشارت هذه الصحف إلى أن أوزال أول رئيس وزراء تركي بعد زوال الدولة العثمانية يؤدي فريضة الحج ، ومن جهة تبدي أسفها لذلك العمل الذي « لابد أنه قد سبب آلاماً لروح كمال أتاتورك في قبره » كما عبرت عن ذلك بعض الصحاف البريطانية .

والغريب أن هذه الصحف لاتستغرب إذا قام أي زعيم غربي بأي عمل له دلالة دينية ، بل تنوه بذلك وتشيد به ، فقد أفردت كافة الصحف الغربية صفحات للصور والتعليقات التي رافقت زيارة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا للاتحاد السوفيتي وأكثر تلك الاهتمامات انصرف إلى زيارتها للكنائس التي رفع عنها الحظر ، وكذلك أحيط تعاطفها مع جماعة التضامن في بولندا بدعاية كبيرة ،

وكذلك حجها إلى قبر القس الذي قتلته الشرطة هناك لتعاطفه مع حركة التضامن ، بل إنها استشارت بابا الفاتيكان قبل زيارتها لبولندا .

هل للوقاحة حد عند هؤلاء الذين يسرهم أن يكون المسؤول المسلم لادين له خشية أن يؤذي قيامه بشعائر دينيه روح طاغية في قبره ، وماالذي يجعل لهؤلاء حقاً في إظهار عواطفهم الدينية ، بينما يعتبر ذلك مستهجناً من مسؤول في بلد يدين أهله بالإسلام ؟ أم أن للعلمانية في المجتمعات الإسلامية معاني أخرى ؟!□





العدد السادس عشر : جمادى الثانية ١٤٠٩ هـ ـ شباط (فبراير) ١٩٨٩ م

مجلة إسلامية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

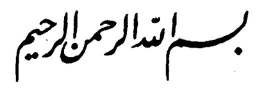
لندن

تصدر مؤقتا كل شهرين

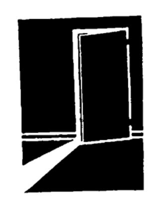
رئيس التحرير
محمد العبدة

مدير التحرير
منصور الأحمد

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 01-731 81645
Fax : 01-736 4255



المحتوى



الافتتاحية

إلى أين يتجه التعليم ... ؟

إن مشكلة التعليم من القضايا التي تحتاج إلى مراجعة مستمرة ، وتنبع أهميتها من الحاجة الملحة للعلم بمفهومه الواسع الشامل لبناء المجتمعات الحديثة ، وإن الرواد في كل مجتمع هم رجال التربية والتعليم ، فهم القادة الحقيقيون ، بعيداً عن مظاهر البروز والادعاء ، وهم الذين يقع عليهم العبء الأكبر في توجيه الأجيال وتسليحها بالأهداف الصحيحة ، والوسائل الفعالة ، وأي نجاح للمجتمع ينبغي أن يرجع في النهاية إليهم ، كما أن أي إخفاق في مسيرة هذا المجتمع فمرده إلى قيادتهم ، وإلى الخطأ في الأسس التي اختيروا بمقتضاها .

نظرة عجلى :

لو ألقينا نظرة سريعة على الأربعين عاماً الماضية من أجل تقويم الحركة العلمية والتعليمية في أوطاننا ؛ فسوف نعثر على جانبين ، لكل منهما أنصاره وحججه ، أما سبب التحديد بهذه المدة فلأن هذه المدة هي التي أعقبت خروج الأجانب الغاصبين من بلادنا على وجه التقريب ، وأصبحنا مالكين زمام أنفسنا ، ونقرر مصائرنا بعيداً عن الوصايا ــ وإن كانت هذه النقطة مجال جدل طويل

ليس هذا مكانه — .

وأربعون عاماً فترة كافية ولابأس فيها في حساب الأرباح والخسائر لأمة من الأمم ، أو لمجتمع من المجتمعات .

الجانب التفاؤلي :

لقد خرج المستعمر الأجنبي وجميع أفراد الأمة يحدوهم الأمل ، وتملؤهم الحماسة لبناء المستقبل ، وكان عليهم أن يتلافوا التقصير الذي رزحت تحته أمتهم قروناً طويلة ، وأن ينتشلوها مما صارت إليه من التخلف والتبعية المفروضة التي تضافرت على فرضها عوامل داخلية وخارجية . ولم يكن من حال غير العلم ، كماً ونوعاً .

إن العدل يقتضينا أن نفرح ونبتهج عند مقارنتنا لحالنا الآن بحالنا عشية خروج الاستعمار ، فإن نسبة المتعلمين إلى مجموع السكان قد ارتفعت ارتفاعاً مطّرداً ، ولا تزال في ارتفاع ، وقد تضاعفت إلى جانب ذلك عدد المدارس عشرات المرات ، وإن مما يحسب لهذه الفترة هو إلزامية التعليم الابتدائي في أغلب البلاد العربية ، وبعد أن كان التعليم الجامعي وقفاً على الفئات الميسورة والغنية صار كذلك حقاً للفئات الفقيرة ، واقتحم المتعلمون من هذه الفئات ماكان مقصوراً على غيرهم ، وتبوؤوا أمكنة كانت بعيدة المنال ، فأصبحت ممكنة بفضل التعليم .

ويمكن تلخيص الجوانب الحسنة في مسيرة التعليم ، والتي ينظر إليها المتفائلون بما يلي :

- أصبح التعليم ضرورة اجتماعية بعد أن كان ترفاً وميزة لفئة معينة .
- تحول المجتمع كله إلى مهتم بالتعليم ، ومشارك في إنجازاته ودفع نهضته .
- بفضل التعليم ارتفع المستوى الاجتماعي لفئات وطبقات في المجتمع كانت

تعيش معيشة هامشية .

● أزال التعليم كثيراً من الفوارق والأمراض الاجتماعية التي كانت ترجع بالسوء على بنية المجتمع .

● جعل جميع أفراد الأمة يشعرون بذواتهم ، ويقدرون إمكاناتهم وحقيقتهم في الوجود ، وعزز الثقة الجماعية بالنفس .

هذه أمثلة للجوانب الإيجابية للنهضة التعليمية يمكن أن يضاف إليها كثير من النقاط الأخرى .

الجانب التشاؤمي :

على الرغم من الاعتراف بكل مزايا الفترة الماضية فيما يتعلق بالإنجازات التعليمية على المستوى الفردي والعام ؛ إلا أنه يبقى الكثير الذي لابد من أن يطرح ، ومن ذلك :

● لقد كان الاعتقاد أن تنمحي الأمية من المجتمعات العربية ولكن هذا لم يحدث .

● والأمر الطبيعي أن تكون البدايات بسيطة ومتواضعة ، ثم تقوى وتشتد ، ولكن المشاهد أن نوعية التعليم قبل أربعين سنة كانت أفضل مما هي عليه الآن ــ وهذه قضية لايختلف عليها أحد ــ صحيح أن تقدماً حصل من الناحية العددية ، ولكنه تقدم سطحي ، وتمدد أفقي على حساب العمق والجودة .

● ومن السلبيات التي انحطت بالتعليم النظرة الخاطئة إليه ، واعتباره وسيلة لرفع المستوى المادي ، دون اعتباره غاية قائمة بنفسها .

● إذا أحب أحد أن يناقش التعليم على مستوى العالم العربي فإنه يلحظ شيئاً من التفاوت الذي أدى إلى خلل وعيب في البناء التعليمي ، فبينما نجد بلاداً كانت فيها النهضة التعليمية أسبق منها في غيرها ؛ نجد أن هذه البلاد السابقة قد هبط

مستوى التعليم فيها لأنها أصبحت معنيّة بسد النقص والحاجة عند غيرها من جهة ، وكذلك فإن الحالة المادية أصبحت تتحكّم بالمستوى التعليمي ، نظراً للضائقة المالية التي تعيشها هذه الدول ، فقد أصبح تخريج الخريجين عندها استثماراً (وهذا من حيث المبدأ لاغبار عليه ولا مانع منه بشرط مراعاة جودة الإنتاج) وترتب على ذلك أنْ انصرف المعنيون إلى تكثير عدد المتخرجين لتغطية الطلب في السوق ، وكان ذلك على حساب النوعية المؤهلة تأهيلاً كافياً .

● اهتزاز قيمة المعلم الاجتماعية ، وتقويمه تقويماً مادياً فقط ، فبينما ارتفع المستوى المادي بتسارع شديد لكثير من أصحاب المهن والحرف اليدوية التي لا تتطلب إعداداً علمياً أو تثقيفياً ، وأصبح هؤلاء ذوي امتيازات مادية لا تنكر ولا تحجب ؛ ظل المستوى المادي للمعلم متخلفاً ، والتحسينات التي تزاد عليه تحبو حبواً بالمقارنة مع ارتفاع مستويات المعيشة والغلاء التي تضرب المجتمعات عامة ، ومجتمعاتنا العربية بصورة خاصة .

وأصبحت مهنة التعليم من المهن المحتقرة في المجتمع ، وهذه حقيقة لا يمكن أن تنكر ، (على الرغم من كل مايقال من كلام إنشائي في مناسبات تكريم المعلم ، بل إن هذا المدح غير العملي ، والإشادة الباردة بالمعلم ودوره في المجتمع ليست إلا من قبيل معالجة خلل موجود في النظرة العامة السائدة تجاه مهنة التعليم) ولو سألت أي معلم أو مدرس سؤالاً بسيطاً : هل يحب لولده أن يمتهن مهنة التعليم في مستقبل حياته لكان الجواب بالقطع : لا .

إن لهذا دلالة يجب أن يقف المرء عندها ، وأن يحللها تحليلاً يقفه على أسبابها ودوافعها ونتائجها . وعندما يشعر المعلم أنه أصبح مهاناً لا من قبل الأغنياء والميسورين الذين جُلِب كي يعلم أولادهم فحسب ؛ بل من قبل فئات أخرى متخلفة علماً وفكراً عنه ، ولها نفس منبته ، ومتحدرة من مستوى اجتماعي قريب من مستواه ؛ عندما يعيش المعلم هذا الشعور ؛ فهل يلام على قلة إخلاصه وموت

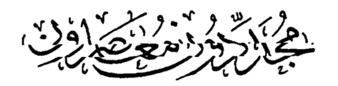
طموحه نحو تقديم الأفضل ؟!

هذه لمحات حول قضية هبوط المستوى التعليمي في مدارسنا ، وتظل هذه القضية طويلة ومتشعبة وبحاجة إلى بحث وتحليل ، وحسبنا أننا أشرنا إشارة إلى ذلك ، وأننا فتحنا الباب للقراء الكرام لتناول هذه المسألة المهمة بالتفصيل والتعليق .

وإننا نرحب بالمساهمة في ذلك على صفحات مجلة « **البيان** » ، على أن تكون المعالجة عامة لاتخص بلداً دون بلد ، ولا تتناول من الظواهر إلا ماله تعلق بالضعف العام الذي انحدر إليه المستوى التعليمي ، وأسباب ذلك ، ونسبة ارتباط كل منها بالمناهج ، أو الخطط التعليمية ، أو خطط إعداد المعلمين .

وعلى الله قصد السبيل □





رد على اعتراض :

اتصل بنا عدد من الإخوة الأفاضل وقالوا : ماذا ستقولون عن بعض هؤلاء العلماء المعاصرين الذين نعتموهم بالتجديد ... ألا ترون أنهم من مدارس مختلفة لايجمعها جامع ، ولا يربط بينها رابط .... هل تريدون إرضاء الناس كلهم مع أن إرضاءهم غاية لاتدرك ؟!.

غفر الله لهؤلاء الإخوة الكرام ! المشكلة أنهم من طلاب العلم ، وطالب العلم يحترم آراء الآخرين ، ولا يتسرع في إصدار الأحكام أو التهم .

وكما وعدنا القراء ، سوف نمضي في الحديث عن كوكبة من العلماء المعاصرين الذين نفع الله بهم ، وسنذكر الجوانب التجديدية لكل علم من الأعلام ، وفي الحلقة الأخيرة نجيب على أسئلة الذين اتصلوا بنا والذين لم يتصلوا بنا ، ونوضح انسجام مانكتبه مع المنهج الذي التزمنا به في بداية هذا البحث .

ومن حقنا على إخواننا أن يقرأوا مانكتبه بإمعان وتجرد !! فإن وافقونا فخير وبركة ، وإن خالفونا ، فالمسألة من المسائل التي يجوز فيها الخلاف ، نسأل الله أن يرزقنا وإخواننا الصبر والتجرد إنه سميع مجيب .



لن نتحدث حديثاً تقليدياً عن ولادة حسن البنا رحمه الله وسيرة حياته ، فالرجل ليس مجهولاً ، وهناك عشرات الكتب التي كتبت عنه ناهيكم عن كتبه التي لاتكاد تخلو منها مكتبة ، وسوف نقسم الموضوع إلى دروس محاولين الاختصار قدر الاستطاعة :

الدرس الأول :

ولد حسن البنا رحمه الله عام ١٩٠٦ م ، وأسس جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ م ، وقتله أعداء الله عام ١٩٤٩ م ، وهكذا تكون سني عمره عندما أسس حركة الإخوان ٢٢ عاماً ، وعندما توفاه الله ٤٣ عاماً ... وكان خلال هذه الفترة حديث الناس في مصر كلها ، وفي البلدان العربية ، بل وفي العالم كله

ولم يكن رحمه الله متفرغاً للعمل الإسلامي ، فلقد كان مدرساً معظم النهار ، وكان رب أسرة ينفق عليها ، ويرعى شؤونها ، وكان مؤسس جماعة إسلامية كبيرة تنتشر شعبها ومراكزها في جميع أرجاء مصر .

إذا نظرنا إلى سيرة البنا وهو طالب صغير في أوائل المرحلة الإعدادية نجد أنفسنا أمام طالب يختلف عن غيره من طلبة عصره ، بل ومن طلبة هذا العصر ... هاهو يتحدث عن نفسه فيقول بأنه كان يقسم وقته« بين الدرس نهاراً ، وتعلم صناعة الساعات التي أغرم بها بعد الانصراف من المدرسة إلى صلاة العشاء ،

ويستذكر هذه الدروس بعد ذلك إلى النوم ، ويحفظ حصته من القرآن الكريم بعد صلاة الصبح حتى يذهب إلى المدرسة » . [مذكرات الدعوة والداعية / ١٢] .

ننتقل من الحديث عن البنا وهو طالب في الإعدادية إلى الحديث عنه وهو قائد جماعة : يخطط لها يربي جمهور شبابها ... يحاضر هنا وهناك .. يؤسس الصحف والمجلات ويديرها ... وهو إلى جانب هذا وذاك مدرس في مدارس الدولة ، وفي العطلة الصيفية هل كان يستجم مع عائلته في قرية هادئة ليس فيها صخب ولا ضوضاء ؟! .. هل كان يغادر مصر للسياحة والمتعة المشروعة ؟!.

إن حياة المجدد لاتعرف إيثار العافية والراحة ، لاسيما وهو يشعر بأن لأهل الأرياف والمناطق النائية حقاً عليه وعلى إخوانه ، فرحلة من رحلاته بدأت في ١١ ربيع الثاني وانتهت في ٩ جمادى الأولى من عام ١٣٥٢ زار خلالها : أبو صوير شرقية ، الإسماعيلية ، السويس ، بور سعيد ، الدقهلية بفروعها ، طنطا ، شبراخيت ، المحمودية [بحيرة] ، دمنهور [بحيرة] ، شلنجة [قليوبية] . [المذكرات / ١٥٤] .

ويقول أحد مرافقيه :

« كان يقطع الوجه القبلي كله بلداً بلداً ، وقرية قرية ، في عشرين يوماً ، في بعض الأحيان يصبح في بني سويف ، ويتغدى في بيا ، ويمسي في الواسطي ، ويبيت في الفيوم ... وهكذا كان ينام ساعة أو بعض ساعة ، وفي الوقت الذي يضع فيه رأسه على الوسادة ينام ونحن نتحدث من حوله » [الإخوان المسلمون والمجتمع المصري / ١٤] .

أليس في حياة هذا الرجل درس للكسالى الذين يقتلهم الفراغ ومع ذلك يتحدثون عن ضيق الوقت ؟!

أوليس في حياة هذا الداعية المجدد عبرة للذين يتباكون على واقع المسلمين

اليوم ، ولا يقدمون للعمل الإسلامي إلا فضلات أوقاتهم ، فالوظائف تستهلك معظم أوقاتهم ، والزوجة تستهلك بقية الوقت وهي لاتفتأ تردد « خيركم خيركم لأهله » والمسكين يخلط بين فهم خاطىء للحديث وبين طاعة امرأة لايرضيها في كثير من الحالات إلا أن تستحوذ عليه وتحول بينه وبين الناس الطيبين ، وبينه وبين الدعوة والجهاد في سبيل الله .

أرأيتم كيف يبارك الله بأوقات العلماء المخلصين ، فأولاد حسن البنا فيما كتبوه قالوا : لقد بذل جهداً في تربيتنا ، وكان يجلس معنا ويداعبنا ، وشقيق البنا قال فيما كتبه : لقد كان أستاذي وأخي ، ولم ينس فضله عليه في تربيته وإعداده ، ومما يجدر ذكره أن حسن البنا كان النجل الأكبر لأبيه الشيخ عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي

الدرس الثاني :

اتصل حسن البنا رحمه الله بعلماء عصره وسمع منهم وناقشهم ، وكان يعترف بفضلهم فيما كتبه من مذكرات .

وعندما أعلن الطاغية أتاتورك عن هدم الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ ، كان عُمر البنا ١٨ سنة وكان في أوج عطائه ، وكان علماء الإسلام في مصر وغيرها يتحدثون عن هذه المصيبة التي رزىء بها الإسلام والمسلمون ، ويتنادون لعقد مؤتمرات وندوات ــ كعادتهم ــ يطالبون فيها بعودة الخلافة ... وكان رشيد رضا في مجلته ــ المنار ــ ينادي بالجماعة والعمل الجماعي ، وأنه لاسبيل إلى مواجهة أعداء الإسلام إلا بوجود جماعة ... ومع ذلك بقيت أفكار رشيد رضا نظرية ، ولم ينجح أو بالأحرى لم يسعَ إلى تأسيس هذه الجماعة .

ومن جهة أخرى فقد رافق هدم الخلافة انتشار الفساد والنشاط الصليبي الهدام في مصر ... أشار البنا رحمه الله في مواضع مختلفة في مذكراته إلى هذه

الآفات [انظر إلى ماكتبه تحت عنوان موجة الإلحاد والإباحية في مصر ، ص ٤٩ ، وماكتبه عن التبشير ، ص ١٤٧ من مذكراته] .

فكان الشيخ حسن البنا رحمه الله كالليث الجريح لا يهدأ ولا يستقر ... كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويتصل بالعلماء ويكتب إلى المسؤولين ... انظر إلى لقائه مع الشيخ يوسف الدجوي [علم من أعلام الصوفية وخصم من كبار خصوم الدعوة السلفية] ، تحدث رحمه الله عن هذا اللقاء بأدب ولكنه أوضح مقصده ، فصور لنا أن الشيخ كان يائساً :

« وانتهى ذلك كله إلى أنه لافائدة من كل الجهود ... وأوصاني أن أعمل بقدر الاستطاعة ، وأدع النتائج لله لايكلف الله نفساً إلا وسعها » .

ويصور لنا مشهداً آخر في هذه المقابلة يوم أن قدم الشيخ محمد سعد حلويات رمضان ، وتعمد البنا أن يجلس إلى جانب الشيخ الدجوي ، وأخذ الدجوي حلوى ، وقدمها إلى البنا ليأكلها فرفض الأخير تناولها وقال : « لو كانت رغبتي بهذه النقل وأمثاله لاستطعت أن أشتري بقرش وأظل في منزلي ولا أتكلف مشقة زيارتكم » وانطلق يتحدث عن الفساد والإلحاد وواجب العلماء .

وإذا كان الشيخ الكبير ! : الدجوي يائساً فالمجدد لاييأس ولا يتراجع ... انظر إليه يقول : « لم يعجبني طبعاً هذا القول » ...

وأمام إصرار البنا أمر الدجوي برفع الحلوى دون أن يتناولوا منها شيئاً ، واتفقوا على عقد اجتماع يضم نخبة من العلماء ، وتم ذلك ، وأسفرت هذه اللقاءات عن ظهور مجلة الفتح التي كان يرأس تحريرها محب الدين الخطيب . [المذكرات / ٥١] .

كانت أجواء ومجالس أمثال هذا الشيخ لاتسمح لشاب صغير أن يخاطب الشيخ بهذا الإسلوب . قال البنا : « وكنت أتكلم في حماسة وتأثر وشدة ، من قلب محترق مكلوم ، فانبرى بعض العلماء الجالسين يرد علي في قسوة كذلك ،

ويتهمني بأنني أسأت إلى الشيخ وخاطبته بما لايليق ، وأسأت إلى العلماء والأزهر ، وأسأت بذلك إلى الإسلام القوي العزيز ، والإسلام لايضعف أبداً والله تكفل بنصره » [المذكرات / ٥٢] .

وكان رحمه الله يعلم أن هذه الجهود ستبقى ضعيفة جزئية لأسباب لاتغيب عن ذهن ألمعي مثله ، وليس هذا الذي يتطلع إليه المجددون ، إذن لابد من عمل جماعي شامل ... وعرف البنا العمل الجماعي مذ كان طالباً في الإعدادية ، فلقد كان رئيس إدارة « جمعية الأخلاق الأدبية » وكان لهذه الجمعية نظام داخلي ... ثم أسس بعد حين « جمعية منع المحرمات » وكان مع زملائه يرسلون رسائل للعصاة والمقصرين يأمرونهم فيها بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، وكان عمره آنذاك ثلاثة عشر عاماً .

وانتسب إلى الطريقة الحصافية ، وكان عمره أربعة عشر عاماً ، وبايع شيخ الطريقة وأسس مع أحمد السكري « جمعية الحصافية الخيرية » ، وكانت مهمتها نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، ومقاومة المنكرات ، ثم تخلى عن الطريقة والجمعية عندما أدرك أن حاجة المسلمين أكبر من ذلك بكثير .

وفي القاهرة – وكان عمره ستة عشر عاماً – انتسب إلى « جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية » ، وإلى « جمعية الشبان المسلمين » . قال رحمه الله : « وأذكر أنني كتبت تواً إلى عبد الحميد بك سعيد معلناً اشتراكي بالجمعية ، وواظبت على دفع الاشتراك ... » .

وكان الدافع إلى انتسابه إلى هذه الجمعيات كلها رغبته في الإصلاح ، وشعوره بأهمية العمل في جماعة ، ولعلّ هذه الجماعات كانت تتناسب مع وعيه في تلك المرحلة غير أنه يكتشف بعد قليل أن دورها جزئي محدود ، وإذن لابد من جماعة تتسم بالشمولية ، ولهذا أسس جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ ، وحدد فقرات هذا المنهاج في النقاط التالية :

١ ــ نريد أولاً الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته ، وفي خلقه وعاطفته ، وفي عمله وفي تصرفه . فهذا هو تكويننا الفردي .

٢ ــ ونريد البيت المسلم .... ونحن لهذا نعني بالمرأة ، ونعنى بالطفولة .

٣ ــ ونريد بعد ذلك الشعب المسلم في ذلك كله .

٤ ــ ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التي تقود هذا الشعب إلى المسجد ... ونحن لهذا لانعترف بأي نظام حكومي لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمد منه ، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية ، ولا بهذه الأشكال التقليدية التي أرغمنا أهل الكفر وأعداء الإسلام على الحكم بها والعمل عليها ، وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامي بكل مظاهره ، وتكوين الحكومة الإسلامية على أساس هذا النظام .

٥ ــ ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامي .

٦ ــ ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خافقة عالية على تلك البقاع التي سعدت بالإسلام حيناً من الدهر .

٧ ــ ونريد بعد ذلك ومعه أن نعلن دعوتنا على العالم ... وأن نعمم بها آفاق الأرض ، وأن نخضع لها كل جبار .

ثم يقول بأن ناساً سيقولون هذا خيال وأوهام . وذلك هو الوهن الذي قذف في قلوب هذه الأمة فمكن لأعدائها فيها ... ثم قال : وإنما نعلن في وضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهذا المنهج ولا يعمل لتحقيقه لا حظ له في الإسلام (١) فليبحث له عن فكرة أخرى يدين بها ويعمل لها .

وليس في الطريقة الحصافية في جمعية الشباب المسلمين أو في جمعية

١ ــ من يقرأ كتب البنا ورسائله يعلم أنه لم يرد بهذه العبارة تكفير أحد من الناس ، ولهذا رأينا التنبيه .

مكارم الأخلاق مثل هذه الأهداف التي رسمها البنا رحمه الله لجماعته .

الدرس الثالث :

عندما قطع البنا مراحل مهمة في بناء جماعته ، وعندما توسعت هذه الجماعة وعظم شأنها في مصر ، وكثر أتباعها ، كان لابد أن يضع لها منهجاً علمياً تتربى عليه ، ولهذا فقد طلب من الشيخ « سيد سابق » ـ وكان من كبار العاملين في هذه الجماعة ـ أن يقوم بتأليف كتاب في الفقه ، واتفق معه على سمات هذا الكتاب ، فقام سيد سابق بتأليف كتاب « فقه السنة » ، وكتب الشيخ حسن البنا تقدمته ، وأصبح مقرراً في منهج الجماعة .

وكان الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ كما عودنا ـ منصفاً عندما عدَّ تأليف وتدريس هذا الكتاب مكرمة من مكارم البنا رحمه الله ، لاسيما وقد جاء هذا الحدث في وقت كانت تهيمن الصوفية والمذهبية على أجواء العلماء والمعاهد والجماعات الإسلامية في مصر ، ووجد هذا الكتاب والحمد لله رواجاً واسعاً وطبع طبعات كثيرة ، وفي هذا دليل على أن المستقبل للسنة وليس للتقليد ، وللتعصب المذهبي المذموم .

وأراد رحمه الله تربية أتباعه على التمسك بالكتاب والسنة ، وحذرهم من البدع والجمود والخرافات ، ومن تقديس أقوال الرجال وتقديمها على الكتاب والسنة ، قال رحمه الله :

« وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ ، وكل ماجاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكنا لانعرض للأشخاص ـ فيما اختلف فيه ـ بطعن أو تجريح ، ونكلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ماقدموا » . [رسالة التعاليم] .

ولاشك أن كلاً يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ ، والبنا رحمه

الله بلباقته وحسن تعبيره ، يصور لنا بشكل آخر تجربته مع الطرق وشيوخ الصوفية ، ومن غير شك كان يحزن من شدة تقديس الأتباع والمريدين لشيوخهم ، انظر إليه وهو يحدثنا عن أتباع الشيخ الدجوي كيف ردوا عليه بقسوة لأنه خاطب الشيخ بما لا يليق ... وبإساءته للشيخ أساء للعلماء والأزهر والإسلام ... والبنا أراد من الشيخ أن ينهض لمحاربة الفساد والإلحاد في مصر فكيف أساء للإسلام ؟!.

وهؤلاء تربوا على أن شيخهم لايقول إلا الحق ، وهو ظل الله في الأرض ، وأوامره ونواهيه دين لايجوز مخالفتها أو الخروج عليها !! والبنا لايريد هذه التربية المنحرفة .

لايريد أن يكون بين أتباعه كما كان الدجوي بين أتباعه ، ولهذا علمهم وأكد في رسالة التعاليم بأنه ليس معصوماً ، ويجب أن لايقبلوا من كلامه إلا ماكان موافقاً للكتاب والسنة ، ومن خالف ذلك فقد أساء للبنا ودعوته .

الدرس الرابع :

واجهته كما واجهت غيره من المجددين صعوبات كثيرة ، وتحديات جمة ، فما تراجع ، ولا ضعف ، ولا قبل الدنية في دينه ودعوته :

ـ حاربه المستعمرون الإنجليز بوسائلهم المعروفة .

ـ وحاربه فاروق وزبانيته ، وهم الذين دبروا محاولة اغتياله .

ـ وحاربه حزب الوفد بإمكاناتهم الضخمة ، وشنوا عليه حملة إعلامية كاذبة ظالمة ، وكانت صحفهم تخرج كل يوم وفيها تشهير هابط بحسن البنا وأهدافه ونواياه ، والناس يتأثرون بالإعلام ، وكان قادة حزب الوفد مزيجاً من العلمانيين والأقباط .

ـ وحاربته بقية الأحزاب الأخرى بوسائل لاتختلف عن الوسائل التي استخدمها

حزب الوفد .

ـ وحاربه شيوخ السلطة لأن أسيادهم ـ فاروق والوفد ـ حاربوا البنا ، ولأن الناس التفوا حول البنا ، وانفضوا مِن حولهم وتناقص عدد الذين يقبلون أيديهم .

ـ وحاربه ضعاف النفوس من رفاق دربه الذين لم يجدوا عنده ماكانوا ينتظرون من أطماع ، فتخلوا عنه ، وانضموا إلى حزب الوفد ، واستخدمهم الحزب في حملته الإعلامية الفاجرة ضد حسن البنا .

وكان الرجل يتوقع مثل هذه المعوقات ، وتنبأ بها منذ بداية الطريق ، وكان قد وضع لها الحلول الناجعة ... ومن هنا نخرج بفائدتين :

الأولى :

هذه الأحزاب الجاهلية كالوفد والبعث وغيرهما ليس فيها خير ولا أمانة ، قادتهم يعلمون أن أهواءهم تتعارض مع تعاليم الإسلام وأهدافه ، فقد يصدقون في تحالفهم مع الشيوعية والصليبية والاستعمار الغربي والباطنية أما مع الإسلام فيستحيل ، والله سبحانه وتعالى حذرنا منهم بقوله : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ﴾ [هود / ١١٣] .

وقال : ﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو اخوانهم ، أو عشيرتهم ... ﴾ [المجادلة / ٢٢] .

الثانية :

يظن بعض السذج أو المهزومين أنه من الممكن أن تقوم دعوة لها أهداف نبيلة ، وأن تتسع هذه الدعوة وتحقق أهدافها دون أن تواجهها تحديات وافتراءات وأباطيل ، أو قد يتحدثون عن الصعوبات لكن حديثهم يبقى نظرياً فإذا أصبحت

التحديات حقيقة ضعفوا وارتبكوا واضطربوا ، وفي حالة الاضطراب والضعف ينحون باللائمة على أفراد منهم لأنهم سبب هذا البلاء ... ليت هؤلاء يدرسون في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ سنن الله في ابتلاء الدعاة والجماعات الإسلامية ... ليتهم يطيلون التأمل في قراءة وتدبر معاني قوله تعالى :

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ [البقرة / ٢١٤] .

وقوله :

﴿ ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [العنكبوت / ١ — ٣] .

لقد اشترى الإنكليز وفاروق والأحزاب ذمم بعض كبار الأدباء والمفكرين ، وكتب أحدهم ذات مرة يقول بأن حسن البنا من أصول يهودية ، ودليله على ذلك أنه يعمل في تصليح الساعات وهذه الصناعة يحتكرها اليهود ... ولسنا في صدد الرد على أقوال هذا المفتري ، ولكن نشير إلى أن مثل هذا القول اتهم به الرافضة ومن يدور في فلكهم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ومن قبل اتهم المشركون والمنافقون واليهود رسول الله وأهل بيته وأصحابه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بمختلف الاتهامات الشنيعة الباطلة .

وقصارى القول مضى خصوم البنا ... مضى فاروق وإذا ذُكِرَ تذكر انحرافاته وفساده ، وسوء حاشيته ... ومضى الإنكليز وأعوان الإنكليز غير مأسوف عليهم ... ومضى قادة الأحزاب الجاهلية وأوزارهم ، وبقي ذكر حسن البنا الطيب العطر ليس في مصر وحدها بل في العالم كله ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ [الرعد / ١٧] □ .

يتبع



لا تقولــوا الباطــل

أخذ الله العهد على العلماء ومن يتصدى للدعوة أن لا يكتموا العلم ، ويبينوه للناس ، ولا يخشوا أحداً إلا الله ، وقد كان شرار أهل الكتاب علماؤهم ورهبانهم بما يكتمون من البينات وبما يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً ، وفضل الله هذه الأمة فجعل علماءها خيارها ، فأعطوا الكلمة حقها ورعوها حق رعايتها ، والأمثلة في تاريخنا كثيرة ، جاء في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن أبا جعفر الأنباري قال له عندما امتحن ليقول بأقوال المعتزلة الباطلة : « ياهذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك ، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن خلق ، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت ، ولابد من الموت ، فاتق الله ولاتجب فجعل أحمد يبكي ويقول : ماشاء الله » [سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٣٩] .

وجاء أيضاً : قال المروذي : ياأستاذ إن الله قال ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ قال : يامروذي اخرج فانظر ، فخرجت إلى رحبة دار الخلافة فرأيت خلقاً لا يحصيهم إلا الله والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر ، فقال لهم المروذي : ماذا تعملون ؟ قالوا : ننظر مايقول أحمد فنكتبه ، فدخل فأخبره ، فقال : يامروذي

أضلَّ هؤلاء كلهم ؛ !

أراد هذا الإمام المبجل أن يضحي بنفسه ولا يفسد عقائد الناس لأنه مُتّبع ومقتدى به ، وبعض من يقتدى بهم اليوم من الدعاة وفي غمرة فقدان الوعي الشامل والاجتهاد الدعوي الصائب يقعون في ما استطاع الإمام أحمد أن يبتعد عنه ، سواء بتزكية من لا يستحق التزكية ، أو بتبرير لأوضاع غير سليمة ، فيتبعهم الناس ويؤملون الخير ويستبشرون ، ولكن آمالهم تخيب بعدئذ .

وإذا كنا نحن المسلمين مأمورين بقول الحق في تقويم الناس ، وأن نعدل حتى في لحظات الغضب والشنآن ؛ فهذا في معرض التقويم الشامل فنقول عن الشجاع شجاع ولو كان كافراً أو فاسقاً ، ونقول عن فلان أنه خدم بلاده وأفادها من ناحية دنيوية في معرض الاعتراف بالواقع ، وهذا كله عندما تكون الصورة واضحة في أذهان الناس ولا نلبّس عليهم أمور دينهم .

ونحن نعلم أنه لا أحد يكره أمثال هؤلاء الدعاة على أقوال تحسب على الإسلام والمسلمين وهي ليست بذاك ، وقد يظنون أن هذا فيه مصلحة للدين ولكن الحقيقة أن مفسدتها أكثر من مصلحتها .

ولذلك نقول لهؤلاء مخلصين مشفقين : إذا كنتم لا تستطيعون قول الحق فلا تقولوا الباطل ، وذاك أضعف الإيمان □



هجـر المبتدع

الشيخ بكر ابو زيد

تكلم المؤلف في الحلقة السابقة عن مقاصد الإسلام في الهجر ، وعن أهمية ذلك الهجر لردع المبتدع وإشعاره بانحرافه وابتعاده عن الطريق السوي ، ثم تكلم عن أنواع الهجر فقسمها إلى ثلاثة أنواع ، تكلم في الحلقة السابقة عن النوع الأول وهو هجر الترك ، وفي هذه الحلقة يكمل أنواع الهجر .

الثاني : الهجر لاستصلاح أمر دنيوي ، أي (الهجر لحق العبد) : وفيه جاءت أحاديث الهجر بما دون ثلاث ليال ، رواها جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، بأسانيد في الصحيحين وغيرها (١) ، وجميعها تفيد أن الشرع لم يرخص بهذا النوع من الهجر بين المسلمين إلا بما دون ثلاث ليال ، كما لم يرخص في إحداد غير الزوجة أكثر من ثلاث .

ومن الهجر هنا : هجر الوالد لولده ، والزوج لزوجته ، وقد هجر النبي ﷺ نساءه شهراً .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال » .

وبعد أن بين الخطابي رحمه الله تعالى : أن ماوراء الثلاث على المنع قال : (فأما هجران الوالد ولده والزوج لزوجه ، ومن كان في معناهما فلا يضيق أكثر من ثلاث ، وقد هجر رسول الله ﷺ نساءه شهراً) ا . هـ (٢) .

١ ـ الترغيب والترهيب ٣ / ٤٥٤ ـ ٤٦٢ .

٢ ـ معالم السنن ٤ / ١١٢ .

وهذا النوع من الهجر من مباحث الرقاق والآداب .

النوع الثالث : الهجر قضاء ، وهو من العقوبات التعزيرية للمعتدين ، وهذا يبحثه الفقهاء في باب التعزير (١) .

المبحث الثالث :

شروط الهجر :

الهجر الشرعي للفجار من المبتدعين ، والفساق (عبادة) ، والعبادة لابد من توفر ركنيها :

١ ــ الإخلاص ، وهو ميزان الأعمال في باطنها .

٢ ــ والمتابعة ، وهو ميزان الأعمال في ظاهرها .

فلابد أن يكون الهجر : خالصاً صواباً ، فالهجر لهوى النفس : ينقض الإخلاص ، والهجر على خلاف الأمر : ينقض المتابعة . والله أعلم .

المبحث الرابع :

صفات الهجر : (٢) .

الأصل في الهجر هو : الإعراض بالكلية عن المبتدع والبراءة منه .

ومن مفرداته :

عدم مجالسته .

الابتعاد عن مجاورته .

ترك توقيره .

ترك مكالمته .

ترك السلام عليه .

ترك التسمية له .

عدم بسط الوجه له مع عدم هجر السلام والكلام .

عدم سماع كلامهم وقراءتهم .

عدم مشاورتهم .

وهكذا من الصفات التي يتأدى بها الزجر بالهجر ، وتحصل مقاصد الشرع .

المبحث الخامس :

منزلة الهجر من الاعتقاد :

يؤصل علماء الإسلام (هجر المبتدع ديانة) تحت القاعدة العقدية

---

١ ــ وانظر : كتاب التعزير ، لعبد العزيز عامر ، ص (٢٣٧) ، ومابعدها .

٢ ــ انظر : فتح الباري ٨ / ١٢٣ ــ ١٢٤ ، ١٠ / ٤٩٧ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١ / ١١٤ ــ ١٥٠ ، ومبحث الآثار من هذه الرسالة .

الكبرى (قاعدة الولاء والبراء) (١) .

ومفهوم هذه القاعدة الشريفة لدى أهل السنة والجماعة هو : الحب والبغض في الله ، فهم يوالون أولياء الرحمن ، ويعادون أولياء الشيطان ، وكل بحسب مافيه من الخير والشر .

وفي حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » ، متفق عليه (٢) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان » ، رواه أبو داود والضياء (٣) .

قال يحيى بن معاذ : (حقيقة الحب في الله أن لايزيد بالبر ، ولا ينقص بالجفاء) (٤) .

وهذه القاعدة من مسلمات الاعتقاد في الاسلام ، لكثرة النصوص عليها من الكتاب والسنة والأثر (٥) .

ومن أولى مقتضياتها ــ التي يثاب فاعلها ويعاقب تاركها ــ البراءة من أهل البدع والأهواء ، ومعاداتهم ، وزجرهم بالهجر ونحوه ، على التأبيد حتى يفيئوا ، وهذا موفور في عامة كتب اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦) .

---

١ ــ **تنبيه مهم** : هذه القاعة مشتركة لفظاً بين أهل السنة والجماعة وحقيقتها لديهم كما علمت ، وبين الخوارج (لا ولاء إلا ببراء) أي لا موالاة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلا بالبراءة من أميري المؤمنين عثمان وعلي رضي الله عنهما . وبين الشيعة (لا ولاء إلا ببراء) إي لا ولاء لعلي وآل البيت إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة رضي الله عنهم . ومعتقد أهل السنة والجماعة موالاة جميع الصحابة رضي الله عنهم بتزكية الله لهم .

تنبيه آخر : ولدى أهل السنة والجماعة كذلك (بدعية الولاء والبراء) من وجه : بمعنى أن يتبرأ من قوم هم على دين الإسلام والسنة ، ويتولى من ليسوا كذلك ، كما ذكره ابن بطة رحمه الله تعالى في : الشرح والإبانة ، ص (٣٤١) رقم / ٤٧٢ .

٢ ــ فتح الباري ١ / ٦٠ ــ ٦٢ .

٣ ــ السلسلة الصحيحة / ٣٨٠ .

٤ ــ فتح الباري ١ / ٦٢ .

٥ ــ الدرر السنية ٤ / ٢٠٨ ــ ٢١٦ ، تحفة الإخوان / ٤ ــ ٣١ .

٦ ــ كما في : العقيدة للصابوني م سنة ٤٤٩ هـ رحمه الله تعالى / ١٠٠ ــ ١٠٢ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١ / ١١٤ ــ ١٥٠ ، وفي كتاب السنة للخلال : باب مجانبة من قال القرآن مخلوق كما في الفتاوى ٢٨ / ٢١٠ ــ ٢١٣ ، والاعتقاد للبيهقي : باب النهي عن مجالسة أهل البدع ومكالمتهم / ١٤٥ ، والشرح والإبانة لابن بطة / ١٥٤ ، ٢٧٥ ــ ٢٧٦ ، ٢٨٢ .

وأكتفي بما أصله الإمام أبو إسماعيل الصابوني م سنة ٤٤٩ هـ رحمه الله تعالى إذ قال :

(ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ماليس منه ، ولايحبونهم ولا يصحبونهم ، ولا يسمعون كلامهم ، ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ، ولا يناظرونهم ، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مَرَّت بالآذان قَرّت بالآذان وقرّت بالقلوب ضرّت وجرّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ماجَرَّت ، وفيه أنزل الله عز وجل قوله ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾) .

ثم ذكر علامات أهل البدع ، وعلامات أهل السنة ، ثم قال : (واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم ، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرب إلى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم ...) ا هـ (١) .

والعقوبة بالهجر للمبتدع إحدى العقوبات التشرعيه التي ينزلها أهل السنة بالمبتدعة ، حسب البدع والأهواء التي يتلبسون بها ، ومنها ماتقدمت الإشارة إليه . والله أعلم .

المبحث السادس :

الأدلة من الكتاب والسنة على هجر المبتدع ديانة :

هذا التأصيل العَقَدي : الزجر بالهجر للمبتدع ديانة ، مستمد من دلائل : الكتاب ، والسنة ، والإجماع وإلى بيان بعض منها :

أولاً ـــ الكتاب العزيز :

ففيه آيات كثيرة في التأكيد على (الموالاة في الله ، والمعاداة فيه ، في سور : البقرة ، وآل عمران ، والأنعام ، والنساء ، والمجادلة ، وغيرها (٢) .

ونقتصر هنا على ذكر أربع آيات من سور : الأنعام ، والنساء ، وهود ، والمجادلة ، والتي نص العلماء في تفسيرها على عقوبة المبتدع بالهجر ودلالتها عليه ، وذلك باعتبار عموم اللفظ في كل آية ، وهذا هو المعتبر

١ ـــ رسالته في العقيدة / ١٠٠ ، ١١٢ .
٢ ـــ انظر في جمع هذه الآيات مع وجوه الاستدلال بها في : الدرر السنية ٤ / ٥٧ ـــ ٦٨ ذكر عشرين آية ، وتحفة الإخوان / ٤ ـــ ١٥ ذكر ست عشرة آية .

دون خصوص السبب ، ففي عموم كل آية منها دليل على الهجر والإعراض والاجتناب ، والمجالسة ، لكل مبتدع محدث في الدين حتى يفيء ، وعلى هذا تدل كلمة من تراه من المفسرين وغيرهم .

وهذه من أجل الفوائد في تفسير النصوص من آية أو حديث ، إذ يشمل تفسيرها الأمرين :

الأول : ماهي نص فيه .
الثاني : مايؤخذ منه حكم له وإن لم يكن نصاً فيه باعتبار العموم والاستنباط من كتاب الله تعالى وأسرار تنزيله ، وكما في حديث الصحيفة المشهور : « أو فهماً يؤتيه الله رجلاً في كتابه » .

وهذه قاعدة شريفة فلا يفوتنك الوقوف عليها ، وبخاصة لدى الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى ، وعنه بل بأبسط في كتاب (حد الإسلام وحقيقة الإيمان) (١) .

وإلى بيانها .

١ ــ ومنهاقول الله تعالى في سورة الأنعام / ٦٨ (٢) :

﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ .

وفي هذه الآية دلالة على تحريم مجالسة أهل البدع والأهواء وأهل الكبائر والمعاصي .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : (في هذه الآية رد من كتاب الله عز وجل على من زعم أن الأئمة الذين هم حجج ، وأتباعهم لهم أن يخالطوا الفاسقين ، ويصوبوا آرائهم تقية ، وذكر الطبري عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه أنه قال : لا تجالسوا أهلُ الخصومات ،

---

١ ــ الاعتصام ١ / ٦٢ ــ ٦٧ ، ١٠٢ ــ ١٠٣ ، ٢ / ٢٥٨ .
وكتاب حد الإسلام للشيخ عبد المجيد الشاذلي / ٣٨٨ ــ ٣٨٩ . وتفسير ابن كثير لقوله تعالى : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ﴾ الآية / ١٠٣ ــ ١٠٤ ، وفي الفوز الكبير للدهلوي / ٢٦ قال : (وبالجملة إذا قرأت القرآن فلا تحسب أن المخاصمة كانت مع قوم انقرضوا بل الواقع أنه مامن بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم بطريق الأنموذج بحكم الحديث : لتتبعن سنن من قبلكم) ا هـ .
٢ ــ انظر : تفسير القرطبي ٧ / ١٢ ــ ١٣ . فتح القدير للشوكاني ٢ / ١٢٢ .

فإنهم الذين يخوضون في آيات الله . قال ابن العربي : وهذا دليل على أن مجالسة أهل الكبائر لا تحل . قال ابن خويز منداد : من خاض في آيات الله تركت مجالسته وهجر مؤمناً كان أو كافراً ، قال : وكذلك منع أصحابنا الدخول إلى أرض العدو ، وكنائسهم ؛ والبيع ومجالسة الكفار وأهل البدع ، وألا تعتقد مودتهم ، ولا يسمع كلامهم ولا مناظرتهم ، ثم ذكر بعض الآثار عن السلف في هجر المبتدعة) ا هـ (١) (٢) .

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى : (وفي هذه الآية موعظة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ، ويتلاعبون بكتاب وسنة رسوله ، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة ، فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ماهم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم ، وذلك يسير عليه غير عسير ، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه عما يتلبسون به شبهه يشبهون بها على العامة ، فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر .

وقد شاهدنا من هذه المجالسة الملعونة ما لايأتي عليه الحصر ، وقمنا في نصرة الحق ودفع الباطل بما قدرنا عليه ، وبلغت إليه طاقتنا ، ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها : علم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف مافي مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات ، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة ، فإنه ربما ينفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ماهو من البطلان بأوضح ، مكان فينقدح في قلبه مايصعب علاجه ويعسر دفعه ، فيعمل بذلك مدة عمره ، ويلقى الله به معتقداً أنه من الحق ، وهو من أبطل الباطل وأنكر المنكر) ا هـ(٣) □

— يتبع —

---

١ ـــ تفسير القرطبي ٧ / ١٢ ـــ ١٣ .
٢ ـــ ستأتي في توظيف الصحابة لهذه السنة .
٣ ـــ فتح القدير ٢ / ١٢٢ .

قراءة في فكر مالك بن نبي

ـ ٣ ـ

محمد العبدة

يرى مالك بن نبي أن من عوائق النهضة الحديثة الأمراض الاجتماعية والفكرية التي أصابت المسلمين نتيجة عهود الضعف والانحطاط ، وقد ذكرنا في نهاية المقال السابق أمثلة على ذلك ، ونتابع في هذا العدد بإذن الله آراء هذا المفكر في تشخيص الداء .

طغيان عالم الأشخاص :

عندما يتعلق الناس بالأشخاص أكثر من تعلقهم بالمبدأ أو الفكرة فإنهم يرون أن إنقاذهم من الحالة التي هم عليها بـ (البطل القادم) الذي ينتظرونه دون أن يقوموا بجهد يذكر . فالخلاص لايتم بتجمع أناس على مبدأ يدافعون عنه ، ويتفانون فيه ، ويتقنون فن التعاون ؛ بل بالرجل الذي يجمعهم ويوحدهم ، وقد يطول انتظارهم وهم يمنون أنفسهم بالأماني ، وهكذا نسمع الخطباء لايفتأون يذكرون (أين صلاح الدين) أو (قم ياصلاح الدين) ، فهم يريدون (صلاحاً) آخر ينقذهم ، ولاشك إن (إجلال رجل القدر) مثل إجلال (الشيء الوحيد) مرض منتشر في أرجاء العالم الإسلامي ، وهو أحياناً السبب في إفلاس فادح

لسياسات عديدة (١) .

وقد لايكون هناك رجل القدر ولكن (رجل النحس) الذي نلقي عليه كل ضعفنا وفشلنا ، وبدلاً من أن نتدبر الأحداث ، ونبحث بطريقة أعمق عن الأسباب الحقيقية لفشلنا يمكن بكل سهولة أن نلصق التهمة بـ (رجل النحس) . فعندما وقع انفصال سورية عن مصر عام ١٩٦١ م قالوا : إن السبب هو رجل النحس (حيدر الكزبري) ولكن من الواضح أن الانقلاب كان لابد واقعاً في وجود الكزبري أو في غيابه ، فجميع عوامل التشجيع على هذا الانفصال كانت متوفرة ، سواء من الأخطاء التي وقعت أو من عدم توفر فكرة مضادة للانفصال (٢) .

وقد تتجسد الأفكار بأشخاص ليسوا أهلاً لحملها فتحسب كل أخطائهم وانحرافاتهم على المجتمع الإسلامي أو على الإسلام ، وقد تتجسد بأشخاص يحملونها ولكن إذا ماتوا انتهت هذه الأفكار بموتهم ، أو فتر حماس الأتباع ، لقد مارس العالم الإسلامي دور البطولة في كفاحه ضد الاستعمار عندما بزغ في سمائه أبطال مثل عبد الكريم الخطابي ، وعمر المختار ، وعز الدين القسام ... ولكن مشكلة المسلمين الأساسية لم تحل « لأن من طبيعة هذا الدور أنه لايلتفت إلى حل المشاكل التي مهدت للاستعمار وتغلغله داخل البلاد » (٣) ولايعني هذا إنكار دور هؤلاء الأبطال ، أو التقليل من شأنهم ، ولكنها العودة إلى الأصل وهو إنشاء تيار إسلامي قوي يتعلق بالمبدأ ويقوم بالجهد الجماعي . ولذلك جاءت الآية القرآنية حاسمة في هذا الموضوع ، إن الواجب على المسلمين قيادة الدعوة وحمل الرسالة بعد وفاة الرسول ﷺ : ﴿ ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ [آل عمران / ١٤٤] .

يركز مالك بن نبي في أكثر كتبه على هذا المرض ، ويطالب المسلمين ، والشباب بشكل خاص ، بأن يتحول للارتباط بالمنهج لا بشخص معين ، لأن هذا الشخص مثل الرأس الذي يقود عربات القطار ، فإذا انحرف انحرف القطار

---

١ ــ مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار / ١٠٤ .
٢ ــ المصدر السابق / ١٠٤ .
٣ ــ شروط النهضة / ٢٣ .

كله ، وهذا الذي يثيره الأستاذ مالك صحيح بشكل عام ولكنه بالغ في تهميش دور الأشخاص مع أنهم هم الذين يحملون الفكرة ويجسدونها عملياً حتى يقتنع الناس بها ، وكلامه فيه شيء من التجريد والمثالية ، وهذا الإسلام ، وهو حق صريح ، إذا لم يحمله أشخاص يتمثلونه وينشرونه بين الناس فلا ينتشر إلا قليلاً .

طغيان الأفكار :

إذا كان هناك طغيان في عالم الأشياء وعالم الأشخاص ، فقد يصل الأمر إلى طغيان في عالم الأفكار ، فعندما يكون المجتمع في حالة مضطربة ، فلا هو بداية دخول الحضارة ، ولا هو خارج تماماً عن الحضارة ، في هذه الحالة قد يفقد المتعلم تكيفه مع الوسط الاجتماعي ، أو لايستطيع أن يقوم بعمل مثمر يرضي ضميره ، عندئذ يلجأ إلى البحث في الأفكار المجردة النظرية التي لاتأخذ طريقها إلى التطبيق ، وبدل أن يتكلم عن معاناة الناس ومشاكلهم والتخطيط لمجتمع أفضل فهو يتكلم عن الماضي الذي ليس له صلة بالحاضر ، أو يفتعل معارك وهمية ليكون هو أحد أبطالها ، وتدفع المطابع كل يوم عشرات الكتب التي لاتمس الواقع المُعاش بل هي هروب مفتعل من الواقع ، وقد تطغى الأمور النظرية على مدرس في الجامعة فيتحدث عن تركيب الأدوية وعن النباتات ويجهد نفسه في وصف بعض النباتات بدلاً من أن يمد يده من النافذة ويقطف واحدة منها ليقدمها إلى الطلبة حية نابضة ، ولكنه مع الأسف يبحث عنها في الكتاب ، فهو كل شيء بالنسبة له (١) .

وقد يبلغ الخلل في عالم الأفكار ، إلى درجة أن يعرقل المبادرات والجهود ، وهو مايسميه مالك بن نبي (الأفكار الميتة) (فالبديهيات في التاريخ ، كثيراً ما قامت بدور سلبي كعوامل تعطيل مثل بديهية : الأرض مسطحة ، فإنها حالت دون اكتشاف أمريكا قروناً طويلة) (٢) ، والبوصلة التي

---

١ ــ مشكلة الأفكار / ١٠٦ .
٢ ــ تأملات / ١٨٩ .

ساعدت كولومبس على اكتشاف أمريكا هي من اختراع المسلمين ! ، وقد كان من حكم الطب القديم أن الحرارة مثلاً دواؤها الرطوبة ولابأس بهذه الحكمة مالم تكن قيداً يقيد الفكر فلو استسلم الطب لحكمة كهذه مع صلاحيتها في بعض الظروف لما وجد (باستور) طريقاً لاكتشاف العلاج النافع لداء (الكَلَب) مثلاً (١) .

ولا شك أن هناك كثيراً من الأفكار خذلت أصحابها لأنها لاتحمل أصولاً صحيحة ، فكم أهدر من الوقت في جدل ومناقشات ، وكم سودت من صفحات مبنية على أحاديث موضوعة أو ضعيفة ، وكم عاش المسلمون متأثرين بأفكار الصوفية التي تدعو إلى البطالة والزهد غير المشروع حيث كان مثلهم الأعلى (المجاذيب) .

الحق والواجب :

يميل الفرد بطبيعته إلى نيل حقه ، وقد ينفر من القيام بواجبه ، والأمة التي تصاب بمرض (السهولة) وعاشت قروناً من التخلف ، فإن من أهون الأشياء عليها التي لاتكلفها كثيراً هو المطالبة بالحقوق ، ونسيان الواجبات ، فهي تشبه الكائن (الأميبي) المتبطل ، حتى إذا رأى فريسة هينة أبرز إليها مايشبه اليد ليقنصها ، ثم يهضمها في هدوء ، وبقي هذا الكائن يأكل من حاجاته المتواضعة حتى إذا جاء الاستعمار لم يدع له شيئاً فتحرك ضميره (أي معدته) فمد يده إلى فريسة وهمية أطلق عليها لفظة (الحق) (٢) .

وكان هذا منشأ سياسة الدجل التي مارسها من يتقن هذه الأدوار ، وللمطالبة بالحقوق إغراء شديد فهي كالعسل يجذب الذباب ويجتذب الانتفاعيين ، بينما كلمة الواجب لاتجتذب غير (النافعين) (٣) ، وعندما يستغلها

١ ــ المصدر السابق / ١٩١ .
٢ ــ وجهة العالم الإسلامي / ١٣١ .
٣ ــ بين الرشاد والتيه / ٢٩ .

الزعماء المهرجون لتجميع الغوغاء من الشعب ويلعبون بمفتاح (الحقوق) فسيكون من الصعب أن يستخدموا مفتاح الواجبات وتتحول الأمة إلى استجداء حقوقها من الأمم المتحدة ومجلس الأمن والرأي العام العالمي ولكن مامن مجيب ، لأن هذه الأصنام مانصبت إلا لتخدير الشعوب وتعليمها لغة الاستجداء .

وعلى الصعيد السياسي فإن كلمة الواجب توحد وتؤلف بينما كلمة الحق تفرق وتمزق ، وهكذا ماخرجت دولة من دول العالم الثالث من ربقة الاستعمار إلا وتناحرت أحزابها على المطالبة بحق اقتسام الغنيمة ، بدلاً من أن يتكلموا عن الواجبات ، وهذا ماحصل في الجزائر ، واليمن الجنوبي ، ونيجريا ، والكونغو ... (١) .

ومن الأمثلة التي ترويها ذاكرة الأستاذ مالك بن نبي حول هذا الموضوع :
« شاهدت خلال بعض المواقف السياسية في الجزائر جيلاً من السياسيين يقفون من قضية مهمة بالنسبة للشعب الجزائري وهي قضية الأمية ، يقفون منها موقفاً جديراً بالملاحظة ، فقد كتب هؤلاء السياسيون المقالات الطويلة لشرح هذا المرض الاجتماعي الخطير ، موضحين نتائجه المنكرة في حياة الفرد ، وهم في هذا كله يهاجمون الاستعمار في خطب ملتهبة بالحماس متقدة بالوطنية ، وهكذا يستمرون في خطبهم ومقالاتهم حتى تتقطع أنفاسهم عن الكلام ، وتمر الأعوام تلو الأعوام والمشكلة لاتجد في مجهوداتهم حلها ، ذلك أنهم لم يدخلوا إلى المشكلة من طريق حلها ، لقد أصدرت الحكومة الفرنسية عام ١٩٤٠ قوانين استثنائية قاسية حول تنظيم التعليم في مختلف مراحله بالنسبة للطائفة اليهودية (مسايرة لألمانية الهتلرية) وشعرت الطائفة بأن أطفالها قد أصبحوا مهددين بالأمية غير أنها لم تكتب مقالة واحدة تستنكر هذا الإجراء ، ولم يُلق واحد منها محاضرة عن هذا الأمر ، وإنما اجتمعت النخبة فيها ودرست المشكلة لكي تحدد موقفها منها ، وحددت موقفها بأن يتطوع كل ذي علم بقدر ماعنده من العلم ، وهكذا أصبح كل بيت من بيوت المتعلمين مدرسة في ساعات معينة ، ولا نستطيع أن نبرر هذا بتفوق اليهود المادي أو العلمي لأننا لا نستطيع أن نفترض أن الدكتور أو الصيدلي أو المحامي اليهودي أغزر علماً من زميله الجزائري ، فالاختلاف هو في الموقف الاجتماعي إزاء مشكلة معينة » (٢) .

١ ــ بين الرشاد والتيه / ٢٩ .
٢ ــ تأملات / ١٤٠ .

مثال آخر يتذكره ابن نبي وهو يحلل هذه المشكلة : « وبدلاً من أن تكون البلاد (الجزائر) ورشة للعمل المثمر والقيام بالواجبات فإنها أصبحت منذ سنة ١٩٣٦ سوقاً للانتخابات ، وصارت كل منضدة في المقاهي منبراً تلقى منه الخطب الانتخابية ، وهكذا تحول الشعب إلى جماعة من المستمعين يصفقون لكل خطيب ، أو قطيع انتخابي يقاد إلى صناديق الاقتراع .. وفي هذا اختلاس أي اختلاس للعقول التي أشرفت على قطف ثمار نهضتها » [1] .

وهذا المرض لايزال مسيطراً على العقول ، فكثيراً مانسمع في قرية من القرى أو حي من الأحياء المطالبة بحقهم في فتح طريق أو تنظيف شارع أو فتح مدرسة ، وكان بوسعهم أن يتعاونوا لإنجاز مثل هذا العمل . وكان الرسول ﷺ يعلم الناس القيام بالواجب عندما أعطى الذي جاء يطلب صدقة حبلاً وفأساً وأمره أن يحتطب ولا يتكفف أيدي الناس [2]

العقلية الذرّية :

يقصد بهذا المصطلح أن بعض الناس « ينظر إلى الأحداث والوقائع مجزأة منفصلة مفردة ، كل منها في مجموعها لاتكون حلقة من التاريخ وإنما كوماً من الأحداث » [3] .

وهذه العقلية موجودة في أوساط المسلمين بسبب بعدهم عن (الفعل الحضاري) وبسبب التكوين الاجتماعي الذي ورثناه ، ومن مظاهرها « أن جهودنا في كل مجال لا تتسم بالجهد المتواصل ولكن بالمحاولات المتتابعة ، فما أن يبدأ نشاط ما حتى يذهب فجأة كأنه وثبة برغوث أو كأنه مركب على صورة الخط المنقط الذي يمر من نقطة إلى أخرى دون أن يصور شيئاً ، ولنعتبر على سبيل المثال كم منذ نهاية الحرب ظهرت مجلة في بلادنا ثم اختفت بنفس السرعة » [4] .

---

١ ــ شروط النهضة / ٤٨ .
٢ ــ معنى لحديث متفق عليه .
٣ ــ الصراع الفكري / ٥٣ .
٤ ــ في مهب المعركة / ١٥٤ ، ١٩٤٦ .

ومن مظاهر هذه العقلية « العجز عن أن نعقد صلات بين الأفكار وعن أن نعطي لمناقشة مشكلة ما حركة متصلة مطردة لايحجل فيها الفكر من نقطة إلى نقطة ، بل يطرد دائماً من مقدمة إلى نتيجة » (١) « وإذا كان من الممكن تجزئة المشكلة لتجزئة حلولها (فكل الطرق تؤدي إلى روما) ولكن الطريق عبر المنهج هو أطول الطرق بلا شك ، إن طريق الحضارة لايمكن خطه بإقامة مدرسة هنا ومصنع هناك وسدٍّ هنالك ، أو بوضع سلة معدنية في جانب هذا الشارع حيث لاأحد يفكر في إلقاء المهملات » (٢) .

ولو أننا تعودنا الربط والتعميم وتتبع الجزئيات من الكليات لما استغربنا تشابه المشكلات الخارجية التي يواجهها العالم الإسلامي ، فالعالم الذي نواجهه (الاستعمار) لاتأتي فيه الأشياء عفواً وإنما كنتائج لخطط محكمة ، فعندما تفشل بعثة علمية في بلاد الغرب أو أحد أفراد هذه البعثة تفاجأ : كيف حصل هذا ؟ (٣) ولو تتبعنا بعض الظواهر المحيرة في العالم الإسلامي لوجدنا أن المحرك لها واحد ، ولكن عقلية تجزيء الأشياء تجعلنا لانشعر بالقاسم المشترك فيما بينها .

إن هذا النزوع نحو تجزئة مشكلة الحياة إلى ذرة ذرة ، وهذا العجز عن التعميم ليس من خواص الفكر المسلم كما يحاول أن يؤكده المستشرق الانكليزي (جب) « بل هو طراز للعقل الإنساني بعامة عندما يقصر عن بلوغ درجة معينة من النضج ، وإن التراث الثقافي الخطير الذي خلفته الحضارة الإسلامية يظل شاهداً على ماكان يتصف به الفكر الإسلامي في عصوره الذهبية بالإحساس (بالقانون) وهو يستلزم القدرة على التركيب ، وأصول الفقه الإسلامي أكبر دليل على ذلك » (٤) .

التعالم والحرفية في الثقافة :

عانت مجتمعاتنا في عصور الضعف مشكلة (الأمية) والجهل ولكنها

---

١ ــ فكرة الأفرو آسيوية / ٧٩ .
٢ ــ المصدر السابق / ٨٠ .
٣ ــ الصراع الفكري / ٣٤ .
٤ ــ وجهة العالم الإسلامي / ١٥ .

عندما حاولت النهوض أصيبت بمرض مستعص وهو (التعالم) أو الحرفية في التعلم وحمل اللافتات العلمية » وإذا كنا ندرك بسهولة كيف نداوي المريض الأول ، فإن مداواتنا للمريض الثاني لاسبيل إليها لأن عقل هذا المريض لم يقتن العلم ليصيّره ضميراً فعّالاً ، بل ليجعله آلة للعيش ، وسلماً يصعد به إلى (الوظيفة) ، وهكذا يصبح العلم عملة زائفة غير قابلة للصرف ، وإن هذا النوع من الجهل لأدهى وأمر من الجهل المطلق ، فالجاهل هنا لايقوّم الأشياء بمعانيها ، ولا يفهم الكلمات بمراميها ، وإنما بحسب حروفها ، وكلمة (لا) تساوي عنده (نعم) لو احتمل أن حروف الكلمتين متساوية .

وكلام هذا المتعالم ليس (كتهتهة) الصبي فيها براءة وإنما (تهتهة) يتمثل فيها شيخوخة وداء عضال ، فهو الصبي المزمن » (١) .

لقد تحولت اللافتات العلمية زينة تتصدر المجالس ، وألقاباً للتفاخر ذلك أن نزعة المديح والألقاب قد أسرتنا منذ عهود الانحطاط ، فألقاب مؤلف أي كتاب لابد أن تملأ نصف الصفحة الأولى على الأقل ، فهو العالم العلامة والحبر الفهامة ...

ونظرة إلى الصحف الآن التي تعيش على المدح تكفي لنعلم كم نعيش تحت أسر الكلمات الطنانة التي ليس لها معنى ، وإنما هو الغرام الأحمق بمجرد الكلام ، « وفي هذا ضرر كبير على كيان الأمة لأنها تفقد حاسة تقدير الأمور على وجهها الصحيح » (٢) ، ويصبح المثل الأعلى من هو أقدر على الكلام ولو لم يكن له أي دور اجتماعي « وقضية الجهل لاتعالج بمجرد وضع البرامج التعليمية ، بل يجب أن يكون أولاً عملية تصفية تنسيق ... وبكلمة واحدة أن يكون التعليم بناء الشخصية الجديدة » (٣) .

هذه نماذج لبعض الأمراض التي تعوق النهضة كما يراها مالك بن نبي ،

---

١ ــ شروط النهضة / ١٢٧ .
٢ ــ وجهة العالم الإسلامي / ٥٢ .
٣ ــ تأملات / ١٩١ .

ولم نتعمد الاستقصاء ، وقد يقال هنا : كيف لايذكر أصل الداء وهو بعد الناس عن فهم العقيدة الإسلامية الصافية ، عن فهم التوحيد كما جاءت به الرسل عليهم السلام ، وللجواب على هذا نقول :

١ ــ إن مالك بن نبي كمفكر يهتم بشؤون النهضة والإصلاح ويشخص الأمراض الاجتماعية التي أصابت العالم الإسلامي والتي تعيقه عن النهوض ، فقد يكون المسلم صاحب فهم سليم ولكن فيه هذه الأمراض ، فهو يعالج هنا كالطبيب المتخصص .

٢ ــ كان مالك بفطرته يعلم أن الرجوع إلى منهج خير القرون هو الصواب ، ولذلك انتقد منهج المدرسة الإصلاحية في إحيائها (لعلم الكلام) يقول منتقداً الشيخ محمد عبده الذي « ظن كما ظن فيما بعد الدكتور محمد إقبال أن من الضروري إصلاح علم الكلام بوضع فلسفة جديدة حتى يمكن تغيير النفس ، بيد أن كلمة (علم الكلام) ستصبح قدراً مسلطاً على حركة الإصلاح الذي حاد بها جزئياً عن الطريق » [١] .

« وعلم الكلام يمجد الجدال ويشوه المشكلة الإسلامية ، ويفسد طبيعتها ، حيث يغير المبدأ السلفي في عقول المصلحين أنفسهم » [٢] .

٣ ــ إن مالك كغيره من المفكرين وكثير من المسلمين يظنون أن العقيدة هي الإيمان بالله ولا يفرقون بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، فقد يؤمن الإنسان بوجود الله ، ولكنه يعرض عن عبادته والخضوع لشرعه ، والرسل دعت الأمم لعبادة الله وحده ، يوضح تصوره هذا قوله : « والمسلم ــ حتى مابعد الموحدين ــ لم يتخل مطلقاً عن عقيدته ، فلقد كان مؤمناً ، ولكن عقيدته تجردت عن فاعليتها ، وإن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ماهي أن نشعره بوجوده ونملأ به نفسه » [٣] . إن ضعفه في العلوم الشرعية جعله لا يتبين أهمية فهم التوحيد فهماً صحيحاً ، وأن الخلط في هذا الموضوع هو أس البلاء □

يتبع

---

١ ــ وجه العالم الإسلامي / ٤٧ . ٢ ــ المصدر السابق / ٤٩ . ٣ ــ المصدر السابق / ٤٨ .

تعقيب على مقال

مدى تدخل الدولة في فرض الضرائب وتوظيف الأموال
للشيخ عثمان جمعة ضميرية

عبد العزيز بن حمد المحمد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد :

فقد كتب الشيخ الفاضل : عثمان جمعة ضميرية مقالاً في مجلة (البيان) (العدد الثالث عشر) بعنوان : « مدى تدخل الدولة في فرض الضرائب وتوظيف الأموال » ، وخلص إلى مشروعية فرض الضرائب بشروط ذكر بعضها . وقد كان لي بعض الملاحظات على ذلك المقال ، فأحببت أن أذكر شيئاً منها ، ولست متعرضاً لتحرير القول في المسألة ، فأدع ذلك لعلمائنا حفظهم الله .

أولاً : الكلام الذي نقله الكاتب حفظه الله عن الغزالي والجويني والشاطبي مرتبط كله بالجهاد والاستعداد له وحفظ الأمن ، وأين ذلك من الضرائب المتنوعة التي تفرض اليوم ، ولا تستخدم في الضروريات فقط ، بل تتعدى ذلك إلى الحاجيات والتحسينيات ، ومجالات الفساد المتنوعة . وإنما يصح الاستشهاد بكلام العلماء المذكورين ــ رحمهم الله ــ على الضرائب التي يحتاج إليها في القيام بالواجبات فقط .

ثانياً : قال الشيخ ــ حفظه الله ــ ص ٤٧ : « وممن (في الأصل : مم) عرض لهذه المسألة ، وأيدها بالنصوص الشرعية والحجج القوية ، الإمام ابن

حـزم فـي كتابـه العظيـم (المحلّى) .. » .

والواقع أن كلام ابن حزم ليس عن الضرائب وحكمها ، وإنما هو عن إلزام الأغنياء بسد حاجات الفقراء ، إذا لم تقم الزكوات بهم . وأما موقفه من الضرائب ، فقد ذكره في كتابه « مراتب الإجماع » ، فقال ، ص ١٢١ :

« واتفقوا أن المراصد الموضوعة للمغارم على الطرق وعند أبواب المدن ومايؤخذ في الأسواق من المكوس على السلع المجلوبة من المارة والتجار ظلم عظيم وحرام وفسق ، حاشا ماأخذ على حكم الزكاة وباسمها من المسلمين من حول إلى حول مما يتجرون به ، وحاشا مايؤخذ من أهل الحرب وأهل الذمة مما يتجرون به من عشر أو نصف عشر ، فإنهم اختلفوا في كل ذلك ، فمن موجب أخذ كل ذلك ومن مانع من أخذ شيء منه إلا ماكان في عهد صلح أهل الذمة مذكوراً مشترطاً عليهم فقط » . وهذا الذي اعتمده شيخ الإسلام كما سيأتي .

ثالثاً : قال الشيخ ــ حفظه الله ــ ص ٤٤ : « عرض فقهاء الشريعة الإسلامية توظيف الأموال على الأغنياء ، عند الحاجة ، وقرروا جواز ذلك ... » .

وقد يفهم من الإطلاق أن هذا قول العلماء كافة ، وليس الأمر كذلك ! وأول من عرف عنه القول بمشروعية توظيف الوظائف أبو المعالي الجويني ، وهو يقول عن نفسه في « غياث الأمم » بتحقيق الديب ، ص ٢٦٦ :

« لست (أحاذر) إثبات حكم لم يدونه الفقهاء ، ولم يتعرض له العلماء ؛ فإن معظم مضمون هذا الكتاب لا يلفي مدوناً في كتاب ، ولا مضمناً لباب ... فليكن الكلام في الأموال وقد صفر بيت المال واقعة لايعهد فيها للماضين مذهباً ، ولا يحصل لهم مطلباً ، ولنجر فيه على ماجرى عليه الأولون إذ دفعوا إلى وقائع لم يكونوا يألفوها ، ولم ينقل لهم مذاهب ، ولم يعرفوها » .

وتبع الجويني على كلامه تلميذه الغزالي ، ونقل الشاطبي كلام الأخير موافقاً له ، كما وافقهم على ذلك علماء آخرون . وقد خالف في ذلك غيرهم مثل ابن حزم كما مرّ معنا ،

وابن تيمية كما سيأتي .

ومما يوضح الخلاف في المسألة من قديم ، ماذكره التنبكتي في كتابه المطبوع بهامش « الديباج المذهب » في ترجمة الشاطبي صاحب « الاعتصام » ، إذ قال ص ٤٩ :

« وكان صاحب الترجمة ممن يرى جواز ضرب الخراج على الناس عند ضعفهم وحاجتهم ، لضعف بيت المال عن القيام بمصالح الناس ، كما وقع الشيخ المالقي في كتاب الورع قال : توظيف الخراج على المسلمين من المصالح المرسلة ولاشك عندنا في جوازه وظهور مصلحته في بلاد الأندلس في زماننا الآن لكثرة الحاجة لما يأخذه العدو من المسلمين ، سوى ماتحتاج إليه الناس ، وضعف بيت المال الآن عنه ، فهذا يقطع بجوازه الآن في الأندلس . وإنما النظر في القدر المحتاج إليه من ذلك ، وذلك موكول إلى الإمام ...

وكان خراج بناء السور في بعض مواضع الأندلس في زمانه موظفاً على أهل الموضع ، فسئل عنه إمام الوقت في الفتيا بالأندلس الأستاذ الشهير أبو سعيد بن لب فأفتى أنه لا يجوز ولا يسوغ ، وأفتى صاحب الترجمة بسوغه ، مستنداً فيه إلى المصلحة المرسلة ، معتمداً في ذلك إلى قيام المصلحة التي إن لم يقم بها الناس فيعطونها من عندهم ضاعت ... ووقع لابن الفراء في ذلك مع سلطان وقته وفقهائه كلام مشهور ... » .

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ فقد قال (مختصر الفتاوى المصرية ، ص ٤٥٥) :

« ... في أوائل الدولة السلجوقية أفتى طائفة من الحنفية والشافعية ــ إذا لم يكن في أموال بيت المال كفاية لرزق الجند الذين يحتاج إليهم في الجهاد ــ أن يوضع على المعاملات ، وأنكر ذلك غير هؤلاء ، وحكى أبو محمد بن حزم في كتاب الإجماع : إجماع العلماء على تحريم ذلك ، وقد كان نور الدين محمود الشهيد بن زنكي قد أبطل جميع الوظائف المحدثة في الشام والجزيرة ومصر والحجاز ، وكان أعرف الناس بالجهاد ، وهو الذي أقام الإسلام بعد استيلاء الإفرنج والقرامطة على أكثر بلاده » .

وقال أيضاً في « الأموال المشتركة » (*) : « .. وأما من بعد الخلفاء الراشدين فلهم في تفاصيل قبض الأموال وصرفها طرق متنوعة : منها ماهو حق منصوص عليه موافق للكتاب والسنة ، ومنها ماهو اجتهاد يسوغ بين العلماء إذا كان الإمام من أهل الاجتهاد وله علم ، وقد يسقط الوجوب بأعذار ويباح المحظور بأسباب ، وليس هذا موضع تفصيل ذلك ، ومنها ماهو اجتهاد ولكن صدوره لعدوان من المجتهد أو تقصير منه شاب الرأي فيه الهوى ، فاجتمعت فيه حسنة وسيئة ، وهذا النوع كثير في الملوك وغيرهم جداً ، ومنه ماهو معصية محضة لاشبهة فيه بترك واجب أو فعل محرم ... ولم أعلم أن في الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية وظفوا على الناس وظائف تؤخذ منهم غير الوظائف التي هي مشروعة في الأصل ... وكانت سير الملوك تختلف ... ومنهم من يقصد اتباع الشريعة وإسقاط مايخالفها ، كما فعل نور الدين لما أسقط الكلف السلطانية المخالفة للشريعة التي كانت تؤخذ بالشام ومصر والجزيرة ، وكانت أموالاً عظيمة جداً ، وزاد الله البركات ، وفتح البلاد ، وقمع الأعداء بسبب ذلك ، لما عدل وأحسن .

ثم هذه الوظائف السلطانية التي ليس لها أصل في كتاب ولا سنة ، ولا ذكرها أحد من أهل العلم المصنفين في الشريعة ، ولا لها أصل في كتب الفقه من الحديث والرأي ، هي حرام عند المسلمين ، حتى عند من يأخذها ، ويعرف حكم الله ، وقد ذكر ابن حزم إجماع المسلمين على ذلك . ومع هذا ، فبعض من وضع بعضها وضعه بتأويل واجتهاد علمي ديني ، واتفق على ذلك أهل الفتوى والرأي من بعض علماء ذلك الوقت ووزرائه ... في نصف المائة الخامسة حدثت أمور منها بناء المدارس والخوانق ووقف الوقوف عليها ... وصنف أبو المعالي الجويني كتاباً للنظام ، سماه غياث الأمم ... وذكر

(*) رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، أخرجها الدكتور ضيف الله بن يحيى الزهراني ، عام ١٤٠٦ هـ ، اعتماداً على مخطوطة في مكتبة الأوقاف ببغداد ، تحت رقم ١٣٧٥٤ ، ولكثرة مافي طبعته من تصحيفات . فقد اعتمدت على صورة المخطوطة الملحق « بملاحظات على تحقيق كتاب الأموال المشتركة » لعبد العزيز ابن إبراهيم المرداس ، نشر دار ابن القيم بالدمام (الأوراق : ٤ — ٦) .

فيه قاعدة في وضع الوظائف السلطانية عند الحاجة إليها للجهاد ، فإن الجهاد بالنفوس والأموال واجب ، بل هو من أعظم واجبات الدين ، ولايمكن حصول الجهاد إلا بالأموال التي تقام بها الجيوش ، إذ أكثر الناس لو تركوا باختيارهم لما جاهدوا لا بأنفسهم ولا بأموالهم ، وإن ترك جمع الأموال وتحصيلها حتى يحدث فتق عظيم من عدو داخلية أو خارجي تفريط وتضييع ، فالرأي أن تجمع الأموال ، وترصد للحاجة ، وطريق ذلك أن توظف وظائف راتبة لايحصل بها ضرر ، ويحصل بها المصلحة المطلوبة من إقامة الجهاد .

والوظائف الراتبة لابد أن تكون على الأمور العادية ، فتارة وظفوها على المعاوضات والأملاك ، مثل أن يضعوا على البائع والمشتري في الدواب والحبوب والثمار وسائر الأطعمة والثياب مقداراً ، إما على مقدار البيع وإما على مقدار الثمن ، ويضعوا على الجعالات والإجارات ، ويضعوا على العقارات من جنس الخراج الشرعي ، فكان ماوضعوه تارة يشبه الزكاة المفروضة المشروعة من كونه يؤخذ في العام على مقدار ، وتارة يشبه الخراج الشرعي ، وتارة يشبه مايؤخذ من تجار أهل الذمة والحرب ، وتارة يشبه المكس .

ومنهم من يعتدي فيضع على أثمان الخمور ومهور البغايا ونحو ذلك ، مما أصله محرم بإجماع المسلمين ، ومنهم من يضع على أجور المغاني من الرجال والنساء ...

حقيقة الأمر في ذلك أن هذا من القسم الثالث والرابع ، فإن هذا إذا صدر باجتهاد فهو في الأصل مشوب بهوى ومقرون بتقصير أو عدوان ، وإن التقصير أو العدوان صادر أيضاً من أكثر الرعية ، فإن كثيراً منهم أو أكثرهم لو تركوا لما أدوا الواجبات التي عليهم من الزكوات الواجبة والنفقات الواجبة والجهاد الواجب بالأنفس والأموال ، كما أنه صادر من كثير من الولاة أو أكثرهم ، بما يقبضونه من الأموال بغير حق ، ويصرفونه في غير مصرفه ، ويتركون أيضاً مايجب من الأمر والنهي ، فجمع هذه الأموال وصرفها هي من مسائل الفتن ... » .

وقد أطلت النقل من « الأمراء

المشتركة » لأهمية الكلام ، ولعدم توفر المصدر عند كثير من القراء فيما أظن .

رابعاً : نقل الشيخ عثمان ــ حفظه الله ــ عن بعض العلماء تضعيف حديث فاطمة بنت قيس عن ابن ماجة ، ولفظه : « ليس في المال حق سوى الزكاة » ، وسكت عن حديثها عند الترمذي بلفظ : « إن في المال حقاً سوى الزكاة » ، مع أن الإسناد واحد ، وقد ضعفه العلماء للعلة ذاتها .

وإنما اختلف العلماء في لفظ ابن ماجة : هل هو خطأ من بعض النساخ ، أم هو هكذا ؟ وانظر في ذلك : السنة للبيهقي (٤ / ٨٤) ، وتحفة الأشراف للمزي (١٢ / ٤٦٥) مع تعليق الحافظ في « النكت الظراف » « والأطراف بأوهام الأطراف » لولي الدين العراقي (ص ٢٣٠) ، وانظر كلامه أيضاً في « طرح التثريب » (٤ / ١١) ، « والتلخيص الحبير » لابن حجر (٢ / ١٦٠) ، وحاشية تفسير الطبري لأحمد شاكر (٣ / ٣٤٤) ، وحاشية سنن ابن ماجة بتحقيق الأعظمي (١ / ٣٢٨) .

خامساً : نقل الشيخ عثمان ــ حفظه الله ــ (ص ٤٩) عن الشيخ حسن البنا ــ رحمه الله ــ قوله : « ومن لطائف عمر رضي الله عنه أنه كان يفرض الضرائب الثقيلة على العنب ، لأنها فاكهة الأغنياء في ذلك الوقت ، والضريبة التي لاتذكر على التمر ، لأنه طعام الفقراء ، فكان أول من لاحظ هذا المعنى في الحكام والأمراء ، رضي الله عنه » .

وكيف يقبل مثل هذا في بحث علمي ؟! فكان ينبغي معرفة سند الخبر وصحته قبل نقله ..

هذا ماتيسر التعقيب عليه ، والموضوع بحاجة إلى بحث وتحرير ، والله المستعان .

وختاماً أسأل الله لي وللشيخ عثمان التوفيق والغفران ، وأن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم □

أضواء على مشاريع دراسة التراث والعقل العربي

محمد بن حامد الأحمري

بدأ غير المسلمين دراسة التراث الإسلامي منذ مايزيد عن قرن ونصف وامتدت هذه الدراسات لتغطي مساحة واسعة في العلوم الإسلامية لاتدع شيئاً إلا كان لها فيه رأي . تلك الدراسة انطلقت من المنهج النقدي للفكر اليوناني والكنيسة الأوربية .. وتعاملت مع العلوم الإسلامية بالأسلوب نفسه .

ونحن لانطالب هؤلاء الدارسين بما يفوق طاقتهم وانغلاق ثقافتهم ، والانغلاق المنهجي هو أبرز مقومات الفكر الغربي ، إذ القاعدة عندهم أن فكر العالم وتاريخه هو تاريخ أوربا موسعاً وذلك ماتشهد به كل المدارس النقدية والمذهبية هناك ، ولايفسر هذا القول بأنهم جهلة بما عند غيرهم ، هذا مالا نتحدث عنه هنا ، إنما المراد أن كل علم أو ثقافة خضعت للأسلوب النقدي الأوربي المعد مسبقاً للأجواء الوثنية وعصور الظلام كما يسمونها ، سنضرب هنا مثالين سريعين لهذه القضية حتى يمكننا أن نتجاوز إلى مانريد :

١ ــ المستشرق فون كريمر عندما درس التاريخ الإسلامي كان يعيش فترة انتعاش القوميات الأوربية ، ويشاهد القومية الألمانية في بنائها ومجابهتها للآخرين فتناول التاريخ الإسلامي ، وفسره تفسيراً قومياً يناسب المسار الذي يعانيه الكاتب ، وهكذا رأى أن دعوة الرسول ﷺ وقيام الدولة المسلمة إنما كان حاجة قومية عربية .

٢ ــ المثال الآخر الكاتب

الفرنسي الماركسي مكسيم رودنسون وهو كاتب معاصر لم يزل يخبط ويخلط وتتبعه الإمعات في العالم الإسلامي يصدر كل يوم دراسة ماركسية للتاريخ الإسلامي ، وهكذا تجد روح اليسار الفرنسي أو الأمريكي في دراسته العلوم الإسلامية .

دراسة أحمد أمين :

وعندما ندرس هذه الموجات في بلادنا الإسلامية تواجهنا دراسات حديثة للتراث الإسلامي كان أولها إنتاج أحمد أمين في مشروع واسع وجاد اهتم بالنواحي العقلية والثقافية لدى المسلمين ، وهذا المشروع نشأ في أحضان المنهج الاستشراقي إذ اتفق ثلاثة من أساتذة كلية الآداب في القاهرة أحمد أمين وعبد الحميد العبادي وطه حسين على أن يقوم الأول بدراسة الحياة العقلية ، وأن يدرس العبادي الحياة السياسية ، وطه حسين الحياة الأدبية ومشروع أحمد أمين جزء من كتاب كبير يضم هذه الأقسام الثلاثة وقد قرأ الثلاثة مشروع هذا العمل وأقروه .

وأحمد أمين شيخ أزهري تمكن من علوم الشريعة واللغة العربية ، ثم درس ودرّس في مدرسة القضاء الشرعي ، واتصل بمديرها عاطف بك بركات ، وكان صاحب تعليم أزهري وغربي في انجلترا ، وأيضاً كان ملتزماً بتوجه عقلي صريح . يقول أحمد أمين : « فقد كنت إلى هذا العهد أحكم العواطف لا العقل ، ولا أسمح لنفسي بالجدل العقلي في مثل هذه الموضوعات فالدين فوق العقل ، فإذا جاء فيه مافوق العقل آمنا به ، لأن علم الله فوق علمنا ، والله أعلم بما يصلحنا ويغيرنا » . « وعاطف بك بركات يأبى إلا تحكيم العقل والبحث عما لانفهم حتى نفهم ، وكان له غرام بالبحث وصبر على الجدل وكان من أثر هذا الجدل الديني أني أعملت عقلي في تفاصيل الدين وجزئياته » ويقول في موضع آخر : « وقد أثّر فيّ أثراً كبيراً ــ يعني أستاذه عاطف ــ من ناحية تحكيم العقل في الدين » .

هذه النظرة العقلية الغربية التي لم تكن محدودة عنده أفسدت عليه جوانب خطيرة في كتبه ، إذ اضطر إلى مسايرة المعتزلة ، وإلى الطعن في الحديث وكذا أفسد عليه تقديسه

لمناهج المستشرقين وقد صرح بحبها واحترامها واستفادته منهج البحث منها ، ولا يعيبه هنا ان استعار منهج البحث ولكن الذي حدث له هو نقل الأفكار والنظريات والبحث لها عن شواهد فيما يدرسه .

ومن الغريب أنه وهو يدرس هذه القضايا يقول في فجر الإسلام :

« مسلكنا في سائر مايروى من الحوادث التاريخية ومايروى من أحاديث أن نمتحنها من ناحيتين : من ناحية السند ، ومن ناحية المتن » وفي التطبيق يساوي بين مايلي : كتب الحديث ، وكتاب التسلية والكذب الواسع « الأغاني » وكتب المستشرقين حتى لاتكاد تخلص من (نولدكه) و (براون) و (دي ساسي) وغيرهم .

خلاصة ماوقع لأحمد أمين التورط مابين العقلانية الحديثة والاعتزال والمستشرقين وعدم التميز في المصادر ، وعلى الرغم من كل هذه العيوب فعمله لم يكن مسبوقاً بشيء يفيد منه ويجنبه تلك العيوب وهو خير من كثير ممن جاؤوا بعده ودرسوا القضايا نفسها ، ولايفارقك الإحساس بوجود روحه الإسلامية وثقافته الشرعية فيما كتب مما يدعو للتعاطف والتقدير ولعله أحسن النية ولكنه كان ضحية لموجة التحديث والعقلنة وبداية المشاريع العلمانية التي لم يدرك أبعادها .

أما المشاريع الأخرى في دراسة التراث فمن أهمها الدراسة الشيوعية والتي يعد أبرز أفرادها د . حسين مروة في كتابه النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، والدكتور طيب تزيني ، وقريباً من هذا مشروع محمد عابد الجابري في كتبه (تكوين العقل العربي) و (بنية العقل العربي) و (نحن والتراث) والذي لايساير المنهج الماركسي تماماً في تقليديته ولكن يستفيد من اليسار الفرنسي ويراوغ مع عدم وضوح في مدرسته الفكرية وهو في النهاية تلميذ وفي ومقلد لـ (ميشيل فوكوه) من رواد الفلسفة البنيوية الكبار .

المدرسة الماركسية :

المدرسة الماركسية في دراسة التراث هي الأكثر إنتاجاً والأكثر

تقليدية وجفافاً ، كما إنها لاتقدم شيئا يستحق الاهتمام أو الجدة ، لم ؟ لأن الماركسيين في العالم يعتقدون أن فلاسفتهم الأوائل قد قاموا بعملية التفكير والتقرير ، وفرغوا منها فما على هؤلاء سوى البحث عن الشواهد والتطبيق ، وكان أول روادهم بندلي جوزي في كتابه « من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام » والذي يشيد فيه بالإسماعيلية ومحافظتهم على مطلبهم الأكبر المثالي ومذهبهم الاشتراكي ، ويتباكى جوزي على فقدان التعاليم الاشتراكية للقرامطة وعلى نسيانهم لها .

ويدأب هؤلاء على الرفع من شأن المنحرفين والمنحلين والساقطين بل والذين خانوا بلادهم وقومهم ، فبندلي جوزي يمجد بابك الخرمي ويشيد باشتراكيته في الوقت الذي يذكر فيه معاهداته مع امبراطور الروم ضد المسلمين ، ويتمنى لو قامت الدولة الشيوعية لبابك على أنقاض دولة المعتصم العباسي ، ويصف هذا المضبوع أفكار بابك وطموحاته أنه لو نجح لأقام « دولة جديدة أساسها العدل والإخاء والمساواة » ، هكذا أي عدو للإسلام سيكون عندهم خيراً وأولى حتى لو دمر دمار الزنج وثورتهم .

وثورة الزنج في رأي هؤلاء من أعظم الثورات في العالم : ثورة العمال والبروليتاريا ، الثورة التي يشيب لهولها الولدان لما فعل الزنج من قتل لكل الناس للعلماء والأطفال والنساء واستباحة البصرة واستعباد أهلها هي عند أصحاب هذه الدراسات الماركسية قمة التقدمية والاشتراكية .

اليسار الإسلامي :

أما أعمال د . حسن حنفي وما يسمى باليسار الإسلامي فقد لخص في مقدمته لكتاب الحكومة الإسلامية نزعته الثورية على مافيها من سخرية ونقد لمذهب أهل السنة ، وهو في حماسته لقضايا المنهج الثوري ينسى مواقع الاتفاق والاختلاف مع هذه الفرق .

وفي كتابه التراث والتجديد الذي يرى أنه « أشبه بمقدمة ابن خلدون بالنسبة لكتابه تاريخ العرب والبربر ولكنه هذه المرة عن النهضة وليس

عن الانهيار .

نظرات الرجل النقدية وسخريته من الواقع والتراث تصل إلى حد غير مؤدب في كثير مما يتناول بالبحث وهو يرى نفسه ثائراً إسلامياً ولكن من منطلقات يدرك هو تماماً أنها غير إسلامية ، وإلا فما جدوى الاحتقار لما لدى المسلمين ، وهل الاحتقار هو الحل ومن يراجع بعض ماكتب يجد المنطلقات الطبقية فيما يكتب ، وثوريته تجعله لايتأدب أحياناً حتى مع لفظ الجلالة ، كما أن الجوانب الإيمانية والروحية لاتكاد توجد في هذه المعالجة غير الإسلامية وبخاصة أن حنفي فيما يصرح ويكتب يرى أنه يحمل الحل الوحيد النادر ! ولو تأمل بضاعته لعلم أنها غريبة كل الغرابة عن روح هذه الأمة □



الزيارة بين النساء
على ضوء الكتاب والسنة

— ٢ —

خولة درويش

استئذان الزوج في الخروج :

إن الإسلام يأمر بالنظام في كل الحالات ، في العادات والمعاملات ، في السفر والحضر ، فإذا خرج ثلاثة في سفر دعا إلى تأمير أحدهم ، لذلك وتنظيماً للمجتمع فقد جعل قوامة الأسرة للرجل ، فهو أقدر على القيام بهذا الاختصاص من المرأة ، إذ جعل مجالها الطبيعي يتناسب مع فطرتها النفسية وتكوينها الجسمي ، وهو إمداد المجتمع المسلم بالأجيال المؤمنة المهيأة لحمل رسالة هذا الدين .

ولا أحد ينكر فضل الاختصاص من حيث قلة الجهد ، وجودة المردود ، سواء في النواحي المادية أو الإنسانية ، هذه الرئاسة والقوامة تقتضي وجوب طاعة المرأة لزوجها ، وقد جاء في الفتاوى لابن تيمية : (والمرأة إذا تزوجت كان زوجها أملك بها من أبويها ، وطاعة زوجها أوجب ، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة ، إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسك ومالك » .

وفي الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة » وقال

الترمذي حديث حسن..

وقد ورد أيضاً في المسند وسنن ابن ماجه وصحيح ابن حبان عن ابن أبي أوفى قال : لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ ، فقال : ماهذا يامعاذ ؟ قال : أتيت الشام فوجدتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم ، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك يارسول الله . فقال رسول الله ﷺ : « لاتفعلوا ذلك ، فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها . والذي نفس محمد بيده لاتؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه » .

وإذا أراد الرجل أن ينتقل بها إلى مكان آخر مع قيامه بما يجب عليه وحفظ حدود الله فيها ، ونهاها أبواها عن طاعته في ذلك فعليها أن تطيع زوجها دون أبويها .

وإذا نهاها الزوج عما أمر الله أو أمرها بما نهى الله عنه لم يكن لها أن تطيعه في ذلك ، فإن النبي ﷺ قال : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » (١) .

هذا ، وطاعة الزوج ليست تسلطاً منه ، ولا امتهاناً للمرأة ، وانتقاصاً لشخصيتها ، إنما هي من طاعة الله والقربات إليه التي تثاب عليها ويجب أن تعتز بها ... وهذا مايميز المسلمة الواقفة عند حدود الله عن العابثة المتسيبة ، التي لا أب يردها ولا زوج يمنعها ، تخرج من البيت متى تشاء وحيث تشاء ، فتزرع هذا الشر لتحصد الندامة فيما بعد بمشاكل لاتنتهي ، واتهامات كثيرة ، وواقع مرير ، ونتائج وخيمة ، ولا ينجي من ذلك إلا العودة إلى تحكيم شرع الله : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ [البقرة / ٢٢٨] ، وهذه الدرجة هي قوامة الأسرة .

(ولا يحل للزوجة أن تخرج من بيتها إلا بإذن زوجها ، سواء كان ذلك لكونها مرضعاً أو لكونها قابلة أو غير ذلك من الصناعات ، وإذا خرجت من بيت زوجها بغير إذنه كانت ناشزة عاصية لله ورسوله

١ ــ الفتاوى لابن تيمية ٣٢ / من ٢٦٠ ــ ٢٦٤ بإيجاز .

ومستحقة للعقوبة) (١) .

وهكذا فخروجها للعمل بغير إذن زوجها نشوز عن طاعة زوجها وعصيان لله ولرسوله فكيف إذا خرجت للتزاور أياً كان السبب ؟!! ولو كان ذلك لزيارة والديهـا المريضين .

(للزوج منعها من الخروج من منزلها إلى مالها منه بد ، سواء أرادت زيارة والديها ، أو عيادتهما ، أو حضور جنازة أحدهما . قال أحمد في امرأة لها زوج وأم مريضة : طاعة زوجها أوجب عليها من أمها ، إلا أن يأذن لها) (٢) .

وحتى الخروج للعبادة تحتاج معه إلى إذنه « عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد للعبادة فأذنوا لهن » .

وعن ابن حبان من حديث زيد بن خالد : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله « قال القسطلاني : أي إذا أمنت المفسدة منهن وعليهن ، وذلك هو الأغلب في ذلك الزمان ، بخلاف زماننا هذا الكثير الفساد والمفسدين وقد ورد في بعض طرق الحديث مايدل على أن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد وذلك في رواية حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر بلفظ : « لاتمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن » ، وحديث عائشة رضي الله عنها في منع النساء علقته على شرط لو رأى رسول الله ماأحدثته النساء .

وفي رواية عند البخاري عن ابن عمر رضي الله عنما مرفوعاً : « إذا استأذنت امرأة أحدكم ــ أي أن تخرج إلى المسجد أو مافي معناه كشهود العيد وعيادة المريض ــ فلا يمنعها » .

قال القسطلاني : وليس في الحديث التقييد بالمسجد ، إنما هو مطلق يشمل مواضع العبادة وغيرها .

ومقتضى الحديث : أن جواز خروج المرأة يحتاج إلى إذن الزوج) (٣) .

١ ــ الفتاوى لابن تيمية ٣٢ / ٢٨١ .
٢ ــ المغني ٧ / ٢٠ .
٣ ــ عون الباري ٢ / ٢٨٥ ــ ٢٨٧ باختصار .

أما قول القائل : إنهن لايخرجن من بيوتهن مطلقاً لقوله تعالى : ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ فليس بحجة له بدليل قوله تعالى بعدها : ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ والمقصود به عند خروجهن .

(ومعنى هذه الآية : الأمر بلزوم البيت وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ ، فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى هذا لو لم يرد دليل يخصص جميع النساء ، كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة) [1] .

(وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقاً ، وإنما هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو **الأصل في حياتهن وهو المقر وما عداه استثناء طارئاً لا يثقلن فيه ولا يستقررن** وإنما هي الحاجة وتقضى وبقدرها) [2] .

وقد عرف عن أمهات المؤمنين والصحابيات أنهن كن يخرجن في حوائجهن وللمشاركة في الغزو .

(فكان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى) [3] .

وفيه خروج للنساء في الغزو والانتفاع بهن في السقي والمداواة لمحارمهن وأزواجهن وغيرهم مما لايكون فيه مس بشرة إلا موضع الحاجة .

وهذه أم عمارة تحدثنا حديثها يوم أحد : (خرجت أول النهار ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والريح والدولة للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله ﷺ بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إليّ الجراحة .

وعن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ماالتفت يوم أحد يميناً ولا شمالاً إلا ورأيتها تقاتل دوني) [4] .

وتستأذنه ﷺ أم سنان الأسلمية

---

١ ــ أحكام القرآن للقرطبي ١٤ / ١٧٩ .
٢ ــ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٥ / ٢٨٥٩ .
٣ ــ شرح صحيح مسلم ١٢ / ٨٨ .
٤ ــ الإصابة ٤ / ٤٥٧ .

في الخروج إلى خيبر للسقيا ومداواة الجرحى فقال لها عليه الصلاة والسلام : « فإن لك صواحب قد أذنت لهن من قومك ومن غيرهم فكوني مع أم سلمة » (١) .

وفي خيبر أيضاً عن امرأة من بني غفار قالت : (أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار فقلنا : يارسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا — وهو يسير إلى خيبر — فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا . فقال : « على بركة الله فخرجنا معه) (٢) .

(حتى المقعدة فلها الخروج في حوائجها نهاراً ، سواء كانت مطلقة ، أو متوفى عنها ، لما روى جابر قال : طُلقتْ خالتي ثلاثاً فخرجت تجذ نخلها فلقيها رجل فنهاها ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : « اخرجي فجذي نخلك لعلك أن تصدقي منه أو تفعلي خيراً » .

وروى مجاهد قال : « استشهد رجال يوم أحد فجاءت نساؤهم رسول الله ﷺ وقلن : يارسول الله نستوحش بالليل أفنبيت عند إحدانا فإذا أصبحنا بادرنا إلى بيوتنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : تحدثن عند إحداكن حتى إذا أردتن النوم فلتؤب كل واحدة إلى بيتها » (٣) .

ويدخل الرسول ﷺ على عائشة رضي الله عنها وعندها امرأة قال : من هذه ؟ قالت : فلانة ، تذكر من صلاتها ، قال : « مه ، عليكم بما تطيقون فوالله لايمل الله حتى تملوا ، فكان أحب الدين إليه مادام عليه صاحبه » (٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان .

فلم ينكر عليه الصلاة والسلام زيارة المرأة للسيدة عائشة ، ولو كان ذلك محرماً لما أقرها ، ولأنكره كما أنكر مبالغتها في العبادة .

كما طلب من الشفاء — وهي من المهاجرات الأول وبايعت النبي ﷺ وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن — قال لها ﷺ : علمي

١ — الإصابة ٤ / ٤٤٣ .
٢ — البداية والنهاية لابن كثير ، ٤ / ٢٠٤
٣ — المغني ٧ / ٣٢٦ .
٤ — فتح الباري ١ / ١٠١ .

حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة » (١) .

وكيف يكون تعليمها إلا بلقائها معها وخروجها إليها .

فهذه كلها حالات تخرج فيها المرأة بمعرفة الرسول ﷺ وإقراره بخروجها ، أو أمره وإذنه الصريح به ، فلو كان المقصود بالقرار في البيت عدم الخروج المطلق لنهى عن الخروج ولما أذن به .

ثم إن الحبس الدائم للمرأة في البيت ماهو إلا عقوبة شرعية ـــ كان قبل أن يشرع حد الزنا فنسخت هذه العقوبة بالحد الشرعي ـــ أقول كان الحبس في البيوت للمرأة التي تأتي الفاحشة وذلك لقوله تعالى : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً ﴾ [النساء / ١٥] .

أما المرأة العفيفة الملتزمة بأحكام دينها ، والتي تراقب الله تعالى في حركاتها وسكناتها فهي تقدر شرف مهمتها وعظم مسئوليتها : إنها إن قرت في بيتها فهي في عمل واعٍ يقظ ، لا فراغ اللاهيات ولا تفاهة العابثات من ربات الفيديو والأزياء والسينما ...

إنها تعد لأمتها الإسلامية أبطالها الذين يستعيدون مجدها فتربيهم على الاعتزاز بقيم الإسلام ليفدوه بأنفسهم إن واجههم الخصوم ، ويعملون وسعهم لإعلاء كلمة الله .

وإن أرادت الخروج من بيتها فلن يكون ذلك إلا إن كانت المصلحة الشرعية في الخروج راجحة عنها في البقاء .

وإن خرجت : فبالحدود المشروعة وبالطريقة المشروعة ، تستأذن الزوج المسلم ولا تخرج بغير إذنه ، وإلا اعتبرت عاصية لله ولرسوله ، وبالمقابل فزوجها المسلم يرعى الله فيما ائتمنه ، فيحرص على أن يبعدها عن الشبهات ومواطن الزلل . ويأخذ بيدها إلى كل خير ، ليشاركها أجرها سواء كان زيارة أقاربها وصلتهم أو بر والديها ، أو

١ ـــ الإصابة ٤ / ٣٣٣ .

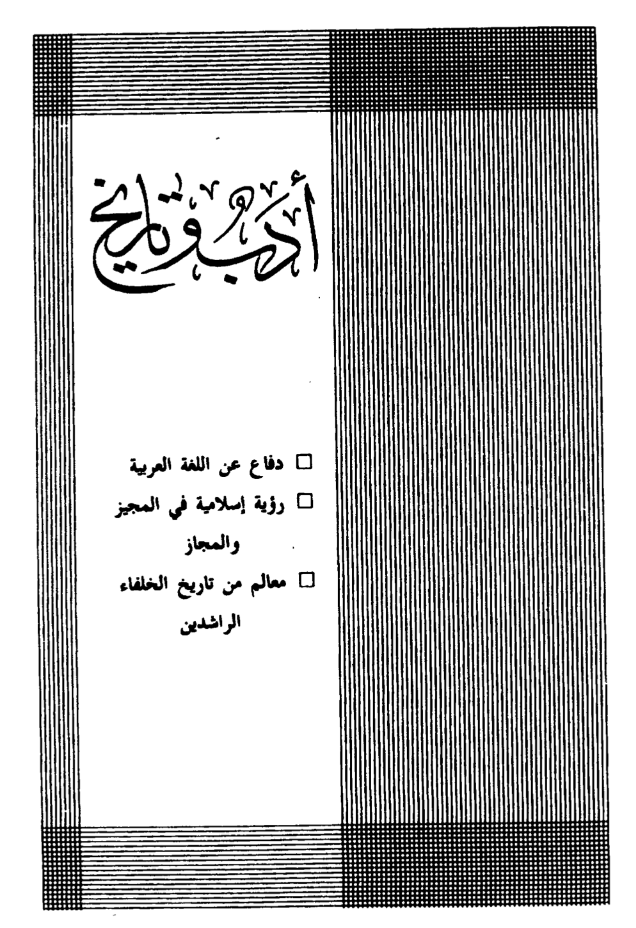
صلة أخواتها في الله ، أو العلم المشروع .

ثم إن الأصل أن ينبني البيت المسلم على المودة والرحمة ، لا الغلظة والتسلط . فالزوج والزوجة كلاهما يحكّم الشرع ويزن الأمور بمقياسه ، فلا يتعسف الرجل في استعمال حقه الذي منحه الله إياه ويحفظ وصية الرسول ﷺ بالمرأة : « استوصوا بالنساء خيراً » وبالمقابل لايجمح الهوى بالمرأة ولا تستكبر عن طاعة زوجها فتكون في عداد الناشزات .

أما عند عدم الزوج لوفاته ، أو لعدم زواج المرأة . فتستأذن أبويها وهذا من برهما وحسن صحبتهما فهما أحرص الناس على حسن سمعتها وجلب الخير لها □

— يتبع —




أدب وتاريخ
□ دفاع عن اللغة العربية
□ رؤية إسلامية في المجيز والمجاز
□ معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين

دفاع عن اللغة العربية

منصور الأحمـد

(يعلم كل من له إلمام بأسرار العربية ان الأسلوب المصطلح عليه في ترتيب معاجمها لايناسب حتى ولا الكثيرين ممن نالوا قسطاً وافراً من الاحاطة بقواعد الصرف وأحكامه . ليتمكن من رد الكلمة إلى أصلها المجرد ، توصلاً إلى الاهتداء إلى مكانها من القاموس ، على ان الاشتقاق ومايلحق ابنية الكلم من عوارض الإدغام والإعلال ، وغير ذلك لمن اشد الأمور تعقيداً في اللغة العربية) (*) .

هذه « الكلمة » التي قدمناها تصلح نموذجاً لدعاوى كثيرة ، تصدر عن أناس متعددي المشارب ، مختلفي النوايا ، لكن يجمعهم هدف واحد ، هو تزهيد الناس بالعربية ، وتنفيرهم منها ، ويتذرعون إلى ذلك بما يشبه الحجج ، ويلبس ثوب الدليل ، ولكن إذا تفحصته لم تجده من الحجج ومن الأدلة في شيء .

وسوف نناقش الدعوى المتقدمة ، ليتبين لنا ماتنطوي عليه : هل هو من المسلمات الثابتة ، أم أنه ذريعة إلى أمر آخر هو الصد عن تعلم هذه اللغة ببث الكراهية لها في النفوس ، والتنفير عنها بكل وسيلة ؟!

فيما يتصل بالقضية الأولى ، هل صحيح الادعاء أن البحث في المعاجم العربية صعب إلى هذه الدرجة ـــ حتى على الكثير ممن نالوا قسطاً وافراً من الإحاطة بقواعد الصرف وأحكامه ؟ ـــ وهل هناك « معاناة حقيقية » يعاني منها المدرسون والطلبة في هذا المجال ؟

إن الأمر انتهى بطرق ترتيب المعاجم إلى طريقتين رئيسيتين :

* من مقدمة قاموس إلياس العصري (عربي ـــ إنكليزي) .

أولاهما : طريقة الصحاح ، والقاموس المحيط ، ولسان العرب ، وهي الطريقة المعروفة بطريقة « الباب والفصل » والتي رتبت فيها الكلمات في باب الحرف الأخير من جذورها ، ثم رتبت ترتيباً هجائياً داخل الباب بعد ذلك ، فـ « بدأ » و « نشأ » توجدان في باب الهمزة ، الأولى في فصل الباء ، والثانية في فصل النون .

الثانية : الطريقة الهجائية المألوفة الآن في كافة معاجم اللغات الأخرى ، وهي أيضاً معروفة في بعض المعاجم العربية غير الحديثة : كأساس البلاغة ، والمصباح المنير ، وهي . وتضع الكلمة في باب الحرف الأول من جذورها ، مع مراعاة الترتيب الهجائي أيضاً في الحرف الثاني والثالث وهكذا . فالكلمتان السابقتان « بدأ » و « نشأ » توجد الأولى في باب الباء ، والثانية في باب النون .

ومع هذا فقد صدرت طبعات للقاموس وللسان ، رتبت المواد فيها هذا الترتيب الأخير ، وهناك أخذ ورد في فائدة ذلك ، ولعل ترتيبها بهذه الصورة جاء خروجاً من كثير من التقولات التي تقال عن صعوبة الطريقة السابقة ..

وهذه الصعوبة المزعومة في ترتيب المعاجم العربية لاتعدو مايماثلها من الصعوبات التي يواجهها الباحث في معاجم اللغات الأخرى .

ولدى التجربة تظهر أن طريقة البحث في هذه المعاجم المتهجم عليها بالحق والباطل سهلة حتى على من لم « ينل قسطاً وافراً من الإحاطة بقواعد الصرف وأحكامه » ! ولو صرف أي طالب متوسط ساعة من وقته (بجد وحرص) لتعلم أساس طريقة البحث والتدرب عليها لكان ذلك كافياً . (وهذا الأمر لاعلاقة له بما هو كائن الآن من وجود كثير من الخريجين ، ممن لايرهقون أنفسهم للتفرغ لهذا الأمر ولو ساعة من زمن ، ثم يستغربون — ويستغرب الناس منهم — حيرتهم أمام النظر في معجم من معاجم العربية ، وبدل إلقاء اللوم على كسلهم وتفريطهم يغمزون على هذه المعاجم الصعبة المرتقى ، المعقدة التركيب ! فهذه النتيجة المؤسفة مركبة من عدة مقدمات أفضت إليها ، وتحتاج إلى معالجة على حدة) . إن كان شأن المعاجم العربية ليس بالتعقيد الذي انتهت الكلمة السابقة إليه ؛

وأن كثيراً مما يشاع حولها هو تضخم وتهويل ؛ إذاً ، فما الأثر الذي تبقيه هذه الكلمة ومثيلاتها في نفوس أكثر قرائها ؟ إنه أثر غير محمود النتيجة ، فهو تزهيد وتثبيط ، تزهيد لأبناء العربية بلغتهم ؛ وتثبيط للهمم حتى تقعد عن التعرض لتعلم ماينفع في بناء الشخصية ، والارتفاع بها . والأفكار أوعية مفتوحة إذا أنفت أن تمتلىء بشيء ينبذه المجتمع ، وتُنْشَرُ سموم الدعاية ضده ؛ فلا بد من أن تفتش عن بديل تملأ به الفراغ ، وتتطلع إلى محتلٍ تُحِلُّه المنطقة المهيأة المفرّغة ، وليس المحتل هنا غير اللهجات العامية ، أو اللغات الأجنبية ومايلحقها من تمكن وغلبة لما تمثله من عقائد ، وما تجلبه من أفكار .

أتاني هواها قبل أن أعرفَ الهوى فصادفَ قلباً خالياً ، فَتَمَكَّنا !

والآن فلننظر في بناء هذه الكلمة ذاته لنرى نصيبها من الصواب أو الحقيقة .

١ ــ (ليعلم كل من له إلمام بأسرار العربية) عبارة يبدو ظاهرها لاغبار عليه ، ولكن أعد قراءتها كلمة كلمة لتعلم أن منطوقها يخالف مايريد صاحبها ، فهو يريد أن يثبت بدهية وهي أن كل دارس للعربية يعلم ماسيشير إليه ، ولكن الأسرار لايُلَمُّ بها إلماماً ، بل تُسْتَبْطَنُ استبطاناً ، وتعالج علاجاً مضنياً حتى تكتشف ، وعلى هذا فإن العارفين بأسرار العربية ليسوا مجمعين على ماسينتهي إليه صاحب الدعوى ، وهذا نقض للتعميم الفضفاض : يعلم كل من له إلمام ...

٢ ــ (... أن الأسلوب المصطلح عليه في ترتيب معاجمها ...) وهذا أيضاً تعميم يضيف إلى برودته جهلاً غليظاً ، فالمعاجم العربية ليس لها أسلوب واحد في ترتيبها ، بل لها طرق متعددة ، وأساليب متنوعة . فأي أسلوب منها يعني ؟!

٣ ــ (... لايناسب حتى ولا الكثيرين ممن نالوا قسطاً وافراً من قواعد الصرف وأحكامه ...) .

لو أنه قال مثلاً : لايناسب من لم ينل قسطاً وافراً من قواعد الصرف وأحكامه ؛ لكان في الجملة الروح ، ولكن جنوحه إلى تضخيم ما لا يحتاج إلى

تضخيم أبي عليه إلا أن يطلقها هكذا مرة واحدة أن هذه المعاجم ليس فيها خير ألبتة ، لا للمبتدئين فقط بل للعلماء أيضاً ، وهي ليس إلا ركاماً يكد الأذهان ويضيع الأعمار ! (وقِف عند هذه الكلمات : قسطاً ــ وافراً ــ الإحاطة ــ فهي كافية أن تلقي في نفسك الرعب ، وتبعث الرهبة من مكامنها) !

٤ ــ ثم اقرأ معي تتمة الكلمة على مهل ، ألا توحي إليك ــ وقد فرغت منها ــ بوصف مهمة اكتشاف القارة القطبية ، كُلِّفَ بها شخص غير مُدَرَّب ، ولافائدة من تدريبه ، وليس هذا فحسب ، بل هو ــ أيضاً ــ مجرد من أسباب مقاومة الصقيع ، على علةٍ مستكنة في جسمه ؟!

كأنه يقول لمن يهم بتعلم شيء من هذه اللغة : مالك ولهذا العناء المعنّى ، ولماذا تضيع الوقت فيما لاطائل تحته ، ولا ثمرة له ، مالك ولمعاجم العربية ونحوها وصرفها ، لماذا تفر من السهل الميسر ، إلى الحرج والتعقيد ؟! وهكذا تبني جدران سميكة من الوهم والتضليل بين هذه اللغة وبين أبنائها .

وسرّح النظر في واقعنا الثقافي مشرقاً ومغرباً ، وردده فيه صعوداً ونزولاً ترى أن مثل هذا التقبيح القولي لكل مايتعلق بلغتنا العربية ، والحط من شأنها قد انضاف إليه ــ وأأسفاه ــ تقبيح عملي مجسم ومصور ، والحال ناطقة به وشاهدة عليه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال . ووالله ، إن السكوت على هِجران هذه اللغة ، وعدم الغضب لها حين تُرمى بالنقائص ، وتُتَقَصَّدُ بالحيف ليعادل انتهاكَ الحرمات ، وضياع المقدسات ، إن لم يكن أكبر □



رؤية إسلامية
في المُجيز والمُجَاز(*)

د . مصطفى السيد

يتحتم علينا ــ بسبب من انتمائنا الإسلامي ، وهويتنا الإيمانية ــ أن نستحضر قيم الإسلام ومقوماته في قراءة أي عمل أدبي ، بل في شؤون الحياة كلها وشجونها جميعها (لأن الإسلام يتغلغل في حياة أفراده فإن مسألة التزامه في الأدب يجب أن تكون محل تقدير) كما يقول أحد النقاد (١) .

وإبراز هذه الهوية ليس بدعاً ، أو على الأقل ينبغي ألاّ يكون كذلك في دوائر أنصار الأدب الحديث ومحازبيه ، فهذا شيخ التحديث ، وملهم الشعر العربي الحديث رؤيته وشكله وتشكيله ــ ت . س . إليوت ــ يعلن صراحة أنه (أنكلو كاثوليكي في الدين وكلاسيكي في الأدب ، وملكي في السياسة) (٢) ولو تجرأ مثقف ورفع عقيرته بمثل هذه المقولة عن معتقداته الإسلامية والأدبية والسياسية أمام دعاة الأدب التقدمي لانهالت عليه النقود المتهكمة من كل وجه .

وهذا يوسف الخال النصراني ديانة ، السوري بلداً ، اللبناني مهجراً ، والذي يعد قنطرة مهمة بين إليوت ، وحواريّه في العالم العربي ، كان يركز على بعث المفرد التوراتي والإنجيلي ، واستثمار نصوصهما في

ــ بمناسبة حصول القاص نجيب محفوظ على جائزة نوبل .

١ ــ دراسات في النقد الأدبي ، د . أحمد كمال زكي ، دار الأندلس ، ص : ١٩١ .

٢ ــ قلعة أكسل ، إدمون ولسون ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص : ١٠٥ .

التعبير الرمزي . والدكتور عبد الواحد لؤلؤة يخبرنا أن (الكتاب المقدس كان العمود الفقري للآداب الأوروبية في شتى عصورها) (١) .

وحضور الإسلام حَكَماً لايعني استبعاد الفائدة من إبداعات الآخرين وتجاربهم الوجدانية الناضجة في كل مجال ، فالشيطان بما يتمتع به من مكانة سيئة ، وحضور بغيض قد يقول الصدق ويتلفظ بالحق كما قال الرسول ﷺ لأبي هريرة عن الشيطان : « صدقك وهو كذوب » (٢) .

وعمالقة الأدب الحديث الذين يتوجس أكثرهم خيفة من الإسلام ، هل وجدوا في الأنظمة « التقدمية » الأمان على أنفسهم والضمان لفكرهم ؟ أم كانت النظرة الغربية المحضة للإسلام ، والتجربة الإسلامية المشوهة في كثير من الأمكنة ؛ كانتا وراء توجسهم وبالتالي وراء اختيارهم لنماذج لاتحسب على الإسلام إلا اعتسافاً وقسراً كما فعل صلاح عبد الصبور ، عندما اختار الحلاج ليعرض من خلاله مأساة الثقافة والمثقفين وحرية الكلمة ، وكيف دفع الحسين بن منصور الحلاج رأسه ثمناً لفكره (٣) وللكلمة التي آمن بها مُديناً (عبد الصبور) العلماء والقضاة الذين ساهموا ويساهمون في اغتيال (نبتة الحرية وشجرة العبقرية المتمثلة بالحلاج وبالحلاليج المعاصرين .

والمطّلع العادي غير المتخصص على العصر العباسي يجد أن هموم الثقافة وشجون الواقع والمستقبل وهمومه والعلاقة الأبية مع السلطة كان يمثلها الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ الذي لم يحل سجنه وجلده بينه وبين كلمة الحق ، بل إن الموت نفسه كان احتمالاً قائماً وقريباً .

إن تلك الوقفة العالية في سماء التاريخ التي وقفها الإمام أحمد ــ لا قتل الحلاج ــ هي التي كشفت للدولة العباسية عزلتها على الصعيد العلمي والشعبي .

---

١ ــ البحث عن المعنى دراسات نقدية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د . عبد الواحد لؤلؤة ، ص : ٨٦ .
٢ ــ رواه البخاري ، فتح الباري ، ٦ / ٣٣٦ ، حديث رقم ٣٢٧٥ .
٣ ــ انظر عن الحلاج الفتاوى لابن تيمية (الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) ١١ / ٢٣٩ .

فلقد روى الذهبي أن عالماً ممن كان له في العطاء سهم ، خيرته الدولة بين أن يناقض الإمام أحمد ويحتفظ بعطائه أو يستمر في تأييده لموقف الإمام أحمد فيخسر عطاءه ، فاختار الثانية ، فعلمت العامة أني لم تكد تفهم الموضوع الذي كان محل خلاف ، فعاد الرجل إلى بيته الذي يضم بين جدرانه ثلاثين نفساً يعولهم هذا العالم فاستقبلوه بالتلوم فرد عليهم : إن الله لن يضيعنا ، فلم تغب الشمس إلا وصاحب حانوت يقرع باب هذا العالم ثم يبادره قائلاً : ثبّتك الله كما ثبتّ الإسلام !! كم كان يعطيك هؤلاء ؟ يقصد عطاءه من الدولة ، فقال : كذا ، فقال صاحب الحانوت : خذ هذا المبلغ المساوي له ولك مثله كل شهر .

هل كان عبد الصبور مهتماً بالحلاج لما يمثله من رمز ثقافي رافض ؟ إذا كان كذلك فالإمام أحمد أولى بذلك ، ولكن رُفِضَ رَفضُ الإمام أحمد لأنه كان ملتزماً بحدود النص الإسلامي في أدب العلاقة مع السلطة التي هي رمز الأمة ، فقد كانت سياط المعتصم تلهب ظهره وهو يقول له ياأمير المؤمنين !!!

لماذا ؟

لأن الخلاف مع السلطة لايعني إسقاطها ، ولأن الإمام أحمد كان على وعي تام بالنتائج الخطيرة للحركات التي أرادت إسقاط السلطة ابتداءً بحركات الخوارج والشيعة وانتهاءً بحركة الفقهاء — مع ابن الأشعث — كان مزيداً من الضحايا وتعميقاً للخلافات وإجهاضاً للطاقات العامة ومنبعاً لأحزاب جديدة .

أم لعل سر اهتمام صلاح بالحلاج لصوفيته التي ينظر إليها كحركة احتجاج داخلية تغطي أسئلتها وتساؤلاتها بالرمز ، ولربما كان الترميز المعاصر والغموض والإبهام في الشعر والقصة موصولاً بالرمز الصوفي شكلاً ومضموناً ، ولعل ذلك يكشف سر الاهتمام بالشعر الصوفي من قبل المدرسة الحديثة في الأدب .

ولئن كان فوز نجيب محفوظ (ممثل الرمزية [1] في الجناح الآخر للأدب) بجائزة نوبل موضوع هذا المقال فإني أقول ابتداءً : إن الرجل

١ — انظر الرمزية في أدب نجيب محفوظ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، فاطمة الزهراء محمد سعيد .

بكل المقاييس الفنية قد بات شيخ الرواية العربية كماً وكيفاً ، وهذه حقيقة أكبر من أن يماري فيها جَدِلٌ أو متعنِّت .

فقد توصل إلى إبداع نماذجه الخاصة ، وهذا إنجاز ضخم في عالم القصة والمقصود بالنماذج بعض شخصيات رواياته (الذين هم في حقيقتهم مجرد أفراد حين نرجع إلى سيرهم ، ولكن البشرية حين تأملت ذاتها فيهم ، رفعتهم من مستوى الفردية إلى مستوى النموذج) [1] ومثل ذلك من القرآن — فرعون — وقارون وأيوب عليه السلام . فالأول اسم شخص بعينه ورمز ونموذج لكل طغيان سياسي ، والثاني رمز لكل طغيان مادي [2] ، والثالث نموذج للصبر والمصابرة .

ولكن نماذج محفوظ كانت محدودة مكاناً ومكانة وموقعاً سياسياً ، أما المكان فهو حي (الجمالية) الشعبي بالقاهرة الذي ظل محفوظ مسكوناً بأجوائه نفسياً وتاريخياً معلناً أن (هذا الحي هو مصر) [3] وهو عندما ينتقل منه ينتقل جسداً وتبقى (الجمالية) مضموناً أو ينتقل إلى معادل له (كزقاق المدق) الذي هو أيضاً (رمز لمصر كلها) [4] .

ولنا أن نتساءل كيف تختزل مدينة كالقاهرة ، أو كيف تختصر أمة كمصر وتتوحد خصائصها بحي (الجمالية) أو (زقاق المدق) ؟.

مصر بتراثها وثرائها الفكري وعطائها المتدفق في كل العصور والدهور تضؤل لتتمثل في حي شعبي يقول محفوظ عن خصائص الطبقات الشعبية فيه (يلعب الجنس في حياتها أدواراً رهيبة في سقوط الكثيرين وفي سلوكهم ، وحيث أكثر الناس يتمسكون بالشعارات الدينية ، وحيث كثير من الانتهازيين الذين يستطيعون

١ — مجلة فصول ، مجلد ٢ ، العدد الأول ، أكتوبر ١٩٨١ ، العدد الخاص عن صلاح عبد الصبور ، ص ٣٧ ، من مقال د . عز الدين إسماعيل ، عاشق الحكمة حكيم العشق .

٢ — قصة قارون في مجلة البيان ، عدد ١٤ ، ص ٥٥ .

٣ — في الجهود الروائية مابين سليم البستاني ونجيب محفوظ ، ص ١٠٥ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د . عبد الرحمن ياغي .

٤ — الرمزية في أدب نجيب محفوظ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، فاطمة الزهراء محمد سعيد ، ص ١٤ .

ببساطة اللعب بالعقول الغبية) (١) .

لِمَ هذا الجمع بين المتمسكين بالشعارات الدينية وبين الجنس ذي الأدوار الرهيبة في السقوط ؟

لم الزج باسم الدين في هذا التشكيل المنافر ؟

أما المكانة فهل هذه النماذج المنحرفة هي المثل الاجتماعي الوحيد الموجود في هذا الحي ؟ وهل تقلص الخير إلى الحد الذي يخيل فيه لقارىء (نجيب) تفرد النموذج الساقط وانفراده واستئثاره بالساحة ؟

وهل مسؤولية الكاتب فقط تشريح النموذج وتقبيحه حتى تتحدد مواقف القراء من هذه الحشرات البشرية ؟

إن ذلك إنجاز مهم ولا شك ، ولكنه ليس كافياً ، فالقرآن الكريم ذكر خيانة امرأتي نوح ولوط ثم أعقبهما مباشرة بنموذج مضيء — امرأة فرعون — ولعله سلك هذا المسلك (والله أعلم) حتى لاتُفتقد في المرأة صورتها الطيبة بسبب هاتين المرأتين المترديتين بما أغضب الله ورسوليه ، وربما كان في استقدام نموذج امرأة فرعون من بيئة تجاوزت في فسادها حي (الجمالية) — كانت امرأة فرعون تحت رجل يقول (أنا ربكم الأعلى) — ربما كان في ذلك إشارة واضحة إلى أن الزهور قد تتفتح في أسوأ الأمكنة مناخاً وبيئة .

ولما كان فرعون يتهدد ويتوعد ويطلب ألا يحال بينه وبين موسى ﴿ ذروني أقتل موسى ﴾ [غافر / ٢٦] وكان الجمهور غارقاً في التصفيق رغبة أو رهبة لهذا البهلوان ، كان القرآن يسمعنا صوت احتجاج مُتَعَقِّل يجبه هذا الطوفان بقوة هادئة أو بهدوء قوي ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ﴾ [الآيات من سورة غافر من ٢٨ إلى ٣٤] .

ألم يكن في (حي الجمالية) رجل رشيد ؟ أم أن الكاتب لم يشأ أن يُوجد هذا الرجل ؟

في رواية (السكرية) يقول محفوظ على لسان سوسن حمّاد :

---

١ — في الجهود الروائية مابين سليم البستاني ونجيب محفوظ ، ص ١٤ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د . عبد الرحمن ياغي .

(المقالة صريحة ومباشرة ، ولذلك فهي خطيرة ، أما القصة فذات حيل لاحصر لها ، إنها فن ماكر) [1] .

يقول الأستاذ إبراهيم عامر في عدد الهلال الخاص عن نجيب محفوظ ١٩٧٠ معلقاً على ذلك : (هذه العبارة تبدو لي وكأنها الدستور الذي التزمه نجيب محفوظ منذ بدأ يكتب) .

هل تخفَّى (نجيب) من خلال قصصه بأبطاله أو من وراء أبطاله ليعرض شكوكه أو أزمته الإيمانية ، لا أزمة هؤلاء الأبطال ؟

إن أبطال القصص ليسوا إلا وجوهاً مختلفة للكاتب ، وبينهم وبينه مشاعر متبادلة ، وتطورهم أو انحدارهم في عالم الفن القصصي ذو صلة قوية بوجودهم في عالم الواقع أحياناً كثيرة ؛ كان نجيب محفوظ يكتب في (المجلة الجديدة) ١٩٣٤ ـ ١٩٣٨ التي كان يصدرها سلامة موسى مقالة عن (الله) وصفت بأنها جريئة عدد يناير ١٩٣٦ ثم يقول في عدد مارس ١٩٣٦ بعد عرضه (لفكرة الله في الفلسفة) : (والآن فلنسأل أنفسنا هذا السؤال : ماالذي تتركه في النفس جميع هذه الآراء من الأثر ؟ إن البراهين العقلية تمهيد حسن ، ولفت قيّم ، ولكنها لاتبلغ بالإنسان درجة الاعتقاد الحقيقي ... وإني أجد نفسي بعد الاطلاع عليها حيث كانت من القلق والاضطراب) [2] .

ويقول أحد كبار النقاد :

(تحضرني لنجيب محفوظ هنا مجموعته القصصية (دنيا الله) وفيها شجب أسلوبه التقليدي في القص ، وتخطى حدود المظهر من الوجود إلى مطلق الوجود ، ولقد اصطنع العبث أو اللامعقول أحياناً ولجأ إلى الرمز في أثناء مناقشته لقضيتي الحياة والإيمان ، ونلحظ بسهولة أنه وهو يطلب منا أن نتجاهل الموت لعشوائيته [3] ينادي بعفوية العقيدة ، ولكنه يلح على الإحساس بالغربة

---

١ ـ المصدر السابق ، ص ٩٦ في ١١ و ٩ .

٢ ـ المصدر السابق ، ص ٩٤ في ١١ و ١٢ و ٩ .

٣ ـ (عشوائية) تعكس رؤية الشاعر الجاهلي في الموت ، انظر معلقة زهير : رأيت المنايا خبط عشواء من تصب . ومعتقد المسلم أن الموت من مقدّر حكيم .

والضياع .

أتراه فقد الإيمان ؟

لماذا يبدو وكأنه يرفض السعادة ويأبى أن يرسم طريق النجاة ؟) .

(نستطيع أن نقول إن نجيب محفوظ الذي سلّم بمقدرات الدين في أكثر أعماله ، وقف إزاءها في هذه المجموعة — أي دنيا الله — وقفة المواجه المتحدي ، أو وقفة المتسائل المشدوه ، ولنقل وقفة المحيَّر أمام أخطر المشكلات) [1] .

أما محدودية نماذج محفوظ في الموقع السياسي فأضرب لذلك مثلاً بقصته (ميرامار) والتي جعل فيها (زهرة) البطلة رمزاً للثورة المصرية (٢٣ يوليو) كما يرى كثير من دارسي هذه القصة . وبقية الأبطال رمز لمواقف القوى القائمة في الساحة من الثورة ، (عامر وجدي) صحفي قديم شارك في كفاح الشعب ، (حسني علام الماجن ، منصور باهي) التقدمي فكراً الخ ... هل هؤلاء فعلاً وغيرهم الذين في القصة هم وحدهم الذين كانت لهم آراء ورؤية وموقف من ثورة يوليو ؟ ألم تكن قوى أخرى وقفت مستندة إلى عقيدتها الإسلامية تحاور ثم تناوىء هذه الثورة [2] .

وقصة (السراب) التي ولد فيها البطل من رحم الدراسات النفسية الغربية — لا من البيئة المصرية — وذلك ليكون للعرب نموذج كأوديب وهاملت والإخوة كارامازوف ، ولو كانت الحقائق الاجتماعية العربية لاتسعف الكاتب ، فهل يعقل أن يظل الطفل (كامل رؤبة لاظ) طفلاً في تعلقه بأمه يكبر فيه كل شيء (إلا هو) (يستحم معها فتضعه في الطست عارياً وتجلس أمامه متجردة ، وكان لايطيق فراقها ، وكانت هي كذلك لاتطيقه (أي الفراق) كانت قد حشدت كل أمومتها من أجله بعد أن استرد زوجها الطفلين الآخرين وفضلاً عن هذا كان بين الطفل وأمه تشابه كبير ، فقد كان وجهه نسخة من وجهها ، وقد اعتاد أن ينام في سرير أمه حتى بلغ السادسة والعشرين من العمر ، وحين أنبه جَدُّه

---

١ — دراسات في النقد الأدبي ، د . أحمد كمال زكي ، دار الأندلس ، ص ١٩٢ .

٢ — الرمزية في أدب نجيب محفوظ / ٢٢٥ ومابعدها .

على ذلك ابتاع سريراً آخر ولكنه وضعه في حجرة أمه) (١) .

والكلمة الأخيرة في (المجيز) أي مانح الجائزة ، فمن المعلوم أن قمة أعمال محفوظ الأدبية كانت قد تحددت وظهرت قيمتها وتم نضجها قبل منح الجائزة بسنوات وماأضيف أخيراً لم يعط الكاتب وقصصه مزايا تنتزع الجائزة .

ولكن المزايا جاءت من خارج النص الأدبي ومن خلف سور القص ، من عالم السياسة عندما أضفى محفوظ على أدبه (طابع الإنسانية) وذلك (**بضرورة العلاقة مع إسرائيل ، والصلح مع اليهود والتفاهم مع الصهيونية لعيش مشترك في فلسطين ومصر ولبنان**) .

في كلمة مختصرة للناقد جهاد فاضل في مجلة الحوادث ١٣ / ١١ / ١٩٨٧ بعنوان : سقوط جائزة أم سقوط حضارة ؟ أنقل بعض ماجاء في هذه الكلمة الرائعة وإن كانت جديرة كلها أن تنقل :

(إذا كان القانون يقول : الأصل براءة كل إنسان حتى يثبت العكس فالأصل في جائزة نوبل أنها متهمة حتى يثبت العكس ، ذلك أن الواقع يثبت أن وراء منح هذه الجائزة الأدبية الهامة ، مقاصد غير بريئة فهي لاتعطى كل سنة ومنذ سنوات بعيدة إلا لكاتب يهودي ، أو لكاتب منشق أو لمولى من موالي الغرب ، ولو كان كاتباً من الدرجة الثالثة ولو كان في العالم عشرات الكبار الأصلاء والمستحقين .

في أدق تعريف لجائزة نوبل ، يمكن القول أنها جائزة النظام العام الغربي الأدبي والفكري والسياسي ، وليست شيئاً آخر ، جائزة النظام العام للغرب لا جائزة الأدب والقيم الأدبية والإنسانية الرفيعة ، وتاريخها ناطق أنها لاتمنح إلا من زاوية خدمة أهداف الغرب العليا ، أداة من أدواته تماماً كالبندقية والمدفع والرادار وما إلى ذلك .

ويفضل (في المنهج) المنشق على أيدلوجية الشرق والمبهور بالغرب وثقافته وحضارته) .

(وعندما يدعى هذا المنشق في

---

١ ـ التفسير النفسي للأدب ، د . عز الدين اسماعيل ، دار المعارف ١٩٦٣ ، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

الأسباب الموجبة لمنحه الجائزة ثائراً عربياً أو إسلامياً في حين أنه ثائر على العروبة والإسلام) .

(بدأت جائزة نوبل عندما أراد عالـم سويـدي اسمه ــ الفـرد نوبل ــ التكفير عن ذنب ألحقه بالإنسانية هو اختراعه للديناميت ولكن اللجنة القائمة على الجائزة كثيراً ماتعطيها للتفجير لا للتكفير ، وبذلك تراعي الاختراع الأصلي أكثر مما تراعي رغبة التوبة عنـد مؤسسها) □

• • •

اجعل بينك وبين صنم الافرنج بوناً شاسعاً
فعهده وميثاقه لا يساويان حبة شعير
خذ النظرة من عين الفاروق
وضع القدم الجرىء في العالم الجديد

محمد إقبال

معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين

ـ ٢ ـ

محمد بن صامل السلمي

٣ ـ سيادة العدل والمساواة بمفهومها الإسلامي الصحيح :

وذلك أن التفاضل بين البشر قوامه الميزان الذي قرره الله في كتابه . قال تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات / ١٣] ، وقال رسول الله ﷺ : « لافضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » (١) .

والأدلة الواقعية والتاريخية على سيادة هذا المبدأ في عصر الخلفاء الراشدين أكثر من أن تحصى ، فهذا الخليفة الأول أبي بكر الصديق يطلب في أول خطبة له من الرعية أن تقوّم ماترى فيه من خطأ أو اعوجاج (٢) .

وهذا عمر بن الخطاب يتقاضى وهو خليفة مع أبي بن كعب الأنصاري عند قاضي المدينة في عهده زيد بن ثابت ، فيأتي عمر وأبي ابن كعب إلى مجلس القضاء ، ويقول زيد لعمر : لو طلبتني ياأمير المؤمنين لأحضر عندك . فيرد عليه عمر : مقرراً قاعدة مهمة من قواعد التقاضي وهي قاعدة المساواة : في بيته يؤتى الحكم .

ثم يحاول زيد ـ من باب الإكرام للخليفة ـ أن يدني مجلس عمر ، فيأبى عمر إلا أن يجلس مع خصمه على قدم المساواة ويقول

---

١ ـ المسند للإمام أحمد بن حنبل ٥ / ٤١١ .

٢ ـ ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٦٦١ ، والطبري ٣ / ٢١٠ .

لزيد : هذا أول الجور منك .

وبعد أن يدلي كل من الخصمين بحجته ، يحكم زيد باليمين على عمر ثم يطلب من أبي بن كعب أن يعفي أمير المؤمنين من اليمين لكن عمر أصرَّ على تنفيذ ذلك ، فيحلف كما حكم القاضي ، وبعد أن استحق الأرض المتنازع عليها قضاء وهبها عمر لأبي بن كعب (١) .

ومرة جاء رجل من المسلمين فقال لعمر : اتق الله ، فقال أحد الحاضرين : أتقول ذلك لأمير المؤمنين ، فردّ عليه عمر بقوله : دعه يقلها فلا خير فيكم إن لم تقولوها ولاخير فينا إن لم نقبلها منكم (٢) .

ومن مظاهر المساواة والعدل توزيع الفيء وأخماس الغنائم على كافة المسلمين فإن عمر رضي الله عنه لما دون ديوان العطاء جعل لكل مسلم حق في ذلك العطاء حتى المواليد ، فبمجرد ولادة طفل لأحد المسلمين يسجل اسمه في الديوان ويفرض له عطاؤه وكان عمر يقول : لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه دون أن يسعى لطلبه (٣) .

ويقول أيضاً : والله ماأحد أحق بهذا المال من أحد ووالله مامن المسلمين من أحد إلا وله في هذا المال نصيب ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله (٤) .

وقد واسى رضي الله عنه الناس بنفسه في عام الرمادة فامتنع عن أكل اللحم والسمن حتى توفر ذلك لعامة الناس ومضت أزمة المجاعة وجاءهم الفرج من الله .

يقول أنس رضي الله عنه : غلا الطعام بالمدينة فجعل عمر رضي الله عنه يأكل الشعير وجعل بطنه يصوّت فضرب بيده على بطنه وقال : والله ماهو إلا ماترى حتى يوسع الله على المسلمين (٥) .

---

١ ــ أخرج القصة ابن شبه في أخبار المدينة ٢ / ٧٥٥ ــ ٧٥٦ بإسناد صحيح من طريقين عن الشعبي .
٢ ــ ابن الجوزي : مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص ١٥٥ .
٣ ــ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣ / ٢٩٩ ، ومسند أحمد حديث رقم ٢٦٢ ، ط شاكر .
٤ ــ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣ / ٢٩٩ .
٥ ــ ابن سعد الطبقات الكبرى ٣ / ١٣١٣ ، وابن شبه ، أخبار المدينة ٢ / ٧٤٢ ، ومنتخب كنز العمال ٥ / ٣٩٧ .

وعن طاووس قال : جدب الناسُ على عهد عمر فما أكل سمناً ولاسميناً حتى أخصب الناس (١) .

٤ ــ سيادة مبدأ الشورى قاعدة للتعامل بين الحاكم والمحكوم :

مبدأ الشورى من المبادىء الإسلامية الهامة التي توفر الأمن والطمأنينة للأفراد والاستقرار السياسي للدولة ، ويؤدي إلى إشاعة المحبة وبث روح التعاون والتناصح بين الحاكم والرعية ، وهو ضروري حتى لاينفرد الحاكم بالأمر والرأي الذي قد لايكون صواباً فإن رأي الجماعة خير من رأي الواحد لأنه يأتي بعد نظر ودراسة وتفكر في الأمر وعواقبه . ومن ثم تضمن الأمة أكبر قدر من إصابة الحق ، قال ابن عطية : الشورى من قواعد الشريعة ، وعزائم الأحكام من لايستشير أهل العلم والدين فعزله واجب (٢) .

وقد قال تعالى مثنياً على المؤمنين ومعدداً بعض صفاتهم : ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [الشورى / ٣٨] .

قال القرطبي عند تفسير هذه الآية : كان الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ اليهم إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله به . ونقل عن الحسن البصري أنه قال : انهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم متفقون لايختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم (٣) .

وقال تعالى مخاطباً رسول الله ﷺ : « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ [آل عمران / ١٥٩] .

أخرج ابن أبي حاتم بسند حسن ــ كما قال الحافظ في الفتح (٤) عن الحسن قال : قد علم أنه مابه إليهم حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده .

فالشورى مشاركة في المسئولية وضمانة من الانحراف ولهذا بوب البخاري رحمه الله في صحيحه

١ ــ ابن شبه ، أخبار المدينة ٢ / ٧٤٢ .
٢ ــ المحرر الوجيز ٢ / ٢٨٠ .
٣ ــ تفسير القرطبي ١٦ / ٣٦ .
٤ ــ فتح الباري ١٣ / ٣٤٠ .

بهاتين الآيتين باباً في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (١) .

وهذا فقه عميق ونظر دقيق من البخاري رحمه الله لأهمية الشورى وكون العمل بها اعتصام بالكتاب والسنة وبعد عن الانحراف والبدعة ، ماأحوج دعاة الإسلام اليوم إلى تدبره وتفهمه لتسلم دعوتهم من القرارات العشوائية ، والاتجاهات الفردية .

وقد وردت الآثار عن الأئمة في مدح الشورى وبيان فضائلها . قال الحسن البصري : ماتشاور قوم قط بينهم إلا هداهم الله لأفضل مايحضرهم ، وفي لفظ : إلا عزم الله لهم بالرشد أو بالذي ينفع (٢) .

وقال بعض العقلاء : ماأخطأت قط !! إذا حزبني أمر شاورت قومي فعملت الذي يرون فإن أصبت فهم المصيبون وان أخطأت فهم المخطئون (٣) .

وقال البخاري : كان الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره (٤) .

وقال ابن العربي : الشورى ألفة للجماعة ، ومسبار للعقول ، وسبب إلى الصواب ، وماتشاور قوم إلا هدوا (٥) .

ولقد كانت سيرة رسول الله ﷺ وخلافة الخلفاء الراشدين من بعده تطبيق واقعي لمبدأ الشورى ، فرسول الله ﷺ الذي يأتيه الوحي من الله يسدده يصفه أبو هريرة رضي الله عنه بقوله : مارأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ (٦) .

وقد شاور رسول الله ﷺ أصحابه في الأمور العامة كما في القتال يوم بدر ، وفي أسرى بدر وفي أحد والخندق والحديبية بل حتى في

---

١ ــ انظر صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب (٢٨) .
٢ ــ فتح الباري ١٣ / ٣٤٠ ، وقال ابن حجر : أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، وابن أبي حاتم بسند قوي .
٣ ــ تفسير القرطبي ١٦ / ٣٧ .
٤ ــ الصحيح ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب (٢٨) .
٥ ــ أحكام القرآن ٤ / ١٦٦٨ .
٦ ــ أشار إليه الترمذي في كتاب الجهاد من سننه بقول : ويروى عن أبي هريرة ، وقال الحافظ في الفتح ١٣ / ٣٤٠ ، رجاله ثقات إلا أنه منقطع .

الأمور الخاصة ، كما في قصة حادثة الإفك .

أما الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم جميعاً فقد وقعت منهم في خلافتهم أمور كثيرة توضح التزامهم بهذا المنهج الشوري منها : تشاورهم في اختيار الخليفة ، ومنها استشارة أبي بكر رضي الله عنه في قتال أهل الردة ، وقد أخرج البيهقي بسند صحيح عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ورد عليه أمر نظر في كتاب الله فإن وجد فيه مايقضي به قضى بينهم وإن علمه من سنة رسول الله ﷺ قضى به ، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين عن السنة فإن أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلمائهم واستشارهم . وإن عمر كان يفعل ذلك (١) .

وقد كان القراء أصحاب مشورة عمر كهولاً كانوا أو شباناً (٢) .

وقد شاور عمر الصحابة في إملاص المرأة (٣) ، وأيضاً في قتال الفرس (٤) ، وفي دخول الشام لما وقع الطاعون بها (٥) .

وقد ترك عمر الخلافة من بعده شورى .

وشاور عثمان رضي الله عنه الصحابة أول خلافته فيما يفعل بعبيد الله بن عمر لما قتل الهرمزان ظناً منه أن له في قتل أبيه مدخلاً (٦) .. وشاور الصحابة في جمع الناس على مصحف واحد ، قال علي بن أبي طالب : « مافعل عثمان الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا » (٧) ... فهذه الوقائع من تاريخ الخلفاء الراشدين توضح بما لامزيد عليه التزامهم بمنهج الشورى في كافة الأعمال المحتاجة إلى ذلك مثل بعث الجيوش واختيار القادة وحكام الأقاليم والولايات والاجتهاد في

١ ــ ذكره الحافظ في الفتح ١٣ / ٣٤٢ .
٢ ــ صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب (١٨) .
٣ ــ صحيح البخاري ، كتاب الديات ، باب (٢٥) .
٤ ــ فتح الباري ١٣ / ٣٤٢ .
٥ ــ المصدر السابق .
٦ ــ ذكره الحافظ في فتح الباري ١٣ / ٣٤٢ ، وقال : رواه ابن سعد وغيره بسند حسن .
٧ ــ ذكره الحافظ في فتح الباري ١٣ / ٣٤٢ ، وقال : أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ، وسنده حسن .

في الأحكام الشرعية التي لانص فيها بخصوصها .

وقد كانت الشورى طريقاً ومنهجاً في اختيار الخلفاء الأربعة للإمامة العظمى ، وإن اختلفت صور المشاورة ، وقد قال عمر رضي الله عنه : من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه (١) . مما يدل على التزام الشورى في البيعة والخلافة .

٥ ـ قيام الجهاد والعلاقات الدولية في عهدهم على مقتضى الشرعية :

من المعلوم أن الدولة الإسلامية دولة متميزة في منهجها وتصورها وسياستها لأنها تأخذ أحكامها ونظمها من النصوص الشرعية في الكتاب والسنة ولذا فإن علاقتها مع غير المسلمين محكومة بتلك النصوص والأحكام .

ولقد أقام الخلفاء الراشدون علاقاتهم مع غير المسلمين على موجب تلك الأحكام . فالأرض إما :

أ ـ دار إسلام : وتطبق فيها أحكام الشريعة على كافة المقيمين فيها سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، لأن غير المسلم لابد أن يدفع الجزية للأحكام الإسلامية التي شرعها الله في حق أهل الذمة ، وللشروط التي وضعها الخلفاء ، وهي مفصلة في كتب الفقه ومنها أن يلتزموا بأداب المسلمين الظاهرة ولا يرفعوا صليباً ولا يشربوا خمراً ولا يؤذوا مسلماً ولا يبنوا كنيسة ولا يدعوا أحداً إلا دينهم ولا يرفعوا دورهم فوق دور المسلمين ، ولا يحتفلوا بأعيادهم ظاهراً ولا ينشروا شيئاً من كتبهم بين المسلمين (٢) .

ب ـ أو دار كفر ، وتنقسم هذه الدار إلى قسمين : دار صلح وعهد ، ودار حرب .

فأهل الصلح والعهد يوفى لهم بعهدهم إذا حصل منهم الوفاء ، والعهد والصلح لايكون مستمراً إلى الأبد بل لابد من توقيته بأجل ، ومن العلماء من جعل أطول مدة للعهد والصلح عشر سنين أخذاً من أطول

---

١ ـ رواه البخاري ، كتاب الحدود ، باب (٣١) .
٢ ـ انظر ذلك مفصلاً في كتاب أحكام أهل الذمة للحافظ ابن القيم .

مدة صالح بها رسول الله ﷺ المشركين في صلح الحديبية (١) .

أما أهل الحرب فلا علاقة بينهم وبين المسلمين إلا السيف والقتال والأخذ بكل طريق ومرصد ـ إذا أقيمت عليهم الحجة وكان بالمسلمين قوة واستطاعة ـ لإرغامهم على الخضوع لله ولدينه وليكون الدين كله لله ، قال تعالى : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴾ [التوبة / ٥] .

وقد طبق الخلفاء الراشدون هذه الأحكام بأعلى وأتم مايكون التطبيق وكسرت في عهدهم أكبر دولتين عظيمتين في العالم في ذلك الزمن الدولة الفارسية والدولة الرومانية وأورث الله المسلمين أرضهم وأموالهم وأنفقت كنوزهما في سبيل الله وخضعت أراضيهم لحكم المسلمين وأصبحت دار إسلام ، ومن لم يسلم من أهل تلك المناطق طبقت عليه أحكام أهل الذمة وأخذت منه الجزية مقرونة بالذل والصغار كما أمر الله تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ [التوبة / ٢٩] .

كما ضربوا العشور على تجار غير المسلمين إذا مروا بأرض الإسلام أما المسلمون فلا يؤخذ منهم عشور ولا ضرائب وإنما تؤخذ منهم الزكاة المفروضة ، ووضع الخلفاء الراشدون الخراج على الأرض حسب التفصيلات المقررة في مواطنها .

أما جزيرة العرب فقد أخرجوا منها اليهود والنصارى ولم يبق فيها إلا مسلماً تنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ ووصيته في آخر حياته حيث قال : « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لاأدع فيها إلا مسلماً » (٢) ، وقوله : « أخرجوا المشركين من جزيرة

١ ـ حكى الطبري في كتاب اختلاف الفقهاء (ص ١٤) الإجماع على أن الصلح بين المسلمين والكفار لايكون إلى الأبد .
٢ ـ رواه مسلم ٣ / ١٣٨٨ ، حديث رقم (١٧٦٧) .

العرب (١) .

٦ ـ الحماس في نشر الإسلام :

وظيفة الدولة الإسلامية هي نشر الدين حتى يعبد الله وحده ، ولهذا عرف ابن خلدون الخلافة بقوله : هي نيابة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا (٢) .

والدولة تنفذ هذه الوظيفة بالجهاد وفتح البلدان وبالدعوة والتعليم لأوامر الدين ونواهيه وكافة أحكامه الشرعية . فحركة الجهاد والفتح العسكري لابد أن يصحبها ويتبعها الدعاة والمعلمون ليفقهوا الناس في دينهم وهذا التلازم بين الفتح العسكري والتعليم أمر ضروري لابد منه لاستقرار الدعوة والدولة ولابد من ملاحظة التوازن المطلوب في هذا الجانب ، فبقدر التوسع في الأرض يكون التوسع في الدعوة والتعليم حتى لايختل ميزان التربية وتحدث الخلخلة في الصف الإسلامي وتتوسع الفجوة بين الفاتحين وسكان الأراضي المفتوحة مما يتسبب في حدوث ظواهر سلبية تؤثر في تماسك الصف الإسلامي ووحدته السياسية والفكرية .

وقد بذل الخلفاء الراشدون ماستطاعوا في سبيل حدوث هذا التوازن بين حركة التوسع الأفقي في فتح البلدان وبين التوسع الرأسي في تعليم الناس وتفقيههم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ولكن رغم وجود البذل والحماس في ميدان التعليم والتربية على تعاليم هذا الدين إلا أن الملاحظ أن التوسع في الأرض كان سريعاً وواسعاً فقد فتحت العراق وماوراءها والشام ومصر في سنوات قليلة معدودة فلم يكن في مقدرة الطاقة البشرية في ميدان التربية والتعليم استيعاب الأعداد الهائلة من سكان تلك المناطق وتعليمها كما لم يكن الزمن كافياً لرسوخ التعاليم الإسلامية في نفوس

---

١ ـ طرف من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة .
٢ ـ المقدمة / ١٩١ .

كثير منهم مما ساعد – مع غيره من العوامل – فيما بعد على وجود خلخلة فكرية وظواهر سلبية دخيلة على النهج الإسلامي مما سبب ظهور الفرق والأهواء المتشعبة .

وبعد فهذه جملة من أهم المعالم البارزة في تاريخ الخلافة الراشدة أردنا بالتنبيه إليها توجيه أنظار دعاة الإسلام إلى الاستفادة من هذا التاريخ المشرق والسير على منوالهم فإنهم القوم بهم يقتدى وبهديهم وسنتهم يسلك ويتبع ، والله الموفق والهادي □





- السلام في أفغانستان ... خطط ومكائد
- تركستان المنسية
- المسلمون في فطاني

السلام في أفغانستان
خطط ومكائد

حينما حصل الانقلاب الشيوعي في أفغانستان على محمد داود لم يدر بخلد الشيوعيين السوفييت ، ولا عملائهم الشيوعيين الأفغان أن حرباً — كالحرب التي حدثت في أفغانستان — ستحدث ، ولم يقدروا أن الشيوعية ، بما لها من جبروت ، سوف يهزمها شعب فقير وشبه منعزل .

ولذلك ، وبعد أن تأكد للسوفييت عقم محاولاتهم في إخضاع هذا الشعب ؛ وفي تسليط شرذمة من عملائهم لإذلاله وكسر شوكته ؛ لم يبق من الحكمة إلا أن يفكروا بطريق غير الطريق العسكري يحققون به ماعجزت الآلة العسكرية عنه ، وضمن هذا الإطار ينبغي أن تفهم التحركات الأخيرة للحكومة السوفييتية ، وتأتي الخطوة الأخيرة للسوفييت في سياق إطار عام من الانفراج الدولي بين القوى الكبرى ، ومن محاولات ترميم النظام الشيوعي في داخل الدول التي تتبناه ، بعد أن وصلت حالات جموده ونفور الناس منه إلى منتهاها .

وكانت مبادرة غورباتشيف التي اقترحها في خطابه في الأمم المتحدة في ٧ / ١٢ / ١٩٨٨ تتضمن النقاط التالية :

- وقف إطلاق النار ابتداءاً من ١ / ١ / ١٩٨٩ م .
- بقاء الأطراف المتحاربة في الأماكن التي تسيطر عليها .
- وقف إمداد السلاح لأي من الأطراف منذ ١ / ١ / ١٩٨٩ م .
- تأليف حكومة ذات قاعدة عريضة ، حسب قرار الأمم المتحدة .
- إرسال قوة من الأمم المتحدة إلى كابل وبعض المراكز الاستراتيجية .
- عقد مؤتمر بواسطة الأمم المتحدة في فترة قريبة حول حياد أفغانستان ونزع السلاح فيها .

● تساهم روسيا في تضميد جراح الحرب مع الأمم المتحدة والدول الأخرى .
● إنشاء قوة سلام دولية تكونها الأمم المتحدة من أجل إعدة بناء أفغانستان .

ومن محاولة البحث عن الأسباب والأهداف وراء هذه المبادرة ، فإن الدارس يخرج بالنتائج التالية :

١ ــ حفظ ماء الوجه ، والتغطية على الهزيمة الفعلية ، حيث إن السوفييت فشلوا في تطبيق ما يريدون ، والآن يعرضون خطة انسحاب تحت مظلة الأمم المتحدة .

٢ ــ إن التركيز على حياد أفغانستان ونزع السلاح منها ، يعني أن السوفييت لا يطمئنون إلى الشعب الأفغاني وبخاصة بعد معرفتهم بمدى جنايتهم عليه .

٣ ــ محاولة تمرير العناصر الشيوعية خلال حكومة ذات قاعدة عريضة تضمهم وتضم غيرهم ، بعد فشلهم في إقامة حكومة شيوعية خالصة ، وفي هذا اعتراف بالفشل من جهة ، ومحاولة التزام بأضعف الإيمان بعملائهم وعدم التخلي عنهم .

نقاط الالتقاء والافتراق في الموقف السوفيتي والأمريكي :

إن الموقف الأمريكي يتلخص بأن يجلو السوفييت عن أفغانستان وأن تسقط الحكومة الموالية للسوفييت ، وأن تقوم حكومة لا أثر للنفوذ الشيوعي فيها ، ولا بأس أن تكون موالية لهم .

والأمريكان والروس متفقون على عدم تشجيع قيام حكومة إسلامية ، فليس من مصلحتهم جميعاً أن يكون وجه هذه الدولة إسلامياً واضحاً : تشريعاً ، وتوجهاً ، وإذا كان بإمكان روسيا ــ باعتبارها قوة كبرى مجاورة لأفغانستان ــ

أن تضغط من أجل ذلك ؛ فإن أمريكا لها وسائلها أيضاً حيث يمكنها أن تضغط إما بشكل مباشر عن طريق قطع إمدادات الأسلحة ، وإما بطريق غير مباشر عن طريق الطلب من إحدى وكيلاتها في المنطقة للضغط على المجاهدين .

موقف باكستان وإيران :

لابد من الحديث عن موقف كل من باكستان وإيران باعتبارهما جارتين لأفغانستان ، وموقفهما يفهم على ضوء الانفراج بين السوفييت والأمريكان ، ثم على ضوء التغيرات الأخيرة في كل من الدولتين .

فباكستان بوتو غير باكستان ضياء الحق ، وبوتو ــ التي لم تصل إلى ماوصلت إليه إلا بعد اتفاقات وتطمينات ، وتطابق في بعض وجهات النظر بينها وبين أمريكا ــ لا تستطيع إلا أن تنفذ ماتتطابق فيه النظرتان ، وأهمه كبح المطالبة بحكم إسلامي صحيح في أفغانستان ، وتلتقي في ذلك مع إيران ، حيث إن وحدة الأصل الذي تحدر منه حكام طهران وحاكمة باكستان الآن يساعد على ذلك .

فإيران التي تقدم نفسها للمسلمين ــ دون حق ــ كناطق رسمي باسمهم في العالم تعلم جيداً أن قيام حكم إسلامي للمجاهدين في أفغانستان يخالف في أصوله وفروعه أسلوبها ؛ أمر لايسرها ، بل هو من قبيل المضاربة والمنافسة التي لاترتضيها .

موقف المجاهدين :

إن موقف المجاهدين في هذه الفترة يتمتع ببعض النقاط القوية ، ومن ذلك أن السوفييت تجاوزوا الحكم الشيوعي في أفغانستان واتصلوا بهم مباشرة ، وكذلك اعتراف السوفييت بسيطرة المجاهدين على مواقعهم ، وإظهارهم أنهم ماضون في استكمال انسحابهم .

كما إن إصرارهم ــ أي المجاهدين ــ على مخاطبة روسيا بصوت واحد له دلالة طيبة ، وقد لخص موقف المجاهدين قلب الدين حكمت يار في مؤتمر صحفي عقده في بيشاور بتاريخ ١٠ / ١٢ / ١٩٨٨ م نقتطف منه بعض الفقرات :

وقف إطلاق النار المقترح :

إن قضية وقف إطلاق النار في منظورنا قضية غير معقولة وغير عملية مالم يتم استئصال الأسباب التي كانت وراء نشوب القتال في أفغانستان بادىء ذي بدء والتي لاتزال قائمة ، وفي مقدمتها عدم انسحاب القوات الروسية التام من أفغانستان ، وعدم سقوط النظام الشيوعي الألعوبة ، الملطخة يداه بدماء مئات الألوف من الأبرياء من أبناء الشعب ، وإن أي اتفاق على غير هذا الأساس سيكون خداعاً للشعب .

نزع السلاح :

لن نرضى بتاتاً باقتراح نزع السلاح في أفغانستان تحت أي ظرف من الظروف ، حتى في المرحلة التي ستعقب النصر . إن دولة كأفغانستان مجاورة لدولة توسعية كروسيا لايمكن لها المحافظة على استقلالها السياسي عن طريق الاحتفاظ بجيش محدود الحجم ، أو بشعب منزوع السلاح .

قوات حفظ السلام :

إننا نعتبر إرسال أي قوات أجنبية إلى أفغانستان تحت أي اسم كان أو أية ذريعة كانت اعتداء خارجياً ، وإننا سنجابه هذا الأمر بكل ماأوتينا من قوة . كما أنه سيكون بمقدور أمتنا في مرحلة مابعد الانسحاب الروسي وضع حلول كفيلة لتسوية مشاكلها وبدون الحاجة إلى عون من أي قوى خارجية .

وبالجملة فإننا نكرر مرة أخرى أن الحل الوحيد للمشكلة الأفغانية هو الانسحاب غير المشروط للقوات الروسية ، وسقوط نظام نجيب الله ، وضمان حق تقرير المصير للشعب الأفغاني .

ومن جهة أخرى نقلت وكالة أنباء البنيان التابعة للمجاهدين في ٧ / ١٢ / ١٩٨٨ م رفض الشيخ سيّاف وعدم اعتقاده بجدوى التفاوض مع الروس قبل إتمام انسحاب قواتهم بالكامل من أفغانستان .

المحـاذيــــر :

إن مايجب أن يتنبه إليه المجاهدون هو أن روسيا التي فشلت في إملاء رغباتها عن طريق القتال قد تنجح عن طريق التفاوض والمناورات ، وروسيا ماضية في خططها الخبيثة فهي تحرص على شق المجاهدين ، وعلى مخاطبة كل فريق على حدة ، فقد اتصلت بالملك السابق وله أنصاره وعملاؤه ، وكذلك حرصت أن تتصل بإيران ومن يلوذ بها من أنصارها وعملائها ، قبل أن تلتقي مع قيادة المجاهدين في باكستان .

وروسيا تحرص كل الحرص على اللعب على التناقضات ، وتكبير الصغير من الخلافات الفرعية ، كما أنها تحرص على أن ينضم إليها في عدائها وخصومتها للمجاهدين وما يمثلون ؛ لا أمريكا وممثلوها ، وإيران وبطائنها ؛ بل أناس وفرقاء من المجاهدين أنفسهم ، فهل يمكنها قادة المجاهدين من ذلك ؟ نسأل الله أن يدفع البلاء .

بعد فراغنا من كتابة التعليق السابق عن آخر أخبار القضية الأفغانية ؛ وصلنا هذا التقرير الذي نضعه بنصه ولا يختلف في فحواه عما أشرنا إليه .

يحوِّل حكام إيران اهتمامهم من حرب الخليج ، إلى مرحلة حاسمة من صراع القوى في أفغانستان ، ومن المرجح أن يشاركوا

في مباحثات الصفقة الأخيرة التي سيتمخض عنها نشوء حكومة ائتلافية يستبعد الشيوعيون منها ، وقد يشكل ائتلاف كهذا أفضل حل للسوفييت ــ الذين باتوا على استعداد للتخلص من نظام نجيب الله ــ يحفظ لهم ماء الوجه ، ويرضي باكستان ، حسب معلومات نشرة Foreign Report (*) بهذه التحركات السرية الأخيرة .

ولكل من إيران وباكستان ــ كما للاتحاد السوفييتي ــ مصلحة قوية في إقامة حكومة مستقرة ، وغير معادية في أفغانستان . وتشترك إيران مع أفغانستان في حدود دولية مفتوحة ، وزعماء إيران الدينيون تواقون لرؤية رفاقهم الشيعة ــ الذين لايشكلون سوى نسبة ضئيلة من الشعب الأفغاني السني ــ يظفرون بنصيب أكبر من صفقة قادمة .

وتتخذ ثمانية أحزاب شيعية أفغانية من إيران قاعدة لها ، وتعدُّ « حركة إسلامي » التي يقودها شيخ محسني ــ من قندهار ــ أكبر تلك الأحزاب ، وتريد إيران أن يلعب محسني دوراً رئيسياً في أي تسوية في أفغانستان

وقد يكون لأربعة أحزاب صغيرة أخرى تحظى بدعم إيران وتنشط في الأماكن النائية دوراً في تسوية مقبلة ، وعلى أية حال فإن تلك الأحزاب تبدي منذ وقت طويل رغبتها في إنشاء قاعدة سياسية بدلاً من مقاتلة الروس ، كما أن إيران تتود منذ مدة إلى البروفسور برهان الدين رباني أهم زعماء الأفغان الذين يتخذون من بيشاور في باكستان قاعدة لهم ، وكان رباني قد مكث في زيارته الأخيرة لطهران أطول من الفترة المقررة للزيارة ، كما أنه استقبل من قبل الرئيس علي

* نشرة خاصة تصدر عن مؤسسة « الإيكونومست » .

خامنئي استقبال رؤساء الدول ، ويتزعم رباني حزب « الجمعية الإسلامية » وهي أكبر الجماعات في إقليم هرات والإقليم الشمالي ، كما أن لديها أكبر عدد من المقاتلين في ساحات القتال ، وسيكون رباني في أي ائتلاف يخلف نجيب الله .

وقالت مصادرنا إن رباني ــ خلال زيارته لطهران ــ وعد الشيعة الأفغان باحترام مطالبهم الهادفة إلى الحصول على تمثيل عادل ومشاركة في السلطة في ائتلاف مقبل (١) ، كما علمت مصادرنا أن « فورنتسوف » نائب وزير الخارجية السوفييتي وسفير بلاده لدى أفغانستان يشدد على ائتلاف بين الأحزاب السنية والشيعة ، ويريد الروس ضم الحزب الشيوعي إلى هذا الائتلاف ، ولكنهم يعلمون جيداً برفض المجاهدين لذلك ، ولذلك فإن فورنتسوف ينأي بنفسه عن نجيب الله .

وإن رئيسة وزراء باكستان الجديدة والضعيفة يهمها التوصل إلى حل يشجع عودة ملايين اللاجئين الأفغان إلى بلادهم في أسرع وقت ، الأمر الذي لن يكون إلا بوجود حكومة ائتلافية مستقرة وغير شيوعية في كابل .

ولكن ياترى من سيكون في ذلك الائتلاف ؟ والجواب : يبدو أن أغلب الجماعات السنية والشيعية ستدعى إلى ذلك باستثناء الحزب الإسلامي الذي يرأسه قلب الدين حكمت يار ــ والذي يعد من قبل منتقديه متطرفاً وقاسياً ومتعطشاً إلى السلطة (!!) (٢) ــ .

والقادة العسكريون الذين يدعمون المجاهدين يرون في وجوده

---

١ ــ هذا رأي أصحاب النشرة ، وثقتنا بالأخ رباني أنه سيخيب ظن هؤلاء المتخرصين .
٢ ــ هذا ديدن أعداء الإسلام ، فكل من بدت منه صلابة في دينه ، وعدم قبول الدنية يصفونه بأبشع الصفات .

حجر عثرة يمكن أن يخرب هذه الفرصة السانحة لالتقاء هذه الجماعات مع بعضها .

وقد التقى المبعوث الروسي فورنتسوف وآخرون بالملك المخلوع ظاهر شاه الذي يعيش في روما منذ خلعه عام ١٩٧٣ م والذي يمكن أن يلعب دوراً من حيث إمكانية اجتماع هذه الجماعات عليه باعتباره شخصية غير سياسية (*) ، ولكنه من الضعف والجبن بحيث لايمكنه اقتناص الفرصة .

إن ائتلافاً يستبعد الشيوعية وحكمت يار ، ويضم غالبية الأطراف السنية والشيعية ، قد يكون أفضل فرصة لأفغانستان لتجنب ماهو أسوأ ، المتمثل بتقسيم البلاد ــ بمزيد من سفك الدماء ــ إلى إقطاعيات متناحرة .



* هكذا يقدمون الملك السابق على أنه شخصية غير سياسية ! والحق أن له أنصاره ، وله من يعمل له ويؤيد أفكاره ، بالإضافة إلى دعم القوى الغربية له .

أخبار الجهاد الأفغاني

حصار المجاهدين يصيب كابل بالشلل

ذكرت صحيفة التايمز اللندنية بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٩٨٨ م إن إمكانية بقاء النظام الشيوعي في كابل في مرحلة مابعد إكمال الانسحاب السوفييتي مقرون بمقدرته على مقاومة الحصار الاقتصادي الفعال الذي يفرضه المجاهدون على العاصمة كابل .

وتتضح قبضة المجاهدين على العاصمة كابل ذات الطقس الشديد البرودة في أوضح صورها ، حيث تقف قوافل من السيارات التي قد تزيد كل قافلة منها على ٢٠٠ سيارة ، أمام محطات الوقود .

كذلك يتحدث سكان كابل عن نقص شديد في المواد الغذائية الأساسية كالخبز ، وعن ارتفاع ملحوظ في أسعار السكر والشاي والخضروات .

ويرجع السبب الرئيسي وراء الأزمات تلك إلى الحصار الذي يضربه المجاهدون على الطرق الحيوية .

□□□□□□□□□□

وجاء في العدد التاسع والأربعين من مجلة الجهاد الصادرة عن المجاهدين أن المجاهدين مازالوا يتقدمون في فتح المواقع ، وقد تمكنوا أخيراً من فتح (طورخم) الممر الشهير والشريان الحيوي الواصل بين أفغانستان وباكستان ، واستولوا على نقطة التفتيش المهمة في هذا الممر ، وقد هرب إليهم (١٨٥) جندي أفغاني بعد هذا الفتح . ويحاول المجاهدون الآن مهاجمة منطقة (سمرخيل) المهمة ، وأما في المناطق الأخرى فالوضع جيد بشكل عام بسبب ضعف الحكومة وانسحاب القوات الروسية .

تركستان المنسية

قبل أسابيع معدودة من الآن خرج مئات من الطلاب التركستانيين المسلمين (الأويغور) (١) في جامعة مدينة أورومجي في مظاهرة في شوارع المدينة وهم يلوّحون بلافتات ويطلقون شعارات ضد خصمهم التقليدي : المستوطنين الصينيين وذلك احتجاجاً على إعلان ظهر في أحد أروقة الجامعة يدعو إلى اتخاذ رجال الأويغور عبيداً ونسائهم جواري .

وقالت سيدة تركستانية : « إننا في منظور الصينيين دائماً قوم غير متحضرين ولا نعرف النظافة » وعلق مسؤول صيني على الأحداث فقال : « إن هناك نفراً قليلاً ممن يتآمر بالخفاء ضد وحدة الوطن الأم ، وأضاف : إن أولئك هم خونة ومن حثالة الناس ولايمكن التسامح معهم » ، وكانت آخر جولات المصادمات بين المسلمين والصينيين قد حدثت قبل سبع سنوات عندما خرج المسلمون في انتفاضة عارمة في مدينة كاشغر (٢) مستخدمين أسلحة نارية استولوا عليها من إحدى ترسانات السلاح الحكومية ، وقد استدعي جيش التحرير الشعبي لسحق الانتفاضة مما أدى إلى سقوط المئات من القتلى في صفوف المسلمين .

وتخشى الحكومة الصينية من أن تكون أحداث كهذه امتداداً طبيعياً لما يحدث في الجمهوريات المسلمة في الاتحاد السوفييتي المجاور ، هذا بالإضافة إلى المشاعر الأخوية التي يكنها مسلمو تركستان ــ الذين يستقلون بلغتهم ودينهم وتاريخهم ــ لمسلمي الاتحاد السوفييتي مما يجعل أمر ولائهم السياسي لبكين مدار شكوك لدى الحكومة الصينية .

---

١ ــ الأويغور : القبيلة التي انحدر منها جنكيز خان .

٢ ــ كبرى مدن تركستان ، فتحها التابعي الجليل قتيبة بن مسلم الباهلي عام (٥٦ هـ ــ ٧١٤ م) إبان خلافة الوليد بن عبد الملك .

وكان الشيوعيون الصينيون قد قضوا على آخر محاولة تحررية قام بها مسلمو تركستان في عام ١٩٣٢ م واستمرت خمسة أعوام اضطر الصينيون حينها للاستعانة بالآلاف من القوات الروسية التي مكنتهم من سحق التمرد . ثم تعرضت البلاد إلى محنة أخرى إبّان مايسمى بالثورة الثقافية التي قادها (ماوتسي تونغ) هُدّمت وأغلقت خلالها المئات من المساجد ، في حين قضت المزارع التعاونية على أسباب عيش الرعاة القرويين والتجار والمزارعين .

هذا وقد عمدت الحكومة الصينية إلى توطين أعداد كبيرة من الصينيين في إقليم تركستان وذلك لموازنة كفة السكان هناك . ففي الوقت الذي لم تكن فيه نسبة الصينيين تتجاوز الـ ١٠٪ من مجموع السكان البالغ أربعة ملايين في عام ١٩٤٩ م باتوا اليوم يشكلون مايربو على ٤٦٪ من مجموع سكان الإقليم البالغ (١٤) مليون .

وبعد مايزيد على نصف قرن من الحكم الشيوعي مازال التركستانيون يعيشون في عزلة اجتماعية شبه تامة عن الصينيين ، بل إنه من النادر تحدثهم باللغة الصينية ، أما الطلاب الجامعيون فيرفضون بشدة سياسة الدولة الهادفة إلى مزج الطلاب المنحدرين من عرقيات مختلفة في الوحدات السكنية الجامعية .

ويحبذ مسلمو تركستان هذا النوع من الانفصال العرقي وذلك لأنه الأسلوب الوحيد الذي يتمكنون من خلاله المحافظة على هويتهم الإسلامية ، في حين أن أكثر مايثير حفيظتهم هو مايلحظونه من عدم مساواة في توزيع فرص العمل لاسيما في المراكز الرسمية المهمة ، حيث يشغل الصينيون معظم الوظائف الإدارية العليا والحساسة .

عن الاندبندنت ٢٠ / ١٠ / ١٩٨٨ م

المسلمون في فطاني

تقع فطاني في شبه جزيرة الملايو جنوب شرق آسيا ، وهي إحدى ولايات مملكة فطاني ... وتقع بين خطي عرض ٥ ــ ٨ شمال خط الاستواء ، أما الأمطار فإنها مستمرة طوال العام .. وتغطي الخضرة معظم أراضيها ... وأنهارها تجري طوال العام .

وتعتبر منطقة فطاني غنية من الناحية الزراعية والمعدنية ... ولكن مع الأسف إن هذا الغنى يذهب إلى مملكة تايلاند ... وأهم منتجاتها الرز حيث تحتل تايلاند بما فيها فطاني المركز السادس في العالم في إنتاج الأرز [١] .

وصول الإسلام إلى فطاني :

لايعرف بالضبط متى وصل الإسلام فطاني .. ولكن بدايته كانت عن طريق التجار الذين وصلوها من الهند وسومطرة إضافة إلى التجار العرب الذين حملوا معهم الإسلام إذ أسسوا أول محطة لهم في كانتون في الصين حين كان طريق سفرهم إلى الصين عن طريق فطاني .

وتروي الأخبار الفطانية وكتب التاريخ أنه في حوالي عام ٧٥١ هـ أسلم ملك فطاني وتبعه أفراد أسرته ووزرائه ثم الشعب .

أما عدد السكان فآخر إحصائية في منطقة فطاني تذكر أنهم ثلاثة ملايين نسمة نسبة المسلمين فيها ٨٠٪ ، أما اللغة الرسمية فهي اللغة الملاوية وتكتب بالأحرف العربية وفيها كثير من الكلمات العربية ، بل وصل الأمر ببعض الفطانيين إلى اعتقادهم أن الدعاء لايصح إلا بالعربية بل يستجاب ، أما تايلاند فتصر على

١ ــ فطاني . محمود شاكر .

أن اللغة الرسمية هي اللغة التايلاندية ، ويصر الفطانيون على التمسك بلغتهم وهي جزء من كيانهم رغم محاربة تايلاند لها .

أقسام فطاني :

تنقسم فطاني إلى ٤ مقاطعات هي :

١ ــ فطاني : أصغر المقاطعات وعاصمتها فطاني وهي أكبر مرفأ بحري وجوي في البلاد .
٢ ــ بنغازا (نارايتواس) تقع على ساحل بحر الصين الجنوبي ومركزها بنغازا .
٣ ــ ساتول (ساتون) تشمل ولاية ساتول وجزءاً من مقاطعة سونكلا ، وتتبعها عدة جزر ، وهي أكبر المقاطعات وأوسعها .
٤ ــ جالا (يالا) : منطقة داخلية .

الاستعمار لفطاني :

استولى التايلانديون على فطاني عام ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م حيث هاجموها عدة مرات بعد فشل عدة محاولات وأخيراً استولوا عليها وقسموها إلى ولايات لإضعافها « فرق تسد » وبدأت ثورات الفطانيين تترى .

أمثلة لمحاربة تايلاند للإسلام في فطاني :

سنلخص بعض ماتفعله مملكة تايلاند لمحاربة الإسلام في فطاني :

١ ــ وافق وزير التعليم التايلاندي على لبس الطالبات الحجاب في المدارس إلا أن البوذيين حرضوا الطلاب والطالبات البوذيين على القيام بمظاهرات واحتجاجات سحب الوزير على أثرها قراره وقامت مظاهرات فعلاً مما اضطرهم إلى إغلاق الكلية في محافظة (جالا) وكان ذلك ومع الأسف بتحريض من المسئولين البوذيين .

وتبلغ نسبة المسلمين في ولاية (جالا) ٨٥٪ وهي أكبر نسبة في ولايات فطاني الأربع ، أما النظام المتبع الآن فهو منع الزي الإسلامي في المدارس

والكليات ، ومن تلبس اللباس الإسلامي مهددة بالطرد من الجامعة .

ومن وسائل طمس الإسلام في فطاني :

١ ـ تعقيم المسلمات .

٢ ـ تصوير ورسم الرسول محمد ﷺ في المدارس .

٣ ـ وضع تماثيل بوذا في المدارس .

٤ ـ تغيير الأسماء الإسلامية إلى بوذية .

٥ ـ إقامة المعابد وسط قرى المسلمين .

٦ ـ اغتصاب أراضي المسلمين وتوزيعها على البوذيين .

ومع كل هذا الضغط مازال المسلمون متمسكين بدينهم ولله الحمد ، ولن ينسى التاريخ مأساة شهر ذي الحجة عام ١٣٩٥ هـ الموافق ١٩٧٥ م عندما قامت السلطات التايلاندية بذبح ٥ مسلمين في سايبوري الأمر الذي تسبب في المظاهرات في جامع فطاني ، واستمرت قرابة شهرين استشهد فيها ٦٠ مسلماً من المدرسين والطلبة .

٢ ـ وفي ٢٦ / ١٢ / ١٩٨٧ م قام تايلانديون من رجال الأمن وعددهم ٣٠ بهجوم على إحدى قرى فطاني ، وقاموا بجمع الفلاحين المسلمين وضربوهم وعذبوا أربعة منهم ثم رموهم بالرصاص ودفنوهم في مقبرة واحدة بدون صلاة .

٣ ـ يتعرض المسلمون الآن في فطاني لأنواع من المآسي والفتن من إبادة وقتل جماعي ، إضافة إلى إبادة الوجود الثقافي والإجتماعي لهم .

٤ ـ تقوم السلطات هناك بنشر الفساد وترويج المخدرات بين السكان وكذلك سرقة المواشي والممتلكات وهتك الأعراض .

انطباعات عامة عن فطاني :

لقد وفقني الله سبحانه وتعالى لزيارة هذا البلد (فطاني) الذي يقع في وسط دولة كافرة لاتأبه بالإسلام ولا تعترف به ، وهي تايلاند ، وقد شاهدت بنفسي مايعانيه أبناء فطاني المسلمون من مضايقات كثيرة من قبل الحكومة لا

لسبب إلا أنهم قالوا ربنا الله ، ولكن ومما يثلج الصدر هذه الصحوة العارمة التي بدأت في صفوف الشباب والشابات والإقبال الكبير على هذا الدين القويم من الجميع إلا أن تايلاند تخوفت من ذلك ، وأصبحت تصدر الإحصائيات بين كل فترة وأخرى وتبين بهذه الإحصائيات زوراً أن الغالبية من أبناء فطاني ليسوا مسلمين ، بل وصل الأمر بحكومة تايلاند أن بدأت تهجر أعداداً كبيرة من البوذيين من مناطقهم في تايلاند وتسكنهم في مناطق المسلمين في فطاني بالقوة لتبقى النسبة في صالحهم .

وتقوم المدرسة الرحمانية في فطاني بجهود كبيرة لخدمة المسلمين في هذه البلاد ، ويشرف عليها إخوة نذروا أنفسهم لخدمة هذا الدين ، وهم ولله الحمد مؤهلون من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وتشرف على تدريس الشباب والفتيات وكذلك الكبار .

وكانت زيارتنا لهذا البلد في رمضان حيث وجدنا سنة الاعتكاف في معظم مساجدهم بل منهم التجار الذين تركوا تجارتهم واعتكفوا بالمساجد ، إلا أن الخطر هناك يكمن في نشاط بعض الفرق المنحرفة عن الإسلام .

وإننا نهيب بالمسلمين ممن يهتمون بشؤون الأقليات الإسلامية أن يتداركوا إخوانهم هناك بتقديم الكتب المبسطة والمترجمة والتي تساعدهم على الفهم الصحيح للإسلام □

إبراهيم الدهيمان

● ● ●

« ... والرسالة روح العالم ونوره وحياته ، »
« فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور ؟! »
« والدنيا مظلمة ملعونة ، إلا ماطلعت عليه شمس الرسالة . »

ابن تيمية

الحضارة المعاصرة .... الوجه الاخر

- ☐ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا
- ☐ رقم قياسي جديد في جرائم القتل
- ☐ عبادة الشيطان في ألمانيا

ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا

قصة تتكرر في مدن الغرب وربما في لندن أكثر من غيرها ننقلها بقلم كاتبتها (آن دي كوري) لتصور لنا بعض مايعاني الغرب عندما ابتعد كثيراً عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

إن مثل قصة الشابة لورين بانس التي اغتيلت ببشاعة هذ الأسبوع أصبح ــ ويا للعار ــ أمراً مألوفاً ، فلم تكد تمضي بضع دقائق على مغادرتها للقطار حتى سقطت ميتة بفعل فاعل هاجمها بعنف وخنقها .

بماذا عسانا نواجه بناتنا وأبنائنا ياترى ؟! إن أقل مايشعر به الرجل عندما يعتدى على امرأة تخصه ، في هذه الأيام هو الشعور بالعجز التام والنقمة والذنب .

إننا في رأيي بحاجة ماسة إلى أمرين اثنين :

أولاً : لابد من تغيير جذري في مواقفنا فليس علينا فقط أن نعترف بوجود أماكن وأوقات خطيرة ــ هذا فضلاً عن البشر ــ بل علينا ــ أعني سكان لندن ــ أن نقر بحقيقة (مرة) وهي أننا نعيش في غابة يسودها قانون الغاب ، ويأكل القوي فيها الضعيف .

ولهذا فعلينا مثل سائر مخلوقات الغابة أن نتأقلم مع هذا الواقع ... بالطريقة التي تتكيف بها الحيوانات الضعيفة مع الأخطار المحدقة بها من قبل الحيوانات

الأكثر قوة ــ هذه الحيوانات التي تدفعها شراستها إلى مطاردة فريستها والتربص بها والانقضاض دون نجاح مراراً عديدة ، حتى تفوز في آخر المطاف بالضربة القاضية .

ثانياً : لابد أن نسعى لاحياء الهمم بإيقاظ الشعور الفطري لدى الرجل بضرورة حماية المرأة . في وقت مضى كانت التقاليد تجبر الرجل على أن يصطحب المرأة ــ ذاهبة أو آيبة ــ بل كان المضيفون عند نهاية الحفل لايتركون امرأة منفردة تغادر بيتهم دون رفيق ، إذ كانوا يحرصون على إيصالها إلى بيتها إما بصحبتهم أو على الأقل في سيارة أجرة فإن تعذر ذلك فإنهم يصرون على بقائها عندهم تبيت ليلتها بخفارتهم . كانت القاعدة هي أن حماية المرأة واجب ومسؤولية كل رجل .

إنه اعتراف بالحقيقة البيولوجية البسيطة وهي أن النساء أضعف بنية من الرجال ، ثم إن الذكور من الأولاد إذا تربوا على تفهم ضعف أخواتهم وهشاشة معدنهن فسوف يتكون لديهم شعور فطري بالمسؤولية تجاه تأمين كل النساء .

التعليق :

في هذه القصة وأمثالها حقيقة مرة بالنسبة لدعاة مايسمى بتحرر المرأة ، ولكنها حقيقة معروفة ومحسوبة في نظر الإسلام الذي أكرم المرأة ، واعتبرها مخلوقاً مكرماً يحتاج ابتداءً إلى رعاية وصيانة ، فشرع من أجل ذلك التشريعات التي تحمي المرأة وتصون كرامتها .

وهاهي كاتبة غير مسلمة تعترف وبملء فيها بـ (ضعف المرأة الجسمي وهشاشة معدنها) وليس في هذا تنقص منها ، كما أن الإسلام في نظرته للمرأة لاينتقص من قدرها ، ولا يتنكر لدورها ، وإن المفهوم المعوج للحرية الذي تفهمه النساء العربيات ومن يقلدهن سينزع الحصانة التي كانت تتمتع فيها المرأة في المجتمع ، وإذا نزعت الحصانة فمن الصعب أن تعود في ظل الظروف الاجتماعية

الدينية والأخلاقية التي نزعت فيها .

وليس غير الشرع الإسلامي ضمانة للمرأة تجد في ظلها كرامتها ، وتحقق من خلالها ذاتها ﴿ إن هدى الله هو الهدى ﴾

□ □ □

رقم قياسي جديد في جرائم القتل

وصل عدد الذين سقطوا ضحية عمليات الإجرام في نيويورك مع نهاية عام ١٩٨٨ م إلى (١٨٤٩) قتيلاً [١] ، بما في ذلك ثمانية قتلى عشية أعياد الميلاد ، وستة آخرون في اليوم التالي بينما سجل أعلى رقم قياسي في عام ١٩٨١ وكان (١٨٤١) قتيلاً .

وبهذا يكوّن عام ١٩٨٨ م هو الأعنف الذي تمر به مدينة نيويورك من حيث الجرائم ، ويعزو المسؤولون في المدينة هذا الارتفاع في عمليات القتل إلى تفشي تعاطي المخدرات بأنواعها .

---

١ ــ أي بمعدل خمسة قتلى في اليوم الواحد .

عبادة الشيطان في المانيا

لايعلم رجال الشرطة حتى الآن ماالذي حدث في مصنع المنسوجات المهجور في بلدة « كتويغ » في ألمانيا الغربية قبل ليال من عيد « هلوين » وأسفر عن موت المغني « غوردون بروير » ذي الستة عشر ربيعاً ، ويقول المحامون إن زميل « غوردون » في المدرسة « أوي » وتِرْبُهُ قد اعترف بقتله وأدخل مستشفى الأمراض النفسية للعلاج ، حيث أفاد « أوي » أن « غوردون » أخذه للمصنع المجهور ليريه « شيئاً ما » ! رافضاً الإفصاح عنه للشرطة ، أما زملاؤه في المدرسة فقد قالوا للمحققين إن المصنع المهجور كان المكان الذي اتخذوه ليعبدوا فيه الشيطان !!

وتعتبر ألمانيا الغربية منذ فترة مركزاً رئيسياً لانتشار المفاهيم الدينية المتنوعة ، فقد أظهر إحصاء رسمي لطلبة الثانوية في « ميونيخ » في بداية هذه السنة أن عشرين في المائة من الطلبة قد اشتركوا في جلسات روحية أو جلسات لتحضير الأرواح ، إلا أن الديانة الجديدة التي تكتسح البلاد كلها مخيفة فعلاً .. إنها عبادة الشيطان !!

حيث اعترف أربعة في المائة من طلبة الثانوية في الإحصاء المذكور بالاشتراك ولو لمرة واحدة على الأقل في شعائر القداس الشرير ، ويقول الراهب البروتستنتي « فريدريك ويلهالم هاك » مؤلف عدة كتب عن هذه الديانات السرية : إن عدد الذين يدينون بشكل نشط بهذه الديانة الشيطانية في ألمانية الغربية وحدها يبلغ عشرة آلاف شخص ، إلا أنه يصر على أن الشباب يتخذ طقوس هذه الديانة كوسيلة رخيصة للتسلية وتمضية الوقت ، حيث إنها لاتكلف الشباب شيئاً بالمقارنة بوسائل التسلية الأخرى ، مثل الذهاب للسينما (سعر التذكرة ستة

دولارات) أو حضور حفلة رقص ديسكو (سعر التذكرة عشرون دولاراً) . ولكن مسؤولين آخرين لايشاركون القس نظرته حيث يؤكد أحد المسؤولين عن مؤسسة اجتماعية هدفها متابعة مثل هذه النشاطات : إن هذه النشاطات منتشرة وقوية بشكل أكبر بكثير من مجرد كونها وسيلة لتمضية الوقت لدى الشباب ، بل إن نشاطها يصل إلى الأطفال في المدارس ، حيث طلب المساعدة منهم مدرسون في مدارس ابتدائية بخصوص أطفال « دون سن العاشرة ... كما استشيرت المؤسسة في حالات تتعلق بأعضاء نشطين ومتحمسين لهذه الديانة « الشيطانية » بقوة ولا تتجاوز أعمارهم ثلاث عشرة سنة .

ويتحدث أخصائيو المصحات النفسية عن قصص مخيفة عن تأثير هذه النشاطات والجلسات السرية على نفسيات الشباب الذي يخضع للإيحاءات . ويقول أحدهم أنه عالج ثلاثة مراهقين من هوس يتعلق بالأرواح ، كان آخرهم فتاة عمرها خمس عشرة سنة كانت مقتنعة أنها حامل من الشيطان وأنه سيكون لهذا الحمل أو الجنين دور خاص في المستقبل ... كانت مقتنعة بذلك رغم أنها في الحقيقة لم تكن حاملاً على الإطلاق ، ويضيف بأنه قد تمكن من علاجها إلا أنه غير متفائل لأنها عادت إلى نفس زملائها السابقين ، ويخشى أن يؤدي اشتراكها مرة أخرى في مثل تلك الجلسات السرية إلى عودة المرض النفسي إليها .

وقد أصبحت هذه النشاطات تثير الإزعاج لدرجة أن أولياء الأمور في إحدى القرى حاولوا منذ أسبوعين منع أحد عروض الألعاب السحرية في إحدى المدارس الابتدائية ، وعندما لم يستطيعوا منع العرض منعوا أطفالهم وعددهم أربعين من حضوره في المدرسة خوفاً أن يكون حضور أطفالهم لعرض مثل هذا هو الخطوة الأولى على الطريق لينضموا إلى الديانة « الشيطانية » في المستقبل □

مجلة نيوز ويك ــ عدد ٥١
١٩ / ١٢ / ١٩٨٨

أرحـــام تتعاطـف

للشيخ محمد البشير الابراهيمي

رحمه الله

طالما نعينا على المسلمين خصوصاً ، وعلى الشرقيين عموماً ، هذا التقاطع الذي شتت شملهم ، وفرق جامعتهم ، وصيرهم لقمة سائغة للمستعمرين ؛ وطالما شرحنا للمسلمين أسرار التواصل والتراحم والتقارب الكامنة في دينهم ، وأقمنا لهم الأدلة ، وضربنا لهم الأمثال ، وسقنا المُثلات ، وجلونا العبر ، وكانت نذر الشر تتوالى ، فيمارون بها ، وصيحات الضحايا منهم تتعالى ، فيصمون عنها والزمن سائر ، والفلك دائر ، وهم في غفلة ساهون .

دعوناهم إلى الجامعة الواسعة التي لاتضيق بنزيل ، وهي جامعة الإسلام ، إلى الروحانية الخالصة التي لاتشاب بدخيل ، وهي روحانية الشرق ، وحذرناهم من هـذه الأفاحيص الضيقة ، والوطنيـات المحدودة ، التي هي منبع شقائهم ، ومبعث بلائهم ، وبينا لهم أنها دسيسة استعمارية ، زينها لهم سماسرة الغرب ، وعلماؤه وأدلاؤه ؛ وغايتهم منها التفريق ، ثم التمزيق ، ثم القضم ، ثم الهضم ، وأن الاستعمار — بهذه الدسيسة وأشباهها — يفسد فطرة الله فيهم ، وينقض دين الله عندهم ؛ ففطرة الله تلهم نصر الأخ لأخيه ، وحماية الجار لجاره ؛ ودين الله يوجب حقوق الأخوة ، ويدعو إلى إيثار الجار والإحسان إليه ؛ وهو

بهذا يعمم التناصر ، ويقيم في الأرض شرعة التعاون ، فما من جار إلا له جار ، والناس كلهم متجاورون ، جوار الدار للدار ، فجوار القرية للقرية ، فجوار المدينة للمدينة ، فجوار الوطن للوطن ؛ فإذا أخذوا بهذه الشرعة وأقاموا حدودها عمَّ التناصر والتعاون ، وسدت المنافذ على المغيرين ، وعلى المفسدين في الأرض ولكن الاستعمار — بهذه الدسيسة — بدل شرعة الله بشرعة الشيطان ، فهو يقول لك : أقصر اهتمامك على دارك ، ولا تلتفت إلى دار جارك ، ويوسوس للجار بمثل ذلك حتى إذا أطاعاه خرب الدارين ، واستعبد الجارين .

ومازال الاستعمار يروض المسلمين والشرقيين على قبول هذه الدسيسة ، ثم على استحسانها ، ثم على الأخذ بها ، حتى تقطَّعوا في الأرض أمماً ليس منهم الصالحون ... ثم تقطعت الأمم جماعات ، وكلما آنس منهم مخيلة انتباه غرهم بما يغر به الشيطان : بشجرة الخلد وملك لايبلى ، وجرهم بما ينجر به الصبيان : ألفاظ فارغة وأسماء وألقاب ، وعروش من أعواد ، في سيل واد ؛ حتى ابتلع ممالكهم ، واحتجن أموالهم ، وتركهم مثلاً في الآخرين ؛ واعتبر ذلك بهذا الاستعمار الجاثم في شمال أفريقيا (*) ، وعد بذاكرتك إلى مبدأ أمره ، وكيف أكل العنقود حبة حبة ، متمهلاً مطاولاً ، يرقب الخلس ، ويدرع الغلس ؟ وكيف أطعمته غفلتنا الكراع ، أطعمته في الذراع ، حتى استوعب الجسد كله أكلاً ؟ وكيف كان يعتدى على الجزء ، فيقابله الكل بالهزء ؟ اعتبر ذلك تَرَأَننا ماأخذنا بغتة ، ولا سلبنا هذا الملك الضخم فلتة ؛ وإنما هي آثار تلك الدسيسة فينا ، استبدلنا التناحر بالتناصر ، والتعاوى بالتعاون ؛ ثم نزلنا دركة ، فأصبحنا وإن الأخ ليقتل أخاه في سبيل قاتلهما معاً ، ولو اتعظ الأخير منا بالأول لما مد الاستعمار هذا المد ، ولما بلغ فينا إلى هذا الحد □

* — نشرت هذه الكلمة عام ١٩٥١ م .



الأخ عبد العزيز عمر عبد الله الذيباني وردت منه رسالة طويلة طيبة نجتزىء منها على بعض مايطلبه ويقترحه ، تاركين مايتعلق بالمدح .

١ ـ لاحظت أن الاهتمام باللغة العربية على صورة مقالات أو دراسات قليل جداً . فلم أقرأ إلا موضوعاً واحداً في العدد العاشر صفحة ٦٠ بعنوان (حول حروف الجر) للأستاذ منصور الأحمد ، وكان موضوعاً شيقاً ، ولايخفى على مثلكم أهمية اللغة العربية ومسؤولية الرفعة من شأنها .

٢ ـ بالنسبة لعرض المذاهب الفكرية المعاصرة وكذلك المناهج الباطلة بصورة إسلامية وتحليل اسلامي ، فأنا أقترح عليكم أن يستمر هذا الباب في إكمال مابدأ من موضوعات ترشد الشاب إلى النظرة الصحيحة للأوضاع التي تحيط به من كل مكان .

كتاب مفيد في هذا الشأن اسمه (مذاهب فكرية معاصرة) للكاتب الإسلامي محمد قطب . وقد تحدث فيه عن : الديمقراطية ، الشيوعية ، العلمانية ، العقلانية

القومية والوطنية ، الإنسانية ، الإلحاد .

٣ ــ كثير منا يقرأ بعض الكتب ويعجب بها ، ويتمنى لو قرأ كل مسلم هذا الكتاب ويستفيد منه كما استفاد هو . من أجل ذلك أقترح أن يكون للمجلة باب (قراءة من كتاب) قد يكون الكتاب أحد كتب السلف الذين أثروا المكتبة الإسلامية بإنتاجهم ، وقد يكون كتاباً قد صدر حديثاً وفيه من الوقائع الشيء الكثير النافع .

ونحن بدورنا نشكر الأخ الكريم على اقتراحاته ونعده أن ننفذ مايمكننا منها إن شاء الله . ونشكره على ثقته الثمينة بنا .

****

يكتب إلينا بعض الإخوة يقترحون اقتراحات حول شكل المجلة وضرورة تزيينها بالصور والألوان أو الزخارف وما إلى ذلك ، ونحن ــ مع ترحيبنا باقتراحات الإخوة المتنوعة ــ نود أن يعلموا أن هذه المجلة مجلة فكرية ، وليست إخبارية ، وهي تعتمد الموضوعات العلمية والثقافية ، ولا تعتمد إثارة القارىء أو تشويقه عن طرق أخرى كالألوان والزخارف ، وشأنها في ذلك شأن جميع المجلات الفكرية والتحليلية ، وإذا استطاعت أن تقدم محتواها إلى القارىء بأسلوب صحيح ونظيف ومقبول فحسبها ذلك ، مع قناعتنا الكاملة بأن يكون مايقدم منها جيداً شكلاً ومضموناً .

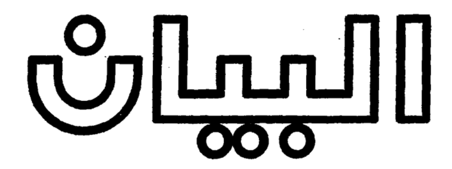
الصفحة الأخــيرة

مزيداً من هذه الخطوات

بدأ بعض المسلمين في بريطانيا يشعرون بالخطر الناجم عن ترك فلذات أكبادهم يتعلمون في المدارس الإنكليزية ، ويتربون على أيدي معلمين ومعلمات أتقنوا فن استهواء الطفل الصغير والتغرير به بأساليب هادئة ماكرة ، فالدرزس أكثرها قصص وألعاب ورياضة وبرامج تلفاز ، والطفل المسكين يردد ماتقوله له المعلمة ، فيتعلم أغاني أعياد الميلاد و (بابا نويل) . وفي هذه الأجواء فإن الآباء والأمهات المسلمين ــ وأكثرهم غير متعلمين ــ يشعرون بالفرح والبهجة لأن ولدهم أصبح يتكلم الإنكليزية كأهلها ؛ وفي العادة فإن الخيِّرين منهم لايتنبهون للخطر إلا بعد فوات الأوان ، وبعضهم يحاول ترميم ماأفسده بإرسال ولده إلى المسجد في عطلة نهاية الأسبوع ، وهذه هي الوسيلة الوحيدة لإنقاذ مايمكن إنقاذه .

وبقيت المشكلة : كيف ننشىء مدارس خاصة لأولاد المسلمين ، تزودهم بقدر كاف من المعلومات والمعارف الإسلامية التي تحفظهم وتعصمهم من الذوبان ، وهو تحدٍ يجابه المسلمين خاصة وأن من ينفق الأموال في وجوه الخير يحب إنفاقها في المساجد وهو في غفلة عن المدارس وخطورتها وأهميتها لإنقاذ الأجيال الشابة ، وبدأت تظهر بدايات تدعو إلى التفاؤل ، وإن كانت صغيرة الحجم ككل بداية ، فظهرت مدرسة الهجرة في برمنجهام ، ومدرسة زكريا الثانوية للبنات في مدينة (باتلي) وقد سبق الأخ يوسف إسلام بإنشاء المدرسة الابتدائية الإسلامية في لندن .

ولعل هذا يكون أول الغيث في تشييد المدارس ، وتشمير المسلمين عن ساعد الجد من أجل فهم واقع العصر ، والنظر إلى المستقبل ، لا إلى الساعة الراهنة فقط □



العدد السابع عشر : شعبان / ١٤٠٩ هـ ـ نيسان (أيار) ١٩٨٩ م

مجلة إسلامية جامعة
تصدر عن

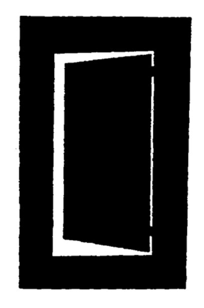
المنتدى الإسلامي
لندن

تصدر مؤقتاً كل شهرين

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 01-731 8145
Fax : 01-736 4255

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى



معركـــة وهميـــة

كنا نود أن لا نتعرض لهذا الموضوع ، لاعتقادنا بأنه لايستحق أن يتخذ منه المسلمون جبهة جديدة يفتحونها على أنفسهم ، ولكن لأن هذه القضية ــ بما وصلت إليه ــ تصلح للاعتبار ؛ فقد أصبح لابد أن نقول فيها كلمة .

وقبل كل شيء نقدم مختصراً لهذه المشكلة التي تتلخص بأن كتاباً ألفه مرتد عن الإسلام من أصل هندي ، باحثٌ عن الشهرة ، درس في مدرسة تبشيرية قبل مجيئه إلى بريطانيا ، التي أكمل تعليمه فيها ، واستوطنها . والكتاب هجوم مقذع على الإسلام ، وشريعته ، ونبيه ﷺ ، وصحابته الكرام ، وقذف مر لأمهات المؤمنين بأسلوب سوقي وضيع ، بل هو ــ في مجمله ــ سخرية شديدة بكل ماتعارف عليه البشر من معانٍ سامية ، وشخصيات قدوة .

وليست هذه هي المرة الأولى التي يتهجم فيها هذا الكاتب المأفون على الإسلام ، بل سبقت له مناسبات قبلها ، ولعل الغربيين فطنوا إلى أهمية أن يهاجم الإسلام ويشهِّر به شخص كان في الأصل مسلماً ؛ فاحتضنوه ، وشجعوه عن طريق أجهزة الإعلام من صحافة وإذاعة ودور

نشر ، وعن طريق منحه جوائز لترويج كتبه ، وتسابقت كثير من الصحف تفسح له صفحاتها ، وتنقل فقرات من كتابه ، وتقدم عرضاً له ، وهذا عمل مألوف في كل عمل له رأي سلبي حول الإسلام ، أو مايتعلق به .

وقد تنبه بعض المسلمين في بريطانيا لما في هذا الكتاب من أكاذيب حول نبي الإسلام ، ومن قصد سيء لهذا الكاتب ولناشر كتابه من أجل النيل من الإسلام ، وتجديد تصويره بأبشع الصور عن طريق أرخص السباب والشتائم المقذعة التي لايقدم عليها إلا شخص يستهين بكل مبادىء البحث العلمي والموضوعية ، فاعتبروا أن هذا العمل يستحق الشجب ، واستعملوا أغلب الطرق القانونية المعروفة في الدول « الديموقراطية » للاحتجاج على نشر هذا التشويه المتعمد لكل مايعتز به المسلمون .

وقد كان الأمر يسير سيراً طبيعياً ، ولا يثير أية ردود فعل ، إلى أن قام المسلمون بمظاهرة في مدينة « برادفورد » في شمال إنكلترا ، عبروا فيها عن شجبهم للكتاب بالقيام بعمل رمزي ، فأحرقوا نسخة من الكتاب ، وعلى أثر ذلك ثار بركان الغضب المكتوم عند غير المسلمين ، فشجبوا تصرف المسلمين هذا ، وليس هذا فحسب ؛ بل بدأت الصحافة بطرفيها : (الرصين والوضيع) حملة لامثيل لها في الهجوم على الإسلام ، والسخرية من المسلمين ، ولم يبق في جعبتها نعت من نعوت التخلف والتعصب إلا وألصقته بالمسلمين وفكرهم ، ودولهم ، وتاريخهم ، وعاداتهم ، وكل شيء يتعلق بهم .

واعتبرت الصحافة ماقام به المسلمون للفت النظر إلى مشاعرهم ومدى إحساسهم بالألم اعتداءً على حرية الفكر ، وعداءً للديموقراطية وحقوق الإنسان ، وتهديداً للمجتمعات التي يعيشون فيها ، بل وسخَّرت أقلاماً كثيرة ، لتحصر الاعتراض على ماجاء في الكتاب في مجموعة من المسلمين محبة للفوضى متعطشة للتخريب ، منغلقة الفكر ، ولكي تكسو دعواها هذه برداء يشبه الحقيقة ؛ كانت تلجأ إلى بعض

الشخصيات « المارقة » ذات الأصول الإسلامية ، ممن لايختلف عن « رشدي » إلا بارتدائهم ثوب البحث العلمي والأكاديمية ، فتستكتبهم ، أو تجري معهم المقابلات التي يسفهون فيها آراء المسلمين ، ويسخرون من طريقة تناولهم للأمور ... وهكذا . وفي الوقت الذي كانت فيه الصحافة تصول وتجول منفردة بعرض وجهة نظرها ؛ كانت وجهات نظر المسلمين تُتجاهل ، ويُسخر منها بتحامل شديد ، وبعد عن الموضوعية والحياد .

وبعد أخذ ورد ومحاولات كثيرة قام بها المسلمون للتعبير عن غضبهم ، وتجاهل الصحافة ؛ وتجاهل المسؤولين ؛ بل وتحدٍ من الكاتب والناشر ؛ دخل على الخط عنصر آخر في المواجهة ، فبينما كانت الدول بعيدة — تقريباً — عن مجرى الصراع ؛ إذا بنا فجأة نجد أن هناك من تقدم ليخطف الراية ، ويقود المواجهة !.

ونحن نرى أن هذا الاختطاف للراية ليس من البطولة في شيء ذلك لأنه لاتكافؤ بين الخاطف والمخطوف منه ، فالخاطف دولة ، والمخطوف منه منظمات وأصوات لا تتبناها دول ، هذا من حيث الشكل الخارجي ، أما إذا لجأنا إلى التفسير الباطني للأحداث (وأظن أنه لاتثريب علينا في ذلك ، إذا أخذنا بمبدأ المعاملة بالمثل) فإننا يمكن أن نلمح أشياء كثيرة لايجهلها إلا المصاب بعمى الألوان ، فتحويل الحملة لتأخذ هذا النطاق العالمي يخفي وراءه مقاصد كثيرة ، ويهدف إلى تحقيق مكاسب سياسية ، فيبعد أنظاراً عن مشاكل ، ويصبوا إلى استعادة ثقة أصبحت مهزوزة ، وليس هدفنا هنا الاسترسال في رسم الصورة لما وراء الأكمة .

المهم أن الغرب حول المعركة في الاتجاه الذي يريده ، وقادها بمقدرة فائقة بأجهزة إعلامه المتنوعة ، ولم يبقها محصورة في نطاق الموضوع المتنازع عليه ؛ بل اتخذ من هذا الموضوع وسيلة يخرج بها كل الكراهية والأحكام المسبقة التي يكنها للإسلام والمسلمين جميعاً

دون تفريق ، وهو إن أشار إليهم أحياناً بإشارة يُشَمُّ منها تعاطف ما ، فهو لايعدو تعاطفه مع جنس من المخلوقات يخشى عليها من الانقراض ، فيؤدي انقراضها إلى نقص في امتيازات الرجل الغربي « المتحضر » ، ماذا نقول ؟!... بل إن تجاوب هذا الرجل الغربي « المتحضر » ، القاسي القلب ، المملوء جلده بالغرور والأثرة والغطرسة مع آلام الحيوانات أضعافَ أضعافِ تجاوبه مع آلام البشر إذا كانوا مسلمين لو بالوراثة ؛ دع عنك ماإذا كانوا مسلمين بالممارسة .

هل هناك دروس يمكن استخلاصها من هذا « المهرجان » التشهيري بالإسلام وحضارته ، وبالمسلمين ودينهم ؟ ماأجدر المسلمين أن يوظفوا مثل هذه التجارب من أجل أن تكون لهم مواقف مبدئية لاتتأثر بالعواطف ، ولا تقوم على ردود الأفعال .

● أول فائدة يمكن استخلاصها هي أن هذه الديموقراطية التي يتغنى بها الكثير هنا وهناك لاتقوم على أساس صحيح ، حتى لو حاول أنصارها أن يقنعونا بعكس ذلك ، بل حتى الأساس المفترض للمساواة بين البشر غير موجود فيها ، والصحيح أنها فلسفة مفصلة لنوع معين من البشر وهو النوع الذي يعتقد أنه أرقى من غيره عرقاً وأصلاً وفكراً وحضارةً ، ديموقراطية متناقضة مبنية على الكذب والادعاء والبعد عن الإنصاف ، فهي في الوقت الذي تتهم المسلمين بأنهم يريدون أن يعرضوا أعرافهم وأفكارهم على غيرهم ؛ تقوم هي بالفعل والقول في فرض أعراف الإنسان الغربي وتقاليده وإفرازات حضارته في جميع أنحاء الأرض ، حتى إذا أحد تململ أو قال : لا ؛ سلطت عليه آلتها الإعلامية وضغوطها السياسية ، و « رمته بدائها وانسلت » .

● والفائدة الثانية أن الأفعال المنبعثة عن الهيجان وغليان الدم في مواجهة مثل هذه الأحداث قد تؤدي إلى عكس المقصود ، فدماء المسلمين أغْلى من أن تراق من أجل أهداف وهمية ، والقتلى والجرحى الذين سقطوا في (معركة الأشباح) هذه ؛ أولى لهم أن كانوا سقطوا في مواجهة أعداء مهددين أمامهم أو على أرضهم ؛ لا أن يسقطوا بعيداً بآلاف الأميال عن مخبأ مارق خسيس

تحتضنه الديموقراطية الغربية الوثنية .

رب قائل يقول : أين الغضب لحرمات الله التي انتهكت ؟ ألم يكن رسول الله ﷺ يغضب لحرمات الله حتى لايقوم لغضبه شيء ؟ والجواب : نعم كان رسول الله ﷺ يغضب غضباً منتجاً ، لا غضباً عقيماً . وحُقَّ لنا أن نغضب ، وحق لنا أن نمتلىء غيظاً ، ولكنه الغضب الذي يتجه إلى الهدف ؛ لا الغضب الذي يكون صرخة في واد ، الغضب الذي يبتعد عن الاستعراض والتهويش ، فيكون نفعه أكثر من ضرره .

● الفائدة الثالثة : أن يوفر المسلمون جهودهم لما ينفع ويؤدي إلى صلاح حالهم ، وأن لاينخدعوا بأساليب الديموقراطية الغربية وضمانها لحرية القول والتعبير والاحتجاج ، فهذه الحرية سلاح ذو حدين ، أضعفهما الحد الذي يستعمله المسلمون الذين يعيشون في ظل هذه الديموقراطية ، وأشرسهما وأشدهما نكاية الذي تستعمله هذه الديموقراطية وعُبَّادُها ضد من يقف في وجه اعتدائهم ووقاحتهم .

● الفائدة الرابعة : أن حقوق المواطنة سراب خادع مادام الإنسان حريصاً على أن يبدو مسلماً : قولاً وسلوكاً ، والجمع بين هذه الحقوق ؛ وبين أن يكون المسلم مسلماً ؛ كالجمع بين الماء والنار ، وتستوي في هذه النتيجة كل الديموقراطيات : شرقية وغربية ، كما تستوي في النظر إلى المسلم نظرة الاشتباه والترقب والحذر كل العلمانيات : المسيحية والممسوخة .

● وأخيراً فإن من أساليب أعداء الإسلام استغلال بعض الظواهر التي تثير المسلمين ، فينفخون فيها ، ويصطنعون منها معارك ، فيجهزون الساحة ، ويحشدون النظّارة ، ويغرق الفريقان غير المتكافئين في حمى التشجيع ، ولا يعودان يميزان أماماً من وراء ؛ ولا يميناً من يسار ؛ ولا فوقاً من تحت ، وهي معارك حتى لو انتصر فيها المسلمون ، فانتصارهم ليس إلا (فقعة في

قاع !) (١) وقد يكتشفون ــ أو لا يكتشفون ــ أن المستفيد الحقيقي من هذه المعارك ليس المنتصر ، بل الذي أقامها وحشد لها ، وهم في الحالة الراهنة الغربيون ومن يشاركهم العداء للإسلام وأهله في كل مكان ، وماااستفادوه هو أنهم أظهروا المسلمين بالصورة التي يريدون ، وروجوا ماشاؤوا من الأفكار ، وسوّقوا انتاجهم الرخيص بثمن غالٍ ، واستفرغوا طاقات كثيرة للمسلمين في محاربة طواحين الهواء .

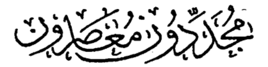
ألا من وقفة أمام تعريف الحكمة وتحديدها ؟!.

الحكمة التي قال الله تعالى فيها :

﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ،
ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ،
ومايذكر إلا أولو الألباب ﴾ [البقرة / ٢٦٩] □



١ ــ هذا مثل ، تقول العرب : فلان أذل من فقعة في قاع . والفقع : الردىء من الكمأة .





ـ ٢ ـ

الدرس الخامس :

كان من لايعرف حسن البنا تشده إليه طريقته المهذبة الرقيقة في التعامل مع الناس ... كتب عنه عدد كبير من المفكرين العلمانيين أو العصاة ، فشهدوا بحسن أخلاقه وأدبه وتواضعه رغم اختلافهم معه في الأفكار والتصورات ، ولكنهم أنصفوا الرجل . يقول إحسان عبد القدوس في روز اليوسف ١٢ سبتمبر / ١٩٤٥ ــ ولايخفى على أحد طبيعة هذه المجلة واتجاه أصحابها ــ :

« لو زرت حسن البنا لاستقبلك بابتسامة واسعة ، وآية من آيات القرآن الكريم ، يعقبها بيتان من الشعر ، يختمها بضحكة كلها بشر وحياة . والرجل ليس فيه شيء غير عادي ، ولو قابلته في الطريق لما استرعى نظرك ، اللهم إلا بنحافة جسمه ولحيته السوداء التي تتلاءم كثيراً مع زيه الإفرنجي وطربوشه الأحمر الغامق ... » ، ثم تحدث عن لباقته وقدرته على الإقناع ، ورزانة أسلوبه .

ويقول الأديب الكبير أحمد حسن الزيات :

« وجدت فيه مالم أجد في قبيله ، أو أهل جيله : من إيمان بالله راسخ رسوخ الحق ، لا يزعزعه غرور العلم ، ولا شرود الفكر ، وفقه في الدين صافٍ صفاء المزن ، لا يكدره ضلال العقل ، ولا فساد النقل ، وقوة في البيان مشرقة إشراق الوحي لا تحبسها عقدة اللسان ، ولا ظلمة الحس ، إلى حديث يتصل بالقلوب ، ومحاضرة تمتزج بالأرواح ، وجاذبية تدعوك إلى أن تحبه ، وشخصية تحملك على أن تذعن !! » ...

ثم قال الزيات : « والفطرة التي فطر عليها حسن البنا والحقبة التي ظهر فيها حسن البنا تشهدان بأنه المصلح الذي اصطنعه الله لهذا الفساد الذي صنعه الناس » عن كتاب [حسن البنا ، الداعية الإمام والمجدد الشهيد ، أنور الجندي ، ص ٢٦٨] .

يقول الشيخ محمد الغزالي في قمة خلافه مع الإخوان وبعد أن تخلى عنهم :

« شهدت رجلاً كان يهاجم الأستاذ البنا رحمه الله في الهيئة التأسيسية مهاجمة عنيفة ، ويخاطبه بما لا يليق من الألفاظ . فلما ثار عليه الإخوان غضب الإمام الشهيد وثار في وجه الغاضبين ، حتى لقد أخرج بعضهم ، ثم أقبل مبتسماً على هذا المهاجم المتجني ، وقال له :

قل ماشئت وانقدني كما ترى ، فلن تُقاطع بعد ذلك ، ولعلي أجد في قولك ماأصلح به خطأً أو أقوم به معوجاً » [من معالم الحق / ٢٥٧ ، دار الكتب الحديثة] .

أشار الأستاذ البنا في مذكراته إلى سبب من الأسباب التي دعت جماعة شباب محمد إلى التخلي عن الإخوان فقال :

« وكان هذا الشعور نواة لتفسيرات لاحقة [يقصد تملق أحد الإخوان

للنواب وقادة الأحزاب في حفل عام] لتصرفات كثيرة مشابهة ، ومازال يتضخم حتى صار أساس فتنة ذهبت بمجموعة من خيار الإخوان ، وحالت بينهم وبين العمل في هذا الميدان » [المذكرات / ٢٥٢] .

والشاهد هنا أنه رغم وقوع خلاف بينه وبينهم ، ورغم انفصالهم عن الإخوان وقيامهم بتأسيس جماعة جديدة أسموها « شباب محمد » فلقد وصفهم البنا بأنهم من خيار الإخوان ، وحاشاه أن ينشر عنهم الأراجيف ، ويتهمهم بما هم منه برءاء ، ويؤلب الأجواء ضدهم ، ويسخر عشرات الآلاف من إخوانه ليقوموا بتشويه سمعتهم أمام الناس ... ليس هذا من خلق البنا ، وهو الذي يقرأ في كتاب الله قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ [المائدة / ٨] .

فهم عنده من خيار الإخوان وإن وقعت الخصومة بينه وبينهم ... ماأشد حاجة الدعاة والجماعات اليوم إلى مثل هذه الأخلاق الرائعة ، وماأشد حاجتهم إلى التأسي برسول الله ﷺ الذي وصفته عائشة رضي الله عنها بقولها : « كان خلقه القرآن » .

الدرس السادس :

نجح البنا في تحويل الأفكار والأماني إلى واقع ملموس .

فإذا تحدث عن الزكاة مثلاً لم يقف عند حد الوعظ ، والتذكير ، وترغيب الناس وترهيبهم ، بل تراه يأمر بتنظيم لجنة مهمتها جمع الزكاة من الملتزمين في الجماعة وغيرهم من عامة المسلمين ، ثم يقومون بتوزيعها حسب الطرق الشرعية المعروفة .

وكذلك يفعل في مختلف جوانب البر والخدمات الاجتماعية ، فيقدم

المساعدات للعاطلين عن العمل ، والمرضى ، وغيرهم من المنكوبين والمحتاجين ، وكان لقسم البر والخدمات شعب في مختلف أنحاء مصر ، وعندما كان يدرب إخوانه على عمل خيري ، كان يقول لهم : هذا أفضل من عشرات الدروس في الوعظ .

وخطط رحمه الله لتكون الجماعة غير محتاجة إلى عون أية جهة حكومية ، أو غير حكومية ، فأسس الشركات الاقتصادية وكان من أشهرها :

شركة المعاملات الإسلامية ، والشركة العربية للمناجم والمحاجر ، وشركة المطبعة الإسلامية ، والجريدة اليومية ، وشركة التجارة والأشغال الهندسية بالإسكندرية ، وشركة الإعلانات العربية ، فضلاً عن تأسيس المستشفيات المجانية . [انظر الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ، ص : ١٣١] .

ومما لاشك فيه أن هذه الشركات أرهبت فاروق ، والأحزاب ، والإنكليز ، وأشعرتهم أن هذه الجماعة ليست مجموعة من [الدراويش] ، وإنما هي واقع ضخم لم تعرفه منذ عدة قرون .

الدرس السابع :

كان الرجل جاداً عندما نادى بتحرير مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي من نير الاستعمار الدخيل ، والمجدد لايعرف الهزل في قضايا دينه وأمته ... لقد أخذ البنا يخطط من أجل طرد الإنجليز من مصر ، ومن أجل طرد اليهود من فلسطين ، وشكل ــ رحمه الله ــ تنظيماً عسكرياً ، وأخذ يبتاع الأسلحة ، ومصر كانت مخزن أسلحة ، لاسيما أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية . قال رحمه الله في خطاب جامع ألقاه في المؤتمر الدوري الخامس :

« وفي الوقت الذي يكون فيه منكم ــ معشر الإخوان المسلمين ــ ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة ،

وفكرياً بالعلم والثقافة ، وجسمياً بالتدريب والرياضة ، في هذا الوقت طالبوني أن أخوض بكم لجج البحار ، وأقتحم بكم عنان السماء ، وأغزو بكم كل عنيد جبار ، فإني فاعل إن شاء الله ... » .

انظر إلى قوله : [فإني فاعل إن شاء الله] ، وبدأ التنفيذ العملي عندما أمر إخوانه في مصر وسورية والأردن دخول حرب فلسطين ، وأبلت هذه القوات بلاء حسناً ، وكان اليهود يهابون المعارك التي يواجهون بها كتائب الإخوان كما شهد رئيس أركان الجيش المصري في المحكمة وهو ليس منهم وليس من مؤيديهم ، إنه رجل دولة وقد صحا ضميره فأدلى بهذه الشهادة ...

وسقط على أرض فلسطين المباركة عدد غير قليل من هؤلاء الشهداء الأبرار ، واستماتوا في الدفاع عن الأقصى في الوقت الذي كانت فيه الأحزاب الشيوعية العربية تعلن تأييدها لما أسمته حق إقامة دولة لليهود في فلسطين وكان دعاة العلمانية من الأحزاب التي لبست لبوس القومية العربية لاتختلف مواقفهم عن مواقف الشيوعيين كثيراً ، ومن يستقرىء التاريخ يجد وثائق لاتحصى تدمغ أصدقاء « اللنبي » و « لورنس » و « غلوب » ... فهل تصحو ضمائر زعماء قادة منظمة التحرير فيعترفون بحقائق التاريخ الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ؟!

ــ ألا يعرف هؤلاء أن جيش عمر بن الخطاب هو الذي فتح فلسطين وطهر الأقصى من دنس الرومان الصليبيين ؟!.

ــ ألا يعرفون أن جيش صلاح الدين الأيوبي هو الذي فتح فلسطين وجعل منها مقبرة للغزاة الصليبيين ؟!.

ــ هل نسي أو تناسى هؤلاء أن جند عز الدين القسام ، والحاج أمين وعبد القادر الحسيني ، وجند الإخوان المسلمين من مصر وسورية والأردن وغيرها من البلدان العربية ، وجند الإسلام من تركيا ويوغسلافيا والهند وغيرها من البلدان التي يكثر

فيها المسلمون ... هؤلاء جميعاً هم الذين استماتوا في الدفاع عن فلسطين عام ١٩٣٦ وعام ١٩٤٨ م .

ــ أخبرونا من الذين يواجهون اليهود في فلسطين المحتلة منذ أكثر من عام ؟! .. إن الذين يريدون فرض جورج وكابوتشي والشيوعيين علينا لا يريدون خيراً لفلسطين ، والتاريخ لايرحم !!.

كانت سجون مصر تنتظر الإخوان المسلمين ، بعد عودتهم من حرب فلسطين ، ولكن الذين لم يدخلوا السجن ــ وهم قلة ــ أخذوا يستعدون لمعركة أخرى ... وانتظروا أول فرصة سانحة ، أي بعد خروج مجموعات من الإخوان من السجن ، فبدأوا معركة قنال السويس ضد الإنكليز ، وشارك في هذه المعارك بعض الضباط من الطيبين وغيرهم ، فشعر المستعمر بأنه من الصعب جداً استمرار احتلاله لمصر لأنهم أصبحوا هدفاً لضربات الإخوان القوية في كل مكان من مصر ، وكان من أبرز أبطالهم الشيخ محمد الفرغلي ، والأستاذ يوسف طلعت ، اللذين أعدمهما نظام جمال عبد الناصر لأنه يعلم أنهما سيقاومان كل انحراف وكل فساد ...

وجملة القول : هذا جانب تجديدي من تجديد حسن البنا ، وهذه صفحات مشرقة من تاريخ هذا الرجل في الجهاد .

الدرس الثامن :

كان البنا دائم التجديد ، فلقد بدأ بداية متواضعة ، ثم أخذ يطور جماعته ، ويطور مخططاته ... وكما قلنا فيما مضى كان من هذا التجديد المستمر في عمله : إنشاء الصحف ، والشركات ، ومراكز البر والخدمات ، ونظام الأسر ، والنظام الخاص ... وكان رحمه الله يعلم أنه قد انضم إلى الجماعة في مختلف فتراتها عناصر غير متجردة ، وكانت تريد من وراء ذلك مكاسب ومغانم ، وأن

من هؤلاء من توصل إلى مراكز قيادية في الجماعة ... انظر إليه وهو يقول :

« في هذا اليوم تحدث إلي .... و .... بخصوص نظام مجلس الإدارة ، إن هؤلاء الناس لم يفهموا بعد دعوة الإخوان المسلمين ، وقليلون هم أولئك الذين يستطيعون النهوض بأعباء إدارتها ، وتنفيذ منهجها الواسع ، إنني أتمنى أن يكون إلى جانبي رجال يفهمون ويديرون فأسلم إليهم هذا العمل وأرتاح بهم قليلاً وأطمئن إلى مقدرتهم ، ولكن أين هم ؟

إن الكثيرين لايفهمون من مجلس الإدارة إلى كلمة العضوية ، فهم يتنافسون على حيازتها ، وتقع بها بينهم العداوة والبغضاء .

سيتبع التغيير المنتظر ضجات هي كالسراب يلوح ثم يزول بمجرد الوصول إليه . فاللهم إن كنت تعلم حسن القصد وخلوص النية فوفق ، وإن كان غير ذلك فاسلك بنا سبيل عبادك المخلصين ، آمين » [المذكرات / ١٣٣] .

وكتب قبل صفحتين يقول :

« على أن ملخص خطراتي أن فرعي جمعية الإخوان بالمحمودية وشبراخيت سوف لاتنفع كثيراً ، لأنها أنشئت بغير أسلوبي ، ولا ينفع في بناء الدعوة إلا ما بنيت بنفسي ، وبجهود الإخوان الحقيقيين الذين يرون لي معهم شركة في التهذيب والتعليم ، وهم قليل . ونفس فرع الإسماعيلية ستحدث فيه تعديلات كثيرة ، ولكنه سيسير سيراً نافعاً إن شاء الله ... إنه لله ... قائد موهوب ولكنه منصرف بهذه القيادة وهذه المواهب إلى السفاسف مسرف في وقته لايقدر له قيمة ، قلبه مملوء بأوهام لا حقيقة لها ، ومنصرف إلى ناحية لاتثمر إلا العناء ، فالاعتماد عليه ضرب من المخاطرة العقيمة .

والأخ الشيخ ... له أساليبه الخاصه به . وهو ينظر إلي كأخ زميل فلا يصغي لآرائي إلا قليلاً ، ومن هذه الناحية يكون توحيد الفكرة ضرباً من التعسر ؛

فالاعتماد عليه مخاطرة كذلك » [المذكرات / ١٣١] .

وفي هذه الأسطر القليلة نقرأ عبارات تحتاج إلى دراسة واسعة لأهميتها ، والبحث لايتسع لذلك ولكن نشير إليها :

ــ يتمنى أن يكون إلى جانبه من عشرات الآلاف رجال قلائل يفهمون دعوته . انظر إليه وهو يتساءل : ولكن أين هم ؟!.

ــ يعرب عن حزنه وألمه من هؤلاء الذين يتنافسون على عضوية مجلس الإدارة ، ومن أجلها يتخاصمون .

ــ يؤكد أنه سوف يجري تغييراً وسوف ينشأ عن هذا التغيير ضجة .

ــ الاعتماد على غير المخلصين ضرب من المخاطرة العقيمة .

فمن هؤلاء الذين يقصدهم ؟! ... هل هم الذين تخلوا عنه وانضموا إلى حزب الوفد ؟!.

أم هم الذين تآمروا فيما بعد مع عبد الناصر وأمثاله ضد إخوانهم ؟!.

أم هم صنف ثالث استمروا في الجماعة وفقدوا رجلاً كالبنا يفهمهم على حقيقتهم ؟!.

وفيما كتبه البنا رحمه الله موقف مهم من الصوفية وطرقهم وانحرافاتهم . قال رحمه الله :

« حضر إلى الإسماعيلية ... من القصاصين وهو يدعو إلى الطريقة وله أفكار خاصة تنافي آمالي الإسلامية . وأنا إنما وقفت نفسي لدعوة أرى أنها خير السبل للإصلاح الإسلامي ، وأمثال هؤلاء يريدون تحويلها وتشكيلها بشكل دعواتهم وذلك مالا أريده .

لقد آن الأوان الذي أعتزل به عن كل هذه الدعاوى المشتبهة . وأكشف

فيه عن الغاية للإصلاح الإسلامي الذي يتلخص في الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وتطهير العقول من هذه الخرافات والأوهام ، وإرجاع الناس إلى هدي الإسلام الحنيف » [المذكرات / ١٣٢] .

فعلى الذين يتحدثون عن صوفية حسن البنا في صغره أن يتدبروا قوله هذا ، ويضعوا خطوطاً تحت قوله عن الصوفية : [**تنافي آمالي الإسلامية**] ، وقوله : [**لقد آن الأوان الذي أعتزل به عن كل هذه الدعاوى المشتبهة**] .

وتأكيده بأن دعوته تقوم على الكتاب والسنة وتطهير العقول من هذه الخرافات والأوهام ... وهكذا كان البنا رحمه الله دائم التجديد يكره الجمود والتقليد ، كما كان يسير بدعوته من مرحلة إلى مرحلة أخرى ، ويخطط لهذه المراحل ، ويعرف الموضع الذي يضع فيه قدمه ... وكان يسمع النقد ويصغي لكل ناصح ، ويسارع إلى الاعتراف بخطئه ، ويمد يده لكل داعية للإسلام داخل مصر وخارجها .

ولقد أقلقت هذه الظاهرة أعداء الإسلام من المستعمرين وأعوان فاروق ، وعلموا أن مركز القوة في الجماعة هو مؤسسها ومرشدها ، فدبروا محاولة اغتياله ، ومن الغرائب ــ والغرائب كثيرة ــ أن يكون حماة الأمن هم أنفسهم قطاع طرق ، وجناة وقتلة ... وفرح أعداء الإسلام داخل مصر وخارجها عندما علموا بنبأ قتله .

رحم الله البنا رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، اللهم لاتحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده ، واغفر لنا وله □

حديث الفطرة

محمد سليمان

نص الحديث : في الصحيحين ، واللفظ للبخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمةُ بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » ثم يقول أبو هريرة : اقرأوا : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ﴾ [الروم / ٣٠] ، قالوا يارسول الله : أفرأيت من يموت صغيراً ؟ قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

ماهي الفطرة :

الفطرة هنا هي الإسلام ، فكل مولود يولد مسلماً كما جاء في الصحيح من رواية الأعمش (على الملة) [١] ، وكما ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال : « خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين ، وحرّمت عليهم ماأحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل سلطاناً ... » وفي رواية حنفاء مسلمين ، والحنيف في لغة العرب المستقيم المخلص .

وكذلك حديث « خمس على الفطرة ... » (أي فطرة الإسلام) ، وقوله سبحانه : ﴿ فطرة الله التي فطر

١ ــ ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وهذا الجزء هو المصدر الأساسي لشرح هذا الحديث وكذلك كتاب الدين للشيخ محمد عبد الله دراز رحمه الله .

الناس عليها ، فهذا يعم جميع الناس كما أن إضافة الفطرة إليه سبحانه هي إضافة تشريف ومدح كقوله : ناقة الله ، أو قول الرسول ﷺ عن خالد ابن الوليد (سيف الله) والذي يمدح هو الإسلام .

ومن معاني الفطرة ذلك الإقرار بالرب نتيجة الميثاق الذي أخذه من ذرية آدم . قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ﴾ [الأعراف / ١٧٢] .

فهذا يعني أن الخلق مجبولون على المعرفة بالله ، فهو شيء يجدونه في أنفسهم لا يستطيعون له دفعاً ، وإذا أصابتهم ضراء دعوا الله ورفعوا إليه أكفهم . فمن أين جاءهم هذا التوجه إلى الخالق وأنه هو الذي يستطيع رفع الضر ، إنها الفطرة المركوزة فيهم .

ولولا أن في النفس قابلية لمعرفة الله ومحبته والذل له لما استطاع التعليم والتذكير أن يؤثر فيها ، فقوة المحبة لا تأتي من الخارج ، وإنما هي شيء في الداخل .

ولما دعا الرسل أقوامهم إلى عبادة الله دعوهم إلى من يعرفونه ولم ينكر دعوتهم أحد ويقول : وما رب العالمين ؟ وأما إنكار فرعون فهو إنكار العارف كما قال تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ [النمل / ١٤] وكما قال له موسى عليه السلام : ﴿ لقد علمت ماأنزل هؤلاء إلا رب العالمين بصائر ﴾ [الإسراء / ١٠٢] .

ويرشدنا الرسول ﷺ إلى أن تغيير هذه الفطرة يقع بتأثير الوالدين أو تأثير البيئة . ولذلك شبه المولود بالبهيمة الجمعاء التي تولد سليمة مجتمعة الخلق لا تغيير فيها ولا تشويه ، ولكن الناس يغيرون خلقها بعدئذ فيشقون آذانها أو غير ذلك ، فالفطرة لو تركت دون تأثير خارجي سواء من الوالدين أو غيرهم ، وأزيحت عنها العوائق من الشبهات والشهوات فهي مقتضية بذاتها لدين الإسلام .

قال ابن عبد البر : وقد سئل ابن شهاب عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزىء الصبي عنه أن يعتقه وهو رضيع ؟ قال : نعم لأنه ولد على الفطرة . وقول الإمام أحمد في سبي أهل الحرب أنهم مسلمون إذا كانوا

صغاراً وسبوا ولم يكن معهم الأبوين .

وليس معنى أنه يولد مسلماً أنه يعلم الصلاة والصيام وأمور الإسلام ، بل هذه يتعلمها بعدئذ ، قال تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴾ [النحل / ٧٨] ولكن معناه أنه لو ترك عن التأثير لكان مسلماً واتجه إلى الله ، ثم يأت دور التعليم والإرشاد وإقامة الحجة ، وإقامة العذر ببعثة الرسل التي تكمل الفطرة ، فلابد من نور النبوة مع الفطرة السليمة . كما أن الفطر تختلف فبعضها يحتاج إلى تعليم أكثر وتحضيض وتذكير ، ولكن القابلية موجودة .

الكفر طارىء :

إذا كانت الفطرة تقتضي الإسلام ، فهذا يعني طروء الكفر وأنه ليس هو الأصل في النفس البشرية ، وقوله تعالى : ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ أي لا تبديل لدين الله . وهو معنى ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم به الناس فيما اختلفوا فيه ... ﴾ الآية .

أخرج ابن كثير في تفسير هذه الآية قول قتادة : ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ ، قال : كانوا على الهدى جميعاً ثم اختلفوا (١) .

وأما ماجاء في سورة الكهف في قصة موسى عليه السلام والرجل الصالح الذي قتل الغلام ، فلا يعني هذا أن كفر هذا الغلام كان موجوداً حين الولادة ، لذلك جاء في الحديث الصحيح : « أن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً ، ولو بلغ لأرهق أبويه طغياناً وكفراً » فقوله : طبع أي طبع في الكتاب ، أي قُدّر وقضي فهو مولود على الفطرة السليمة ولكن يتغير بعدئذ فيكفر ، كما أن البهيمة التي ولدت جمعاء وقد سبق في علمه سبحانه أنها تجدع كتب أنها مجدوعة ، بجدع يحدث لها بعد الولادة .

وقد قتل الصحابة في سرية من السرايا أولاد المشركين فأنكر عليهم رسول الله ﷺ ذلك ، فقالوا : أليسوا أولاد المشركين ، فقال : أليس

---

١ ــ تفسير ابن كثير ١ / ٢٥٠ .

خياركم أولاد المشركين ؟ ثم قام فيهم خطيباً فقال : « ألا إن كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه » فهذا يبين أن الكفر طرأ بعد ذلك .

كما أن قوله ﷺ في هذا الحديث : فأبواه يهودانه ... فلا يعني أن نفس الأبوين خلقا تهـوده وتنصره ، بل هو تهود وتنصر باختياره ولكن الأبوين كانا سبباً في ذلك بالتعلم والتلقين والتربية ، وهو بقدر الله أيضاً .

شبهات وردها :

١ ــ قد يقال أن الفطرة هنا معناها السلامة وذلك بأن يكون قلبه صفحة بيضاء قابلاً للإيمان أو قابلاً للكفر ، أو كاللوح الذي يقبل أي كتابة . وهذا القول قول فاسد لأن الذي يكون قابلاً للمدح والذم لا يستحق مدحاً كقوله تعالى : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ وكان ينبغي أن يقال : فأبواه يهودانه أو ينصرانه ... أو يسلّمانه ، وعلى هذا الفرض فلا يكون في القلب سلامة ولا عطب ، ولا استقامة ولا زيغ ، كالورق قبل أن يكتب فيه القرآن ، أو يكتب فيه كفر بالله ، أو كالتراب قبل أن يبني مسجداً أو كنيسة فهذا لا يستحق مدحاً ولا ذماً .

وأهل البدع يقولون : لم يولد أحد على الإسلام ، ولا جعل الله أحداً مسلماً ولا كافراً ، ولكن الله سبحانه وتعالى أعطاهما قدرة تصلح للإيمان والكفر . فهذا أحدث لنفسه الكفر وهذا أحدث لنفسه الإسلام ، وأن الله لم يختص المؤمن بتوفيق الهداية ، وهذا مخالف للحديث ومخالف لعقيدة أهل السنة .

٢ ــ وقد يقال : إن الفطرة السليمة لو تركت لاختارت المعرفة بدل الإنكار ، والإيمان على الكفر ، كما أن في الجسم السليم قوة يحب بها الأغذية النافعة ، فهذا إن كان يعني أنه لابد من تعلم بواسطة الأدلة ، وأنه إن لم توجد هذه الأدلة فإن الفطرة لا تستطيع الإيمان . فالرد عليه أن الفطرة مُدحت لذاتها وأنها إذا سلمت من الشبهات والشهوات فهي تقر بالخلق ، وإن كان مقصوده أن في الفطرة قوة تغلب الدين الحق على غيره ولكنها بحاجة إلى التنبيه والتذكير فهذا صحيح مع العلم أن المعرفة وحدها لا تكفي ، بل لابد

من عبادة الله بالمحبة له والذل له .

٣ ــ عندما نقول أن أولاد الكفار علي الفطرة فهذا لا ينافي أن يكونوا تبعاً لآبائهم في أحكام الدنيا ، مثل حضانة آبائهم لهم وتمكين آبائهم من تعليمهم وتأديبهم ، فالرسول ﷺ إنما أراد الإخبار بالحقيقة التي خلقوا عليها ولم يرد به الإخبار بأحكام الدنيا ، فقد يكون في بلاد الكفر من هو مؤمن في الباطن ويكتم إيمانه والمسلمون لايعلمون حاله ، فهو عندهم كافر في ظاهر الأمر فلو فتحوا هذه البلاد جهاداً في سبيل الله فربما قتلوه على أساس أنه مشرك ، والطفل يولد على الفطرة ، ولكنه لو أسر مع والديه الكافرين فسيبقى معهم .

نزعة التدين وأصالتها :

ما إن أطل القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديان حتى امتلأت أوربا غروراً بالعلم المادي الذي اخترعته وانتفش الكفر وعبد هذا الصنم الجديد من دون الله ، وقالوا إن العلم ينافي التدين ، واستثمر الماكرون هذه المقولة لإبعاد الدين عن الحياة ، ثم ظهرت بعدئذ الدراسات الاجتماعية وتوسعت وتعمقت في موضوع طبائع الشعوب وعاداتها ، وظهر علم مقارنة الأديان وتبين أن نزعة التدين لا يخلو منها شعب في القديم والحديث ، وعند أشد القبائل وحشية وتأخراً ، وعند أشد الأمم تمدناً ، ورقياً مادياً .

يقول معجم (لاروس للقرن العشرين) : « إن الاهتمام بالمعنى الإلهي هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية ، والغريزة الدينية لا تختفي بل لا تضعف ولا تذبل إلا في فترات الإسراف في الحضارة ، وعند عدد قليل جداً من الأفراد » (١) .

ويقول (شاشاوان) : « مهما يكن تقدمنا العجيب في العصر الحاضر ، فإن عقلنا في أوقات السكون والهدوء (عظاماً كنا أو متواضعين ، خياراً كنا أو أشراراً) يعود عقلنا إلى التأمل في هذه المسائل الأزلية : لم ، وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم ؟ » (٢) .

١ ــ محمد عبد الله دراز : الدين / ٨٤ .
٢ ــ المصدر السابق / ٨٤ .

ويقول الشيخ محمد عبد الله دراز رحمه الله : « ماهذه إذاً تلك القوة التي لا تزيدها المقاومة إلا عنفاً واشتعالاً أليست هي قوة الفطرة التي تورق وتثمر كلما عاودها الربيع فبلّل ثراها وسقى أصولها ؟ بلى ! وإن هذا قد تكفي منه قطرة ، وربما يتبلور في نظرة ، فما هي إلا طرفة من تأمل الفكر أو لحظة من يقظة الوجدان ، أو أزمة من صدمات العزم فإذا أنت مع عالم الغيب الذي منه خرجت أو في عالم الغيب الذي إليه تصير » (١) .

وقد عبّر ديكارت في تأملاته عن هذه الفطرة : « إن مفتاح هذه العقيدة (وجود الله) موجود في نفسه ، (في نفس الإنسان) كلما شعر بالفرق بين الشك واليقين أو بين الجهل والعلم ، وكلما قرأ في لوحة نقصه عنوان (الكمال) الذي ليس له ، فالكمال هو أسبق في العقل من فكرة (النقص) فإن من لايعرف الشيء لا يتفقده ولا يحس بحرمانه حين يفقده ، إذ كيف أعرف أنني ناقص لو لم تكن عندي فكرة كائن أكمل مني أجعله مقياساً ، أعرف به مواضع نقصي ، فالرغبة في الكمال وحدها دليل أسبقية وجود هدفها في التصور العقلي وليست هذه الفكرة اختراعاً وفرضاً خيالياً بل هي ضرورة تفرض نفسها على عقلي ، فلا بد أن تكون ذات خارجية هي مادة الكمال المطلق ومصدره وهي المثل الأعلى » (٢) .

دروس في الدعوة :

هذا الحديث النبوي أصل من أصول الدعوة إلى الله ، فعندما نخاطب الناس بأن معبودهم هو الله سبحانه وتعالى وليس أحداً غيره فإنما نخاطب شيئاً مركوزاً في النفس الإنسانية وإذا أزيح ماعلق بها من شوائب الشبهات والشهوات رجعت إلى فطرة سليمة .

والذين يتعبون أنفسهم كثيراً في إثبات وجود الله وأنه هو الخالق لهذا الكون ، ويثبتون ذلك بالأدلة العلمية أو المنطقية ، إلى هؤلاء نقول : هونوا على أنفسكم فليست المشكلة بيننا

١ ــ محمد عبد الله دراز : الدين / ٩٧ .
٢ ــ المصدر السابق / ١٥١ .

وبين الناس أنهم ملحدون لا يؤمنون بوجود الله بل المشكلة الحقيقية هي أنهم لا يريدون الخضوع بالعبادة لهذا الإله فهم متبعون لشهواتهم وعاداتهم أو لكبريائهم وتجبرهم في الأرض أو أن الشبهات التي سمعوها عن الإسلام تبعدهم عن الاستجابة ، والذين يظهرون الشك أصلاً والإلحاد بوجود الله هم فئة قليلة على مدار التاريخ والشيوعية المعاصرة والتي هي أزمة من أزمات الحضارة الغربية لم تستطع الاستمرار في معقلها لأنها تصادم الفطرة ، وهاهي تتنازل عن مبادئها سنة بعد سنة ولم يستطع إرهاب السنوات السابقة أن يقتلع جذور التدين عند الشعوب التي أخضعها الروس لحكمهم .

وحتى إذا أردنا إقناع هذا الشيوعي الملحد بوجود الله بأدلة علمية ومنطقية ، فهل نضحي بالمنهج في سبيل هذه القضية وتتحول الكتابة والدروس والمحاضرات لإثبات وجود الله بينما كان الأصل هو إزالة ماران على قلوب الناس من زيغ وتذكيرهم بالله الذي يعرفونه وأنه هو الذي يستحق الطاعة والمحبة والعبادة ، وكل خضوع لغيره فإنما هو الدمار ولا نريد أن نعلمه شيئاً هو يملكه ، ولكن يجب أن نعلمه الإيمان الذي يتحول إلى طاقة إيجابية .

والرسل دعت الأمم إلى عبادة الله الذي يعرفونه ولذلك قالوا لهم : ﴿ أفي الله شك فاطر السموات والأرض ﴾ فهذه بديهية لا أحد يشك فيها .

إن الحديث عن آيات الله في الآفاق والأنفس حديث مهم ، والقرآن دعا إلى التفكر في خلق الله وأمره ، مما يدعو إلى زيادة الإيمان واكتشاف سنن الله في خلقه وسنن الله في التغيير وقد يأتي بعض الناس إلى الإسلام عن هذا الطريق ، ولكن هذا كله وسيلة إلى الغاية الأساسية ، وهي خضوع الناس لشرع الله وأن تكون عبادتهم خالصة له .

والأولى أن تتجه الدعوة إلى المسلمين الذين هم في بعد عن الدين الذي أنزله الله وفي جهل بحدود وشرائع الإسلام ، وذلك قبل أن تتجه إلى فئة قليلة من الملحدين المستهزئين الذين يشغلون المسلمين بجدل عقيم وغالبهم لا يقصدون الوصول إلى الحق ، والرسول ﷺ هو سيد الدعاة وهو الذي يجب أن نقتبس من نور نبوته □

التعليم : الواقع والطموح (*)

جاسر عبد الله الجاسر

تمهيد :

عندما نقول بأن فلاناً متعلم فهذا يعني أنه يملك استعداداً أولياً لأن يكون مثقفاً وهو بالضرورة على درجة من الوعي مرتبط بمستواه التعليمي ، وبالتالي فهو إنسان إيجابي ومثمر لأنه قادر على توظيف المعطيات الأولية بشكل بنّاء ولخير الصالح العام

كل هذه أشياء يفترض توافرها في الشخص المتعلم لأن التعليم يهدف للتغيير الإيجابي وبصورة أشمل فهو يهدف لتهيئة الإنسان فكرياً أي أن يتعلم الإنسان كيف يفكر بشكل منهجي .

من ذلك نجد أن التعليم يتعامل مع عقل الإنسان باعتباره عدة عوامل مترابطة ، بحيث تكون الذاكرة مدخلاً أولياً لحفظ وتخزين لأساسيات الضرورية للتفكير ثم يبدأ بعد ذلك إكمال البناء الفكري عن طريق الملاحظة والربط والاستنتاج والمقارنة .

ولكن التعليم العربي ينطلق من اتجاه معاكس تماماً فهو يتعامل مع الذاكرة فقط باعتبارها إمكانية إيجابية وحيدة في ذهن الإنسان ، ولذلك كان الحفظ الكامل لأرتال من المعلومات المعلبة هو هدف التعليم العربي ، وكلما كان الطالب أكثر إستعداداً للحفظ كان في نظر

* ــ مساهمة وصلتنا استجابة لدعوة المجلة لفتح ملف التعليم في البلاد العربية ، ولازالت الدعوة لأهل الاختصاص والمهتمين بذلك قائمة .

المشرفين أكثر ذكاءً وألمعية ، من هنا ابتدأ الخطأ .

خطوة أولى :

يقول العرب « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » وهذا المثل يوضح بأبرز صورة نمطية التفكير التعليمي لدينا ، فالعلم يقصد به الحفظ ، ومنذ ذلك الحين ، والمتعلمون ـــ سامحهم الله ـــ يحشون رؤوس صغارنا بكم هائل من المعلومات المتناثرة فيصبحون كالببغاوات ، وماإن يسأل أحدهم عن معلومة ما حتى ينطلق سارداً إياها لا يغادر صغيرة أو كبيرة ، ويفرح الأهل بذلك أشد الفرح ، بينما الطفل المسكين لايفهم شيئاً مما قال .

يجمع علماء النفس التربوي على أن ذكاء الطفل حتى الثامنة تقريباً هو ذكاء حركي وليس تجريدي ، بمعنى أن الطفل يعرف الأشياء من خلال احتاكه المباشر بها ، ولذلك ركز التربويون على استخدام اللعب كمدخل تعليمي للأطفال في هذه السن ، بينما يصر التربويون العرب على أن يحبسوا الطفل في قاعة خاصة لمدة تزيد عن خمس ساعات ، وهو يجتر المعلومة تلو المعلومة ، ورأسه الصغير يكاد ينفجر ضيقاً وقرفاً وخوفاً ، فما أن يطلقوا سراحه حتى ينطلق لممارسة أنواع سطحية ساذجة من اللعب العابث الذي لا ينمي موهبة ولا يرسخ سلوكاً ولا يثمر إلا ضياعاً وجهلاً لا يفوقه إلا جهل المدرسة .

خطوة ثانية :

يجمع التربويون على ضرورة أن يكون معلم الطفل متخصصاً في هذا المجال ، دارساً لنفسية الطفل ، مدركاً للفروقات الفردية ، والأهم من ذلك كله أن يكون مخلصاً في عمله متحمساً له ، مؤمناً بأنه يؤدي عملاً جليلاً ، وواجباً خطيراً .

ولكن وزارات التربية العربية لا تؤمن بشيء من هذا ، وهي ترى بأن الطفل يستطيع تعليمه من يعرف مبادىء القراءة والكتابة ، ولذلك توكل عملية تعليمه لأقل مدرسيها كفاءة ومستوى وربما أقل مدرسيها اهتماماً بالطفل ، فيكون الطفل ضحية من ناحيتين .

والخطورة تكمن في أن مرحلة

التعليم الأولية تشكل التكوين الفكري الأساسي للطفل ، بحيث تصبح المراحل اللاحقة مجرد إبراز الجوانب الخفية في هذا التكوين .

فإذا لم يكن المعلم مدركاً لهذا الجانب ، ولم تكن المناهج قادرة على ربط الطفل بعقيدته بشكل صحيح ومدروس فإن النتيجة النهائية ستكون الفشل لأننا أخطأنا في تحديد نقطة البداية وبالتالي فإننا كلما تقدمنا خطوة ، سنوغل في الخطأ أكثر وهكذا فإننا لن نصل أبداً .

خطوة ثالثة :

يعاني معظم الطلبة العرب من عدم التوافق الدراسي ، وهذا يعني بأنهم يشعرون بأن الدراسة عبء مرهق يفرحون سريعاً بالتخلص منه ، وهم يقضون نصف دراستهم في التحسر على إجازات انتهت ونصفها الآخر في انتظار إجازات قادمة ، وهذا يعني منطقياً أن استيعابهم محدود وتركيزهم شبه معدوم ، ولذلك تتبخر معلوماتهم بعد الامتحانات مباشرة ، فينسون كل ماله علاقة بالدراسة وهكذا ينتهي كل شيء ، وهذا يعني وجود خلل خطير في المناهج وفي طريقة التدريس إذ أنه من المفروض أن يحب الطالب المدرسة ، وأن يستمتع بالدراسة كما يستمتع بأية هواية أخرى يحبها ويقضي ساعات طويلة في ممارستها .

ومن نتائج عدم التوافق الدراسي ضعف المستوى العلمي حتى على مستوى خريجي الجامعات ، ومما يؤكد إنعدام فاعلية التعليم لدينا هو اقتران هذا الضعف العلمي بضعف سلوكي وأخلاقي ، وهذا يعني أن مايقارب ستة عشر عاماً من التعليم لم تجد فتيلاً ، وهو أمر يستحيل قبوله من الناحية المنطقية ، فالله سبحانه وتعالى ميز الإنسان بالعقل وجعله حجة عليه وحثه على التفكير والتأمل والتدبر ، فإذا كان الأمر كذلك فإن التعليم العربي يخدر العقل باستمرار ، ولو ترك الإنسان على فطرته دون تعليم لوجدنا فيه خيراً كثيراً ، لأن العقل البشري بطبيعته تركيبي فهو يبحث ويسأل ويقارن ويحلل ولا يمكن أن يتخلى عن هذا الدور مالم يكن يعاني من عجز خَلْقي أو تثبيط موجه .

خاتمـة :

يبدو لي أن علينا أن نعيد حساباتنا بخصوص التعليم وأن نستفيد من الناحية الهيكلية من تجارب الآخرين بدلاً من أن نظل نتخبط في محاولات الصح والخطأ .

وللخروج من هذا المأزق الحرج يجب على العالم العربي أن يكون على قدر من الشجاعة والمسئولية وأن يعترف بأخطائه في هذا المجال ، ومن ثم تبدأ إعادة البناء بشكل كامل وصحيح :

١ ــ الاهتمام بالطفل تربوياً وسلوكياً ونفسياً واجتماعياً ، فهم نـواة المستقبل ومسئولية الأمة حتى ينضجوا .

٢ ــ الاهتمام الجدي والمدروس بتعليم الطفل وتعديل المناهج لتكون ملائمة لعقلية الطفل .

٣ ــ إعادة وضع المناهج التعليمية ، بحيث تكون حافزاً على التفكير وليست مجرد معلومات جاهزة تؤخذ كما هي .

٤ ــ تقليل عـدد الطـلاب فـي الفصول .

٥ ــ التركيز على جلسات الحوار والمنـاقشة الودية بيـن الأستـاذ وتلاميذه .

٦ ــ تشجيع الابتكارات .

٧ ــ قيام علاقة ودية بين الأستاذ وطلابه .

٨ ــ الابتعاد عن التلقين في كافة مراحل التعليم .

٩ ــ التركيز على بناء الشخصية وتدعيم استقلالية الطالب .

١٠ ــ الاهتمام بالبحوث التربوية والإكثار منها .

١١ ــ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب .

١٢ ــ مراعاة أن تكون المناهج تساعد في صقل شخصية الفرد المسلم وأن تعمق ارتباطه بعقيدته بشكل واعٍ وصحيح .

١٣ ــ عدم التسرع في النواحي التربوية فالخطأ فيها قد يقضي على أجيال كاملة .

١٤ ــ تأهيل المشرفين والترحيب بالمخلصين والمتحمسين لأنهم هم الذين يدفعون بصدق حركة التعليم للأمام .

١٥ ــ العمل على تحسين المكانة الاجتماعية للمعلمين وليس هذا الأمر بعسير □



أين دور العمل ؟

مرت بالمسلمين فترات ضعف فيها العلم ، وخاض الناس في أمور العقيدة أو الحديث أو الفقه أو الدعوة دون دليل صحيح معتبر ، وتكلموا في أخطر قضايا المسلمين بكلام إنشائي مرصوف ، واستشهدوا بالأحاديث الضعيفة والموضوعة أحياناً ، ويُتنبه لهذا النقص والخلل ، ويبدأ التركيز على المصادر الإسلامية الأساسية والنهل من ينبوعها واعتبار الصحة والدليل ، وتوثيق النصوص ، حتى يقوم البناء على أساس متين ، وهذا شيء لاغبار عليه بل هو مطلوب وضروري ، ولكن كثيراً من الناس لا يستطيعون الاستمرار على طريق الاعتدال والوسطية فيغالون أو يقصرون في أي أمر يعرض عليهم ، فإذا رزقوا العالم الفطن ردهم إلى الطريق السوي .

فالعلم لابد منه ولا يقوم بنيان على الجهل ، ولكن أن يتحول كل الشباب المسلم المخلص إلى مفتين ، ونرى الطبيب والمهندس ومدرس العلوم أو الرياضيات أو مدرس الأدب واللغة لا يتعمقون في دراساتهم ولا ينفعون المسلمين باختصاصهم ، إلا في العموميات ، وتجد في مكتبة الطبيب كل كتب التراث ، ولا تجد المصادر الأساسية في مهنته ، فهذا وضع غير طبيعي وخلل في فهم الأمور .

فهناك علماء متخصصون يستطيع هذا الأخ سؤالهم إذا استغلق عليه أمر أو أعيته مسألة . هكذا كان عمر رضي الله عنه يفعل إذا طرأت عليه مسألة جديدة ، يجمع الصحابة ويشاورهم ولا يتهيأ مسبقاً بحفظ المتون وافتراض المشكلات والحلول . وهذا إمام دار الهجرة مالك بن أنس يقول : أدركت هذا البلد (المدينة) وما عندهم علم غير الكتاب والسنة ، فإذا نزلت ، نازلة جمع الأمير لها من حضر من العلماء ، فما اتفقوا عليه أنفذوه ، وأنتم تكثرون من المسائل وقد كرهها رسول الله ﷺ .

وكبار الصحابة لم يكونوا من مكثري الروايات فقد روى أبو عبيدة ابن الجراح أربعة عشر حديثاً ، وسلمان الفارسي ستين حديثاً ، ومعاذ ابن جبل مئة وسبعة وخمسين حديثاً ، وغالبهم لا يروي إلا مئتين حديث أو ثلاث مئة حديث ، وفي الصحيحين والسنن الثلاث والموطأ ثمانية وستين حديثاً في الحث على الجهاد . (العواصم والقواصم ٢ / ٤٨٨) .

والصحابة رضي الله عنهم والتابعون كانت عنايتهم بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيام الليل ، وتفقد مصالح المسلمين ، ولا شك أن ذلك بعد تحصيل العلم الذي لابد منه ، ولم يطلب القرآن العلم الزائد على الكفاية كما طلب وحث على العمل ومدح الخاشعين في الصلاة المعرضين عن اللغو والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس .

وإذا كان هذا منهج السلف وهم متفرغون للعلم بما فتح الله عليهم من الدنيا ، فكيف بنا الآن ونحن نساس بغيرنا ، ويقرر أمرنا غيرنا ، ونحتاج لأعداء الإسلام في كل صغيرة وكبيرة من أمور دنيانا ، والمهام الملقاة على عاتقنا كثيرة وحال المسلمين العلمية الآن أفضل مما كانت

عليه قبل قرن ؛ فلم يبق إلا المزيد من العمل والتطبيق .

ولا يخطرن ببال أحد أننا نقلل من أهمية العلم الشرعي أو نضعف من شأنه ، ولكننا ندعو إلى العمل بعد العلم ، كما لايعني هذا أن نحجر على أحد في طلب العلم الشرعي والتزود منه ، بل لابد منه وخاصة لمن يتصدى للدعوة إلى الله والذي يجمع بين تخصصه والعلم فهذا خير على خير ، ولكن الغالب أنه لا يستطيع التمكن من الاثنين ، فهذا ننصحه بالتزود من العلم المطلوب لمثل حاله وأن يفيد المسلمين في اختصاصه ونحن نعلم أن هناك علوماً شرعية لابد منها لكل مسلم خاصة المتعلمين منهم حتى يدعو إلى الله على بصيرة ، ولابد من اتقانها ، بعضها مجملاً ، وبعضها تفصيلاً ، وماخفي عنه فشفاء العيّ السؤال □



أهمية أصول المعرفة في الإسلام

ـ ١ ـ

د . عابد السفياني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ،
وبعد :

فإن لكل قوم نظرية معرفية يتخذونها طريقاً للوصول إلى مايجب عليهم اعتقاده والعمل به ، سواء أدركوها إدراكاً كاملاً وكتبوها ونشروها للناس ، أم احتسُبت في أذهانهم وتصرفوا بموجبها ، ولنضرب بعض الأمثلة التي تبين المقصود :

إن من أصول « العلمانية » (١) أن الحياة العامة في الدولة والمجتمع لاتحكم بأحكام الشريعة الإسلامية ، وإنما تحكم بأي نظام آخر من الشرائع التي يضعها الإنسان بنفسه ، وترتب ـ عندهم ـ على تقديم « القوانين الوضعية » على « الشريعة الإسلامية » أن اعتقدوا أن الحكم بما أنزل الله فيما يخص هذه الأمور ليس واجباً ، وزينوا عقيدتهم المنحرفة

---

١ ـ العلمانية : نشأ هذا المذهب الذي أُطلق عليه هذا الاسم في أوربا وهو « حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة ... باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية » وأقرب ترجمة لها عند الأوربيين « اللادينية » . مذاهب فكرية معاصرة / ٤٤٥ ـ ٤٤٦ للأستاذ محمد قطب ، دار الشروق ١٤٠٣ هـ ، وكتاب « العلمانية » رسالة ماجستير للدكتور سفر الحوالي .

بثلاث شبه :

الأولى : أن الدين الواجب التزامه إنما هو النطق بالشهادتين وأداء الشعائر ، وهذا مخصوص بقيد آخر معروف في القوانين الوضعية ألا وهو : جعل هذا الإلزام على الاختيار ـــ إن صح التعبير ـــ ومعنى ذلك أن من أراد أن يلتزم بذلك فله ماأراد ، ومن لم يرد فلا حرج عليه ، فإن « القانون » لايعاقب على جريمة الردة ، فآل الأمر في النهاية إلى أن الدين الواجب التزامه هو مااختاره الإنسان من الملل المتعددة ، حتى وإن كان كفراً بعد إسلام ، وليس عليه من شرط إلا الالتزام بالقانون الوضعي الذي تعمل به الدولة التي يعيش فيها .

فإن كان من أهل الإسلام فحكمه في القانون الوضعي أن يتصرف في أموره الخاصة حسب أحكام دينه أي الشريعة الإسلامية ، أما في الأمور العامة فلا يحق له الخروج عن أحكام القانون الوضعي المعمول به في الدولة التي يعيش فيها .

الثانية : يسلم بعض « العلمانيين » محافظة على شعور المسلمين بأن ماورد في الشريعة الإسلامية ملزم جملةً وتفصيلاً للدولة والمجتمع إلا أنهم ينكصون على أعقابهم فيقولون : إن ماورد فيها حق وصدق وملزم ، ويجب التحاكم إليه ، ولكن ليس ملزماً لنا وإنما هو ملزم لمن نزل عليهم القرآن أول مرة ، أما أوضاعنا المعاصرة فتحكم بمطلق المصلحة ، وليس منها بالطبع شيء من أحكام الشريعة ، اللهم إلا ماسبقت الإشارة إليه وهي الأحكام الخاصة ، أو ماتسمى في مصطلح القانون الوضعي « الأحوال الشخصية » .

الثالثة : يعتقد بعض العلمانيين إمكان تغيير الشريعة الإسلامية وتطويرها لتصبح في نهاية الأمر هي « القوانين الوضعية » ويزعمون أن ذلك ممكن جداً ، لأن أحكام القانون تسعون في المئة منها موافقة للشريعة الإسلامية ، ويمكن تطويع مابقي بعد ذلك .

وهذه الشبه أثارها الاستشراق أولاً ، ثم وزعها في العالم الإسلامي ، وتلقفها « العلمانيون » فيه ، وخدعوا بها كثيراً من المسلمين ، وتبناها كتاب كثيرون في

الدراسات الإسلامية (١) ، وهذه الشبه كما ترى انتجت ذلك الأصل الفاسد ، وأصبح طريقاً غير موثوق به ، لأنه استبعد الشريعة الإسلامية ، ورفض حاكميتها في المرحلة الحالية التي تعيشها البشرية ، وهذا قدر مشترك بين العلمانيين في أوربا والعلمانيين في العالم الإسلامي ، ويتفاوتون بعد ذلك في أمور أخرى ، ونستطيع أن نكشف عن هذا القدر المشترك ، ونتبينه إذا تابعنا سوياً بعض جوانب الشريعة الإسلامية وموقف العلمانيين منها :

أولاً ــ النظام الجنائي :

ويشمل الحدود والقصاص والتعازير ... فإن موقف العلمانيين ــ التزاماً بأصلهم في المعرفة ــ أن لا يُسمع في هذا من الشريعة الإسلامية شيء ، فضلاً عن أن يعمل به ، فالأمور العامة ــ كما يقول أصلهم في المعرفة ــ يحكمها كل نظام بشرط أن لا يكون إسلامياً ، ولا بأس على الدول العلمانية أن تحتكم إلى القانون الفرنسي أو الألماني أو الإيطالي أو البريطاني أو الأمريكي ... ولا بأس في الاختلاف في عملية الاختيار في مثل هذا مادام أن العلمانيين متفقون على إبعاد الشريعة الإسلامية عن هذا الجانب ، ولكل دولة بعد ذلك أن تختار أيضاً من دركات الانحراف عن الفطرة السوية ماتريد (٢) .

ثانياً ــ النظام الاقتصادي :

ومعلوم موقف « القوانين الوضعية » من الربا فإنها اجتمعت على تحليله ونشره بكل طريق ، ويحسن بنا أن نربط بين العلمانيين في أوربا والعلمانيين في العالم

١ ــ الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، للمستشرق جب / ٢٦ ــ ٧٩ ــ ١٢٢ ــ ١٢٣ ، الإسلام في التاريخ الحديث للمستشرق ولفرد سميث / ٧ ــ ٧ ــ ٨ ، القانون المدني الأعمال التحضيرية ، الدكتور أحمد السنهوري ١ / ٢٠ ، وأسبوع الفقه الإسلامي / ١١٤ الدكتور عبد المنعم الصده ، وقد أورد الدكتور الأشقر قولهما وناقشهما فراجعه فإنه مفيد ، انظر كتاب « الشريعة الإسلامية لا القوانين الجاهلية » .

٢ ــ انظر الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، للمستشرق جب / ١٧٥ ، فقد قال : إن العالم الإسلامي له حق الاختيار في تحديد طبيعته في الحياة ولكن بعد أن يتابع الفكر الغربي ويخضع للقوانين الوضعية ، وقصده كما هو ظاهر أنه ليس لزاماً على المسلمين أن يتركوا كل ماجاء به الدين الإسلامي ولابأس بالمحافظة على بعض عاداتهم الإسلامية وطبائعهم الخاصة ، ولكن الذين يطلبه منهم الاستشراق ومايتبعه من المذاهب الحديثة أن يسايروا العالم الغربي من حيث الخضوع للقوانين الوضعية وترك التحاكم للشريعة الإسلامية .

الإسلامي ، فنقول : إن الربا كان محرماً في الدين النصراني ، وقد تحايل اليهود على تحليله ونشره بين النصارى رغبة منهم في إبعاد النصارى عن بعض ماكانوا مستمسكين به من شرائع سماوية .

ولقد ثبت في الشريعة الإسلامية أن « الربا » كان محرماً على أتباع الأنبياء عليهم السلام ومنهم أتباع عيسى عليه السلام ، فالحرمة إذاً ثابتة للربا في جميع الشرائع التي أرسل بها رسله جميعاً ، ولكن « العلمانيين » في كل مكان رفضوا الاحتكام إلى هذه الشرائع (١) ، وإن مما ساعد على تحليل الربا ونشره في أوربا موقف الكنيسة المنحرف عن الدين ، وعدم وجود « البديل » الذي يمكن أن تسير الحياة العملية على أساسه .

أما في العالم الإسلامي فإن البديل هو منهج الاقتصاد الإسلامي ، وهو موجود فعلاً ، بل هو الأصل التي كانت تحتكم إليه المجتمعات الإسلامية طيلة أربعة عشر قرناً ، ولكن اجتماع العلمانيين في كل مكان على نصرة « القوانين الوضعية » وعلى تصدير أصلهم في المعرفة وتعاونهم على ذلك جعل هذه الشعارات تستقر في العالم الإسلامي ومنها : « أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ، ولا دين في السياسة ولا سياسة في الدين (٢) .

ومقتضى هذا الأصل المعرفي المنحرف أن الأحكام في الأمور العامة هي شريعة قيصر أي القوانين الوضعية ، وليست هي الشريعة الإسلامية ، هذا هو أصل العلمانيين الذي يسعون إلى التمكين له قولاً وعملاً .

ثالثاً ـ النظام الأخلاقي :

إن ثورة العلمانيين في أوربا وفي العالم الإسلامي على النظام الأخلاقي متشابهة جداً .

فلقد قال العلمانيون في أوربا ما للأخلاق والدين ، ونادوا بإخراج المرأة عارية الساقين ، حاسرة الرأس ، وأن تتخذ الأصدقاء ، وترقص في المسارح ، وإذا قلت لهم

---

١ ـ الربا وأثره على المجتمع الإنساني ، الدكتور الأشقر / ٢٩ ـ ٤٨ ـ ٦٧ .
٢ ـ العلمانية ، للدكتور سفر الحوالي / ٦٤٨ ـ ٧٠٦ .

إن الدين لا يقبل ذلك ، قالوا : أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، أصل معرفي يتحجون به عند الخصومة والنزاع .

وكذلك العلمانيون في العالم الإسلامي مازالوا ينادون بذلك ، ولا عليهم من النتائج الخطيرة التي تترتب على ذلك ، من فساد فطرة المرأة ، وضياع بيتها ، وأطفالها ، وتدمير مجتمعها بإفساد النوع الإنساني ، كل ذلك لا يهمهم ، المهم أن تخرج المرأة بدعوى الاستفادة من طاقات المجتمع ، وهم أول من يعلم أن المجتمع قد ازدحم بكثير من الشباب الذين لايجدون عملاً ، ونرى كثيراً من المصلحين يسعون لاستثمار طاقات الشباب المعطلة والاستفادة من أوقاتهم المهدرة ، وتارة يُوفقون في ذلك ، وتارة لا تسعفهم الفرصة لتحقيق هذه الأهداف النبيلة التي يستفيد منها الشباب والمجتمع في آن واحد ، أما الذين شُغلوا بقضية المرأة ، فهم لا يتعاطفون مع هؤلاء المصلحين ، وحرصهم على الاستفادة من طاقات المرأة أكثر من حرصهم على الاستفادة من طاقات الشباب ، وهم أول من يعلم أن الشباب هم الذين يتضررون من البطالة ، ويتضرر معهم المجتمع ، أما المرأة فإن المجتمع إذا كان سوياً ومحافظاً على فطرته الإنسانية من وجود زواج ، وأسر ، وأبناء ، فإن المرأة هي قاعدة البناء فيه ، ولا نتصور أن تقع في البطالة ، ولا يمكن أن نقحمها في تلك الأعمال التي أقحمها فيها « العلمانيون » في أوربا فأفسدوا البيت والشارع معاً ، وهكذا يريد إخوانهم في العالم الإسلامي ، أن يسلكوا طريقهم ، ويبنوا على أصلهم الفاسد ويُدلِّسوا على الناس بأنهم لا يعارضون الدين ، ومن المعلوم أن هؤلاء الذين أصروا على إخراج المرأة قد فشلت تجربتهم ، ومازال حكماء أوربا يشكون من فساد هذه التجربة (١) ، ولكن العلمانيين في العالم الإسلامي مازالوا حريصين على بقاء هذه التجربة الفاشلة وانتشارها ، ويصرون على إبعاد حكم « الشريعة الإسلامية » عنها .

---

١ ــ انظر شهادة الكسس كاريل / ١٩٨ .

وينبغي للبصير أن يتأمل في مواقف المخالفين من قضية المرأة ومن النظام الاقتصادي والنظام الجنائي ، لتنكشف له حقيقة مهمة طالما أراد كثير من المخالفين إخفائها والتستر عليها .

إن « العلمانيين » في العالم الإسلامي ، كما هو معلوم لا يقولون إن محمداً ﷺ ليس بنبي ولا رسول ، ولا يقولون إن القرآن ليس هو كتاب الله ، ولا ينكرون اليوم الآخر ، ولا يرفضون النطق بالشهادتين ، ومنهم من يصلي ويصوم ويحج ...

وإذا أردت أن تتحقق من الخلاف بيننا وبينهم فارجع إلى ذلك الأصل المعرفي الذي سبقت الإشارة إليه ينكشف الأمر لك بجلاء ، فتجده أنه خلاف على قبول حاكمية الشريعة الإسلامية في الأمور العامة في الدولة والمجتمع ، واتفاق نسبي في قبول ماجاءت به في الأمور الخاصة « الأحوال الشخصية » والصلاة والصيام والحج .

وإذا قيل لهم : كيف جعلتموها مصدراً في هذه الأمور دون تلك ، ولماذا لايكون أصلكم في المعرفة هو قبول ماجاءت به جملةً وتفصيلاً ، أليس الذي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ، والذي أرسله بها هو الله خالق السموات والأرض ، قالوا : بلى !!

وإذا قلت لهم من هو الحكم العدل ، ومن هو العليم الخبير ، ومن هو الذي في السماء إليه وفي الأرض إله ؟ فسيقولون : الله ، فقل أفلا تقبلون حكمه في « النظام الجنائي » وفي النظام الاقتصادي ، وفي النظام الأخلاقي .... ، فأنى تؤفكون .

﴿ أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً ، والذين أتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ، فلا تكونن من الممترين ﴾ (١) □

---

١ ــ الأنعام / ١١٤ ، وجامع البيان ٧ / ٧٠ .



— ٤ —

محمد العبدة

كان تشخيص أمراض العالم الإسلامي عند مالك بن نبي مقدمة للبحث عن العلاج ، أو للبحث عن أسس النهضة ، وكيف تبدأ ؟ ومن أين تبدأ ؟ إن بلداً مثل اليابان بدأ نهضته في منتصف القرن التاسع عشر (١) وهي نفس الفترة التي بدأ الحديث فيها عن النهضة في العالم الإسلامي ، فلماذا كان هذا البطء في (الإقلاع) ؟.

السبب برأي مالك بن نبي هو عدم وجود منهج واضح للإصلاح ولا نظرية محددة للأهداف والوسائل وتخطيط للمراحل . « فإذا حللت جهود المصلح الإسلامي وجدنا فيها حسن النية ، ولكنا لانجد فيها رائحة منهج » (٢) « وليس

١ ــ لاشك أن هذه نهضة صناعية ، وليست نهضة حضارية بالمعنى الشامل ، ولكن لو أن اليابانيين طالبوا بنقل مفاسد حضارة الغرب وسلبياتهم كما يطالب المستغربون عندنا لما نجحوا في بناء هذا المجد الاقتصادي ، لقد حافظوا على نوع من التقاليد وأخلاق صارمة في التعامل حتى استطاعوا إقامة هذه النهضة .
٢ ــ الأفرو آسيوية / ٧٨ .

هناك تحليل منهجي للمرض وليس إلا أن عرف المريض مرضه فاشتد في الجري نحو الصيدلي ـ أي صيدلي ـ يأخذ من آلاف الزجاجات ليواجه آلاف الآلام » (١) « وواقعنا الآن إما فكرة لا تتحقق أو عمل لايتصل بجهد فكري » (٢) .

لاشك أن هذا الكلام حول (المنهج) صحيح ودقيق ، فليس هناك دراسات عميقة وتحليلية لأمراض المسلمين ، وماهي الحلول والمقترحات وماهو المهم والأهم ، وكل الدراسات تأخذ جانباً من الجوانب تركز عليه والحل الأحادي هو الغالب ، وأعمال كثير من المؤلفين كانت تبريراً ودفاعاً أمام الهجوم الغربي الاستشراقي على الإسلام (٣) ، وليست أعمالاً فيها تخطيط للحاضر والمستقبل ، غابت المؤتمرات التي تخرج بنتائج فعلية واقعية وكثرت تلك التي توصي بوصايا لاتخرج عن دائرة الورق التي كتبت عليه .

والذين كتبوا في أوائل النهضة كتابات جيدة مثل الشيخ رشيد رضا لم يستفد منها كثيراً ولم تنقح ويؤخذ الايجابي منها ، ويبنى عليه ، وكذلك الذين جاءوا من بعده لم يكن هناك خطة علمية لدراسة أقوالهم وآرائهم ، وكأنما كل من يأتي يريد البدء من الصفر ، بل نستطيع القول : إن كثيراً من الأخطاء التي وقعت سواء في مجال الدعوة أو غيرها إنما كانت بسبب غياب المنهج أو عدم الالتزام بمنهج .

وإذا كنا لانملك الوضوح من الناحية النظرية فضلاً عن وجود منهج تطبيقي عملي فهذا لايعني عدم وجود المنهج ، فالقرآن الكريم والسنة أوجدا المناخ المناسب لأن يستنبط العلماء منهج أهل السنة في النظر والاستدلال وطرق الحياة التي يريدها القرآن (٤) ، فعندما يقول سبحانه : ﴿ ولاتقف ماليس لك به علم ﴾ نجد الصحابة يفهمون هذا التوجيه ويلتزمون به ، فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب

---

١ ـ شروط النهضة / ٥٩ .
٢ ـ وجهة العالم الإسلامي / ٧٥ .
٣ ـ آفاق جزائرية / ٤٦ .
٤ ـ انتاج المستشرقين / ٢٨ .

لا يعلم معنى كلمة ﴿ وأبّاً ﴾ من آية ﴿ وفاكهة وأبّاً ﴾ فلا يتكلف الجواب ولا يحاول التعالم ، بل يرى أنه من التكلف معرفة كل شيء ، وأبو بكر رضي الله عنه يقوم بعمل علمي طبقاً لمنهج ، عندما أعطى تعليمات مشددة لزيد بن ثابت ، الذي كلفه بجمع القرآن ، وكذلك عثمان بن عفان يشكل لجنة لجمع الناس على مصحف واحد (١) .

وفهم الكتاب والسنة هو الذي جعل الإمام مالك والأوزاعي وأمثالهما يكرهون الجدل والخصومات في الدين ويركزون على العمل ، وقد وضح هذا المنهج بشكل نظري في كتابات ابن تيمية وخاصة كتابه العظيم (درء تعارض العقل والنقل) وكان بالإمكان بناء نهضة علمية عملية لو أخذ المسلمون بهذا المنهج ، ولكنهم مع الأسف غرقوا في الجدل وعلم الكلام فأبعدوا عن مجالات القيادة .

والجدل أسهل من البحث والاستقراء والخروج بنتائج في شتى مجالات العلوم . وإذا كان للمنهج هذه الأهمية « فإن نجاحه مرتبط بتناول المشكلة من جانبيها معاً (الاستعمار والقابلية للاستعمار) ، فإذا نظرنا إلى جانب دون الآخر فقد غامرنا برؤية مشكلة مزيفة » (٢) .

لذلك وقبل أن ننتقل إلى موضوع (إقلاع) العالم الإسلامي باتجاه بناء حضارة لابد أن نعرض وجهة نظر مالك بن نبي في الاستعمار الذي هو الجانب الخارجي من المشكلة ، أو الجانب السلبي لنكون على وعي تام بما يدبر لإعاقة النهضة الإسلامية .

الاستعمار والصراع الفكري :

إن عرض مشكلة الاستعمار يبدو أكثر أهمية إذا علمنا أنه ركز هجومه على العالم الإسلامي ، بينما كان أقل شراسة ولؤماً مع الشعوب الأخرى ، وحاول إجهاض أي عمل إسلامي مثمر ، واستخدم أخبث الوسائل ومنها الوسائل الفكرية .

---

١ ــ انتاج المستشرقين / ٣٣ .
٢ ــ وجهة العالم الإسلامي / ٨٦ .

ومالك بن نبي وإن كان ممن لايعلقون أخطاء وتقصير المسلمين على شجب (الاستعمار) وحده بل يهتم بالعوامل الداخلية ، ويرى أنها الأساس في بحث والتحليل ، إلا أنه خبير بخفايا هذا الاستعمار ومواقفه من قضايا المسلمين ، لذلك جاءت ملاحظاته وتعليقاته على هذا الجانب فيها عمق ومعاناة ، فقد قرأ كثير وعانى الكثير من استعمار فرنسا للجزائر ، وهو يرى أننا إذا أردنا أن نتقصى لحركة الاستعمارية من أصولها فلا بد أن ننظر إليها كعلماء اجتماع لا كرجال سياسة [1] ، فظاهرة الاستعمار من طبيعة الرجل الأوربي ، فكلما وقع اتصال بين لأوربي وغير الأوربي خارج إطار أوربا فهناك (موقف استعماري) [2] بينما نجد في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية أن رحلات ابن بطوطة وأبو الفداء والمسعودي لم تثر شهيتهم للاستعمار . ورحلات مثل هذه تثير شهية الأوربي ، إن تحليل (منوني) الكاتب المتخصص بنفسية الاستعمار ، يقول : « إن الأوربي يحب عالم دون بشر » ولو قال منوني إن الأوربي يحب عالم دون شهود على جريمته لكان هو الصواب [3] .

وحتى بعض الأفراد الغربيين الذين يشاركون في المعركة ضد الاستعمار إنما يشاركون مادامت في النطاق السياسي ، وسرعان ماينعزل عنها حينما تأخذ طابع الصراع الفكري ، فالرجل المستعمَر لايحق له الدخول في الميدان الفكري » [4] .

وفي ميدان الصراع الفكري وخاصة مع الشباب المسلم الذي يدرس في الغرب نرى الاستعمار يستخدم بخبث منطق الفعالية وخلاصته : (بما أننا نحن المسيطرون ونحن الأقوى إذن فأفكارنا صحيحة) .

« ويعتبر هذا اللبس المفروض في أعماق نفسية هذا الشباب هو النواة التي

---

١ ــ وجهة العالم الإسلامي / ٨٥ .
٢ ــ في مهب المعركة / ١٦ .
٣ ــ في مهب المعركة / ٢٨ .
٤ ــ الصراع الفكري في البلاد المستعمرة / ٩ .

تدور حولها جميع دسائس الصراع الفكري ومناوراته » (١) . وقد يرفع الاستعمار أمام أعين المستعمرين شعاراً صحيحاً وهو يعلم أن المستعمَر سيرفضه لأن الذي رفعه عدو ، وبهذا يكون قد صرفه عن عمل إيجابي قد يفكر فيه في المستقبل .

يروي مالك بن نبي تجربة من تجاربه فيقول : « انعقد في باريس مؤتمر العمال الجزائريين بأوربا ، وبهذه المناسبة تقرر من لدن المشرفين على المؤتمر توزيع كتيب لصاحب هذا العرض تناول فيه مشكلة من مشاكلنا اليوم ، ولكن أصحاب الاختصاص في الصراع الفكري لم يفتهم أن يسدوا الطريق على الأفكار المعروضة ، ولذا وجهت الدعوة إلى السيدة الألمانية التي كتبت (شمس الله تشرق على الغرب) وفيه مدح وتمجيد للحضارة الإسلامية ، وتقدمت السيدة وقدمت كتابها للمؤتمر ، فانتقل على الفور بروحه من مجال المشكلات إلى أبهة وأمجاد الماضي الخلاب » (٢) .

ومن وسائله الماكرة ، التي لايزال يتقن استعمالها رميه للمسلم بشتى الاتهامات ، بل يحاول الإيحاء بأن المسلم منبوذ القرن العشرين ، وفي هذه الحالة يصبح سلوك المسلم ردود أفعال ، وترفع عنده توتر طاقات الدفاع حتى يكون في حالة توتر شاذة ، ويعيش إما مُتهِماً أو مُتَهماً ، وفي هذه الظروف فإن مختبرات الاستعمار تصرف كل إمكانيات المسلم إلى معارك وهمية ، يُسمع فيها قعقعة السلاح ودوي الحرب ولكنها معارك مع أشباح ، والمسلم يظن أنه انتصر ويرتاح نفسياً ، والتاريخ الإسلامي الحديث لايخلو من هذه المعارك الوهمية كتلك التي خاضها الأفغاني ومحمد عبده ضد أرنست رينان وجبرايل هنوتو ، والمشكلة ليست في الدفاع عن الإسلام ولكن في تعليم المسلمين كيفية الدفاع عن أنفسهم » (٣) .

لقد تدخل الاستعمار في كل شيء حتى لايترك فرصة لأي بعث إسلامي ،

---

١ ــ مشكلة الأفكار / ١٤٠ .
٢ ــ إنتاج المستشرقين / ١٦ .
٣ ــ الصراع الفكري / ٦٧ ــ ٦٨ .

فكانت الإدارة الفرنسية في الجزائر هي التي تعين المفتي والإمام لا طبقاً لمشيئة جماعة المسلمين بل تبعاً لهوى المستعمرين ، وبذلك تجمع في يدها أنفذ وسائل الإفساد ، فاختيار رجل يؤم الناس في المسجد لايكون بناء على تميزه بضمير حي أو علم بأصول العقيدة ، بل يراعى في ذلك مايقدمه للإدارة من خدمات ، حتى كأنه (جاويش) صلاة ، ولاشك أن هذا التحكم في شعائر الدين مما يقض مضاجع أصحاب العقائد من المؤمنين لما يرون من أحداث غاية في الفساد : إمام جاسوس ، ومفت فاسد ، وقاض مرتش ، وغاية الاستعمار أن يجعل من الإسلام صورة عجيبة ، وبذلك يكدس العقبات والعوائق على طريق النهضة الإسلامية » (١) .

دور الاستشراق :

كان للمستشرقين دور بارز في محاولة تشويه وتزييف التاريخ الإسلامي والطعن في الإسلام نفسه ، ولكن مالك بن نبي يركز على ناحية معينة في إنتاجهم كان لها أثر نفسي سيء في أذهان المسلمين . فبعض المستشرقين خلطوا في كلامهم بين المدح للإسلام وبين وضع السم في الدسم ، هذا المدح جعل بعض المسلمين يستسلمون لنزعة الفخر والعيش مخدرين على أمجاد الماضي ، وكل من أراد الدفاع عن الإسلام استشهد بكلام لأحد المستشرقين ، « وهكذا يتبين لنا أن الإنتاج الاستشراقي بكلا نوعيه (المادحون والمفندون) كان شراً على المجتمع الإسلامي » (١) « وعندما يعلن الاستشراق أنه لا نصيب للعرب في تشييد صرح العلوم ، ربما يؤدي بنا هذا الموقف المتطرف إلى تلافيه بسطحية نشاهد أثرها في إنتاج بعض المفسرين مثل طنطاوي جوهري » (٢) وهو التفسير الذي حول القرآن إلى مادة للعلوم ، والقرآن يوجد المناخ العقلي والنفسي للروح العلمية وليس هو كتاب جغرافيا أو فلك أو أحياء ..

وأخيراً لابد أن نعلم أن المكر السيء يحيط بأهله « فالاستعمار الذي يهلك المستعمَرين مادياً يهلك أصحابه أخلاقياً ، وذلك مايشهد به تاريخ أسبانيا منذ

---

١ ــ ٢ ــ إنتاج المستشرقين / ٢٥ .

اكتشاف أمريكا » (١) « إن الأمم الاستعمارية على الرغم من إدراكها لأخطار الاستعمار ، تعمى عن هذه الأخطار كأن هنالك قدراً محتوماً يقضي على يقظتها ووعيها » (٢) .

ويجب أن نعلم أيضاً أنه رغم كل هذه العوائق ، استطاع المسلم التفلت من الأنشوطة التي أراد الاستعمار عقدها حول عنقه ، فما زالت فطرته وإسلامه يعطيانه القوة والدافع لتلمس الطريق الصحيح .

ماهي نقطة البدء ؟.

الإقـلاع :

الإيمان العميق بالمبدأ الذي يعتنقه المسلم هو نقطة البدء ، هذا الإيمان الذي يعطيه قوة فوق قوته ، واحتمالاً فوق احتماله ، فيتغلب على المصاعب التي تعترضه ، ويتحول هذا الإيمان إلى عاطفة قوية جارفة « فالروح وحدها هي التي تتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم ، فحيثما فقدت الروح سقطت الحضارة وانحطت لأن من يفقد القدرة على الصعود لايملك إلا أن يهوي بتأثير الجاذبية الأرضية » (٣) « فأينما توقف إشعاع الروح يخمد إشعاع العقل ، ويفقد الإنسان تعطشه إلى الفهم وإرادته للعمل عندما يفقد الهمة وقوة الإيمان ، فالإيمان هو المنبع الوحيد للطاقة الإنسانية (٤) والمسلم الذي يصل إلى درجة (التوتر الروحي) يشعر بالسعادة الغامرة عندما يبني أول مسجد في المدينة ويحمل (لَبِنَتَيْن) بدلاً عن واحدة ، « وفي هذه الحالة الروحية صبر بلال رضي الله عنه

---

١ ــ ٢ ــ وجهة العالم الإسلامي / ١١٣ .

٣ ــ المصدر نفسه / ٢٦ .

٤ ــ المصدر السابق / ٢٧ ، وقد يستغرب القارىء ويقول : كيف نجمع بين كلامك في نهاية المقال السابق عن أن توحيد الإلهية لم يكن واضحاً تماماً عند مالك . وبين كلامه عن الإيمان وأثره ومهاجمته لعلم الكلام ، وقد نبهني أحد الأصدقاء إلى أن ظاهر كلامه لايدل على هذا ، مع قناعته بوجهة نظري ، فذكرت له أنني استنتجت هذا الحكم من مجموع قراءاتي لكتبه ، كما أنه في النية كتابة مقال مستقل عن بعض أخطائه ومنها هذا الموضوع ، وسأوضح الدليل على ذلك إن شاء الله . وقد يزول الإشكال إذا عرفنا أنه يتكلم هنا عن بناء الحضارات بشكل عام ، فالمسلم عنده طاقة روحية وغير المسلم عنده هذه الطاقة في بدء دورة الحضارة كما يذكر في أكثر كتبه .

ولم تستطع قوة في الأرض أن تخفض إصبعه وهو يقول : أحد ، أحد » (١) .

هذا الإيمان يصنع المعجزات ، عندما تختفي الأنانيات ويشترك الجميع عن طواعية في بناء حضارة ، وفي المجتمع الإسلامي الأول كان المنافقون وحدهم يتخلفون عن أي عمل فيه تعب أو نصب ، وكل الكتب والمحاضرات والخطب لا تكفي لإنشاء أمة لا ترتفع إيمانياً وأخلاقياً إلى درجة عالية ، كما جاء في الحديث عن جندب بن عبد الله قال : « تعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً » (٢) .

والقرآن الكريم وضع ضمير المسلم بين حدين هما : الوعد والوعيد ، ومعنى ذلك أنه قد وضعه في أنسب الظروف وهذان الحدان ينطبقان على مفهوم الآيتين الكريمتين :

ا ــ ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ .

ب ــ ﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ .

وبين هذين الحدين تقف القوة الروحية متناسبة مع الجهد الفعال الذي يبذله مجتمع طبقاً لأوامر رسالة » (٣) .

يقول الدكتور (الكسس كاريل) معبراً عن هذه الحقيقة : « فالأمل والإيمان والحمية تؤثر في الجسم تأثير البخار في العجلة المحركة » (٤) « وإذا نجحت إحدى الأفكار في تغيير سلوك البشر فذلك لأنها تنطوي على عناصر عاطفية إلى جانب العناصر المنطقية ، إن الإيمان هو الذي يدفع الإنسان إلى العمل وليس العقل ، والذكاء يكتفي بإنارة الطريق ولكنه لا يدفعنا إلى الأمام » (٥) .

---

١ ــ ميلاد مجتمع / ٢١ .
٢ ــ صحيح سنن ابن ماجه ، بتحقيق الألباني ١ / ١٦ .
٣ ــ ميلاد مجتمع / ٢١ .
٤ ــ تأملات في سلوك الإنسان / ٨٤ .
٥ ــ المصدر نفسه / ١٣٩ .

هذه الطاقة الإيمانية جعلت الفرد المسلم في عصر النبوة يقسم ثروته مع أخيه الذي هاجر إليه ، فالمؤاخاة التي تمت بين المهاجرين والأنصار هي أول عمل تاريخي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده ، ولولا قوة شبكة العلاقات الاجتماعية لما استطاع المجتمع الإسلامي الإقلاع باتجاه حضارة ، وفي حالة تمزق هذه العلاقات قد توجد العوالم الثلاثة (الأفكار ، والأشخاص ، والأشياء) ولكنها لاتغني شيئاً ، وقد يكون هناك مسلمون متحمسون وهناك أفكار ولكن الشبكة ليست قوية .

إن قصة المؤاخاة ليست خيالية ، ولا هي أقرب للخيال ، فالإسلام دين واقعي ، وليس صعباً أن يحقق المسلمون شيئاً من هذه (المؤاخاة) ، والآن توجد (إخوة إسلامية) خطابية وعظية ولكن لايوجد (مؤاخاة) عملية فعلية ، من هنا المنطلق ، ومن هنا البداية □

* يتبع *



الزيارة بين النساء

على ضوء الكتاب والسنة

ـ ٣ ـ

خولة درويش

إن المؤمنة حيثما جالست غيرها تحرص على أن لا تقذف بكلامها دون تمحيص ، فهي تسعى لتكون أقوالها ــ فضلاً عن أفعالها ــ في ميزان حسناتها .

لذا تتواصى مع أخواتها المؤمنات بكل مافيه خير وصلاح ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وإن لمست نفوراً وشقاقاً بين البعض منهن فهي تعمل على إصلاح ذات البين ، وإطفاء نار العداوة ، تتمثل قوله تعالى : ﴿ لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ [النساء / ١١٤] .

والمتأمل في هذه الآية يجد أن غالبية النجوى لاخير فيها إلا هذه الثلاث :

١ ــ الأمر بالصدقة .

٢ ــ الأمر بالمعروف ، ونجمعهما تحت عنوان الدلالة على الخير .

٣ ــ الإصلاح بين الناس .

ومن تكلم بها أو بأحدها فهو في قربة إلى الله تعالى ، بل وكلامه من أفضل الذكر فقد قال ابن تيمية رحمه الله :

« إن كل ماتكلم به اللسان ، وتصوره القلب ، مما يقرب إلى الله ،

من تعلم علم ، وتعليمه ، وأمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، فهو من ذكر الله ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع ، بعد أداء الفرائض ، أو جلس مجلساً يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقهاً فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله » (١) .

١ ـ الدلالة على الخير :

فإذا رزقك الله فهماً وعلماً ، أو قوة وعافية ؛ فاستخدميها لمعاونة المسلمين وتسهيل حاجاتهم ، سواء بعملها بيدك ؛ أو بتعليمها غيرك ، فما ذلك إلا زكاة الصحة التي حباك الله إياها .

« كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة » (٢) .

إن كثيراً من بلادنا المسلمة مليئة بالأزمات الاقتصادية بسبب القحط أو الحروب . وتنشط المؤسسات التبشيرية والشيوعية للاستفادة من تقصيرنا جميعاً ، فتستغل آلام المكلومين لتقدم لهم الغذاء واللباس والدواء طعماً تجذبهم به لمصيدتها ، وتعمل جاهدة بكل الوسائل لجلبهم لساحتها ، بتربية أبنائهم أو تعليمهم أو تطبيبهم ...

فهلا استفدنا من زياراتنا ووقتنا الضائع ؟! فتدارسنا أحوال أمتنا ، وعلمنا بعضنا أن نخيط الثياب التي تستر عورات أخواتنا المسلمات المحتاجات .

ولنصنع من الطعام مايمكن أن يرسل لهن . ولنثبت أننا المسلمات اللاتي يهمهن أمر الأمة المسلمة . لا الدمى المتحركة التي تُزين لتلهي من حولها وتبعد عن جادة الصواب .. فهل النصرانيات أقدر منا ؟؟ أم أنهن أكثر تضحية وإيماناً ؟ نحن حفيدات عائشة وخديجة وأسماء ، أولسنا أجدر أن نضحي من أجل حقنا الأكيد أكثر من تضحيتهن من أجل باطلهن ؟.

١ ـ الفتاوى ١٠ / ٦٦١ .
٢ ـ رواه البخاري ، ومسلم .

ويتامى المسلمين ؟! من ينجينا من الإثم إذ يُحملون إلى البلاد الشيوعية أو النصرانية ليربوهم على دينهم ؟.

ماذا نقول غداً لرب العالمين إن سألنا عنهم وعن تفريطنا وتقصيرنا في حقهم ؟

أفلا يجدر بنا أن نتكفلهم ؟ وماذا لو ضمت الأسرة إليها فرداً أو اثنين لتنشئتهم (لا تبنيهم فهو محرم) وتربيتهم ؟.

أو إن عملت الجمعيات الخيرية المسلمة لرعايتهم ، وساهمت المرأة المسلمة بما تستطيع ، سواء بالمادة أو بالجهد الذي تقدر عليه ، من عمل يدوي أو تعليمي أو توجيهي ؟!

قد يقال : إن هذه أعمال ضخمة لا تقدر عليها جهود فردية قليلة المورد .

﴿ إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾ [الرعد / ١١] فهذه الفكرة إن اقتنعت وإياي بها وأقنعت في زيارتك صديقتك المؤمنة وجارتك المسلمة لابد وأن نحقق خيراً كثيراً للمسلمين ، ونكون قد ساهمنا معاً في النهضة الإسلامية .

ولاشك أن ذلك مطلب شرعي بدلاً من أن تظل المسلمة مجال تنافس الدول لتلهيها عن رسالتها بمستحضرات التجميل ، وأدوات الترهل والترفيه .

وبذلك نكون قد ارتقينا بزياراتنا عن اللغو إلى التناصح لما فيه خيرنا وخير المسلمين ، وفي عملك ذلك أجر الصدقة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال : الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله . قال : قلت : ثم أي الرقاب أفضل ؟ قال : أنفسها ثمناً عند أهلها وأكثرها نفعاً . قال : قلت : فإن لم أفعل ؟ قال : تعين صانعاً أو تصنع لأخرق » (١) .

فلك في معاونتك لأختك المسلمة أياً كانت تلك المعاونة الثواب الجزيل فعملك من أفضل القربات .

فإن كانت مريضة أعجزها المرض عن أداء مهمتها تساعدينها في تعليم أولادها الصغار ، أو عمل طعام لهم ، أو ترتيب بيتها وتنسيقه بدل أن تكون

١ــ شرح صحيح مسلم ٢ / ٧٣ .

زيارتها للكلام والتسلية فحسب .

وإن كانت نفساء أمضها ألم الولادة : تقومين على رعايتها ورعاية وليدها . فهذا أجر قد ساقه الله إليك ، ولايقدر عليه غيرك ، وإن كانت جاهلة بفنون المنزل ، أو حتى في التعامل الاجتماعي تعلمينها وتنصحينها فالدين النصيحة ، ولك في كل ذلك أجر الصدقة ، ولنذكر معاً حديث الرسول ﷺ : « من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » (١) .

فلنكن في حاجة أخواتنا المسلمات ، والله معنا في قضاء حاجاتنا وتفريج كرباتنا . وأينا تستغني عن غيرها ؟! وإن استغنت الواحدة عن غيرها بأعمالها ، فلابد أن تحتاج إلى التناصح والمشاورة معهن .

فما أجدرنا — نحن المسلمات الحريصات على حسن تنشئة أبنائنا ونراقب الله في تربيتهم — ماأجدرنا أن نستفيد من فترة زياراتنا للتناصح في تربيتهم ، وحل مشكلاتهم ليحل العمل والتوجيه محل الشكوى والأسى الذي لا يصحح خطأ ولا يغير واقعاً .

فإن أقلقنا أن نجد بعضاً من أبناء المسلمين يفوتهم الفكر الديني الواعي ، أو لايلتزم آخرون بالتعاليم الشرعية ، أو لايجيد الكثير منهم التعامل مع الآخرين ... فعلينا نحن المسلمات أن نسعى إلى تصحيح هذا الواقع المرير بكل مانستطيع وبصبر وجلد .

ذلك أن التربية ليست أن تلقي الكلمة والتوجيه على أبنائنا ثم ننتظر الاستجابة ، فالمغريات كثيرة لاتنتهي ... والتربية طويلة وشاقة تبدأ من نعومة أظفارهم .

فلابد من الرعاية الدؤوب لهم دون ملل . نتابعهم باستمرار في جدهم وهزلهم ، لعبهم ومذاكرتم .

وبعد أن نعمل جهدنا لنكون القدوة الحسنة لهم في كل خلق فاضل كريم ، نتناصح مع أخواتنا

١ — متفق عليه .

المؤمنات في حسن اختيار القصص المفيدة التي تثقف الطفل وتعده لحياته المستقبلة ، وتربي وجدانه فيعرف كيف يعطي كل ذي حق حقه . ونبعده عن القصص الخرافية والبوليسية وكذلك عن البرامج الإعلامية التي لاتليق ، ونسعى بالتشاور مع بعضنا لنحيط أبناءنا بالصحبة الطيبة التي تعينهم على الخير . فالشر كالداء المعدي ، سرعان ماينتشر بالمخالطة . فنبعدهم عنه لنحفظ عليهم دينهم وخلقهم .

وهكذا نشحذ هممنا لتكون زياراتنا هادفة لما يرضي الله وينفع المسلمين .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله . أي الناس أحب إلى الله ؟ قال : « أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على قلب مسلم » .

فلنحرص على نفع المسلمات وإدخال المسرة على قلوبهن ، ولا نبخل بنعمة حبانا الله إياها أن نخدم بها مسلمة فنفرج بها كربتها ونعمل مافيه مصلحتها ، وندعوها إلى اتباع الخير الذي نريده لأنفسنا ، قال تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم ﴾ [التوبة / ٧١] .

ولا تقول المسلمة : مالي وللناس ، فإني أدعهم وشأنهم ولا أتدخل في خصوصياتهم ، نعم ذلك في أمور الدنيا المباحة التي يستوي فيها عملها وتركها « فمن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » أما مافيه خطر محقق وحتى لو كان ذلك في أمور الدنيا ، فالواجب النصح فالدين النصيحة .

إن المؤمنة عليها مهمة النصح والدعوة إلى دينها على قدر ماتستطيع ، ومن روائع ماروته لنا السيرة ، قصة الصحابية الجليلة أم سليم .

(كانت أم سليم أم أنس بن مالك من السابقات للإسلام من الأنصار خطبها أبو طلحة ــ قبل أن يسلم ــ

وبعد وفاة زوجها فقالت : ياأبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده نبت من الأرض ، قال : بلى . قالت : فلا تستحي أن تعبد شجرة ؟! إن أسلمت فإني لاأريد صداقاً غيره . قال : حتى أنظر في أمري . فذهب ثم جاء . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فقالت : ياأنس زوج أبا طلحة . فزوجها) (١) .

إنه مهر كريم لامرأة داعية كريمة ، دعته إلى عبادة الله وحده ، والبعد عن الشرك به ، فشرح الله صدره وآمن بأكرِمْ به من مهر .

وما هلك بنو إسرائيل إلا لتركهم فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿ كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون ﴾ أما اعتزال الناس إعتقاداً بعدم صلاحهم ، فهو كما يقال : آخر الدواء الكي ذلك أننا (حين نعتزل الناس لأننا نحس أننا أطهر منهم روحاً أو أطيب منهم قلباً ، أو أرحب منهم نفساً ، أو أذكى منهم عقلاً لانكون قد صنعنا شيئاً كبيراً . لقد اخترنا لأنفسنا أيسر السبل وأقلها مؤونة .

إن العظمة الحقيقية أن نخالط هؤلاء الناس مشبعين بروح السماحة والعطف على ضعفهم ونقصهم وخطئهم ، وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم وتثقيفهم ورفعهم إلى مستوانا بقدر مانستطيع .

إنه ليس معنى هذا أن نتخلى عن آفاقنا العالية ، ومثلنا السامية ، أو أن نتملق هؤلاء الناس ، ونثني على رذائلهم أو أن نشعرفهم أننا أعلى منهم أفقاً . إن التوفيق بين هذه المتناقضات وسعة الصدر لما يطلبه هذا التوفيق من جهد هو العظمة الحقيقية) (٢) .

وهكذا . فبعد أن تتعهد المسلمة نفسها بالإصلاح فتلتزم السنة وتعض عليها بالنواجذ ، تساهم بالدعوة إلى الخير بين النساء . وهذا واجب ديني تأثم إن قصرت به ، مهما كان مستواها الثقافي ، فتعمل بقدر طاقاتها وإمكانياتها ، تأمر بالمعروف بلفظ لين وقول لطيف ، والله تعالى يقول لرسوله ﷺ : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾

---

١ ــ الإصابة ٤ / ٤٤٢ .
٢ ــ أفراح الروح ، لسيد قطب .

[آل عمران / ١٥٩] ، ترفق بمن حولها ، توقر الكبيرة وترحم الصغيرة ، ولا تنسى أنها صاحبة هدف جليل تسعى لتحقيقه بأسلوب يرضي الله تعالى ويؤدي للنتيجة التي ترجوها .

فكما يسعى أصحاب الأهداف الدنيوية لتحقيق أهدافهم ، فيتحسسون مداخل نفوس من يتعاملون معهم ، ليعرفوا كيف الوصول لغايتهم ، يجب أن نكون ــ نحن المسلمات ــ أكثر اهتماماً بمعرفة من ندعوهن لتكون دعوتنا كما أراد الله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل ١٢٥] .

٢ ــ الإصلاح بين المؤمنات :

كما نجعل من زياراتنا مجالاً خصباً للإصلاح بين الناس ، فإن عمل الشيطان على إثارة العداوة بين المسلمات نزيلها بالإصلاح بينهن ، فإن أزالة الخصام دليل سمو النفس التي تعمل على إشاعة المودة بين الآخرين ، ليحل الوفاق محل الشقاق ، والصلة مكان القطيعة ، لذا كانت درجة من يصلح بين الناس أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ــ التطوع لا الواجبة ــ .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى . قال : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة » . ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : هي الحالقة : لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين .

ذلك أن الإفساد بين الآخرين يؤدي إلى القطيعة التي حرمها الشرع كما جاء في الحديث الشريف : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » (١) .

وقال ﷺ منفراً من الشحناء والقطيعة ومبيناً سخط الله تعالى على المتقاطعين حتى يصطلحا : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ، ويوم

١ ــ شرح صحيح مسلم ١٦ / ١١٧ ــ ١٢٢ .

الخميس ، فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئاً ، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ثلاثاً » (١) .

فإن حصلت جفوة بين المسلمات نسارع إلى الإصلاح بينهن للتغاضي عن هفوة المخطئة ، فإذا بالعيش صافياً بعد كدر ، والوداد عاد بعد الجفاء .

والواجب أن تقبل عذر من تعتذر ، لا أن تشيح بوجهها بعيداً عن أختها ، إصراراً على مواصلة القطيعة ، وعدم قبول العذر : إذ من شرار الناس من لايقبل عثرة ، ولا يقبل معذرة كما بين الرسول ﷺ :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى إن شئت يارسول الله ، قال : إن شراركم الذي ينزل وحده ، ويجلد عبده ، ويمنع رفده . أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى إن شئت يارسول الله . قال : من يبغض الناس ويبغضونه ، قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى إن شئت يارسول الله . قال : الذين لايقبلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولايغفرون ذنباً ، قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يارسول الله : قال : من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره » (٢) □

---

١ ــ شرح صحيح مسلم ١٦ / ١١٧ ــ ١٢٢ .
٢ ــ رواه الطبراني وغيره ، ينظر الترغيب والترهيب ٣ / ٣٩٤ .

الشريعة الإسلامية لا الأعراف الجاهلية

بقلم : عبد الله سعيد بالحداد

كان للعرب في الجاهلية الأولى عادات وتقاليد منها ماهو حسن كالشجاعة والإقدام ومساعدة المحتاج وإغاثة اللهفان ، ومنها ماهو سيء كوأد البنات وشرب الخمر .

وحينما جاء الإسلام أبقى حسنها وألغى سيئها ، فما كان من العرب ، أمام أحكام الإسلام إلا أن قالوا سمعنا وأطعنا .

ومما يلفت النظر أن المسلمين وكأنهم بدأوا يعودون لوضع العرب قبل الإسلام من حيث إعطاء عادات وتقاليد الآباء والأجداد تقديساً واحتراماً أكثر من أحكام الشريعة .

وفي هذه العجالة سنتطرق إلى بعض العادات والتقاليد المخالفة للشريعة

ولكن أغلب المسلمين يمارسونها لا لشيء إلا أن آباءهم واجدادهم كانوا يمارسونها .

ففي الخِطْبَة مثلاً ، نجد أن الخاطب حينما يود أن يرى خطيبته في بيت أهلها يقوم الأهل بمنعه بحجة أن هذا مخالف للعادات ويعرضهم لألسنة الناس الحداد ، مع أنه بإمكان الخاطب مشاهدة خطيبته خارج البيت ولكن في البيت ممنوع .

وحينما نعود إلى الشرع ونستنطق حكمه في هذا ، نجد أنه يجوز أن يرى الخاطب خطيبته كاشفة الوجه واليدين وأن يتحدث معها بوجود محرم معهما .

وأيضاً كذلك في المهور ، نجد عند ضعاف العقول من الناس أن شرف وكرامة الفتاة يكون في مهرها وعلاقته مع المهر علاقة طردية ، فتجد بعض الآباء يغالون في مهور بناتهم لتوهمهم بأن هذا يزيد من رفعة ومكانة البنت ، في حين أن الشرع أوجب مهر الفتاة واعتبره ركناً من أركان الزواج لكنه حفز وشجع على أن يكون المهر بسيطاً لكي لايكون عقبة في طريق الزواج .

وهناك أيضاً في حفلات الزفاف نجد عادة دخول العريس في ليلة زفافه مع عروسه في أبهى زينة لها أمام جمهور مختلط من الرجال والنساء ، وهي عادة دخيلة على المجتمع الإسلامي ، فقد قدمت إلينا عن طريق الغرب حينما أخذنا شرور الحضارة الغربية دون خيرها ، ناهيك أيضاً عن الإسراف والتبذير الذي يحدث في تلك الحفلات .

وحينما نعود بالأمر إلى الشرع نجد أنه يحرم اختلاط الرجال بالنساء دفعاً لفتن كثيرة .

وأيضاً عادة دخول الزوجة على إخوان وأقارب وأصدقاء الزوج (هذا إن لم تكن الزوجة مكرهة على ذلك) بحجة أنهم مأمونوا الجانب .

وحين تحاول أن تنصح الزوج وتبين له الخطأ الذي هو فيه يجيبك : ماذا يحدث لو أنها جلست مع أولاد عمومتي نصف ساعة ، لن تنشق الأرض ولن تخر الجبال هداً ، أتريد أن يقولوا عني أنني لا أستأمنهم على عرضي ؟! ماذا سيكون

وفي حينها ، ياأخي لقد وجدت آبائي هكذا وأنا أظن أنني سليم معافى .
وكأن لسان حال هذا الرجل يقول : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون .

وهل أهلك عم رسول الله ﷺ أبا طالب إلا خوفه من مقولة الناس بأن ابن عبد المطلب صبأ وترك دين آبائه وأجداده .
ولكننا حينما نعود إلى الشرع لنأخذ منه القول الفصل نجد أنه يحرم جلوس المرأة مع الأجنبي حتى لو كان معها محرم ، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد رُوي عنه أنه قال : « إياكم والدخول على النساء فقال رجل يارسول الله : أفرأيت الحمو (أي أقارب الزوج) قال : الحمو الموت » رواه الشيخان .

وهكذا نجد أن رسول الله ﷺ قد قرن الحمو بالموت لما يجب أن يحتاط منه أكثر من الأجنبي .

فعلى المسلم أن يرجع في كل صغيرة وكبيرة إلى شرع الله وأن يزن عادات وتقاليد الآباء والأجداد بميزان الإسلام لا العكس ، فالإسلام لم يترك شيئاً إلا وقد بينه ووضحه فقال عز من قائل : ﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات بينات ومايكفر بها إلا الفاسقون ﴾ [البقرة / ٩٩] . وقال تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ [المائدة / ١٦] .

وإذا ماحكم الشرع بحكم غير ماتهوى الأنفس ومخالف للعادات فعليه أن يرضخ للحكم وأن يقول : سمعنا وأطعنا ، لا أن يقول : بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا ، واقرأ معي قول الله تعالى : ﴿ وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [الأحزاب / ٣٦] .

واعلم ياأخي أن اتباع الشرع المخالف لهوى الناس قد يغضبهم في بادىء الأمر ، ولكن يجب أن لايغيب عن ذهنك حديث رسول الهدى : « من التمس رضا الله بسخط الناس ، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » رواه ابن حبان في صحيحه . فيا أخي هل بعد هذا الحديث اختيار ؟ □

العالم الإسلامي بانتظار الأولي بقية

بقلم : احمد زيدان

تعيش الأمة الإسلامية في حالة ضعف لاتحسد عليها ، وكي تنهض من الوهدة التي سقطت فيها لابد لها من جماعة تأخذ بأيديها إلى برّ الأمان وشطآن الاستقرار ، وتأخذ على عاتقها مهمة التغيير الحضاري ، والقفزات النوعية بخصوص ذلك ، ونقل هذا إلى حيز التنفيذ ، وقد أرشدنا الله تعالى إلى هذا الطريق بقوله : ﴿ فلولا كان من القرون أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ماأترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾ [هود / ١١٣] .

صفهم الإمام القرطبي بقوله : « أصحاب طاعة ودين وعقل وتمييز » [تفسير القرطبي ٩ / ١١٣] .

ويقول ابن قتيبة : « المعنى : فهلا كان من القرون ممن كان قبلكم أولو بقية ، والبعض قال أولو تمييز » [زاد المسير في علم التفسير ٤ / ١٧٠] .

ويقول الإمام الطبري : « ذو بقية من الفهم والعقل يعتبرون مواعظ الله ويتدبرون حججه فيعرفون مالهم في الإيمان وعليهم في الكفر به » [تفسير الطبري ١٢ / ١٣٨] .

ونخلص من هذه الأقوال إلى ضرورة توفر ميزات معينة في هذه الجماعة وذلك من فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع إدراك كامل للواقع البشري الذي تحياه الأمة ، والتمييز بين مايصلح ومايضر ، لابد لهذه الجماعة من التعرف على سنن الله وتوظيفها لعمارة الأرض على مقتضى القرآن والسنة بالإضافة لمهمة تبصير الأمة بمكامن القوة وأماكن الخطر حتى تعرف الأمة من أين تؤتى .

وكما يقولون الرائد لايكذب أهله . فكل جماعة إنسانية ترنو إلى تسجيل قفزات نوعية في الإقلاع الحضاري لابد لها من صفوة رائدة تتصف بصفات معينة تخولها لهذه المكانة .

يقول المؤرخ أرنولد توينبي : « إنه لابد لكل جماعة إنسانية من صفوة قائدة لكي تتقدم وتتحسن أحوالها ولايتم تقدم إذا عدمتها الجماعة ، فكأنها خميرة التقدم والنهوض » . ويقول : « إن مصير الجماعة كلها مرتبط دائماً بهذه الصفوة ، وأحوالها فإذا ظلت على هذه الحال من القلق والسعي والإحساس بمسؤولياتها عند الجماعة تكوّن حولهم جماعة من الناس يسيرون في الطريق بعدهم وأطردت مسيرة الجماعة وطال عمر صلاحها » .

كما أكد الأستاذ سيد قطب في كتابه القيم « معالم في الطريق » على ضرورة نهوض طليعة مؤمنة تنقذ الأمة .

وتأتي ضرورة وجود هذه العصبة من كون الله يحفظ بهم الأمة من غوائل الدهر وعاديات الزمن ، فهم وحدهم القادرون على إدراك الخطر الحضاري أو السوس الذي ينخر ببطء في المجتمع ، كما أنهم هم القادرون على تلمس القفز الحضاري وطرقه ووسائل تنميته وتشجيعه .

يقول الأستاذ رشيد رضا : « جاءت هذه الآية بعد بيان إهلاك الأمم بظلمهم وإفسادهم في الأرض للاعلام بأنه لو كان فيهم جماعات وأحزاب أولو بقية من الأحلام والفضائل والقوة في الحق ينهونهم عن ذلك لما فشا فيهم ، وأفسدهم ، وإذن لما هلكوا ، فإن الصالحين المصلحين في الأرض هم الذين يحفظ الله بهم الأمم من الهلاك ماداموا يطاعون فيها بحسب سنة الله ، كما أن الأطباء هم الذين يحفظ الله بهم الأمم من فشو الأمراض والأوبئة فيها مادامت الجماهير تطيعهم فيما يأمرون به من أسباب الوقاية قبل حدوث المرض » [المنار ١٢ / ٢٤٤] .

ولم ينفع العالم الإسلامي هذه الغثاء كله الذي يملكونه ليدفعهم إلى مصاف الأمم الحضارية والمدنية . فالصوفيون الخرافيون المنتشرون في أكثر بلاد المسلمين إن لم أقل في كلها لم يكن لهم أي تغيير حضاري يذكر أو يسجل

بل يقفون عقبة كأداء في كثير من البلدان في وجه الحركة الإسلامية الحقيقية التي تنشد التغيير الحضاري ، وأسجل مثال الصوفية هنا نتيجة كثرتهم الكاثرة التي لم تؤثر في مجرى إعمار أرض المسلمين على مقتضى الشريعة الغرّاء . بينما قام أفراد معدودون أمثال ابن باديس والبنا والدهلوي والمودودي بأعمال إسلامية مازالت بصماتها وتأثيراتها حتى الآن .

ولقد كتب الله تعالى في « الزبور » أنه لن يسلم حكمه لشخصيات مهزوزة لاتأخذ الكتاب بقوة ولا تثبت وجودها في عالم تصارع الأفكار والمبادىء عندما قال : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾ [الأنبياء / ١٠٥] .

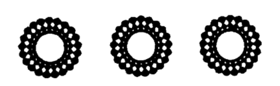
إن أفراداً قدموا خدمات لأممهم أكثر من ملايين الأفراد ، لأنهم أدركوا عظم الخطر الذي يتهدد بلادهم وحجم المسؤولية الملقاة عليهم ، وهذا لاينافي ماذكرناه من ضرورة العمل الجماعي الذي يحقق نتائج أفضل ، فالعالم الذري اليهودي (اينشتاين) قدم لبني جلدته خدمات كبيرة في فرض وجودهم السياسي وإقامة دولتهم على تراب أرض فلسطين المغتصبة ، وكذلك (الأغاخان) الذي جعل من طائفته الاسماعيلية الباطنية جماعة قوية يحسب لها حسابها وإن تشييد جامعة الإسماعيلية في مدينة (كراتشي) الباكستانية ، لخير شاهد على ذلك ، كما أن نفوذه الاقتصادي في باكستان أمر خطير جداً .

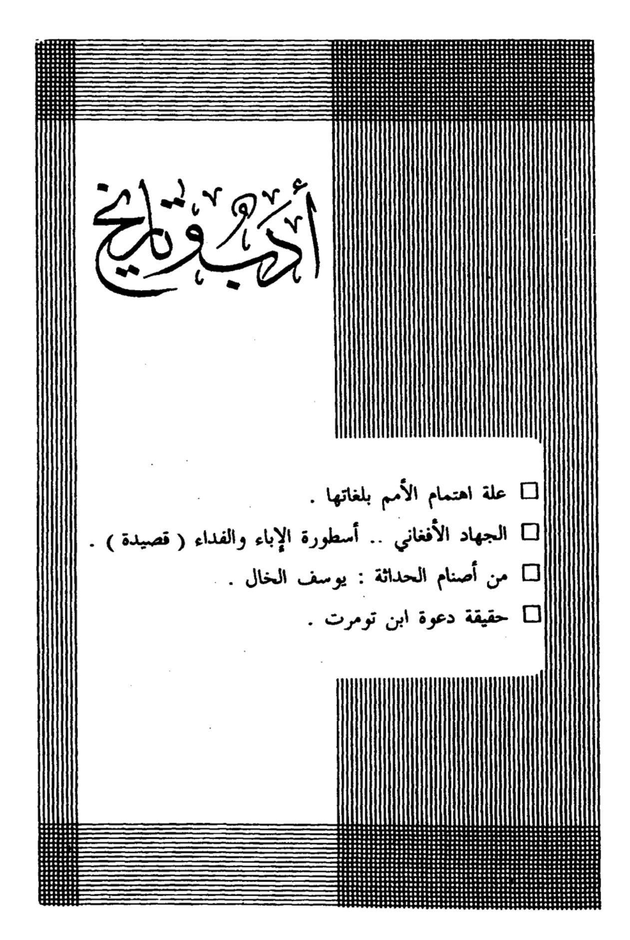
ويزخر التاريخ الإسلامي بشخصيات تركت آثارها على الواقع الفكري الإسلامي والواقع العلمي حتى هذا اليوم ، وأكبر مثال على ذلك هو شيخ الإسلام ابن تيمية الذي مازالت الحركات الإسلامية تستشهد وتقتبس من أقواله أثناء تنظيراتها الفكرية والحركية ، وهذا مصداق قوله ﷺ : « يبعث الله على كل رأس مئة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها » [رواه أبو داود وصححه الشيخ الألباني] .

والخطوة الأولى في هذا المضمار هو أن تأخذ جماعة رائدة مسلمة على نفسها هذا العهد وتعمل من أجله ليل نهار ، ولا تتعجل في عملية التجميع

والتكديس ، ولنا في سيرة رسول الله ﷺ أسوة حسنة عندما قدم عليه وهو في طريق هجرته بعض الأعراب يريدون إشهار إسلامهم والهجرة إليه ، نظر إليهم رسول الله ﷺ وكأنه تفرّس فيهم وعرف عدم صلاحيتهم لأن يكونوا معه في دار الهجرة في هذه المرحلة الحساسة من إقامة دولة الإسلام فقبل إسلامهم وأمرهم بالعودة إلى بلادهم ، وعدم الهجرة ، ذلك أن بعض الأفراد قد يكونون عقبة في تقدم العصبة المؤمنة (الأولو بقية) الذين يريدون التقدم النوعي المتميز وبمقدار ماتكون الدفعة الحضارية والزخم الروحي للانطلاقة الأولى لهذه العصبة قوية بمقدار ماتطول فترتها أكثر وأكثر .

ولابد لهذه الفئة من شحذ فعاليتها ، ودراسة الواقع المحيط بها والحضارات التي تعاقبت على الأمم حتى تنتفع بهذه الدروس ولا تضيف درساً مكرراً إلى الإنسانية ، فهل تنهض هذه الفئة المخلصة التي يتحرق العالم الإسلامي لرؤيتها ، هذا مانرجو وما ذلك على الله بعزيز □




أدب وتاريخ
☐ علة اهتمام الأمم بلغاتها .
☐ الجهاد الأفغاني .. أسطورة الإباء والفداء (قصيدة) .
☐ من أصنام الحداثة : يوسف الخال .
☐ حقيقة دعوة ابن تومرت .

علة اهتمام الأمم بلغاتها

حبيب أبو قيس

إن وجود أمة قائمة ذات شخصية متميزة وكيان مستقل ، وذات تقاليد وأعراف وطبائع نفسية وسلوكية مرتبط تمام الارتباط ببقاء لغة هذه الأمة ، بل مرتهن بحياة هذه اللغة أو موتها ومحاذٍ لمستويات ازدهارها وضعفها .

إن الأمة عندما تفقد لغتها الأصلية وتهيمن عليها لغة أخرى غير لغتها فإن مايحدث هو أن نجد بعد فترة من الفترات أمة أخرى لها كيانها وخصائصها التي تختلف عن تلك الأمة الأولى ، فكلاهما أمتان مختلفتان وإن كانوا في الأصل نفس الأمة السابقة في الموطن الجغرافي والسلالة البشرية ، وينطبق هذا ــ إلى حد كبير ــ على أفراد الجيل الذين يطرأ عليهم هذا التغير اللغوي ويعيشون في عصرين مختلفي اللغة ، فهؤلاء وإن كانوا جيلاً واحداً ، إلا أنهم يصح القول عنهم : إنهم كانوا في اللغة الأولى أناساً مختلفين عما هم عليه الآن من غير نسيان لما للبيئة الأولى ولغتها على وضعهم الجديد من تأثير على أيّ مستوى يكون .

إن اللغة ذات دلالة وسمة للأمة الناطقة بها ، بل : « إن لغة الأمة دليل نفسيتها وصور عقليتها ، بل هي أسارير الوجه في كيانها الاجتماعي الحاضر ، وفي تطورها التاريخي الغابر ، لأن وراء كل لفظة في المعجم معنى شعرت به الأمة شعوراً عاماً ، دعاها إلى الإعراب عنه بلفظ خاص ، فوقع ذلك اللفظ في نفوس جمهورها موقع الرضى ، وكان بذلك

من أهل الحياة ، وما معجم اللغة إلا مجموعة من المعاني التي احتاجت الأمة إلى التعبير عنها ، فاختارت لكل معنى لفظاً يدل على الجهة التي نظرت الأمة منها إلى ذلك المعنى عندما سمته باللفظ الذي اصطلحت عليه ، فلغة الأمة تتضمن تاريخ أساليب التفكير عندها من أبسط حالاته إلى أرقاها ، يعلم ذلك البصير في أبنية اللغة وتلازمها ومن له ذوق دقيق في ترتيب تسلسلها الاشتقاقي » (١) .

وتزداد أهمية اللغة وضوحاً عندما نتكلم عن مايعرف بصراع اللغات .

الصراع اللغوي :

لايعني هذا المقال بالحديث المباشر عن صراع اللغات أو أسبابه أو نتائجه ، وحسبنا هنا أن هذا الصراع قائم ، وله وجود في لغات الأمم ذات الاحتكاك الكثير والمباشر بأمة أو ذات لغات أخرى . وتزداد فاعلية هذا الصراع وحدّته عندما تكون أمة من الأمم لها أطماع في أمة أخرى .

ولا ريب أن الصراع اللغوي ينشأ من تجاور أو معايشة لغتين واحتكاكهما ببعضهما ، وسواء أكانت اللغتان لأمتين مختلفتين أو أمة واحدة ، ومعنى هذا أن الشعوب ذات اللغة الواحدة ولكنها تتخذ لغة أخرى في بعض شئونها الحيوية كتدريس بعض العلوم ـــ وبخاصة العلمية التطبيقية كالطب والهندسة وماإليهما ـــ في المعاهد أو الجامعات كشأن بعض البلاد العربية مثلاً ، فهذه الشعوب قد فرضت على نفسها صراعاً لغوياً كان بإمكانها دفعه لو استخدمت لغتها الأصلية في هذه المعاهد أو تلك المصالح الحيوية .

ولقد عرف الناس مغبة من أخذ العلم بغير لغة أمته من قديم ، وشاعت في الناس حكمة يرددونها : إن التعليم باللغات الأخرى ينقل بعض الأفراد إلى العلم ، ولكن التعليم باللغة الوطنية ينقل كل العلم إلى الأمة .

وتقع في شراك الصراع اللغوي أيضاً بعض الشعوب التي تفتح الباب لاستقدام أناس لا يتكلمون لغة من يستقدمونهم ليباشروا كثيراً من

١ ـــ مجلة الزهراء ـــ المجلد الأول ـــ سنة ١٣٤٣ ، ص ٦٦ .

الأعمال الحيوية التي تقف على إحيائها شركات أو مؤسسات تستخدم أعداداً غفيرة من البشر ، فهذه الأفواج البشرية ستفرض صراعاً لغوياً مع لغة من وفدوا إليهم .

ولا ريب أن نزوح العناصر الأجنبية إلى بلد ما ــ مع هيمنتهم لإدارة مصلحا هذا البلد مثلاً ــ مما يحدث هذا الصراع اللغوي كما هو مقرر عند علماء اللغة (١) ، ولعل الأمة التي استخدمت هذه العناصر التي لا تتكلم لغتها تنجو من الصراع اللغوي لو استقدمت أناساً يتكلمون بلسانها ولا غرو أن الأمم التي توقع نفسها في مثل هذا الصراع اللغوي تعرض نفسها لداء خفي وتقع في خطأ يدل على قصر النظر .

الصراع اللغوي ليس بالأمر اليسير ، بل له أبعاده وخطورته العميقة ، ولا يشعر بحقيقة هذه الخطورة عامة الناس ، بل ولا كثير من المثقفين ، وإنما يفهم ذلك اللغويون الذين يعون ذلك جيداً ، ولذلك فلا غرابة لما نسمعه من أن أبا الأسود الدؤلي هاله مارأى من ظهور اللحن في زمانه ، لقد شعر جيداً بالأمر فعدّه من الأهوال ، وهو كما رأى رحمه الله ، حتى أخذ يناشد الولاة ويستحثهم إلى وضع مايدفع به ذلك الداء النازل بهم (٢) .

إن الصراع اللغوي يحتاج إلى عشرات بل مئات من السنين حتى يتضح أثره وتتجلى خطورته ، إن هذا الصراع هو صراع بقاء ومحاولة هيمنة لإحدى هاتين اللغتين على الأخرى ، وهذه أمثلة يتجلى بها للقارىء آثار الصراع اللغوي ونتائجه الخطيرة الأثر في حياة الشعوب (٣) .

لقد نتج عن غزو الرومان لوسط أوربا وشرقها وجنوبها أن تغلبت لغتهم اللاتينية على اللغات الأصلية لفرنسا وأسبانيا وإيطاليا وغيرها ، ذلك مع قلة الرومان المغيرين على هذه البلاد بالنسبة لسكانها ، وفي العصر الحديث عندما انتشر الغزو الأوربي لأطراف الأرض كوّنت دول أوربا كتلاً بشرية في مناطق هجرتها ،

١ ــ انظر : علم اللغة ، د . على عبد الواحد وافي / ٢٢٩ ، ط دار نهضة مصر .
٢ ــ انظر : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي / ٢٣ .
٣ ــ راجع لمزيد من ذلك : علم اللغة ، د . على عبد الواحد وافي / ٧٠ ــ ٢٣٢ .

وكثُر أفرادها مع قوة سيطرتها كان من ذلك أن نجم عن استعمار الانجليز لأمريكا الشمالية واستراليا وبعض نواح في جنوب أفريقيا انتشار اللغة الإنجليزية في هذه الأرجاء الواسعة . ونجم عن استعمار الأسبان في أمريكا الجنوبية أن كانت الأسبانية لغة معظم دول أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية وغيرها .

وإذا كان هذا الصراع السابق مرتبطاً بالصراع السياسي ، وكانت ظروفه تختلف عن صراع آخر أقل جرأة ووسائل كتغلب اللغة العربية بفضل انتشار الإسلام على كثير من لغات الشعوب الآسيوية وعلى لغة الأقباط ولغة البربر في أفريقيا ؛ فإن هذا لاينكر خطورة الصراع اللغوي الذي قد تحدثه عوامل أخرى غير سياسية أو حربية .

وإنما قلت عن تغلب العربية : إنه أقل جرأة ووسائل ، لأن المسلمين لم يفرضوا لغتهم ويتشددوا في ذلك في البلاد التي فتحوها ، ولم يكن لهم من الوسائل العسكرية أو العلمية الحديثة ليستخدموا كل ذلك في نشر لغتهم كما حدث في الاستعمار في العصر الحديث ، ولا ننسى أن العربية لما كانت لغة الدين كان ذلك دافعاً روحياً للشعوب الداخلة في الإسلام أن ترغب في هذه اللغة وتقبل عليها وتنشرها في بلادها .

والذي ينتج من غلبة لغة على لغة وحلولها محلها أن تذوب شخصية الأمة صاحبة اللغة المغلوبة تدريجياً في الأمة الغالبة ، وتصبح بعد أن كانت لها مقوماتها وخصائصها وهي على لغتها الأصلية ، تصبح مندمجة في أمة أخرى ، وقد فقدت ماكانت تحمله في ذاكرتها من الأفكار والمعتقدات وسائر المعاني المختلفة عما كانت تراها وتفهمها ، وتراها بعد ذلك بمنظار فكر اللغة الأخرى الذي لابد أن يغاير فكر اللغة الأولى في كثير من المعاني والتصورات .

ويأتي بعد هذه النتيجة أيضاً أن تُقطع الأمة التي استبدلت لغتها عن تراثها وأصلها ، فتنشأ أجيال هذه الأمة المقطوعة فاقدة الهوية ، لاتراث ولا انتماء ، وهذا مما يسر احتواء هذه الأجيال وإذلالها والتحكم في توجيهها .

إن الجيوش العسكرية التي تتخذها الأمم لنشر سيطرتها وبسط سلطانها

تسبقها جيوش لغوية ، تحمل هذه الجيوش لغة الأمة الغازية وتبشر بأفكارها وتذيع مبادئها وترسم شخصيتها ، ولقد كانت هذه الجيوش اللغوية عظيمة الأثر في بث فكرها والدعوة إليه بين القوم الذين وفدت إليهم ، فقبل أن تجيء الجيوش العسكرية استطاعت جيوش اللغة الأجنبية أن تهيء لها أتباعاً وأنصاراً يحملون فكرها ويدافعون عنه ويدعون إليه فوق فخرهم بهذه اللغة وميلهم إلى أهلها .

إن الحديث بلغة قوم يفضي إلى الميل إليهم والتعايش معهم — إن لم يكن هناك حصانة فكرية لمن يتحدث بها — ويقوى هذا الميل عندما تكون هذه اللغة لأمة أرقى وأقوى من لغة من يعيش معهم من أهل لغته . إن أصدق مأدلل به على هذا الأمر ماكان من أمر الاستعمار الأوربي الحديث لكثير من أجزاء العالم وبخاصة العالم العربي ، والذي سبق إليه بغزو جيوشه اللغوية في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين (١) .

لقد تركزت هذه الجيوش في المناطق الخصبة لنموها من حيث سعة الانتشار والأبعاد السياسية ، أتت جيوش اللغة إلى مصر والشام على وجه الخصوص في شكل إرساليات علمية ، اتخذت صوراً كثيرة منها المدارس والمعاهد ، ومنها الكنائس والأديرة والمصحات وغيرها .

لم تأت جحافل فرنسا وبريطانيا العسكرية إلا وللغة الفرنسية والإنجليزية في مصر والشام شأن لايمكن تجاهله ، يتحدث بها كثير من الناس ، ولها مناطق ومصالح لايمكن العيش فيها إلا بلسانها ، ولقد طغى الأمر في بعض الفترات حتى كان من أفراد الأمة ومثقفيها من يستنكف عن الحديث بلغة بلاده أو التعامل بلهجة أهله ، وينظر إلى لغته وثقافة أمته بازدراء كبير ، وسمع من مثقفي الأمة العربية وعقلائها من صاح ورفع عقيرته في وجه هذه الظاهرة المزرية (٢) .

وأصبح من أفراد الأمة من يباهي بالثقافة الفرنسية لأنه يجيد لغتها ، وآخرون ينافحون عن الإنجليزية

---

١ — انظر على سبيل المثال : الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن ، علي المحافظة / ٣٧ .
٢ — انظر مجلة الرسالة للزيات ، السنة الرابعة ، ص ٢٤٣ — ٢٤٤ .

لأنهم يلوكونها وقد تعلّموا شيئاً من ثقافتها ، غدا كل منهم كأنما هو فرنسي أو إنجليزي وطبعوا حياتهم — في جوانبها المختلفة — بطابع الحياة الإنجليزية أو الفرنسية ، ولا شك أن ذلك يفصح للناس عن أثر اللغة البعيد الذي قد لايظن بعضنا أنه يصل إلى نحو من هذا السلوك في حياة الإنسان .

ضرورة زيادة الاهتمام باللغة :

تأتي هذه الزيادة في أهمية اللغة العربية لارتباط هذا اللسان العربي بملة الحنيفية دين الإسلام ، ولا غرو فقد كانت خاتمة رسالات السماء إلى الأرض تفصح بلسان عربي مبين ، وقد كانت هذه الرسالة هي الدين الذي أراد الله سبحانه ظهوره وهيمنته في الأرض على سائر الملل والأديان الأخرى ، بل حذّر الله البشرية من العبودية بسواه ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ فكان — كما هو معلوم — أن نزل القرآن بلغة العرب وبعث الله خاتم رسله وهو عربي الجنس واللسان ، وأوحى إليه من وحيه ماهو مماثل للقرآن من السنّة ، وكان من ذلك الأصلان العظيمان لهذا الدين ، أعني القرآن الكريم والسنة النبوية ، وكلاهما بلسان العرب ولغتهم ، فكان من ذلك الأصل والمرجع والقاعدة التي يُعَوَّل عليها في فهم هذا الدين في أصوله وأحكامه ، وعلم أسراره وجزئياته ، وبخاصة عندما تضطرب المفاهيم وتقع الخلافات في شيء مما يتعلق بعلوم هذا الدين وأحكامه ، فالأصل موجود ولا مجال لبقاء النزاع ، ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ... ﴾ ولا مراء أن بقاء هذا الدين متوقف على بقاء حياة هذين المصدرين الأساسيين ، وذهابه حاصل بفقدهما ، ومن هنا يمكن القول :

١ — إنّ أي محاولة للقضاء على اللغة العربية أو النيل منها ، على أيّ وجه من أوجه النيل المتعددة ، سواء ماالستتر تحت وجه الإصلاح ، أو تظاهر بادعاء التطوير ، أو التفجير اللغوي ، أو الدعوة إلى العامية — كما حدث في عصرنا الحاضر — أو غير ذلك ، كل ذلك سيصل في آخر الأمر إلى مس هذين المصدرين ، ومن ثمّ القضاء عليهما

أو مسخهما وتحريفهما عن الحقيقة التي جاءا عليها ، وهذا هو القضاء المبرم والهدم الحقيقي لإزالة هذا الدين من الوجود والتخطيط لاقتلاع جذوره أو قلب حقائقه .

ب ــ إنّ معرفة حقيقة هذا الدين والإلمام بأصوله وفروعه والوقوف على أحكامه لاتكون دقيقة وصائبة إلا بالوقوف على أصول هذا الدين في لغتها الأصلية ، والتي جاء بها النبي الأمين ﷺ فكما هو معلوم لأهل اللغة أن الترجمة لأي عمل إبداعي ــ وحتى غير الإبداعي ــ تنقص وتعجز كثيراً عن الوفاء الكامل بما يحمله الأصل من دقة في أفكاره وأساليبه وإيماءاته ، فكذلك الحالة هنا ، مع العلم أن القرآن لم يترجم إلا معانيه كما يرى ذلك علماء الإسلام ، ولا يغيب عن البال أنّ هذين المصدرين في الذروة العليا من الفصاحة والبيان ، وقمة الإبداع اللغوي .

ومن هنا ، من هذا الإبداع اللغوي العظيم لهذين المصدرين يتضح لنا القصور العظيم في أيّ ترجمة لمعانيهما أو لهما إلى لغات أخرى عن الوفاء بدلالات لغتهما العربية ، وذلك بلا ريب مدعاة إلى تحريف هذين الأصلين أو الوقوع في ذلك على أقل تقدير ، وتحريف الترجمة والفهم هنا هو تحريف لحكم شرعي أو استنباط فقهي ، مما قد لايكون هو الحكم الشرعي الصائب ، أو ماجاءت به الشريعة المطهرة ، وهذا كله من نتائج الترجمة المباشرة لأي من هذين المصدرين .

أما اعتماد هذه الترجمة لهذين الأصلين ــ عند وجودها ــ لتقوم مقام أصلهما ومن ثم الركون إليها في استنباط أحكام الشرع والاجتهاد في استخراج الأحكام ، فهنا تكون النتائج أشد خطراً وأبعد كثيراً عن مراد الشارع وماجاء به الدين ، وبذا يظهر لنا جلياً ماذهب إليه علماء الأمة الإسلامية ــ رحمهم الله ــ من سداد الرأي وصائب الحكمة عندما وضعوا شرط الإلمام الواسع والفهم الدقيق للغة العربية من ضمن الشروط التي لابد من توفرها في المجتهد ،

والذي قد بلغ درجة عالية في علوم الشريعة وفهم دقائقها وجزئياتها ، حتى يستخرج للمسائل التي لم يقف على جواب لها مايهديه اجتهاده إليه (١) .

ولا يذهب الفهم بالقارىء هنا إلى أن المقصود رفض الترجمة أو جهل قدرها وفائدتها ، وما تدعو إليه الضرورة منها ، أو أن الإسلام لا يُقبل ممن لاينطق اللسان العربي ، فهذا لا يعتقده مسلم ، ولكن ماأريده هو التذكير ببعض مزالق الترجمة ، وعمق الطعنة التي تصيب الأمة ودينها من جراء ذلك .

وثمة أمر آخر لايمكن تجاهله حول أهمية اللغة العربية وهو أن تكون العربية لغة الثقافة الدينية للأمة الإسلامية ، فهي بذلك اللسان الذي يصح اجتماعهم عليه ، بعدما اجتمعوا على دين واحد ، ولا غرو أن ذيوع اللغة العربية في الأمة الإسلامية كبير ويبشر بالمزيد ، بل إنه كان لسان كثير من الأمم الإسلامية قبل أن تحيق بها مؤامرات أعداء الإسلام ، والتي فرقت بين هذه الأمم في اللغة والثقافة حتى تصل إلى تفريق دين هذه الأمم ، ومتى تحقق انتشار اللسان العربي بدرجة أكبر في الأمة الإسلامية كان من أعظم العناصر وآكد الدعائم التي تحيا بها الوحدة الإسلامية وتزدهر ، وتتذلل في سبيلها كثير من العقبات والعراقيل التي منيت بها الأمة الإسلامية □

* * *

١ ــ راجع : أصول الفقه ، محمد أبو زهرة ، ص ٣٠٢ ، ط . دار الفكر العربي ــ القاهرة .

الجهـاد الأفغـانـي

أسطورة الإباء والفداء

شعر : محمد امين ابو بكر

زَحَفَ الأُباةُ إلى الوغى فاستأصلوا ظُلَمَ العدوِّ وأحرقوا الطغيانا
ومواكبُ الأبطالِ في تلك الذُّرا فاضت فِداءً يلهبَ الميدانا
خاضوا غمار الموتِ في وهج الجحيـ ـم فمزقوا في الساحة الأوثانا
هذي الهدايةُ في شِعاب جبالِهم إخضوضَرتْ وأضاءَت الأزمانا
حملوا لواء الله وانطلقوا به نحو الجهاد فزلزلوا الكفرانا
جازوا براكينا تزمجر في الوغى كانت لهم يوم اللقا ألحانا
حتى ثوى « لينين » في ظُلَمِ الخنا يتجـرَّع الآلام والخذلانـا
ومضى « لكارل » الكفر يشكو عنده بعـد اللقـاء مخازيـاً وهوانـا
من بعدما نفروا بكل ذئابهم عَـلَّ الذئاب تمـزق القرآنـا
وجحافل الطغيان في تلك الربا بلظى القنابـل تلهـم الأفنانـا
والسادرون على وسائد نومهم عشقوا حكايات الهوان زمانا
حتى غدت دور النيام مقابراً منكوبـةً وثيابهـم أكفانـا

ضاعوا وطير الذلّ حلق فوقهم ... أكل النؤوم وأغضب اليقظانا
لكن آساد الهداية فجروا ... لهب الجهاد فجددوا الإيمانا
أبطالها بين الصلابة والتقى ... شبوا اللهيب وأضحكوا البركانا
قرعوا طبول الحق في درب الهدى ... فوق الجبال فروّعوا القرصانا
أحيوا ببذلهم مسيرة فاتح (*) ... دفن المجوس وكفّن الطغيانا
قحمت أسود الله تحت لوائه ... سودَ المخاطر تنصر الفرقانا
لم تنحن الهاماتُ فوق هضابهم ... رغم اشتداد الحادثات زمانا
فالزهرة البيضاء أضحت خنجراً ... يُصلي الغزاة مذلة وهوانا
والقمة الشماءُ عادت قلعةً ... تردي الحقودَ وتقذف النيرانا
والوردة الحمراءُ في وديانهم ... قذفت جحيماً يصهر الذؤبانا
أما البراعم في رباها إنها ... أضحت قنابلَ تملأُ الميدانا
لن يستمر الكفرُ رغم عناده ... في دارِ قومٍ بايعوا الرحمانا
وهم ـ وقد رفعوا لواء محمدٍ ـ ... كتبوا سطوراً تذهل الأكوانا



* ـ إشارة إلى السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند من أفغانستان .

يوسف الخال

د . وليد الطويرقي

ولد يوسف الخال في طرابلس عام ١٩١٧ ، وتخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٤٤ ، وسافر إلى الولايات المتحدة ، حيث عمل في الأمم المتحدة ، وعاد إلى لبنان ليعمل في الجامعة الأميركية ، وأسس مجلة (شعر) عام ١٩٥٧ هو وشرذمة من أصحابه ، وفي عام ١٩٦٧ انشئت دار النهار للنشر فانضم إليها مديراً للتحرير .

من مؤلفاته :

ـ ديوان الحرية ١٩٤٥ .
ـ مسرحية هيروديا .
ـ ديوان البئر المهجور ١٩٥٨ .
ـ قصائد في الأربعين ١٩٦٠ .
ـ الحداثة في الشعر ١٩٧٨ .
ـ علامات الأزمنة .

موقف يوسف الخال من اللغة العربية :

يدعو يوسف الخال إلى اعتماد لغة الكلام (العامية) لغة أدبية لأنها لغة عربية متطورة من اللهجات « الجاهلية » التي رافقت الفتح العربي ، وفي طليعتها لهجة قريش ، التي جعلها القرآن لغة الفتح ، ونموذجاً للغة العربية . [أسئلة الشعر / ٤٩] .

ويدافع عن رأيه هذا بأسلوب لايخلو من مزايدة وذر للرماد في العيون ، فيقول إن عدم الأخذ بلغة

الكلام هو (من وحي المستعمرين وإسرائيل في الطليعة فهم يشجعون على التعلق بالفصحى لتعميق الازدواجية في الفكر العربي من جهة ، ولإبقاء العربي مشروطاً إلى حقائق ضبابية لا صلة لها بواقعه ، من جهة أخرى » (١) [أسئلة الشعر / ١٥٠] .

ولسنا بصدد الرد على هذه الحجج الباطلة ، بل القصد هو عرض أفكار هذا « المبشر » وإلا فأبلغ رد عملي عليه هو اعترافه نفسه بفشل مشروعه في مجلة « شعر » حيث علل توقفها باصطدامها بجدار اللغة [جريدة الرياض ، مقال لجهاد فاضل ، بتاريخ ٣٠ / ١١ / ١٤٠٧ هـ] .

ومما يدل على سوء دخيلته ، وبعده عن حقيقة مايتباكى عليه من حرص على نهضة العرب وتقدمهم أنه كان يدعو لتأجيل كل نضال ضد إسرائيل حتى يغير العرب لغتهم من فصحى إلى محلية ، فقد كتب في أواخر أيامه :

« اللغة أكبر مشكلة عمبيوجهوها العرب ، هي أكبر من مشكلة إسرائيل ، لأن مشكلة إسرائيل مربوطة بمشكلة اللغة ، ومن دون حل مشكلة اللغة باعتماد المحلية مايتحرر العقل العربي ، ومابيتقدم الإنسان العربي ، حتى يتغلب على مشكلة إسرائيل » (كذا) [النهار العربي والدولي ٢٥ / ١ / ١٩٨١] .

وعبارة « التغلب على مشكلة إسرائيل » حمّالة أوجه وهي مشكلة وملبسة ، شأن أسلوب المبشرين الثقيل الخبيث ، فمعناها غير معنى « التغلب على إسرائيل » فالتغلب على المشكلة يكون إما بتجاهلها ، وإما بالتعايش معها ، وإما بالمصالحة مع الطرف الآخر ، فأي المعاني يريده يوسف الخال .

موقف يوسف الخال من التراث العربي :

إن موقف يوسف الخال من

---

١ ـــ لقد أصبح هذا دأب كل من يتخذ موقفاً مناوئاً من الأسس الثقافية للمسلمين ، فبالإضافة إلى الأسلوب الملتوي في الاستدلال والاحتجاج (الذي هو أسلوب المبشرين وتلاميذهم) يختم أدلته بأن مايخالف ذلك يعد خدمة للاستعمار والصهيونية وإسرائيل ، وهو كما ترى أسلوب دعائي رخيص إن جاز في الإذاعات والجرائد فلا يجوز على أهل العلم وأصحاب الفكر .

التراث العربي يوضحه صديقه أدونيس في كتابه (قصائد مختارة ص ٢٤٠) فيقول :

« التراث العربي عنده هو التراث الإنساني كله ... إنه التراث الذي تكوّن على الأرض منذ القدم وتفاعل عبر المتوسط مع التراثات التي تشكل بجملتها الحضارة الحديثة ... وإن كان يوسف الخال يصدر في شعره عن المسيحية العربية أو الوثنية العربية أكثر مما يصدر عن الإسلامية العربية فلا يعني ذلك أن شعره غير عربي » .

وهذا يوضح أن موقفه من التراث العربي موقف انتقائي ليس بمعنى انتقاء النافع الذي أجمع الناس على نفعه ، ورفض الباطل الذي ثبت بطلانه ، بل انتقاء مايوافق أفكاره ولو خالف أفكار الأغلبية ، وهو يوضح ذلك فيقول :

« فأنا معني جداً بتراثي العربي ، الذي لاتراث لي سواه ، وإنما أريد أن أغنيه وأعززه وأنقده وأفرزه ، وأرفض ماأرفض منه ، وأقبل ما أقبل ، وذلك لجعله أساساً حديثاً صالحاً لبناء حياة أفضل لنا ولأولادنا » [أسئلة الشعر / ١٥٠] .

وعلى هذا فهو ــ مع اعتقاده بنفسه أنه فوق التراث برمته ، يحكم عليه كما يشاء ، ويشرف عليه بنظرته المملوءة بالغرور والعجرفة والادعاء ، ويعطي نفسه الحق في رفض أي شيء وإثبات أي شيء ؛ فيبرز فكر الشذاذ من الذين يسميهم فلاسفة ومفكرين ، ويتجاهل فكر غيرهم الذي لايتفق مع عقيدته النصرانية ــ يخلط خلطاً شنيعاً ومقصوداً في تحديده لمعنى التراث ، كي يستبعد أي أثر ذي قيمة للإسلام في هذا التراث عن طريق إبراز بقايا الوثنية العربية والمسيحية العربية والمؤثرات الآتية عبر المتوسط !!.

اعتزازه بنصرانيته :

يصرح يوسف الخال بأنه سعيد أن يلقى وجه خالقه وفي يده اليمنى شعرية غيرت إلى الأفضل مسيرة الشعر العربي ؛ وفي اليد اليسرى ترجمة عربية حديثة للكتاب المقدس أتاحت للألوف المؤلفة من قرائه أن يخترقوا قدر الإمكان في المرحلة الراهنة جسد اللغة العربية القديمة الميت (كذا) إلى روح مضمونه الحي .

ويقول أيضاً :

« إنني كشاعر مسيحي ، والمسيحية جزء من تراثي ، إن لم تكن في جوهره وصميمه ، والمسيحية مرتبطة ارتباطاً كيانياً عميقاً مع التراث الذي سبق التاريخ العربي في هذه البقعة من الأرض » [أسئلة الشعر / ١٥٠] .

إن عبارته السابقة حول « اختراق جسد اللغة العربية الميت » تشرح نظرته إلى التراث العربي ، وتوضح بجلاء أن مايعده تراثاً هو كل شيء مخالف لعقيدة الإسلام سواء أكان أفكاراً منحرفة كانت تبرز بين الفينة والفينة عند بعض الفلاسفة أو المتصوفة ، أو ماكان إشارة بعيدة أو قريبة إلى الفكر النصراني ، فاللغة العربية كائن ميت ، فإذا كتب بها شيء من أفكار ابن سينا والسهروردي أو الكتاب المقدس تحولت إلى جسد حي !.

على أننا لانلوم يوسف الخال هنا على مسيحيته وحبه لها ، ولكننا ننعى عليه هو وأنصاره حقدهم على ثقافة غيرهم وعيبهم لها ، وضيق صدورهم إذا رأوا أثراً إسلامياً ــ ولو باهتاً ــ في آثار غيرهم ، فينقضُّون عليه بالشتم والقذف بالرجعية والتخلف والتعصب ، ماالذي يجعل الإسلام والتمسك به تخلفاً ورجعية ، بينما الاعتزاز بالتوراة والإنجيل والأساطير اليونانية تقدماً وتحضراً وحداثة !!.

وكذلك ننبه إلى اعتزاز أهل الباطل بباطلهم دون حياء ولا خجل ، بينما نرى كثيراً من مدعي الحداثة يخجلون من ذكر دينهم وكتابهم ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة ﴾ □

• يتبع •

حقيقة دعوة ابن تومرت

د . حمد بن صالح السحيباني

تمهيد :

مني العالم الإسلامي منذ عصر صدر الإسلام حتى عصرنا الحاضر بظهور العديد من الدعوات والدول التي لبست ثوب الإسلام ، واتخذته شعاراً ظاهراً لتحقيق مطامح ومطامع خفية تهدف إلى النيل من الإسلام وحرب المسلمين بشعار الإسلام واسمه ، وما دعوات الرافضة ، والقرامطة ، والعبيديين ، والموحدين إلا ضرباً لتلك الدعوات والدول على مدار التاريخ الإسلامي .

وإذا كانت الدعوات والدول الثلاث الأولى قد كتب عنها كثير من المؤرخين والكتاب المحدثين ، فأبانوا حقائقها ، وكشفوا للناس زيفها وبطلانها ؛ فإن دعوة الموحدين ــ التي أسسها ابن تومرت ــ كان نصيبها من الدراسات قليل (١) ، ولهذا خفي على كثير من المسلمين حقيقتها ، لاسيما وقد سماها مؤسسها بدعوة الموحدين ، فظنوا بها خيراً ، ونسبوها إلى الصلاح والاستقامة (٢) ، علماً بأنها كانت خلاف ذلك كما يوحي بهذا تراثها الفكري وتاريخ مؤسسها وداعيها

١ ــ لعل من أهم الكتاب التي عنيت برصد حركة الرافضة والباطنية والعبيديين وغيرها . كتاب وجاء دور المجوس لمؤلفه عبد الله محمد الغريب ، إلا أن هذا الكتاب على الرغم من ذكره لكثير من الدعوات الضالة فقد أغفل دعوة الموحدين .

٢ ــ على الرغم من الهفوات الواضحة التي وقع فيها محمد بن تومرت مؤسس دعوة الموحدين فإن كثيراً من الكتاب القدامى والمحدثين قد انطلت عليهم حقيقة دعوة الموحدين فظنوا بها خيراً ، فمن المؤرخين ــ

الأول محمد بن تومرت ، وهذا مادفعني إلى دراسة هذه الدعوة والتعرف على أسسها العقدية لبيان حقيقتها وكشف زيفها ، معتمداً في ذلك بعد الله ــ سبحانه وتعالى ــ على أقوال ابن تومرت وأفعاله ، ومادونه لنا المؤرخون المعاصرون لتلك الدعوة ، حيث إن مؤلفات ابن تومرت وتلاميذه من أمثال البيدق ، وابن القطان ، وابن صاحب الصلاة موجودة بين أيدينا ، إضافة إلى أن الفترة التي ظهرت فيها دعوة الموحدين حظيت بوجود العديد من المؤرخين الذين عاصروا تلك الدعوة أو عاشوا قريباً منها ، فكتبوا عنها ، وهم شهود عيان لما كتبوا من أمثال المراكشي وابن خلدون ، وابن أبي زرع ، وغيرهم .

وسأنهج في دراستي لدعوة الموحدين أن أقوم أولاً بتتبع نشأة تلك الدعوة وبيان المراحل والأطوار التي مرت بها ، وموقف الناس منها ، ثم أخلص بعد ذلك إلى بيان أهم الأسس العَقدية التي قامت عليها ، ومدى قربها أو بعدها من الأسس الإسلامية الصحيحة .

ــ القدامى ابن خلدون ، حيث حصر هفوات ابن تومرت بزلة واحدة هي موافقته للرافضة في القول بعصمة الإمام حيث قال : « ولم يحفظ عنه فلتة في البدعة إلا ماكان من وفاقه الإمامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم » (ابن خلدون : العبر ١١ / ٤٧١ ــ ٤٧٢) .

أما من الكتاب المحدثين فمحمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي محققاً كتاب المعجب للمراكشي حيث ذكرا أن كثيراً من المؤرخين المشارقة قد أنكروا ماجاء به ابن تومرت ونسبوه إلى الدجل والشعوذة ، كما تعقبوا دعاويه بالتفنيد والإبطال وقد عزا الكاتبان هذا الموقف من قبل هؤلاء المؤرخين المشارقة إلى سبب رئيسي هو « ... لأن المغرب الإسلامي ... لم يكن يعترف بشيء من الولاء للخليفة العباسي في بغداد ، ولم يدع له يوماً على منبر من منابر المغرب لا في الأندلس ولا في الشاطيء الأفريقي ... فما أحرى هذا أن يحمل مؤرخي المشارقة على النظر بارتياب إلى ابن تومرت وأصحابه وأن يعتبروهم طلاب ملك يخلعون في سبيله طاعة الخليفة ويخرجون عن الولاء له ؛ ومن ثم كان رأي مؤرخيهم في شيخ الموحدين ... على أن الرأي مهما يختلف في شأن محمد بن تومرت فمما لاشك فيه أنه رجل من أهل الإيمان والفطنة ، كان له رأي في سياسة الدولة الإسلامية يستند إلى أساس من الدين ... » (المراكشي : المعجب ص ٢٧٦ ، حاشية رقم ٢) .

هكذا كانت نظرة هذين الكاتبين لدعوة ابن تومرت وهي بلا شك نظرة سطحية حيث فسراها تفسيراً سياسياً مع أنها كانت تستند إلى أسس عقدية بحتة .

الاتجاه الفكري للدول الإسلامية التي قامت في شمال بلاد المغرب :

لعل من المناسب باديء ذي بدء أن نبين الاتجاه الفكري للدول الإسلامية التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي ــ الشمال الأفريقي ــ منذ القرن الثاني وحتى القرن الخامس لنعرف مكان دولة الموحدين بينها ، والأرضية التي ظهرت فيها تلك الدعوة وأصبح لها كيان سياسي يحميها ، ذلك أنه بعد أن ضعفت قبضة الخلافة الإسلامية بالمشرق على الشمال الأفريقي ظهر هناك العديد من الدول الإسلامية التي أعلن بعضها استقلالها عنها ، بينما بقي البعض منها موالياً لها ولاءً صورياً ، وقد تباينت اتجاهات ومشارب تلك الدول حيث انقسمت إلى أربعة اتجاهات رئيسة هي :

١ ــ الاتجاه السني ويمثله دولتا الأغالبة والمرابطين ، والدولة الزيرية الصنهاجية في آخر عمرها .

٢ ــ الاتجاه الخارجي ويمثله دولتا الرستميين والمدراريين (١) .

٣ ــ الاتجاه الرافضي ، ويمثله دولة العبيديين .

٤ ــ الاتجاه الاعتزالي ويمثله دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى .

وبالإضافة إلى هذه الاتجاهات الرئيسة فقد كان هناك اتجاه خامس هو اتجاه دولة الموحدين والذي كان يجمع بين هذه الاتجاهات وغيرها من الاتجاهات الفكرية الأخرى ، إذ أن محمد بن تومرت مؤسس هذه الدولة استقى من جميع هذه المشارب بل زاد عليها مايرى أنه يخدم ميوله وأهدافه ، ولهذا جاءت الأسس الفكرية لهذه الدولة خليطاً مضطرباً كما سنرى .

الأسس الفكرية لدعوة ابن تومرت :

لما كانت الأسس الفكرية ــ العقدية ــ لكل دولة أو جماعة أو فرد هي الموجه الحقيقي لحركاتها وسكناتها فإن دراسة تلك الأسس

---

١ ــ لما تولى الأمر في دولة بني مدرار محمد بن الفتح بن مدرار أعلن في سنة ٣٤٢ هـ اعتناقه للمذهب المالكي . وقد انتهت هذه الدولة في عهده سنة ٣٤٩ هـ حينما قضى عليها العبيديون .

مطلب ملح قبل دراسة تاريخ الدولة أو الجماعة أو الأفراد .

ودولة الموحدين أول من وضع أسسها الفكرية هو محمد بن عبد الله ابن تومرت الصنهاجي ، ولد في الثلث الأخير من القرن الخامس الهجري ببلاد المغرب الأقصى ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة مولده (١) .

ادعى ابن تومرت النسب القرشي ، وأنه من سلالة الرسول ﷺ وقد أقر بعض المؤرخين هذا الادعاء (٢) ، لكن طائفة أخرى من المؤرخين أنكرت هذا الادعاء وقالت إن ابن تومرت دعيّ فيه فهو من هرغة إحدى قبائل المصامدة البربرية حيث عرف بمحمد بن تومرت الهرغي (٣) كما قال بهذا الرأي من الكتاب المحدثين محمد عبد الله عنان رحمه الله ، إذ يرى أن هذا الادعاء ماهو إلا نحلة باطلة وثوب مستعار قصد من ورائها ابن تومرت أن يدعم بها صفة المهدي التي انتحلها أيضاً شعاراً لإمامته ورياسته (٤) .

ولا يشك المتتبع لتاريخ ابن تومرت في كذبه بهذا الادعاء وأنه إنما قال به ليتخذه جسراً يصل عن طريقه لأغراضه وطموحاته ، ويتأكد هذا إذا علمنا أن معظم المؤرخين الذين أثبتوا له هذا النسب إنما هم من تلاميذه ، أو من مؤرخي الدولة الموحدية الذين سجلوا تاريخها بوحي من سلاطينها وأمرائها ، وبتأثير من نزعتهم العقدية الباطلة .

حفظ ابن تومرت القرآن الكريم ودرس بعض العلوم الإسلامية في بلاد المغرب في صباه ، ثم ارتحل سنة ٥٠١ هـ إلى الأندلس ، ثم إلى بلاد

١ ــ انظر في تفصيلات هذا الخلاف كلاً من : المراكشي : المعجب / ٢٤٥ ، ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٥٧٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥ / ٥٣ ، ابن السراج : الحلل السندسية ١ / ٩٨٥ .
٢ ــ من هؤلاء المؤرخين أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق في كتابه المقتبس من كتاب الأنساب ، ص ١٢ ، ابن القطان : نظم الجمان ، ص ٣٤ ، الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص ١٢ ، ابن خلدون : العبر ٦ / ٢٢٦ .
٣ ــ ممن قال بهذا الرأي ابن أبي زرع الفاسي في كتابه الأنيس المطرب ، ص ١٧٢ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٤ / ٦٨ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٤ / ٧٠ .
٤ ــ عصر المرابطين والموحدين / ١٦٠ .

المشرق حيث تنقل بين عواصمه الثلاث (بغداد) و (مكة) و (القاهرة) [1] ، وقد أفاد من هذه الرحلة علماً غزيراً لاسيما في العلوم العقلية واللسانية [2] ، حيث أعانه على ذلك ذكاؤه المفرط ومثابرته وهمته العالية [3] .

بداية ظهور ابن تومرت :

كان وضع معظم بلدان العالم الإسلامي في مطلع القرن السادس الهجري مضطرباً فالخلافة العباسية بالمشرق قد دب فيها الضعف ، كما أن دولة العبيديين بمصر قد كرهها الناس بسبب غلو حكامها وأعمالهم العدائية ضد الإسلام والمسلمين ، أما بلاد المغرب والأندلس فتخضع لحكم دولة المرابطين ، وكانت قبضتها قوية واتجاهها اتجاه سني حيث كان يتولى أمرها آنذاك السلطان علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ ــ ٥٣٧ هـ) وكان سلفياً ورعاً مجاهداً وهذا ماجعل الطريق صعباً أمام ابن تومرت الذي بدأ ظهوره في بلاد المرابطين ، ولهذا جاءت سهامه مسلطة ضد هذه الدولة وسلطانها ، فبعد أن وصل إلى المغرب سنة ٥٠٥ هـ بدأ يدعو الناس إليه [4] ، ولما كانت دعوته تقوم على أسس عقدية يشوبها كثير من الغبش والانحراف فإنه لم يجرؤ في بادىء الأمر على إظهارها للناس صراحة ، ولهذا انتحل صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث يذكر البيذق [5] ــ أحد تلاميذ ابن تومرت ــ أنه نهج هذا الأسلوب في بادىء الأمر ، وأنه كان إذا خشي بطشاً خلط في كلامه حتى ينسب إلى الجنون [6] ، وهذا منهج كثير من الفرق الباطنية حيث يلجأون إلى

١ ــ المراكشي : المعجب / ١٧٩ ، الزركشي : تاريخ الدولتين / ٤ .
٢ ــ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥ / ٤٦ ، ابن الأثير : الكامل ١٠ / ٥٧٠ .
٣ ــ عبد الله علام : الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن / ٥١ ، سعد زغلول عبد الحميد : محمد ابن تومرت / ١٣ .
٤ ــ الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية / ٤ .
٥ ــ البيذق : هو أبو بكر بن علي الصنهاجي الشهير بالبيذق (ت ق ٦) أحد تلاميذ ابن تومرت وأنصار دعوته ، ألف كتاب (أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين) وهذا الكتاب مهم في تاريخ الدولة الموحدية لأن مؤلفه شاهد عيان لكل ماكتب كما أن مؤلفه كشف جوانب غامضة في شخصية ابن تومرت ودعوته .
٦ ــ أخبار المهدي بن تومرت / ٢٢ .

العبارات الموهية حتى لا تنكشف عقائدهم .

ظل ابن تومرت مدة عشر سنوات (٥٠٥ ــ ٥١٥ هـ) يتنقل بين أقاليم ومدن المغرب الأقصى لعرض دعوته على الناس ونشر أفكاره بينهم فكثر أنصاره ومؤيدوه وذاع صيته بينهم وتعارف الناس به (١) ، فأضحى خطره يهدد كيان دولة المرابطين ، حينئذ استدعاه السلطان علي بن يوسف وسأله : ماهذا الذين بلغنا عنك ؟ فأجابه ابن تومرت في قوة بأنه يطلب الآخرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وأن هذه مسؤولية الحاكم قبل غيره ، ويذكر بعض المؤرخين أن السلطان علي بن يوسف حين سمع ذلك أطرق برأسه إلى الأرض ملياً ثم أمر الفقهاء بمناظرته واختباره (٢) ، فلما ناظروه تبين لهم حقيقة مايحمله ابن تومرت من آراء ومعتقدات تخالف طريقة أهل السنة والجماعة ، فأوصوا السلطان بسجنه سداً للذريعة ودرءاً للفتنة ، لكن أحد المرابطين شفع فيه فأمر السلطان بإخراجه من مراكش ولم يسجنه (٣) .

أدرك ابن تومرت بعد ذلك المخاطر التي تهدده من قبل المرابطين ، لاسيما أن دعوته قد وصلت إلى مرحلة الظهور والجهر بالأهداف ، فقرر الانتقال إلى بلاد السوس مسقط رأسه حيث نزل على قومه وقبيلته مصمودة سنة ٥١٥ هـ وذلك لضمان الحماية اللازمة لدعوته (٤) .

وفي بلاد السوس أسس ابن تومرت مسجداً يجتمع به مع تلاميذه وزعماء قبيلته حيث التف حوله الكثير من المؤيدين والأنصار فاختار منهم نخبة لتكون قاعدة لدعوته حيث شرع بتدريسهم على شكل حلقات ودروس منظمة ومن خلال تلك الدروس بث أفكاره بين تلاميذه ، وأخذ يعدهم إعداداً خاصاً ، فألف

١ ــ ابن أبي زرع : الأنيس المطرب / ١٧٤ .
٢ ــ الزركشي : تاريخ الدولتين / ٥ ، ابن خلدون : العبر ٦ / ٢٢٦ ، الذهبي : العبر ٤ / ٥٩ .
٣ ــ المراكشي : المعجب / ١٨٧ ، محمد السلماني : اللسان المعرب ١ / ١٨٣ (مخطوط) .
٤ ــ ابن خلدون : العبر ٦ / ٢٢٨ ، ابن قنفذ : مبادىء الدولة الحفصية / ١٠٠ ، سعد زغلول عبد الحميد : محمد بن تومرت / ٢١ .

لهم كتاباً سماه كتاب التوحيد بلسانهم البربري قسمه إلى سبعة أحزاب عدد أيام الأسبوع ، وأمرهم بقراءة حزب واحد منه في كل يوم بعد صلاة الصبح (١) ، ويحتوي هذا الكتاب على معظم أفكار ابن تومرت والأسس العقدية لدعوته ، ولهذا يذكر ابن أبي زرع أن ابن تومرت قال لتلاميذه : من لايحفظ هذا (التوحيد) فليس بمؤمن وإنما هو كافر لاتجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز » (٢) .

وهكذا كفّر ابن تومرت من لا يتعلم مبادىء دعوته ويعمل بها ولاشك أن هذا الشطط والمغالاة جعلت الكثير من اتباعه ينصرفون عن الأسس الإسلامية الصحيحة إلى مايقول به ويدعو إليه فغالوا في تعظيمه لدرجة العبودية ــ والعياذ بالله ــ .

لما شعر ابن تومرت بقبول دعوته في أوساط الهرغيين رأى توسيع إطارها المكاني فاختار جماعة من أصحابه أرسلهم إلى القبائل القريبة من بلاد السوس لاستمالة تلك القبائل للدعوة الموحدية (٣) ، وبعد أن اطمأن إلى قوة دعوته وإلى تمكنه من قلوب أصحابه أخذ يشوقهم إلى (المهدي المنتظر) « ... فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونعته ، ادعى ذلك لنفسه وقال أنا محمد بن عبد الله ... ورفع نسبه إلى النبي ﷺ وصرح بدعوى العصمة لنفسه وأنه المهدي وبسط يده فبايعوه .. ثم صنف لهم تصانيف في العلم منها كتاب سماه (أعز مايطلب) ... » (٤) .

كانت هذه هي خطوات ابن تومرت في تمهيد الطريق وجهوده في تأسيس قواعد البناء قبل أن يدعو إلى مبايعته بالإمامة ويعلن قيام الدولة الموحدية ، وقد أعان ابن تومرت على اجتذاب المؤيدين في بلاد السوس ماكان يتمتع به أهلها من سذاجة وجهالة وادعاءه النسب

١ ــ ابن القطان : نظم الجمان / ٤٦ .
٢ ــ الأنيس المطرب / ١٧٧ .
٣ ــ ابن أبي زرع : الأنيس المطرب / ١٧٦ ، المراكشي : المعجب / ٢٥٤ .
٤ ــ المراكشي : المعجب / ٢٥٤ .

القرشي فضلاً عما يتمتع به ابن تومرت من ذكاء وعلم وقدرة على التأثير والتنظيم (١) .

مبايعة ابن تومرت بالإمامة :

لما اطمئن ابن تومرت إلى قاعدته وحسن ولائهم له دعا الناس إلى مبايعته حيث يذكر ابن القطان أنه قام خطيباً فيهم ومما جاء في خطبته :

« ...الحمد لله الفعال لما يريد ، القاضي بما يشاء ، لا مرد لأمره ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً ، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل ، وأزيل العدل بالجور ، مكانه بالمغرب الأقصى واسمه اسم النبي ، ونسبه نسب النبي ... » (٢) .

وبعد هذه الخطبة قام الناس فبايعوه بالإمامة وكان ذلك في الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٥١٥ هـ (٣) .

وهكذا نرى كيف أن ابن تومرت لم يجرؤ على إعلان ذلك الشطط في دعوته إلا بعد أن وثق من ولاء عامة الناس له ، وفي هذا يقول ابن خلدون : « ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الإمام » (٤) .

وقد جاءت مبايعة ابن تومرت إماماً للموحدين قرب مراكش دون تصد ومقاومة من قبل المرابطين أصحاب السلطة الشرعية هناك ، بل ودون إحساسهم بالخطر الداهم قرب عاصمتهم شاهداً على ضعف دولة المرابطين وقتذاك ، وعلى النجاح الكبير الذي حققه ابن تومرت لدعوته الناشئة .

أمضى ابن تومرت السنوات الثلاث التالية لسنة مبايعته في جهد متواصل وعمل دؤوب لدعوته حيث خاطب القبائل القريبة منه يدعوهم إلى الدخول في طاعته ، ونبذ طاعة المرابطين ، فاستجاب له بعض

١ ــ ابن خلدون : العبر ٦ / ٢٢٨ ، سعد زغلول عبد الحميد : محمد بن تومرت / ٢٧ .
٢ ــ نظم الجمان / ٧٥ .
٣ ــ ابن أبي زرع : الأنيس المطرب / ١٧٦ ، ابن قنفذ : الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية / ١٠٠ .
٤ ــ العبر ٦ / ٢٢٨ .

القبائل (١) ، ولكي يوفر مزيداً من الأمن لدولته ودعوته غادر جبل ايجليز في بلاد السوس سنة ٥١٨ هـ إلى قرية تينملل ببلاد هرغة (٢) ، وقد جاء اختياره لها بسبب حصانتها لوقوعها على ربوة عالية في سفح جبل درن ، ولا يمكن الوصول إليها إلا من طريق واحد لا يتسع لغير فارس واحد ، ويصف ابن القطان منعة تينملل بقوله : « يسد خللها أقل عصبة من الناس » (٣) .

ويبدو أيضاً أن ابن تومرت أراد من ذهابه إلى تينملل الابتعاد عن زعماء قبيلته ليتوقى مغبة تدخلهم في شئون دولته الناشئة لا سيما وهو في مرحلة وضع الأسس الأولى لها .

أصبحت تينملل عاصمة لدولة الموحدين الناشئة حيث قسم ابن تومرت أراضيها وديارها على أصحابه الموحدين ليسكنوا فيها ، كما بنى مسجداً وداراً له بينهم (٤) ، وفي تينملل وضعت أسس دولة الموحدين ومنها انطلقت جيوشهم ، كما وزع ابن تومرت مسئوليات الدولة ووظائفها على أصحابه الموحدين حسب ولائهم لطاعته (٥) ، ويذكر المراكشي أن ابن تومرت بعد أن كثر لديه المؤيدون والأنصار سماهم بالمؤمنين وقال لهم : « ماعلى وجه الأرض من يؤمن إيمانكم ، وأنتم العصابة المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تزال (*) طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » وأنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم ، ويقتل الدجال ، ومنكم الأمير الذي يصلي بعيسى بن مريم ، ولايزال الأمر فيكم إلى قيامة الساعة ... فزادت فتنة القوم به وأظهروا له شدة الطاعة » (٦) !!.

هكذا تجرأ ابن تومرت على الله

١ ــ المراكشي : المعجب / ٢٥٤ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب / ١٧٦ .
٢ ــ ابن خلدون : العبر ٦ / ٢٢٨ ، الزركشي : تاريخ الدولتين / ٦ .
٣ ــ نظم الجمان / ٧٥ .
٤ ــ ابن القطان : نظم الجمان / ٧٥ ، ابن خلدون : العبر ٦ / ٢٢٨ .
٥ ــ المصدرين السابقين .
* ــ يلاحظ هنا أن ابن تومرت قد حرف الأحاديث الواردة في الغربة فأضاف إلى نصوصها مايرى أنه يخدم فكرته وسنعالج هذا الخطأ في آخر هذا البحث إن شاء الله .
٦ ــ المعجب / ٢٧٦ ــ ٢٧٧ .

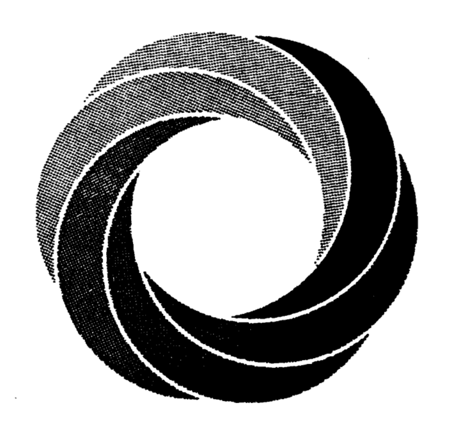
ورسوله فحرف الأحاديث الصحيحة وأقحم دلالتها ليضل الناس فيلتفوا حوله ، وقد خفيت هذه الأباطيل على قومه في بادىء الأمر فأقبلوا على دعوته وتفانوا في خدمتها لاعتقادهم بأنه هو المهدي ، حتى قال قائلهم حينما وقف على قبر ابن تومرت بعد مماته :

سلام على قبر الإمام المجدد
سلالة خير العالمين محمد
ومحيي علوم الدين بعد مماتها
ومظهر أسرار الكتاب المسدد
أتتنا به البشرى بأن يملأ الدنا
بقسط وعدل في الأنام مخلد (١)

هكذا أصبحت بلاد السوس بالمغرب الأقصى تغلي حماساً وولاءً لدعوة ابن تومرت لكنه توفي قبل أن يحكم البناء ويوسع إطار دعوته ، فقد وافاه الأجل في شهر رمضان ٥٢٤ هـ وكانت مدة حكمه حوالي تسع سنوات (٢) ، وقد ترك حرباً مشتعلة بين أتباعه والمرابطين وكل من خالف دعوة الموحدين في أرض المغرب الأقصى ، كما خلف أتباعاً مؤمنين بدعوته محاربين لأجلها □



١ ــ المصدر السابق / ٢٧٧ ــ ٢٧٨ .
٢ ــ البيذق : أخبار المهدي ابن تومرت / ٤٣ ، ابن قنفذ : الوافي بالوفيات / ٢٧٣ .



شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

- ☐ انتصار الجهاد الأفغاني .. الآمال والعقبات
- ☐ الانتفاضة من وجهة نظر العدو
- ☐ الجزائر ... سقوط الاشتراكية

انتصار الجهاد الأفغاني
الآمال والعقبات

مامن حدث هام على مدى الأعوام العشر الماضية هيمن على مشاعر المسلمين في أنحاء العالم وأذكى هممهم وردَّ لهم الثقة في أنفسهم وأحسهم بعزة الإسلام كما فعل جهاد المسلمين الأفغان ، وما من نبأ في عصرنا الحديث أدخل الغبطة إلى قلوب المسلمين ، وشفى صدورهم كما فعل نبأ سحب الروس لقواتهم من أراضي أفغانستان المسلمة وهي تجر وراءها ذيول الخيبة والذل مقرّة بإخفاقها التام حتى في تحقيق جزء من الأهداف التي من أجلها دنست أراضي أفغانستان ، وتبددت في ذلك أحلام الامبراطورية الروسية في جعل ذلك البلد المسلم جرماً جديداً يدور في فلكها — على أقل تقدير — إن لم نقل ابتلاعه كلياً وضمه تحت رايتها الحمراء إلى جانب الجمهوريات المسلمة الآسوية الكثيرة المنسية والقابعة تحت نير الشيوعية .

وبدخوله عامه العاشر ، يكون الجهاد الأفغاني قد قطع شوطاً بعيداً في طريق الوصول إلى أهدافه النهائية بإذن الله ، بل لعل الفترة المتبقية لفتح باقي المدن المحاصرة ، ومنها العاصمة كابول واقتلاع النظام الشيوعي العميل لم تعد تمثل سوى جزء يسير من مدة عَقْدٍ من الزمان من القتال الضاري المتواصل .

فالمجاهدون متفائلون في تخليص البلاد من دنس الشيوعية وإقامة دولة إسلامية إن شاء الله .

إلا أنه ليظهر لمن أمعن النظر جيداً في مجريات الأمور على الساحة هناك

أعداء الجهاد الكثر على اختلاف مللهم وعقائدهم ممن لاتكمن مصالحهم في وجود حكومة إسلامية سنية قوية في كابل سوف لن يدعوا الطريق مفروشاً بالزهور والرياحين للمجاهدين وقادتهم وهم يخوضون غمار المراحل الحاسمة من قتالهم المرير ، بل ولا حتى في المرحلة التي ستشهد قيام دولتهم بإذن الله ، لاسيما إذا ماأعدنا إلى الأذهان تآزر وتكاتف تلك القوى على مر السنوات العشر المنصرمة وتبادلها الخبرات والتجارب المختلفة في كل مامن شأنه إضعاف المجاهدين والحد من انتصاراتهم .

ومكامن الخطر التي هددت وتهدد الجهاد لم تكن خافية يوماً ما على من دقق النظر في أحوال ذلك البلد وماجاوره من شعوب مختلفة ، فأفغانستان دولة محاطة بدول يجمعها قاسم مشترك ألا وهو محاربة الإسلام والإبقاء على المسلمين في حالة ضعف وتفرق ، كما أنه ليس في مصلحة أية دولة من هذه الدول قيام دولة إسلامية حقة من شأنها إيجاد موطىء قدم للمسلمين في ذلك البقعة من العالم . ولقد سبق لنا الحديث عن خطورة الدور الذي بالإمكان أن تلعبه تلك الدول في تحديد الصورة النهائية للجهاد ، وذلك في أعداد سابقة من البيان (١) ، وكنا قد شددنا القول على الدور الخطير الذي تضطلع به إيران الخميني للحيلولة دون انفراد المسلمين السنة في دولة مستقلة لهم .

ولقد وجدنا من الأهمية بمكان إيراد بعض مما كنا قد حذرنا إخواننا المجاهدين منه في الماضي لكي يتسنى للقارىء المقارنة بين ماجاء في تلك المحاذير وبين ماآلت وتؤول إليه مجريات الأمور وتطورات الأحداث هناك ، لعل ذلك يكون درساً لأصحاب الهمم العالية والنوايا الطيبة من أبناء هذه الأمة ، لاسيما الشباب منهم على وجه الخصوص ، لطرح الانقياد وراء العواطف والانفعالات جانباً ونهج طريق الدراسة والتحليل العميقين وعدم التهوين من شأن العثرات والهفوات ، ومحاولة الاستفادة من أخطاء الآخرين ، ومما جاء في « رسالة مفتوحة للمجاهدين الأفغان » في العدد الأول :

« ومن هؤلاء المكذبين الذين نحذر إخواننا المجاهدين من شرورهم

---

١ ــ العددان الأول والسادس .

مكائدهم :

١ ــ المنافقون .

٢ ــ الباطنيون .

لا تنتظروا خيراً أو تعلقوا آمالاً على جند عبد الله بن سبأ اليهودي ، إنهم عون للطغاة المتجبرين ، وعيون للغزاة المستعمرين ، قلبوا صفحات من تاريخهم الأسود ترون فيه العجب العجاب من موالاة أعداء الله من التتار واليهود والصليبيين وعداوتهم لأولياء الله بدءاً بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ومروراً بالشيخين أبي بكر وعمر ، وانتهاءاً بسائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، اسألوا إخوانكم الذين اكتووا بنيرانهم وشرورهم في بعض بلدان العالم الإسلامي ، ولا تصدقوا أقوالهم ووعودهم فمن صفاتهم الغدر والكذب ، ولن يتورع هؤلاء الباطنيون عن التعاون مع الشيوعيين ، كما أنهم لن يقصروا في استغلال إخوانكم وبذل المحاولات من أجل زعزعة إيمانهم وتشكيكهم بأصول دينهم » .

وفي موضوع « جهاد المسلمين الأفغان يمر بأخطر مراحله » الذي نشر على صفحات العدد السادس ، جاء تحت فقرة « أين مواطن الخلل » مايلي :

١ ــ الباطنيون الرافضة :

« لاتظنوا أن اشتراكهم (الرافضة) معكم في مجلس الشورى ومجلس الوزراء سوف يساعد على وجود هدنة بينكم وبينهم ، إنهم إن قبلوا بهذا الاشتراك فسيكون ــ أي الاشتراك بحد ذاته ــ ميداناً جديداً من ميادين صراعهم معكم ، فأنتم في نظرهم كفار ناصبة ، وليس بينهم من يعتقد بأننا مسلمون عصاة على الأقل ، وسوف يتعاونون مع السوفييت والأميركان واليهود ضدكم .. وسوف يجعلون من أفغانستان « لبناناً » آخر بل أشد من لبنان ... فخذوا حذركم ياإخوة ، وصراعكم مع هؤلاء الغلاة لن يكون أقل من صراعكم المرير مع الشيوعيين .. واعلموا حق العلم أنهم لم ولن يقبلوا أن يقوم للمسلمين السنة دولة في أفغانستان ، ولا نشك أنكم سوف تخوضون معركة معهم ، وسوف يفرضون عليكم هذه المعركة فرضاً ، والله أعلم ، **وسوف يجدون من يتعاون معهم من ضعاف النفوس وطلاب الزعامات وبعض أصحاب الاتجاهات الباطنية فانظروا ماتفعلون »** .

وهاهو عام ونصف العام يمضي على كتابة تلك السطور وإيران وعملاؤها والآخرون مشمرون عن ساعد الجد لضمان إقحام أنفسهم في المعادلة النهائية في أفغانستان ، فإيران التي تتكلم اليوم باسم المسلمين في أنحاء العالم ، حتى ليظن الأوربي في بلاد الغرب أن الخميني لدى المسلمين هو بمثابة البابا لدى النصارى ، إيران هذه لايروق لها زوال منصبها هذا ، كما أن مجاورتها لدولة إسلامية سنية يعني بالضرورة فضحها على الملأ وكشف أساليبها في تضليل أبناء الشعوب الإسلامية لاسيما الشباب منهم ، هذا إلى جانب كون أي حكومة سنية في كابل ستكون عمقاً لأهل السنة المقهورين في إيران ، وقل مثل ذلك بالنسبة لروسيا الجاثمة على صدور الجمهوريات الآسيوية المسلمة حيث بخارى وسمرقند وطاشقند موطن كبار أئمة هذه الأمة .

إن فرائص قياصرة الكرملن في موسكو لترتعد لسماع كلمة جهاد أو حكومة إسلامية في أفغانستان لا لشيء سوى ليقينهم بأن تحقق ذلك سيعني انفلات قبضتهم الحديدية عن تلك الشعوب المسلمة ، أما في الهند فيراقب الوثنيون هناك بقلق بالغ تطورات الأحداث في أفغانستان لصالح المجاهدين وماسيجره ذلك عليهم من متاعب من قبل المسلمين الهنود البالغ عددهم (١٥٠) مليون والذين يتوقون إلى ذلك اليوم الذي تقوم فيه دولة الإسلام في تلك البقاع لتخفف عليهم ــ إن لم نقل تنقذهم مستقبلاً ــ من هيمنة السيخ والهندوس .

أما باكستان فشأنها لم يعد ذاك الذي كان عليه إبّان حكم ضياء الحق ، فعلى الرغم من أن الحكومة الجديدة هناك لم يبدر منها بعد وبشكل واضح مايعوق مسيرة الجهاد في أفغانستان ــ وذلك راجع إلى حد كبير إلى النفوذ القوي الذي مازال يحتفظ به كبار ضباط الجيش الذين كان قد عينهم ضياء الحق ــ إلا أن معرفة الخلفية الفكرية والثقافية التي تنحدر منها رموز القيادة والشعارات والمبادىء التي أطلقتها وتطلقها قبل وبعد استلامها السلطة ، كافية لتحديد الصورة التي سيرتسم بها موقفها المستقبلي إزاء مسألة قيام دولة إسلامية في أفغانستان ، فإننا إذا قلنا أنها سوف لن تلتزم موقفاً عدائياً صريحاً من النظام الجديد فإننا في الوقت ذاته نقول وبلغة الجزم إنها لن تكون من المتحمسين لقيامه ، ولا حتى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، أياً كان ثوبها ، أما علاقات باكستان

الإقليمية الجديدة مع الهند وإيران وتوافق وجهات نظرها معهما فهي مما لا يُبشر بخير ، وهي دليل آخر على مانقوله ، فما إن استلمت بي نظير دفة الحكم حتى انقلبت كل العقبات التي كانت تعوق قيام علاقات أفضل مع الهند إلى مصالح مشتركة ، وتحوّل الجمود الذي كان يسود علاقات البلدين إلى دفء .

إن محور موسكو كابل طهران نيودلهي يحيط بأفغانستان إحاطة السوار بالمعصم ، فهؤلاء جميعاً على يقين مما قد يفجره هذا الجهاد من طاقات كامنة لدى شعوب المنطقة المسلمة وهم على دراية مطلقة من أن انتصار المجاهدين الأفغان إنما هو انتصار لكل المسلمين ، وأنه انتصار عالمي وليس محلياً ، وأنه صراع عقائدي بين حق وباطل .

وهذا الذي قلناه في الماضي ونكرره اليوم ليس ضرباً من الخيال أو رجماً بالغيب ، فالتنسيق بين أجهزة مخابرات تلك الدول لتحقيق كل مامن شأنه عرقلة الجهاد على مدى أعوامه العشر لم يعد مسألة تحتاج إلى برهان ، فكم من مؤامرة انكشفت كانت تستهدف طعن الجهاد وقادته من الوراء حاكتها أيادي المجرمين في تلك الدول ، وماحادث تحطم طائرة ضياء الحق عنا ببعيد .

أما في الفترة الراهنة ، فإن الدور الذي تمارسه إيران وتهدف من خلاله إلى كسب موطىء قدم لها في حكومة المجاهدين عن طريق أتباعها بات أوضح من أن يحتاج إلى دليل ، فقد أسفرت طهران هذه المرة عن وجهها الحقيقي ولم تعد تجديها كما يبدو أساليبها الخفية ، ووصل تدخلها المباشر في شؤون المجاهدين إلى درجة محاولة فرضها لعدد مقاعد مجلس الشورى ، التي يجب أن يحصل عليها الشيعة — والذين لم يكن لهم دور يذكر في الجهاد — وزعمها أنهم يمثلون ثلث مجموع السكان ، والأكثر من ذلك وقوف سفيرها لدى إسلام آباد يتهدد ويتوعد قادة المجاهدين إن هم لم يمنحوا الشيعة (١٢٠) مقعداً .

وفيما يلي نورد جانباً من تهديدات السفير الإيراني الموجهة للشيخ سياف كما ذكرتها نشرة (لهيب المعركة) الصادرة في بيشاور نقلاً عن وكالة البنيان الصادرة بتاريخ ١٣ / ٢ / ١٩٨٨ :

« هدد سفير إيران لدى إسلام آباد بأن الحكومة الإيرانية سوف لن تعترف بحكومة المجاهدين إذا لم يحصل الشيعة على (١٢٠) مقعداً في مجلس الشورى فرد عليه الشيخ سياف ــ المتحدث الرسمي لائتلاف المجاهدين ــ : إن أردتم مالاً حتى تعترفوا بحكومتنا فسنحاول أن نوفر لكم ذلك لتعترفوا بنا أما إذا أردتم قطعة من أرض أفغانستان لتعترفوا بنا فلن نعطيكم هذه الفرصة ، وأنتم تعرفوننا جيداً .

ثم قال السفير : إذا لم تنصفوا الشيعة مع السنة في الشورى فسنقوم بأعمال تخريبية داخل أفغانستان ، فرد الشيخ سياف : إننا لن نعطي الشيعة في إيران أكثر مما قررناه وذلك ليس بضغط من أحد علينا ، وهذا القرار حقنا وبرضانا ، فقد قررنا مارأيناه حق ولا دخل لكم بذلك ، وتابع رده قائلاً : ثم إنكم لماذا تتدخلون هكذا وليس ذلك من حقكم ، ولماذا تتكلم بهذه الحدة معنا وأنتم تعرفون من نحن ، وكرر الشيخ سياف تحذيره للسفير الإيراني بأن لايعاود التدخل في شؤون المجاهدين الداخلية » .

وهكذا تثبت الأيام ماكنا قد ذكرناه من أنّ إيران وأتباعها ــ سيراً على خطى ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي ــ لن يتورعوا في رفع السلاح ومقاتلة المجاهدين وهاهو سفيرهم ينطق بذلك وماذاك على سجلهم تجاه المسلمين بغريب .

أما موقف الحكومة الإيرانية الرسمي تجاه الوضع في أفغانستان فيتلخص في :

ــ وجوب الاعتراف رسمياً بأن الشيعة يشكلون نسبة ٣٠٪ من مجموع السكان .
ــ وجود احتلال الشيعة لما لايقل عن ٢٥٪ من المناصب الوزارية .
ــ إعطاء الشيعة حكم ذاتي كامل في الأقاليم التي يشكلون أغلبية فيها .
ــ منح علماء الشيعة حق النقض بشأن القرارات التي تتعلق بهم .

إن إيران تجاهر بأعلى صوتها لوقوفها وراء شيعة أفغانستان الذين لايتجاوزون

نسبة ١٠٪ من مجموع السكان ، أما السنة في إيران ــ الذي يجاوزون ضعف نسبة الشيعة الأفغان ــ فما من صوت لا في داخل إيران ولا خارجها ينبئنا بأحوالهم ولا بأخبار تمثيلهم بالبرلمان الإيراني .

□ □ □

إنه كلما خطى المجاهدون خطوة جديدة باتجاه قطف ثمار تضحياتهم ، ازدادت مكائد الأعداء واشتد غيظهم ومكرهم ، فما أحوج المجاهدين إلى الحذر واليقظة أكثر من أي وقت مضى لما يحيط بهم من مؤمرات وأشراك ، ليست هذه الأيام القلائل المتبقية بإذن الله أهون على سلامة الجهاد وقطف ثماره مما مضى فكل متربص بهم الدوائر وكلهم يغيظه ظهورهم .

إننا لعلى ثقة أن المجاهدين الذين استطاعوا الاستقلال بقرارهم على مدى الأعوام العشر الماضية أن يفوتوا الفرصة على أعدائهم وعلى كل من تسوّل له نفسه التدخل في شؤونهم وإملاء رغباته عليهم ، وماذاك إلا من خلال نبذ الخلاف والاتحاد والتآزر ضد عدوهم ، وماالنصر إلا من عند الله .

اللهم انصر المجاهدين على أعدائك أعداء الدين □

* * *

الانتفاضة

من وجهة نظر العدو

عندما انطلق الشعب الفلسطيني الأعزل في انتفاضته في مواجهة عساكر اليهود المدججين بالسلاح ، طلع قادة اليهود بتهديدهم ووعيدهم من أنهم سيضربون هذه المرة بيد من حديد ، وسيسحقون الانتفاضة ويستأصلونها من جذورها وأنهم على يقين من أن « أعمال الشغب » غير المجدية هذه سوف لن تلبث أن تنطفيء في غضون أيام معدودة ، كما توجه الزعماء اليهود بالنصيحة إلى الفلسطينيين من أجل وقف أعمالهم تلك التي لن تحقق لهم أيّ هدف مهما صغر ، وأن هذه الانتفاضة من المستحيل أن تؤثر في إسرائيل وقوتها .

وبعد انقضاء مايزيد على ستة عشر شهراً على تلك التصريحات والتهديدات ، فإن الانتفاضة مازالت مستمرة وبنفس الاندفاعة الأولى إن لم تكن أشد ، على الرغم من كثرة الضحايا الذين سقطوا بالرصاص اليهودي ، وبالرغم من كل المآسي التي لحقت بالشعب الفلسطيني طوال تلك الفترة فما زال ذلك الشعب بكل فئاته ، شبابه وشيوخه ونسائه وأطفاله ، واقفاً راسخ القدمين ، يداً واحدة يرجم اليهود غير آبه بعددهم ولا عدتهم .

ولنا — في هذا المقام — أن نلقي نظرة مماثلة على الطرف الآخر من معادلة الانتفاضة هذه حتى نرى الصورة الواضحة لما يجري على أرض فلسطين .

وإلى القارىء الكريم طرفاً من تصريحات أولئك القادة والضباط والمفكرين والعساكر ، ولكن بعد مرور ستة عشر شهراً من عمر الانتفاضة ، اقتطفناها من بعض الصحف والمجلات العالمية ، ونتبعها بتعليقات موجزة لمراسلي هذه الصحف ممن وقفوا على جانب من الأحداث هناك :

« إننا في مقاومتنا للانتفاضة نعمل على تآكل طاقات الجيش البدنية والفكرية » .

يوش ساريد ، عضو في الكنيست
حلة التايم ٣٠ / ١ / ١٩٨٩

« إنه من غير الممكن القضاء على الانتفاضة ، ذلك انها تعبر في جوهرها عن كفاح أمة » .

دان شومرون ، رئيس الاركان الإسرائيلي
الإيكونومست ٢٨ / ١ / ١٩٨٩

« إن بمقدرة دولة إسرائيل التغلب على خمسة جيوش عربية ، إلا أنه ليس بمقدورها التغلب على الانتفاضة » .

موشي قعوز ، بروفوسور في الجامعة العبرية
التايمز ١ / ٢ / ١٩٨٩

« إن العنف الذي نستخدمه ضد الأهالي يُذكي لدى الفلسطينيين روح الإحساس بالقومية ، ويقوي من شأن العرب ، في حين أن إسرائيل آخذة بالضعف » .

جنود إسرائيليون
الإيكونوميست ٢٨ / ١ / ١٩٨٩

« إنها (الانتفاضة) تمزقنا إرباً إرباً وتقوي العرب ، الحل السياسي هو المخرج الوحيد الذي ينقذنا من هذه المهانة » .

جنود إسرائيليون
مجلة التايم ٣٠ / ١ / ١٩٨٩

« إنني كإنسان أشعر بالإنهاك بسبب الانتفاضة ، إنها تحطمني » .
جندي إسرائيلي
مجلة التايم ٣٠ / ١ / ١٩٨٩

« مامن شيء قد التهم قلب المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ــ منذ غزو بنان ــ مثلما فعلت الأشهر الأربعة عشر الماضية من القتال المر ضد الأطفال وحجارتهم » .

« في العام الماضي صدرت توجيهات إلى الجنود :
بضرب المتظاهرين .
إسقاط الحجارة عليهم من طائرات مروحية .
ضربهم بالقنابل المسيلة للدموع .
ضربهم بالأعيرة المطاطية والبلاستيكية .

إلا أنه مامن واحد من ك الأساليب أدى مفعوله في إيقاف الإنتفاضة ، حتى إن بعضاً من أعضاء حزب (ليكود) أخذوا يشككون في جدية أية إجراءات جديدة » .

« إن الجيش لايواجه هزيمة عسكرية ، بل هزيمة معنوية » .

ماك جيري

مجلة التايم

« لاخلاف في مدى الإحساس بالقلق والإحباط المتزايدين اللذين تواجههما إسرائيل في مواجهتها للانتفاضة » .

« يبدو أن الآمال في وضع نهاية للانتفاضة في أوساط الجيش قد انهارت » .

مراسل الايكونومست

الجزائر ... سقوط الاشتراكية

صوت الشعب الجزائري يوم ٢٣ / ٢ / ١٩٨٩ على دستور جديد للبلاد ، وكان أهم مافي هذا الدستور إسقاط لفظة « الاشتراكية » التي كانت مفروضة فرضاً ، كما كفل الدستور الجديد ـ في ماكفل ـ حرية الرأي وحرية المراسلات والاتصالات الخاصة بكل أشكالها ، وكذلك كفل حرمة المساكن وعدم انتهاكها أو تفتيشها إلا بأمر قضائي مكتوب .

ولاشك أن ذلك مما يفرح به المسلمون في كل مكان ، ولكن العبرة ليست في النصوص المكتوبة ؛ وإنما العبرة في التطبيق العملي لهذه النصوص ، فكم من الدساتير من يشيد بالحرية ويعتبرها أساس حق المواطن ، ولكن ذلك لايعدو أن يكون حبراً على ورق .

ومن أجل انتهاك الحريات ، والتسلط على رقاب الناس لايعدم المتسلطون وسيلة ينفذون بها ذلك تحت أنواع كثيرة من التسويغات والذرائع ، ويضربون بالدساتير وموادها عرض الحائط .

والمشكلة مشكلة أخلاقية في الأساس ، بل مشكلة خراب عقائدي وفراغ مبدئي . ومالم يصلح هذا الخراب ، ويسد هذا الفراغ بعقيدة صالحة فإنه لا الدساتير المكتوبة ولا الإجماع عليها يحل المشكلة .

فمن الذي يضمن أن لا يتحول الفساد الذي كان يقترف في ظل النظام الاشتراكي إلى فساد يمارس في ظل نظام يتجه إلى الرأسمالية ؟ فالفساد هو الفساد مهما تستر ، وبأي لون ظهر ، ومشكلة المفسدين أنهم أينما تميلهم الريح يميلوا ، وبما أن هذه الفترة فترة إفلاس للاشتراكية : الحقيقية والمستوردة المزورة ؛ فإنه من المرجح أن ينقلب هؤلاء الذين كانوا بالأمس يسبحون بها بكرة وعشياً إلى لعانين لها كاشفين لسوءاتها . وإذا أردنا دليلاً على ذلك فما حدث في مصر في عهديها الاشتراكي والانفتاحي يشكل النموذج .

إن المخرج الحقيقي من هذا العناء المتعدد الجوانب الذي تعانيه هذه الشعوب هو أن تستمد حكوماتها شرعيتها من عقيدتها ودينها ، وتقتبس ضمانات العدالة فيها من مبادئها وتراثها ، فإن المنطق الصحيح ، والتجربة العملية أثبتت أن هذه الشعوب لن تحترم شيئاً يأتيها من شرق أو غرب ، ولن تدين بالولاء لأساليب مستوردة يفرضها عليها أذناب الاستعمار وخدم أعداء الإسلام . والولاء الذي نقصد ليس الخضوع الذليل لجبروت التسلط ، فهذا ولاء كاذب غير مضمون العواقب ، ولكن الولاء النابع من القلب الذي ينتج عنه التوافق المنتج ، والتطور المبدع بين الشعب والسلطة □





أرسل إلينا الأخ **محمد ناصر الرشيد** من الرياض يثني على المجلة ويبدي إعجابه بها ، ولكن له ملاحظات منها :

١ ــ أن مستوى المجلة مرتفع في التخاطب مع القراء وكأنها أصبحت خاصة بالفئة المثقفة ثقافة عالية .

٢ ــ كثرة المقالات المسلسلة والبحوث الطويلة ، كما يقترح الأخ أن يذكر عنوان المجلة في الرياض .

ونحن نشكر الأخ محمد على هذه الملاحظات وعلى اهتمامه بالبيان ، وغيرته عليها ونقول له :

١ ــ بالنسبة لمستوى المجلة فنحن نحاول المحافظة على مستوى معين يتسع للجميع مع تقديرنا لأهمية ملاحظاته .

٢ ــ أما موضوع المقالات المتابعة فبعضها لابد منه ، وسنحاول تخفيف ذلك ماأمكننا ، ووجودها في الأعداد الأخيرة للبيان ليس هو الأصل .

٣ ــ أما عنوان المجلة في الرياض فهو : الملزّ ــ شرق الملعب ــ عمارة مكتبة بحر العرب ، شقة ٨ ، ص . ب ٢٦٩٧٠ الرياض ١١٤٩٦ ، ت ٤٧٧٣٥٧٧ .

الأخ محمد عليمات ــ شيكاغو .

وصلتنا رسالتك وشكراً على ثقتك بالمنتدى والقائمين عليه ، ونحمد الله الذي أنجاك من أحابيل الباطنية ، وماذكرته عنهم صحيح وواقع ، ومع تقديرنا لخطرهم وإعلامهم ودعايتهم الواسعة المنتشرة ، ولكن كيد الباطل ضعيف مهما انتعش إذا قام أهل الحق بما يجب عليهم ، وكما تعلم فإن ديننا دين شمولي ولا نضخم جانباً على آخر ، فهناك جوانب كثيرة أيضاً يجب على المسلمين القيام بها ، وهناك أخطار أخرى تحيط بهم ، والواجب التي تنوي القيام به واجب ثقيل ولا نعتقد أن فرداً واحداً يستطيع القيام به فأعانك الله . ونحن إذ نرحب بك أخاً غيوراً لا تنسى أن تكتب إلينا بما عندك ، ومايجد على الساحة عندكم ، وجزاكم الله خيراً .

* * *

الأخ عبد السلام بن محمد الرويحي ــ جدة .

نشكرك على اهتمامك بالبيان وغيرتك عليها ونحن لا نستغني عن جهد أي مسلم .

ــ نرحب بك في المنتدى إذا كنت ترغب دراسة اللغة في لندن ، وستعيش أجواء بعيدة عن الفتنة إن شاء الله .

ــ اقتراحك حول دراسة تحليلية للفرق الخارجة عن الإسلام اقتراح طيب ولعلنا نوفق في تقديم مثل هذه الدراسات .

من غرائب الصحافة العربية

بينما كنت أتصفح بعض المجلات العربية إذ شد انتباهي ظاهرة غريبة أحسبها جديرة بالوقوف قليلاً ، ذلك هو الأسلوب ونمط الحوار الذي يسلكه مندوبو تلك المجلات في لقاءاتهم ومقابلاتهم الصحفية مع الشخصيات المختلفة

إن القارىء ليلمس ذلك البون الشاسع بين مقابلة وأخرى ــ على صفحات المجلة الواحدة ــ من جهة طبيعة الأسئلة التي تغيرها المجلة وكيفية طرحها بل وحتى المستوى الخلقي الذي يظهر به مدير المقابلة . ففي الوقت الذي تحاور فيه المجلة شخصية إسلامية ــ على وجه الخصوص ــ تجد الصحفي يتفنن في صياغة حواره وبالشكل الذي يسيء إلى تلك الشخصية كما أنه لا يألو جهداً لإثارة كل مامن شأنه الانتقاص من ضيف المقابلة ، وليس ذلك نابعاً في ظني من موقف تقفه هذه المجلات تجاه رجال الدين بشكل عام ، بسبب النهج العلماني الذي تسير عليه مثلاً ، فإنك تجد وجه المجلة الآخر مشرقاً وهو يحاور شخصية دينية مثل البابا شنودة الذي ينال أسمى الألقاب خلال المقابلة ويُنعت بأحسن النعوت التي تبرزه على أنه رجل الدين المثالي ، وهو كذلك بالنسبة لهم .

إننا ندعو الصحافة العربية ألا تكيل بمكيالين ولا تزن بميزانين .

عبد الحميد سعيد

وراء كل عمل دافع

إن الإنسان يتعلم إن كانت لديه رغبة في التعلم ، وكانت لديه القدرة ، وأتيحت له الفرصة لذلك وقدم إليه الإرشاد فيما يتعلم ، غير أن الرغبة والقدرة والفرصة والإرشاد لاتجدي إن لم يكن لدى المتعلم مايدفعه إلى التعلم إذ لاتعلم بدون دافع .

إذ عرفنا هذا فمن السهل أن نعرف سبب تفوق تلميذ متوسط الذكاء على تلميذ آخر أذكى منه ، إنه الدافع .

فالدافع من أهم العوامل التي تساهم في التربية بوجه عام والتعلم بوجه خاص . فالتعليم الناجح هو التعليم القائم على إشباع دوافع التلاميذ وحاجاتهم ، وكلما كان الدافع قوياً زادت فاعلية التعليم أي مثابرة المتعلم عليه واهتمامه به ، ويتسم السلوك الصادر عن الدافع بالنشاط والاستمرار .

وتقسم الدوافع إلى قسمين :

فطرية : كالجوع دافع للأكل ، والعطش دافع للشرب ، والتنفس دافع للحياة .

ومكتسبة : كالسيطرة وتوكيد الذات دافع إلى الظهور والغلبة ، ودافع التملك والادخار ملحوظ في المجتمعات الرأسمالية

وللدوافع ثلاث وظائف في عملية التعلم هي :

أ ــ أنها تضع أمام المتعلم أهدافاً معينة يسعى لتحقيقها

ب ــ تمد السلوك بالطاقة وتثير النشاط .

ج ــ تساعد على تحديد أوجه النشاط المطلوبة لكي يتم التعلم وتستغل هذه الدوافع من قبل المربين بعد معرفة شخصية كل متعلم .

فالمتعلم المادي مكافئة مالية تكون دافعاً له بأن يضاعف جهده ، والوعد برحلة من أكبر الدوافع الاجتهادية لدى الأشخاص ، وتخفيف مدة السجن عن السجين من الدوافع للانضباط ، ومن هذا المنطلق يجب على الدعاة والمربين معرفة أهم دافع في الوجود وهو الدافع الذي جعل الرسول ﷺ يتحمل أذى الكفار الذي لا يمكن تصوره ، وهو الذي دعا ذلك الصحابي أن يلقي بتلك التمرات من يده ، ويقدم نفسه في سبيل الله ، وهو الذي دفع جميع السلف إلى تعلم العلم والعمل به ذلك الدافع هو الإيمان وحب الله ورسوله .

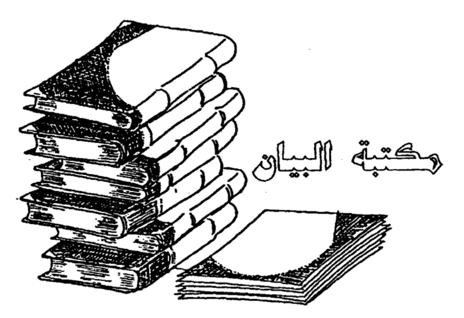
فحري بكل داعية أن يجتهد بزرع هذا الدافع في نفوس الناس بشتى الطرق وبكل الوسائل حتى يعود للأمة مجدها .

عبد الله حماد حامد الجهني

****

ومن الأخ محمد عبد الرحمن العريفي جاءتنا هذه المساهمة :

ياغافــلاً تتمـــادى	غـداً عليك يُنـادى
هذا الـذي وعظـوه	وخوّفـوه المعـــادا
هذا الذي لم يقدم	قبـل الترحــل زادا



إعداد : محمد الحسيني

١ ــ (حول التفسير الإسلامي للتاريخ) للأستاذ محمد قطب الناشر : المجموعة الإعلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، ٢٧٩ صفحة .

وهو كما يقول المؤلف : « وهذا الكتيب لايمكن بطبيعة الحال أن يتسع لدراسة مستوعبة للموضوع ، إنما هو بالأحرى دعوة للمختصين ليقوموا بهذه الدراسة ، وأن يكون في الوقت ذاته دعوة للمؤرخين المسلمين أن يعيدوا كتابة التاريخ البشري من زاوية الرصد الإسلامي المتميزة » .

وقضية التفسير الإسلامي للتاريخ مازالت في إطارها النظري الذي لم تتميز معالمه ، وهذا الكتاب لبنة في محاولة هذا التفسير ، والذي مازال ميداناً بحاجة إلى الدراسة والمناقشة .

* * *

٢ ــ (موقف الدين من العلم) د . علي فؤاد باشكيل : كتب في التركية وترجمه إلى العربية أورخان محمد علي ، دار الوثائق ــ الكويت ١٤٠٥ هـ ، تحدث فيه الكاتب عن معاناة تركيا المسلمة تحت تسلط العلمانية وجورها وكبتها للحريات وفرق بين نوعين من العلمانية : العلمانية المُصَدرة للعالم الإسلامي ، والعلمانية الغربية ، والأولى أشد في عدائها للدين ، والكتاب فيه خلاصة تجربة ،

وردود على من ينكر أهمية الإيمان للناس في حياتهم ونقد لبعض الأفكار الغربية .

* * *

٣ ـ (**الحداثة في منظور إيماني**) د . عدنان رضا النحوي ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ ـ ١٩٨٨ ، دار النحوي للنشر والتوزيع ـ الرياض ، (١٦٨) صفحة .

يناقش الكتاب قصة الحداثة وأنها مذهب فكري أدبي قادم من الغرب أو صرعة من صرعاته ، وما أكثر مذاهبه وصرعاته الأدبية والفكرية نتيجة الضلال الذي يعيشه ، ثم يورد نماذج من المقلدين لهم مثل أدونيس وكمال أبو ديب ، وعبد الله الغذامي ، وينقل نصوصاً من أقوالهم وترتبط الحداثة بالماركسية أو بالتصوف الغنوصي ، ويدعو الكاتب في النهاية إلى تفهم المنهج الإسلامي وفهم الواقع فهماً صحيحاً .

* * *

٤ ـ (**القضية الإسلامية في سياسة الشرق الأوسط**) تأليف : آلن تايلور الولايات المتحدة ١٩٨٨ ١٩٨٨ ، (١٥٠) صفحة .

من القضايا التي اهتم بمناقشتها قضية فشل الأنظمة القومية اللادينية في المنطقة والمشكلات التي تقابل البحث عن البديل الإسلامي .

* * * * *

أين القدرات الفكرية ؟!

هناك أمر ملحوظ بوضوح شديد ، وهو عزوف أهل العلم والفكر عن مهمتهم التي لايستطيع أن يقوم بها غيرهم ، وهي التوعية والقيام بأمر التبيين ، وبكلمة مختصرة : النزول من الأبراج العاجية ، والانخراط بين الناس ، وقيادتهم وتبني مشكلاتهم ، والإحساس بشعورهم ، ومعالجة قضاياهم .

إن الذي يجعل أهل العلم يحجمون عن ذلك أمور هي في ظاهرها حجج قد تكون مقبولة ، ولكنها في حقيقتها ليست إلا حججاً مصطنعة تأخذ أكثر من نصيبها من الاعتبار ، وتتخذ تكأة للضعف والنكوص والانسحاب من الواقع .

إن كثيراً من أهل الفكر يتعللون بفقدان الحرية ، أو ضيق الوقت ، أو بالاستغراق في مهام أخرى ...

صحيح أن هناك موانع وعوائق في مجال النشر والكتابة ، ولكن المؤمن المصمم الكيِّس الفطن لايعدم وسيلة يوصل بها أفكاره ، إذا صح العزم وخلصت النية ، وكثير من الناس يفهمون الحرية فهماً مجتزأ كأن يتصوروا السماح لهم بسب هذا وتجريح ذاك ؛ دون أن يكلفوا أنفسهم ضرب المثل للعمل الايجابي والجهد المثمر وكيفية أن تنجز أمراً مهما كان صغيراً ، ودون أن تنجرف في الإثارة والغليان ولا نحقق شيئاً .

وكذلك مسألة ضيق الوقت ، فلو نظر الشاكون من ضيق الوقت إلى كثير من الأعمال التي تضيق بها أوقاتهم لوجدوها لاتستحق أن يشغل الإنسان بها وقته ، ولأزالوا من طريق العمل المثمر المبني على خطط مرسومة يُحاسَبُ عليها ، فيثاب ويكافأ من نفذها في وقتها ، ويعاقب ويقصي من قصر في تنفيذها .

نزولاً إلى الساحة ؛ فالساحة فارغة ، واهتماماً بالأجيال الإسلامية ؛ فالأجيال متعطشة ، وتركاً للكسل والترهل والاستنامة إلى الفتن والشهوات ، فهي مرتع وبيل لم تجن منه الأمة الإسلامية إلا السير إلى الوراء ، وسعياً في ركاب العلم النافع الذي يبني ولا يهدم ، وبعداً عن أساليب الإثارة فهي مضيعة للوقت ، ومجال تتسلل منه الفتن بشتى أنواعها ،

ولمْ أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام □



العدد الثامن عشر : شوال / ١٤٠٩ هـ ـ أيار (مايو) ١٩٨٩ م

مجلة إسلامية جامعة
تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لندن

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 01-731 8145
Fax : 01-736 4255

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتوى



الافتتاحية

ثلاث سنوات من عمر البيان

بصدور هذا العدد : الثامن عشر ؛ تكون مجلة البيان قد أكملت ثلاث سنوات من عمرها . ومع ماوجدناه من التشجيع والشد على الأيدي ، وما لمسناه من مظاهر الاستحسان والاحتفال ؛ فإننا نتطلع إلى التشجيع والاستحسان العملي ، لاعتقادنا أن مجلة « البيان » ليست منبراً تعليمياً ، ولا صوتاً توجيهياً ؛ بل انعكاس لصورة فكر موجود في الواقع ، وصدى لحقيقة لايمكن تجاهلها أو طمسها رغم القيود والتشويهات .

إن إصدار مطبوعة إسلامية ، والمحافظة على استمرار صدورها ، من أشد التحديات التي تواجه المسلم في هذا العصر صعوبة ؛ فما بالك إذا أريد لهذه المطبوعة من المواصفات مايضيق عليها دائرة الاختيار ؟!.

ولكن كل الصعوبات الموجودة والمرتقبة لاينبغي أن تثني العزائم عن التصميم والتفكير في الطرق التي تساعد على إيصال الفكر السليم

إلى الناشئة الإسلامية المتعطشة إلى المعرفة .

وإذا كنا قد التزمنا ـــ خلال السنوات الثلاث الماضية ـــ بما رسمناه لأنفسنا من منهج ؛ فإننا نتطلع ـــ فوق ذلك الالتزام ـــ إلى أن نرفع من مستوى « البيان » كماً ونوعاً ، فمن حيث الكم سوف تتحول المجلة إلى شهرية ، ومن حيث النوع ؛ سوف نحاول أن نتلافى مايشكو منه القراء من طول المقالات ، وسنحرص على التنوع ماأمكننا ذلك .

وهناك مسألة نحب توضيحها فيما يتعلق بشكل المجلة ، فقد يعمد بعض القراء ـــ عن حسن نية ـــ إلى مقارنة شكلها بمطبوعات أخرى تعتمد الألوان والصور والأشكال والرسوم ، وهذه المقارنة قد لا تتناسب مع واقع كل مجلة ، فلكلٍ وجهة هو موليها ، ومنذ البداية أردنا للبيان أن تنصرف انصرافاً كلياً إلى الفكر ، وتبتعد عن التسلية والترويح لاعتقادنا أن أبواب التسلية والترويح ومجالات الترفيه عن القارىء مخدومة بشتى أنواع الخدمة ، والقارىء الذي لاتستثار شهية القراءة عنده إلا بالحيل والبهارج والمشهيات التي لاتجدي ، بل تضر أحياناً ؛ ليس عندنا القدرة على إرضاء تطلعاته،ولم ننشيء البيان ـــ يوم أنشأناها ـــ إلا لتخاطب العقول الجادة ، والنفوس المتطلعة إلى الفكر الإسلامي الأصيل ، هذا فضلاً عن موقفنا المبدئي من الصور وتزيين الصفحات بها .

إن أي مجلة لايمكن أن ترضي جميع الأذواق ، وإن المجلات التي تحرص على إرضاء أكبر مساحة من الناس غالباً ماتكون أهدافها تجارية خالصة تهدف بالدرجة الأولى إلى زيادة التوزيع .

ومع أن مجلة البيان تحب وتحرص على زيادة التوزيع ، ليعم نفعها ، ويتعمق طريقها ؛ لكنها لاتجعل من زيادة التوزيع هدفاً يتحكم بمادتها فتنصرف من العمق إلى السطحية ، ومن المحافظة على الشخصية

إلى اللهاث وراء التقليد .

وإن ماوعدنا به وطبقناه أننا سوف لن نضيق ذرعاً عن قبول أي مشاركة جادة ، دون اعتبار للأشخاص ، بشرط أن يكون المحتوى متفقاً مع المنهج العام للمجلة ، والمبيّن في افتتاحية العدد الأول ، وننبه أيضاً إلى أن مالم ننشره مما أرسل إلينا لا ينبغي أن يصرف عن متابعة المشاركة ، فقد يكون ماأرسل صحيحاً في ذاته ، ولكن عناصر الصلاحية التي لابد من توفرها فيما ينشر ليست مكتملة ، فقد يكون الموضوع عولج بطريقة تصلح أن تكون موعظة لا مقالة في مجلة ، وقد يحتوي موضوع على عبارات يكون فيها نظر ، ولا نستطيع حذفها أو الإبقاء عليها لاعتبارات متنوعة ، وقد يكون الموضوع مكرراً ومطروقاً بكثرة ...

لقد سعينا منذ البداية أن لا نضمن البيان إلا السليم من الأدلة : قرآناً يتلى ؛ أو سنة صحيحة عن النبي ﷺ تروى ، فلئن حدث مرة أن اختل هذا الشرط فهو من الخطأ غير المقصود ، وخاصة بالنسبة إلى توثيق الأحاديث ، فالأصل أن لانستشهد بحديث إلا إذا توفرت فيه شروط الاستشهاد سواء ذكرنا تخريجه في الهامش أم لا ، فمن وجد حديثاً غير مخرَّج فالأصل أن يكون صحيحاً ، فمن وجد من خلال البحث أن هذه القاعدة قد اختلت فله أن ينبهنا إلى ذلك مشكوراً ، ورحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا .

وأخيراً فإننا نرجوا أن نكون عند ظن الإخوة القراء بنا ، ولا يسعنا إلا أن نزجي الشكر إلى كل من شاركنا ويشاركنا سواء بالمقالات أو بالاقتراحات ، قياماً بواجب الدعوة الإسلامية وإيصال الكلمة الطيبة إلى طالبيها ، والله الموفق ، وهو الهادي إلى سواء السبيل □

هجـــر المبتـــدع

ـ ٣ ـ

الشيخ بكر ابو زيد

ملخص ماسبق :

الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على هجر المبتدع ديانة ، وقد ذكر آية سورة الأنعام ، والآن يشرع في الدليل الثاني :

٢ ـ ومنهـا قولـه تعالى / ١٤٠ النساء :

﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴾ .

قال القرطبي رحمه الله تعالى مامحصله :

(فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم ، والرضا بالكفر كفر ، قال الله عز وجل : ﴿ إنكم إذاً مثلهم ﴾ فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء ، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها ، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لايكون من أهل هذه الآية ...

وإذا ثبت تجنب أصحـاب

المعاصي كما بينا فتجنب أهل البدع والأهواء أولى ... (١)

وروى جويبر عن الضحاك قال : دخل في هذه الآية كل محدث في الدين مبتدع إلى يوم القيامة) (٢) .

وقال القرطبي أيضاً رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ :

(ومضى في النساء ، وهذه السورة النهي عن مجالسة أهل البدع والأهواء ، وأن من جالسهم حكمه حكمهم فقال : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) الآية ، ثم بين في سورة النساء ، وهي مدنية : عقوبة من فعل ذلك وخالف ماأمر الله به فقال : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب ﴾ الآية ، فألحق من جالسهم بهم .

وقد ذهب إلى هذا جماعة من أئمة هذه الأمة ، وحكم بموجب هذه الآيات في مجالس أهل البدع على المعاشرة والمخالطة منهم : أحمد بن حنبل والأوزاعي ، وابن المبارك ، فإنهم قالوا في رجل شأنه مجالسة أهل البدع ، قالوا : ينهى عن مجالستهم فإن انتهى وإلا ألحق بهم ، يعنون في الحكم) (٣) .

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى :

(وفي هذه الآية باعتبار عموم لفظها الذي هو المعتبر دون خصوص السبب : دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية كما يقع كثيراً من أسراء التقليد ...) (٤) .

٣ ــ ومنها قوله تعالى في سورة هود / ١١٣ :

﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون ﴾ .

قال القرطبي رحمه الله تعالى :

---

١ ــ ذكر قول الكلبي في نسخها وأن قول عامة المفسرين أن هذه الآية محكمة .
٢ ــ تفسير القرطبي ٥ / ٤١٨ .
٣ ــ تفسير القرطبي ٧ / ١٤٢ ، وبحثه مطولاً من ٧ / ١٣٧ ــ ١٤٢ .
٤ ــ فتح القدير ١ / ٤٨٨ .

(الصحيح في معنى هذه الآية أنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم ، فإن صحبتهم كفر أو معصية إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة ، وقد قال حكيم ــ أي طرفة بن العبد ــ :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتـدي

فإن كانت الصحبة عن ضرورة وتقية فقد مضى القول فيها في : آل عمران ، والمائدة . وصحبة الظالم على التقية مستثناة من النهي بحال لاضطرار ، والله أعلم) (١) .

٤ ــ ومنها قول الله تعالى :

﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ الآية / ٢٢ من سورة المجادلة .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : (استدل مالك رحمه الله تعالى من هذه الآية على معاداة القدرية ، وترك مجالستهم ، قال أشهب عن مالك : لا تجالس القدرية وعادهم في الله لقوله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ قلت : وفي معنى أهل القدر جميع أهل الظلم والعدوان) (٢) .

ثانياً ــ ومن السنة النبوية :

وهي كثيرة يترجم لها المحدثون في عدة أبواب :

أ ــ ففي صحيح البخاري رحمه الله تعالى : باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ : لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث . وباب مايجوز من الهجران لمن عصى . وباب من لم يسلم على من اقترف ذنباً ، ومن لم يرد سلامه حتى تتبين توبته وإلى متى تتبين توبة العاصي ؟ وقال عبد الله بن عمرو : لا تسلموا على شربة الخمر (٣) .

ب ــ وفي سنن أبي داود رحمه

---

١ ــ تفسير القرطبي ٩ / ١٠٨ .
٢ ــ تفسير القرطبي ١٧ / ٣٠٨ .
٣ ــ فتح الباري ١٠ / ٤٩١ ، ٤٩٨ ، وانظر ص / ٤٨١ ، ١١ / ٤٠ . وانظر الأدب المفرد : باب من لم يسلم على أصحاب النرد ، وتراجم أخرى مهمة .

الله تعالى : باب مجانبة أهل الأهواء أو بغضهم ، وباب ترك السلام على أهل الأهواء (١) .

ج ـ وفي رياض الصالحين للنووي رحمه الله تعالى : باب تحريم الهجر بين المسلمين إلا لبدعة في المهجور أو تظاهر بالفسق (٢) .

د ـ وفي شرح السنة للبغوي رحمه الله تعالى : باب مجانبة أهل الأهواء (٣) .

هـ ـ وفي الترغيب والترهيب للمنذري رحمه الله تعالى : الترهيب من حب الأشرار وأهل البدع لأن المرء مع من أحب (٤) .

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم » رواه مسلم في مقدمة صحيحه (٥) .

قال البغوي رحمه الله تعالى بعده : (قد أخبر النبي لهم عن افتراق هذه الأمة ، وظهور الأهواء والبدع فيهم ، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته ، وسنة أصحابه رضي الله عنهم ، فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئاً من الأهواء والبدع معتقداً ، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره ، ويتبرأ منه ، ويتركه حياً وميتاً ، فلا يسلم عليه إذا لقيه ، ولا يجيبه إذا ابتدأ إلى أن يترك بدعته ، ويراجع الحق) (٦) .

والنهي عن الهجران فوق ثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ماكان كذلك في حق الدين ، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا) ا هـ .

٢ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لكل أمة مجوس ، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم »

١ ـ ٥ / ٦ ، ٨ رقم / ٤٥٩٩ ـ ٤٦٠٢ .
٢ ـ رياض الصالحين / ٦٠٩ ـ ٦١١ .
٣ ـ شرح السنة للبغوي ١ / ٢١٩ ـ ٢٣٠ .
٤ ـ الترغيب والترهيب للمنذري ١ /
٥ ـ مقدمة صحيح مسلم ١ / ٦ ، وعن : شرح السنة للبغوي ١ / ٢٢٣ .
٦ ـ شرح السنة ١ / ٢٢٤ .

رواه أحمد ، والطبراني والحاكم (١) .

والأحاديث بمعناه كثيرة عن حذيفة ، وأبي الدرداء ، وعبد الله بن عمرو ، وعمر ، وابن عباس ، وغيرهم رواها جميعاً الإمام أحمد في مسنده ، وشاركه في رواية بعضها : أبو داود ، والترمذي ، والحاكم ، والطبراني ، وغيرهم . والله أعلم .

٣ — عن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله . والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، ومايذكر إلا أولو الألباب ﴾ قالت : قال رسول الله ﷺ : « فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه ، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » متفق عليه (٢) .

وابتغاء المتشابه من مآخذ أهل البدع في الاستدلال ، وقد حذر النبي ﷺ منهم بقوله : « فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » .

٤ — حديث الصحيفة المشهور عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه :

« المدينة حرم مابين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ... » الحديث . متفق عليه (٣) .

٥ — حديث : « سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، وليس بوارد علي الحوض » رواه الترمذي .

٦ — وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « مامن نبي بعثه الله تعالى في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون

---

١ — الفتح الرباني ١ / ١٤٠ — ١٤٤ . شرح أصول الاعتقاد للالكائي ١ / ١١٨ ، مسند أحمد ١ / ٣٠ ، سنن أبي داود برقم / ٤٦٩٢ ، كتاب شرح السنة منه . ابن أبي عاصم في السنة برقم / ٣٣٠ ، ورقم / ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ .

٢ — صحيح البخاري ٨ / ١٥٧ ، صحيح مسلم برقم / ٢٦٦٥ ، وشرح السنة ١ / ٢١٩ — ٢٢٢ .

٣ — انظر في تخريجه : إرواء الغليل ٤ / ٢٥٠ — ٢٥١ رقم / ١٠٥٨ .

٤ — جامع الترمذي .

وأصحاب ، يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف : يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » رواه مسلم (١) .

٧ ـ الأحاديث المتكاثرة في : هجر النبي لأهل المعاصي حتى يتوبوا ، ثبت ذلك في وقائع متعددة ، رواها عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، منهم : كعب بن مالك ، وابن عمرو روى حديثين ، وعائشة وأنس ، وعمار ، وعلي ، وأبو سعيد الخدري ، وغيرهم رضي الله عنهم (٢) .

فهجر النبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم لما تخلفوا عن غزاة تبوك ، واستمر هجرهم خمسين ليلة ، حتى آذن رسول الله ﷺ بتوبة الله عليهم (رواه الشيخان وغيرهما) .

وهجر ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها قريباً من شهرين لما قالت أنا أعطي تلك اليهودية ـ تعني صفية رضي الله عنها . رواه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها .

وهجر ﷺ صاحب القبة المشرفة بالإعراض عنه حتى هدمها . رواه أبو داود من حديث أنس رضي الله عنه .

وهجر ﷺ عمار بن ياسر رضي الله عنه بتركه ﷺ رد السلام عليه لملابسته الخلوق حتى غسله . رواه أبو داود في سننه والطيالسي كلاهما من حديث عمار رضي الله عنه .

وهجر ﷺ رجلاً بالإعراض عنه ؛ لأنه كان متخلقاً بخلوق . رواه البخاري في : الأدب المفرد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وهجر النبي ﷺ رجلاً رأى في يده خاتماً من ذهب حتى طرحه ، وكان هجره له بالإعراض عنه . رواه

١ ـ صحيح مسلم برقم / ٨٠ كتاب الإيمان ، مع شرح النووي ٢ / ٢١ ـ ٢٢ . وصحيح الجامع الصغير برقم / ٥٦٦٦ . وانظر : تاريخ نجد لابن غنام / ص ٤٦١ ، والأدلة القاطعة / ص ١٠ .
٢ ـ مذكورة بتمامها في : تحفة الإخوان / ٥٢ ـ ٥٦ ، و ص ٣٩ . وانظر : مصادرها مفصلة في صدر هذا البحث : الأدلة من السنة النبوية .

أحمد والبخاري في : الأدب المفرد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

ونحوه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (رواه النسائي والبخاري في : الأدب المفرد) .

وهجر النبي ﷺ رجلاً بترك رد السلام عليه وذلك لأن عليه ثوبين أحمرين (رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي) .

فهذه الأحاديث وما في معناها نص في مشروعية هجر العاصي المجاهر بمعصيته حتى يتوب ويفيء ، وعليه :

فإن الاستدلال بها على هجر المبتدع هو من باب الأولى في الدلالة على : مشروعية هجره ديانة لاسيما وهو المخصوص بأوصاف : البدعة في الدين ، والإحداث والضلال ، دون العاصي ، وإلى هذا أشارت تراجم جماعة من المحدثين على هذه الأحاديث وما في معناها كما تقدم في صدر هذه الأدلة من السنة ، والله أعلم .

٨ ــ توظيف الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم لهذه السنة النبوية :

والصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم تقفوا أثر النبي ﷺ في هجر المتلبس بالمعصية المجاهر بها حتى يفيء . ورد ذلك عن جمع غفير منهم (١) : عمر ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن المغفل المزني ، وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وسمرة بن جندب ، وشيخ من أصحاب النبي ﷺ ، وغيرهم رضي الله عنهم .

وعن سعيد بن جبير ، وابن سيرين ، وعمر بن عبد العزيز ، والحسن البصري ، وأحمد بن حنبل ، وزياد بن حدير ، ويزيد بن أبي حبيب ، وغيرهم رحمهم الله تعالى .

فإلى ذكر بعضها مختصراً :

فهجر عمر رضي الله عنه : زياد بن حدير لما رأى عليه طيلساناً وشاربه عافيةً ، إذ سلم زياد فلم يرد عليه عمر السلام حتى خلع الطيلسان وقص شاربه . رواه أبو نعيم في

---

١ ــ مذكورة بتمامها في : تحفة الإخوان ص / ٥٧ ــ ٦٤ ، ٤١ ــ ٤٥ . وانظر : مصادرها مفصلة في صدر : الأدلة من السنة النبوية .

الحلية .

تنبيه : كيف بنا اليوم ، ونحن نتهلل بالحفاوة لمن يحلق لحيته ويعفي شاربه ، ويتشبه بلباسه .

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : كان يعتقل أصحاب النرد غدوة ونحوها ، وينهى عن السلام عليهم . رواه البخاري في الأدب المفرد ، وترجم له بقوله : باب من لم يسلم على أصحاب النرد .

وهجر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : رجلاً رآه يخذف بعدما أعلمه أن النبي ﷺ كان ينهي عن الخذف . وقال : والله لا أكلمك أبداً . رواه الحاكم .

وهجر عبد الله بن المغفل رضي الله عنه : رجلاً يخذف في نحو قصته .

وهجر شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ : فتًى كان يخذف . رواه الدارمي .

وعبادة بن الصامت رضي الله عنه هجر : معاوية رضي الله عنه في مخالفته له في مسألة ربوية وقال عبادة : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن رأيك لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك علي فيها إمرة ، ولما خرج شكاه إلى عمر رضي الله عنه ، فكتب إليه عمر : لا إمرة لك عليه واحمل الناس على ماقاله فإنه هو الأمر . رواه ابن ماجه .

ونحو هذه الرواية وقعت لأبي الدرداء مع معاوية رضي الله عنهما . رواها : مالك ، والشافعي .

وهجر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : رجلاً رآه يضحك في جنازة ، فقال : والله لا أكلمك أبداً . رواه أحمد في : الزهد □

• يتبع •

مصطلحات قرآنية

﴿ الضـــلال ﴾

يطلق لفظ الضلال في اللغة العربية على ثلاثة إطلاقات :

١ ــ يطلق الضلال مراداً به الذهاب عن حقيقة الشيء فتقول العرب في كل من ذهب عن علم حقيقة شيء : ضل عنه ، وهذا الضلال ذهاب عن علم شيء ما وليس من الضلال في الدين .

ومن هذا المعنى قوله : ﴿ قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين ﴾ [الشعراء / ٢٠] أي من الذاهبين عن علم حقيقة العلوم ، والأسرار التي لاتعلم إلا عن طريق الوحي ، لأني في ذلك الوقت لم يوح إلي ، ومنه على التحقيق ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ أي ذاهباً عما علمك من العلوم التي لاتدرك إلا بالوحي .

ومن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ قال علمها عند ربي في كتاب لايضل ربي ولا ينسى ﴾ فقوله ﴿ لايضل ربي ﴾ أي لايذهب عنه علم شيء كائناً ماكان ، وقوله تعالى : ﴿ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ فقوله : ﴿ أن تضل إحداهما ﴾ : أي تذهب عن علم حقيقة المشهود به بدليل قوله بعده : ﴿ فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ . وقوله تعالى عن أولاد يعقوب : ﴿ إن أبانا لفي ضلال مبين ﴾ وقوله : ﴿ قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم ﴾ على التحقيق في ذلك كله . ومن هذا المعنى قول الشاعر :

وتظـــن سلمـــى أننـــي أبغـــي بهـــا
بـــدلاً ، أراهـــا فـــي الضلال تهيـــم

٢ ـــ الإطلاق الثاني : وهو المشهور في اللغة ، وفي القرآن هو إطلاق الضلال على الذهاب عن طريق الإيمان إلى الكفر ، وعن طريق الحق إلى الباطل ، وعن طريق الجنة إلى النار ، ومنه قوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ .

٣ ـــ هو إطلاق الضلال على الغيبوبة والاضمحلال ، تقول العرب ضل الشيء إذا غاب واضمحل ، ومنه قولهم : ضل السمن في الطعام إذا غاب واضمحل ، ولأجل هذا سمت العرب الدفن في القبر إضلالاً لأن المدفون تأكله الأرض.فيغيب فيها ويضمحل .

ومن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وقالوا أئذا ضللنا في الأرض ﴾ يعنون إذا دفنوا وأكلتهم الأرض فضلوا فيها أي غابوا فيها واضمحلوا .

قال المخبل السعدي يرثي قيس بن عاصم :

أضلت بنو قيس بن سعد عميدهـا
وفارسها في الدهر .قيس بن عـاصم

فقوله : أضلت : أي دفنت .

• أضواء البيان ٦ / ٣٧١ •



بيان السنة للقرآن
ـ ١ ـ

الشيخ مسفر الدميني

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على خير خلقَ الله وعلى آله ، وبعد :

فهذه آياتٍ من كتاب الله أسوقها ، ذاكراً ماجاء في السنة النبوية من بيان لها ، وكذا ماجاء عن أصحاب رسول الله ﷺ وسلفنا الصالح من تفسير لها ، معلقاً على ذلك بما تيسر ، معترفاً بين يدي ذلك بقلة بضاعتي ، وضعف صناعتي ، لكنه جهد المقل .

قال تعالى : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخر عند الله خالصة من دونِ الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين . ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يُعمَّرُ ألف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون . ﴾ [البقرة / ٩٤ ـ ٩٦] .

هذه الآيات نزلت في اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ ، ذلك أنهم دُعُوا إلى دين الإسلام ومتابعة نبيه محمد ﷺ ، فأبوا ، وادعوا أن الآخرة لهم خاصة دون بقية الناس ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، فأمر الله نبيه أن يدعوهم إلى قضية عادلة بينه وبينهم حسماً للخلاف ، وإظهاراً للحق وهي المباهلة (من البَهْل وهو اللعن ،

وأصله أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا) بأن يدعوا بالموت على أي الفريقين هو الكاذب ، لكنهم نكلوا عن المباهلة وأحجموا عن الإقدام عليها ، لما يعلمون من كذبهم أنفسهم في دعواهم أن الجنة لهم خالصة من دون المؤمنين .

روى الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ، ولرأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لايجدون أهلاً ولا مالاً » (١) .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيت رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه ، قال : فقال [يعني رسول الله ﷺ] « لو فعل لأخذته الملائكة عياناً ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم في النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لايجدون مالاً ولا أهلاً » (٢) .

وعن ابن عباس قال : قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ ، أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب ، فأبوا ذلك ، ولو تمنوه يوم قال ذلك مابقي على وجه الأرض يهودي إلا مات . وقال ابن عباس أيضاً : لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه ، ولو تمنى اليهود الموت لماتوا (٣) .

لقد فضحهم الله بهذه الآيات ، خاصة أحبارهم وعلماءهم الذين يعرفون رسول الله كما يعرفون أبناءهم ، وكأنه يقول لهم : إن كنتم محقين فتمنوا الموت ، فإن ذلك غير ضاركم إن كنتم محقين فيما تدَّعون من الإيمان وقرب المنزلة من الله ، بل إن أُعطيتم أُمنيتكم من الموت إذا تمنيتم فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدَرَ عيشها ،

١ ــ تفسير الطبري بتحقيق أحمد ومحمود شاكر ٢ / ٣٦١ ــ ٣٦٢ .
٢ ــ مسند الإمام أحمد ١ / ٢٤٨ .
٣ ــ تفسير الطبري ٢ / ٣٦٤ .

والفوز بجوار الله في جناته إن كان الأمر كما تزعمون من أن الدار الآخرة لكم خالصة دوننا ، وإن لم تُعطوها علم الناس أنكم المحقون ونحن المبطلون في دعوانا ، فامتنعت اليهود من إجابة النبي ﷺ إلى ذلك لعلمها أنها إن تمنت الموت هلكت ، فذهبت دنياها ، وصارت إلى خزي الأبد في آخرتها .

وهذه المباهلة بين رسول الله ﷺ وبين يهود لم تكن باللعنة بل بالموت لأن كل محقٍّ يَودّ لو أهلك الله المبطل المناظر له ، ولأن الحياة عند اليهود عزيزة عظيمة فهم يخافون الموت لما يعلمون من سواء مآلهم بعده ، ولو كانوا واثقين من الآخرة أنهم من أهل الجنة لما فَرَقوا من الموت وخافوه ، وأيضاً لو كانوا واثقين من صواب وصدق ماهم عليه من دين لما نكلوا عن المباهلة ، لكنهم يعلمون صدق نبوة محمد ﷺ وزيف مايدعونه من تمسك بالتوراة ولذا كان أملهم في الآخرة معدوماً وتمسكهم بالحياة مضرب المثل ، وهذا مايؤكد قوله تعالى : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ، ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ، والله بصير بما يعملون ﴾ نعم يحرصون على « حياة » أي حياة ، سواء كانت ذليلة ومهينة أو كانت كريمة ، لا يهمهم نوع الحياة ولا صفتها بقدر مايهمهم بقاء الحياة والسلامة من الموت ، فالموت يخيفهم ويرهبهم فبه تنقضي ملذات الحياة الدنيا ويبدأون مرحلة جديدة في عذاب الآخرة .

لقد كانت دعوتهم تلك ـــ بأن الآخرة لهم خالصة مـن دون المؤمنين ـــ التي أطلقوها لخلخلة الصف المسلم وإضعاف ثقة المؤمنين في نبيهم وفي دينهم وفيما يَعِدُهم به من الجنة والنعيم المقيم في الآخرة ، فإذا كان اليهود صادقين فيما ادعوه ونشروه في المجتمع المسلم من أن الآخرة لهم فقط وليس للمسلمين فيها نصيب فلماذا يخافونها ، ولماذا نكلوا عن المباهلة بطلب موت الكاذب من الفريقين ؟ لقد كانت مباهلة رسول الله ﷺ لليهود بأن يدعوا بالموت على المبطل حجة دامغة بهتهم بها ، وألجم ألسنتهم وأظهر خزيهم وضلالهم وعنادهم ، ولو كانوا

محققين في دعواهم لتمنوا الموت لكنهم يعلمون بل يتيقنون أنه لا نصيب لهم في الآخرة ، ولذا يزداد حرصهم على الحياة الدنيا مهما كان فيها من ذلة لهم وصغار .

وحب الدنيا وكراهية الموت أمر فُطر عليه الخلق ، لكن المؤمن بالله وباليوم الآخرة إذا احتيج إليه في ساحة القتال ذهب عنه ماكان يجده في نفسه من حب الحياة ، وحلّ محله حب الجنة وما أعد الله فيها للشهداء الصادقين ، فتراه يحرص على الشهادة في سبيل الله حرص عدوه على الحياة الدنيا ، ومن هنا جاءت المعادلة التي يترجح بها الصف المسلم على ضعفه من العدو الكافر ، فالمؤمن بما يحمله من إيمان بالله وحب في الفوز بما أعده الله لمن يقتل في سبيله ، ويقين بأن الجنة مثوى المؤمنين الصادقين بما عاهدوا عليه الله ، يمكنه بكل ذلك أن يواجه أضعافه عدداً وعدة .

وإذا كان حب الحياة ينزوي ــ عند المؤمن ــ في ساحات القتال ويذهب عنه الخوف من الموت وكراهيته له ، فإن هذا الخوف وهذه الكراهية للموت تذهب عن المؤمن قُبيل موته ، ولو لم يكن مجاهداً وذلك عندما يُبشَّر برحمة الله ورضوانه ، وإن مانجده الآن في أنفسنا من خوف ورهبة وكراهية للموت سيزول عنا إن كنا ممن آمن وعمل صالحاً وآثر الآخرة على الدنيا .

ونجد مصداق هذا في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقالت عائشة رضي الله عنها : يارسول الله كراهية لقاء الله أن يكره الموت ، فوالله إنا لنكرهه . فقال : « لا ليس بذاك . ولكن المؤمن إذا قضى الله عز وجل قبضه فرّج له عما بين يديه من ثواب الله عز وجل وكرامته فيموت حين يموت وهو يحب لقاء الله عز وجل ، والله يحب لقاءه . وإن الكافر والمنافق إذا قضى الله عز وجل قبضه فرّج له عما بين يديه من عذاب الله عز وجل وهوانه فيموت حين يموت وهو يكره لقاء الله ، والله يكره لقاءه » رواه الإمام أحمد في مسنده ٦ / ٢١٨ .
ونحوه عند النسائي وفيه : قال :

« لا إنما ذاك عند موته ، إذا بُشِّر برحمة الله ومغفرته أحب لقاء الله ، فأحب الله لقاءه ، وإذا بشر بعذاب الله كره لقاء الله وكره الله لقاءه » (١) .

وإذن فكراهية الموت أمرٌ طُبع عليه الناس ، لكن المؤمن الصادق العامل الداعي إلى الخير يُبَشَّر عند موته برحمة الله ومغفرته فيذهب عنه الخوف من الموت وتتبدل كراهيته له حباً له إذ فيه لقاء الله الذي آمن به وأحبه واتبع دينه ورسوله ﷺ .

لكن هذا الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من ذلٍ ومهانة وتحكم لليهود في بلادها ومصالحها وعلاقاتها ، أتراه يذهب ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ وماذا ينقص المسلمين من العَدَدِ والعُدَدِ حتى يستردوا هيبتهم وكلمتهم ، ويستلموا قيادة العالم ليدلوه على الطريق السوي ؟.

أما ذهاب هذا الذل وهذه المهانة فهو الأمل الذي تعيش له الأجيال المسلمة ، والأمة التي لا أمل لها لا مستقبل لها ، وكيف نعيش حياة لا أمل لنا في زوال الذل عنها ؟ إن الأمل في الشباب المسلم المؤمن بربه المتمسك بدينه على بصيرة ؛ هو أمل فيما عند الله من نصر وتأييد لمن صدق وصبر وسار على الدرب الصحيح .

أما كيف ؟ ومتى ؟ فهذا ماستقرأه في العدد القادم إن شاء الله تعالى . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين □



١ ــ سنن النسائي ٤ / ٩ .



خواطر في الدعوة

ظاهرة التعلق بالأشخاص

هل صحيح أن كثيراً من المسلمين تخلوا عن نزعة التعلق بالأشخاص ؟ وهل تخلوا عن شغفهم بأن يكونوا مريدين لشيخ ؟ نعم ، تخلوا عن ذلك ظاهرياً وذهبت هذه النزعة نظرياً على الأوراق في الكتب والمقالات ، ولكن الحقيقة التي في داخلهم تقول : لا ، فهم أبداً يمارسون هذا الدور ويحبون ممارسته ، فهو مرض عضال ، لقد تخلوا عن الشيخ بالمعنى الصوفي ، ولكن تعلقوا بالزعيم والقائد والحزب ولافتات وأسماء حلت محل الشيخ في القداسة والعصمة ، فهم يحنون إلى هذا الشيخ الجديد كما يحن الفصيل إلى أمه ، فتجدهم ينتظرون الكلمة والإشارة من فمه ، فكل ماينطق به صواب ، ويتناقلون كلامه وخطبه وأحاديثه أينما ذهبوا وحيثما حلوا ، لاشك أنك ترى عجباً من الأمر ، وتحاول أن تردهم عن هذا ولكنهم يرجعون إليه بأساليب وأشكال أخرى ، كأنهم أطفال يلوذون بأمهم ، لا يستطيعون التصرف وحدهم ، نعم إنهم أطفال كبار !.

وتسألني عن الدواء ؟ الدواء هي التفكر فيما جنته هذه التربية

العقيمة على المسلمين قديماً وحديثاً ، الدواء هو استعادة الماضي القريب ولا أقول البعيد لنرى ماجرّ هذا المرض على الشباب ، من كوارث وأخطاء ، الشباب الذي يفغرون أفواههم دهشة وغباء وإعجاباً عندما يسمعون خطبة رنانة من دعيّ على العلم والدعوة ، لا يفرقون بين العالم ، ومن يدعي أنه عالم ، ولا بين المخلص والمنافق ، ويستغلهم هؤلاء للوصول إلى مآربهم الدنيوية ، ويقولون للآخرين : انظروا هذه الجموع التي تسير خلفنا ، ويفهم الآخرون هذه الإشارة فيعطونهم بعض المكاسب الرخيصة ، وإلى أجل أيضاً .

ونحن نتكلم هنا عن التعلق المَرَضي بالأشخاص ، الذي لايستقيم معه حال ، ولا يرجى له مآل ، لأن هذا التعلق إنما هو مؤشر على مستوى للتفكير ، وعلى مرحلة من مراحل التدرج بالإنسان ، فقد يكون الإنسان ذكياً أو كبيراً في السن ولكن عمره الاجتماعي لايزال في مرحلة الطفولة . ولا يعني هذا عدم المتابعة والمحبة للعلماء العاملين والدعاة المخلصين والاستفادة من تجربتهم واحترامهم وتوقيرهم ، فهذا لابد منه ، فالحق وإن كان قوياً بذاته لكن لابد من أشخاص يحملو.

وإذا سألتني : كيف نعرف هؤلاء من أولئك ، حتى نستفيد من الدعاة العاملين ؟ فأقول : من ثمراتهم تعرفهم □





قواطـع الأدلـة

في الرد على من عوّل على الحساب في الأهلة

الشيخ حمود بن عبد الله التويجري

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد : فقد رأيت مقالاً لأحمد ابن عبد العزيز اللهيب ، نشرته جريدة الرياض في عددها ٧٢٦٤ ، الصادر في يوم الجمعة ، الموافق للسابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٤٠٨ هـ ، وعنوان هذا المقال (الشهر الشرعي والتقاويم الهجرية المتداولة) .

وقد اشتمل هذا المقال على عدة أمور عظيمة الضرر على الكاتب وعلى كل من اتبعه على قوله الباطل .

أولها : الابتداع في الدين والشرع فيه بما لم يأذن به الله .

الثاني : مخالفة النصوص الثابتة عن النبي ﷺ في اعتبار دخول الشهر وخروجه برؤية الهلال أو إتمام العدة ثلاثين يوماً إذا لم ير الهلال .

الثالث : الأخذ بما نفاه رسول الله ﷺ عن أمته من العمل بالحساب في دخول الشهر وخروجه .

وقد قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى : إن الأخذ بالحساب أو الكتاب قد صرح رسول الله ﷺ بنفيه عن أمته والنهي عنه . قال : ومازال العلماء يعدون من خرج إلى ذلك قد أدخل في الإسلام ماليس منه فيقابلون هذه الأقوال بالإنكار الذي يقابل به أهل البدع . انتهى ،

وهو مذكور في صفحة ١٧٩ من المجلد الخامس والعشرين من مجموع الفتاوى . وقال أيضاً في صفحة ١٨٢ من المجلد المذكور : إن الأخذ بالحساب من زلات العلماء . وقال أيضاً في صفحة ٢٠٧ من المجلد المذكور : لاريب أنه ثبت بالسنة الصحيحة واتفاق الصحابة أنه لايجوز الاعتماد على حساب النجوم كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال : « إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب ، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ، والمعتمد على الحساب في الهلال ؛ كما أنه ضال في الشريعة مبتدع في الدين فهو مخطىء في العقل وعلم الحساب فإن العلماء بالهيئة يعرفون أن الرؤية لا تنضبط بأمر حسابي . انتهى .

وقال أيضاً في صفحة ١٣٢ ـــ ١٣٣ من المجلد المذكور إنا نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن العمل في رؤية هلال الصوم أو الحج أو العدة أو الإيلاء أو غير ذلك من الأحكام المعلقة بالهلال بخبر الحاسب أنه لايرى لايجوز ، والنصوص المستفيضة عن النبي ﷺ بذلك كثيرة وقد أجمع المسلمون عليه ، ولا يعرف فيه خلاف قديم أصلاً ولا خلاف حديث ، إلا أن بعض المتأخرين من المتفقهة الحادثين بعد المائة الثالثة زعم أنه إذا غم الهلال جاز للحاسب أن يعمل في حق نفسه بالحساب ، فإن كان الحساب دل على الرؤية صام وإلا فلا . وهذا القول وإن كان مقيداً بالإغمام ومختصاً بالحاسب فهو شاذ مسبوق بالإجماع على خلافه . فأما اتباع ذلك في الصحو أو تعليق عموم الحكم العام به فما قاله مسلم . انتهى .

الرابع : مخالفة السنة الثابتة عن النبي ﷺ في قبول شهادة العدول من المسلمين على رؤية الهلال في دخول شهر رمضان وخروجه والعمل بها وقد قال الله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ . قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك .

الخامس : تقديم العمل بالحساب على العمل بالسنة ، وهذا من الشرع في الدين بما لم يأذن به الله

السادس : بلبلة أفكار العوام وبعض المنتسبين إلى العلم وتشكيكهم في شهادة العدول على رؤية الهلال في دخول شهر رمضان وخروجه .

السابع : الطعن في الشهود العدول ورميهم بالتسرع في تأدية الشهادة ، وقد صرح بذلك في قوله : إن الشاهد حينما يرى الشهر في التقويم ناقصاً فإنه يقوى عزمه بالتسرع بتأدية الشهادة ، كذا قال . وهذا من سوء الظن بالشهود الذين يشهدون على رؤية الهلال ، والطعن فيهم بمجرد ظنه أنهم يعتمدون في شهادتهم على التقويم .

الثامن : الطعن في القضاة ورميهم بالتساهل في قبول الشهادة على رؤية الهلال ، وقد صرح بذلك في قوله : وكذلك القاضي تزيد ثقته بالشهادة لأنه يحسب أن ذلك من توافق الرؤية مع الحساب الصحيح والواقع بخلاف ذلك . كذا قال . وهذا من سوء الظن بالقضاة ، وقد قال الله تعالى ﴿ إن بعض الظن إثم ﴾ .

التاسع : الطعن في ولاة الأمر الذين يعملون بحكم القضاة بقبول شهادة العدول على رؤية الهلال ويأمرون الرعية بالعمل بشهادتهم .

العاشر : زعمه أن العمل بالحساب أضبط وأيسر مما كان عليه الأمر في عهد السلف الصالح ومن بعدهم .

والجواب أنه يقال هذا الزعم خطأ مردود بقول النبي ﷺ : « إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا وهكذا ، وعقد الإبهام في الثالثة ، والشهر هكذا وهكذا وهكذا يعني تمام الثلاثين » رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

وقد قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية في الرد على الذين يحسبون مسير القمر أنه ليس لأحد منهم طريقة منضبطة أصلاً ، بل أية طريقة سلكوها فإن الخطأ واقع فيها فإن الله سبحانه لم يجعل لمطلع الهلال حساباً مستقيماً ، بل لا يمكن أن يكون إلى رؤيته طريق مطرد إلا الرؤية .. إلى أن قال : اعلم أن المحققين من أهل الحساب كلهم متفقون على أنه لايمكن ضبط الرؤية

بحساب بحيث يحكم بأنه يرى لامحالة أو لايرى البتة على وجه مطرد وإنما قد يتفق ذلك أو لا يمكن بعض الأوقات . انتهى ، وهو في صفحة ١٨٢ ــ ١٨٣ من المجلد الخامس والعشرين من مجموع الفتاوى .

وقال أيضاً في صفحة ١٧٤ من المجلد المذكور : إن أرباب الكتاب والحساب لايقدرون على أن يضبطوا الرؤية بضبط مستمر وإنما يقربون ذلك فيصيبون تارة ويخطئون أخرى . وقال أيضاً في صفحة ٢٠٨ من المجلد المذكور : إن طريقة الحساب ليست طريقة مستقيمة ولا معتدلة ، بل خطؤها كثير وقد جرب . وهم يختلفون كثيراً هل يرى أم لا يرى ، وسبب ذلك أنهم ضبطوا بالحساب مالايعلم بالحساب فأخطأوا طريق الصواب ، وقد بسطت الكلام على ذلك في غير هذا الموضع وبينت أن ماجاء به الشرع الصحيح هو الذين يوافقه العقل الصريح . انتهى .

الحادي عشر : إنكار ماهو ثابت بالتواتر من رؤية الهلال في أول النهار في المشرق ثم رؤيته بعد الغروب في ذلك اليوم من المغرب ، وهذا يقع كثيراً في أيام الصيف الطوال . وقد أخبرنا بعض الثقات برؤيتهم له في أول النهار وبعد الغروب في ذلك اليوم . والأخبار بهذا كثيرة ومستفيضة فلا وجه لإنكارها لأن إنكارها صريح في المكابرة .

الثاني عشر : حكايته الاتفاق على القول الشاذ الذي نقله عن ابن قتيبة والمراكشي ومفتي قطر ، وهو زعمهم أنه لايمكن أن يرى الهلال بالغداة في المشرق بين يدي الشمس وبالعشي خلف الشمس في يوم واحد ، وهذا القول الشاذ مردود بما هو ثابت بأخبار كثيرة من الثقات برؤيتهم الهلال بالغداة في المشرق بين يدي الشمس ثم رؤيتهم له بالعشي خلف الشمس ، ومن أنكر أخبار الثقات فقوله هو المنكر في الحقيقة ، وأما حكاية الاتفاق على القول الشاذ الذي ذكره صاحب المقال الباطل فلاشك أنه من المجازفة والقول بغير علم .

الثالث عشر : اعتماده على ظنه وحسابه في دخول شهر شوال في سنة ١٤٠٨ هـ فقد زعم أن القمر سيغرب قبل غروب الشمس يوم

الأحد الموافق للتاسع والعشرين من رمضان ، وقد ظهر خطؤه في ظنه وحسابه الذي ليس بمنضبط وذلك بثبوت رؤية الهلال في ليلة الاثنين في عدد من المدن والقرى في المملكة العربية السعودية ، ورؤي أيضاً في غير المملكة العربية من البلاد المجاورة لها كما قد ذكر ذلك في بعض الإذاعات .

الرابع عشر : خطؤه في تحديد وقت صلاة الظهر ووقت صلاة العصر حيث جعل آخر وقت الظهر هو أول وقتها وجعل آخر وقت الأختيار لصلاة العصر هو أول وقتها ، ومن كان بهذه المثابة من الجهل بوقت صلاة الظهر ، وصلاة العصر فينبغي له أن يعرف قدر نفسه ولا يتطاول على القضاة والشهود العدول ، ولا يتكلف مالا علم له به من معرفة دخول الشهور وخروجها بمجرد حسابه المبني على الظن والتخرص ، فقد قال الله تعالى : ﴿ ولا تَقْفُ ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ . وهذا نص عبارته في دخول وقت الظهر ودخول وقت العصر ، قال : وإذا كان ظل الشيء مثله فقد دخل وقت الظهر وإذا كان مثليه فقد دخل وقت العصر .

والجواب : أن يقال هذا خطأ مخالف للنص والإجماع على أن أول وقت الظهر إذا زالت الشمس . قال الموفق في المغني : أجمع أهل العلم على أن وقت الظهر اذا زالت الشمس قاله ابن المنذر وابن عبد البر ، وقد تضافرت الأخبار بذلك . انتهى .

وقال الخرقي في مختصره : وإذا زالت الشمس وجبت الظهر وإذا صار ظل كل شيء مثله فهو آخر وقتها . وإذا زادت شيئاً وجبت العصر وإذا صار ظل كل شيء مثليه خرج وقت الاختيار . انتهى .

ويدل لقول الخرقي مارواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة والشافعي وأحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أمني جبريل عند البيت فصلى بي الظهر حين زالت الشمس وكانت بقدر الشراك . ثم صلى بي العصر حين كان ظل كل شيء مثله ، ثم صلى بي المغرب حين أفطر الصائم ، ثم صلى بي العشاء حين غاب الشفق ، ثم صلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على

الصائم ، قال : ثم صلى بي الغد الظهر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم صلى بي العصر حين صار ظل كل شيء مثليه ، ثم صلى بي المغرب حين أفطر الصائم ، ثم صلى بي العشاء في ثلث الليل الأول ، ثم صلى بي الفجر فأسفر ، ثم التفت إلي فقال : يامحمد هذا وقت الأنبياء قبلك ، الوقت فيما بين هذين الوقتين » هذا لفظه عند عبد الرزاق نحوه عند أحمد من طريق عبد الرزاق ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وصححه أيضاً ابن خزيمة والحاكم وأبو بكر بن العربي المالكي ، قال الترمذي : وفي الباب عن أبي هريرة وبريدة وأبي موسى وأبي مسعود الأنصاري وأبي سعيد وجابر وعمرو بن حزم والبراء وأنس ، ثم روى بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « أمني جبريل » فذكر نحو حديث ابن عباس بمعناه ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، قال : وقال محمد ـ يعني البخاري ـ أصح شيء في المواقيت حديث جابر عن النبي ﷺ ، انتهى المقصود من كلام الترمذي رحمه الله . وقد روى حديث جابر النسائي وابن حبان في صحيحه والدارقطني والبيهقي . وقد تركت تخريج الأحاديث التي أشار إليها الترمذي إيثاراً للاختصار وبعضها في الصحيح ، وفيها مع حديثي ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أبلغ رد على صاحب المقال الباطل .

فصل في ذكر النصوص الدالة على اعتبار رؤية الهلال في دخول الشهر وخروجه ونفي الكتاب والحساب في ذلك ، وماجاء في قبول الشهادة على رؤية الهلال والعمل بها :

الحديث الأول : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال : « لاتصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له » رواه مالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وفي رواية لمسلم أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فضرب بيديه فقال : « الشهر هكذا وهكذا وهكذا » ثم عقد إبهامه في الثالثة

« فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن أغمي عليكم فاقدروا له ثلاثين » ، وفي رواية لأحمد والبخاري ومسلم وأبي داود والنسائي أن رسول الله ﷺ قال : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا وهكذا » وعقد الإبهام في الثالثة « والشهر هكذا وهكذا وهكذا » يعني تمام ثلاثين . ولفظه عند البخاري قال : « إنا أمة لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا » يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين . وقد رواه الشافعي عن مالك عن عبد الله ابن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » ورواه البخاري من طريق مالك بنحوه أخصر منه . ورواه البيهقي من طرق كثيرة وفي بعضها أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تبارك وتعالى جعل الأهلة مواقيت فإذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فاقدروا له أتموه ثلاثين » وقد رواه ابن خزيمة في صحيحه بنحوه ، وعنده في آخره « فإن غم عليكم فأقدروا له واعلموا أن الشهر لايزيد على ثلاثين » ورواه الحاكم بنحوه وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي على تصحيحه .

الحديث الثاني : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم الهلال فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين يوماً » رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه ، وفي رواية لمسلم والنسائي أن رسول الله ﷺ قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم الشهر فعدوا ثلاثين » وقد رواه الترمذي بنحوه ، وقال في آخره : « فعدوا ثلاثين ثم أفطروا » ثم قال : حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح . ورواه الدارقطني وقال في رجاله كلهم ثقات . ورواه أيضاً من عدة طرق وقال : هذه أسانيد صحاح . وفي رواية لمسلم : « فإن غمي عليكم فأكملوا العدد » .

وقد رواه البخاري ولفظه : قال النبي ﷺ أو قال أبو القاسم ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا

لرؤيته فإن غمي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » .

الحديث الثالث : عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال : « لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » رواه مالك وأبو داود والنسائي واللفظ لمالك . وفي رواية أبي داود : « فإن حال دونه غمامة فأتموا العدة ثلاثين ثم أفطروا » وفي رواية للنسائي أن رسول الله ﷺ قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » . وقد رواه الإمام أحمد ولفظه : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن حال بينكم وبينه سحاب فكملوا العدة ثلاثين » . ورواه الترمذي والنسائي بنحوه ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح ، وصححه أيضاً ابن خزيمة والحاكم والذهبي .

الحديث الرابع : عن ربعي بن حِراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة » رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه . ورواه ابن خزيمة في صحيحه مختصراً . وفي رواية للنسائي عن ربعي عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقدموا الشهر حتى تكملوا العدة أو تروا الهلال ثم صوموا ، ولا تفطروا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثلاثين » . وقد رواه الإمام أحمد بنحوه وإسناده صحيح على شرط الشيخين ، ورواه الدارقطني من طرق وقال في رجال أحدها كلهم ثقات .

الحديث الخامس : عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان مالايتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان فإن غم عليه عد ثلاثين يوماً ثم صام » رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ، والدارقطني وقال هذا إسناد حسن صحيح . ورواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في تلخيصه .

الحديث السادس : عن عبد

الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه خطب الناس في اليوم الذي يشك فيه فقال : ألا إني جالست أصحاب رسول الله ﷺ وساءلتهم وإنهم حدثوني أن رسول الله ﷺ قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وأنسكوا لها فإن غم عليكم فأكملوا ثلاثين ، فإن شهد شاهد فصوموا وأفطروا » رواه الإمام أحمد والنسائي والدارقطني . وفي رواية أحمد : « وإن شهد شاهدان مسلمان فصوموا وأفطروا » وفي رواية الدارقطني : « فإن شهد ذوا عدل فصوموا وأفطروا وأنسكوا » .

الحديث السابع : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غمي عليكم فعدوا ثلاثين يوماً » رواه الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط والبيهقي . قال الهيثمي ورجال أحمد رجال الصحيح .

الحديث الثامن : عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوماً » رواه البزار والطبراني في الكبير والبيهقي . قال الهيثمي وفيه عمران بن دوار القطان وثقه ابن حبان وغيره وفيه كلام . قلت : وماتقدم من الأحاديث الصحيحة يشهد له ويقويه .

الحديث التاسع : عن مسروق والبراء بن عازب رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأتموا ثلاثين » رواه الطبراني في الكبير .

الحديث العاشر : عن طلق بن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل جعل هذه الأهلة مواقيت للناس ، فإذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا ، فإن غم عليكم فأتموا العدة ثلاثين » رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير والدارقطني ، وورواه البيهقي مختصراً ولفظه قال رسول الله ﷺ : « لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروا الهلال فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » ورواه الإمام أحمد والطبراني أيضاً مختصراً بنحو رواية البيهقي

قال الهيثمي : وفيه محمد بن جابر اليمامي وهو صدوق ولكنه ضاعت كتبه وقبل التلقين ، قلت : وما تقدم من الأحاديث الصحيحة يشهد لحديثه ويقويه .

الحديث الحادي عشر : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقدموا هذا الشهر صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين » رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي ، قال الهيثمي : وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ولكنه ثقة . قلت : وماتقدم من الأحاديث يشهد له ويقويه .

الحديث الثاني عشر : عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أحصوا عدة شعبان لرمضان ولا تقدموا الشهر بصوم فإذا رأيتموه فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوماً ثم أفطروا » رواه الدارقطني .

الحديث الثالث عشر : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته فصامه وأمر الناس بصيامه . رواه ابو داود والدارمي وابن حبان في صحيحه ، والدارقطني والحاكم والبيهقي ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبي .

الحديث الرابع عشر : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : أبصرت الهلال الليلة قال : « أتشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله » قال : نعم ، قال : « يابلال أذن في الناس فليصوموا غداً » رواه أهل السنن وابن أبي شيبة والدارمي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ، والدارقطني والحاكم والبيهقي ، وقال الحاكم صحيح الإسناد متداول بين الفقهاء ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي على تصحيحه .

الحديث الخامس عشر : عن ربعي بن حِراش عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : اختلف الناس في آخر يوم من رمضان فقدم أعرابيان فشهدا عند النبي ﷺ بالله لأهلا الهلال أمس عشية فأمر رسول الله ﷺ الناس أن يفطروا . رواه أبو داود عن مسدد وخلف بن هشام

المقرىء . قال : وزاد خالف في حديثه وأن يغدوا إلى مصلاهم .

إسناده عن مسدد صحيح على شرط الشيخين ، وإسناده عن خلف صحيح على شرط مسلم . وقد رواه الدارقطني من طريق أبي داود ، وقال : هذا إسناد حسن ثابت . ورواه أيضاً من طريق آخر وقال : هذا صحيح . ورواه الإمام أحمد بإسنادين صحيحين على شرط الشيخين ولفظه عن ربعي بن حِراش عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال : أصبح الناس صياماً لتمام ثلاثين قال : فجاء أعرابيان فشهدا أنهما أهلا الهلال بالأمس فأمر رسول الله ﷺ الناس فأفطروا . ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه من طريق إسحاق بن إسماعيل الطالقاني حدثنا سفيان بن عيينة عن منصور عن ربعي ابن حراش عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : أصبح الناس صياماً لتمام ثلاثين فجاء رجلان فشهدا أنهما رأيا الهلال بالأمس فأمر رسول الله ﷺ الناس فأفطروا ، قال الطبراني : لم يقل أحد في هذا الحديث عن أبي مسعود إلا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ، قال الهيثمي وهو ثقة .

قلت : وقد وثقه ابن معين ويعقوب ابن شيبة وأبو داود والدارقطني وعثمان بن خرزاذ وابن حبان وابن قانع ، وقال الحاكم بعد إيراد الحديث : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في تلخيصه . وقد رواه الدارقطني بنحوه .

الحديث السادس عشر : عن أبي عمير بن أنس بن مالك قال : حدثني عمومة لي من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : غم علينا هلال شوال فأصبحنا صياماً فجاء ركب من آخر النهار فشهدوا عند رسول الله ﷺ أنهم رأوا الهلال بالأمس فأمرهم رسول الله ﷺ أن يفطروا من يومهم ، وأن يخرجوا لعيدهم من الغد . رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه بأسانيد صحيحة . وقد رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار ، والدارقطني والبيهقي وقال : هذا إسناده صحيح ، وقال الخطابي : حديث أبي عمير صحيح فالمصير إليه واجب .

الحديث السابع عشر : عن أبي مالك الأشجعي عن الحسين بن

الحارث الجدلي ــ جديلة قيس ــ أن أمير مكة خطب ثم قال : عهد إلينا رسول الله ﷺ أن ننسك للرؤية فإن لم نره وشهد شاهدا عدل نسكنا بشهادتهما فسألت الحسين بن الحارث : من أمير مكة ؟ قال : لا أدري ، ثم لقيني بعد فقال : هو الحارث بن حاطب أخو محمد بن حاطب . ثم قال الأمير : إن فيكم من هو أعلم بالله ورسوله مني وشهد هذا من رسول الله ﷺ وأومأ بيده إلى رجل . قال الحسين : فقلت لشيخ إلى جنبي ، من هذا الذي أومأ إليه الأمير قال : هذا عبد الله بن عمر وصدق ، كان أعلم بالله منا ، فقال : بذلك أمرنا رسول الله ﷺ ، رواه أبو داود وإسناده حسن . ورواه الدارقطني مطولاً بنحو رواية أبي داود ومختصراً لم يذكر قوله في عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما وقال في إسناد المختصر إسناده متصل صحيح . قال ابن الأثير في جامع الأصول : النسك العبادة والمراد به ههنا الصوم .

فصل :

وقد اشتملت الأحاديث التي تقدم ذكرها على فوائد كثيرة من الأحكام التي تتعلق بصيام رمضان والفطر منه .

الأولى : تواتر الأحاديث بالأمر بصيام رمضان لرؤية الهلال ، والفطر منه لرؤية هلال شوال وإتمام العدة ثلاثين يوماً إذا لم ير الهلال . وفيها ، بل في كل حديث منها أبلغ رد على صاحب المقال الباطل الذي قد حاول تشكيك الناس في شهادة العدول على رؤية الهلال إذا كانت مخالفة للحساب الذي قد اعتمد عليه وخالف السنة من أجله .

الثانية : النهي عن صيام رمضان والفطر منه حتى يرى الهلال أو تتم العدة ثلاثين يوماً .

الثالثة : نفي الكتاب والحساب عن الأمة المحمدية فيما يتعلق بالأهلة لاستغنائها عن ذلك بالرؤية أو إتمام العدة ثلاثين يوماً ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : المراد بالحساب هنا حساب النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك إلا النزر اليسير فعلق الحكم بالصوم وغيره بالرؤية لرفع الحرج عنهم في معاناة حساب التسيير واستمر الحكم في الصوم ولو حدث بعدهم من

يعرف ذلك ، بل ظاهر السياق يشعر بنفي تعليق الحكم بالحساب أصلاً . ويوضحه قوله « فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » ولم يقل فسلوا أهل الحساب . والحكمة فيه كون العدد عند الإغماء يستوي فيه المكلفون فيرتفع الاختلاف والنزاع عنهم . وقد ذهب قوم إلى الرجوع إلى أهل التسيير في ذلك وهم الروافض . ونقل عن بعض الفقهاء موافقتهم . قال الباجي : وإجماع السلف الصالح حجة عليهم . وقال ابن بزيزة : وهو مذهب باطل فقد نهت الشريعة عن الخوض في علم النجوم لأنها حدس وتخمين ليس فيها قطع ولا ظن غالب مع أنه لو ارتبط الأمر بها لضاق إذ لايعرفها إلا القليل . وقال ابن بطال : في الحديث رفع لمراعاة النجوم بقوانين التعديل وإنما المعول رؤية الأهلة وقد نهينا عن التكلف ولاشك أن في مراعاة ماغمض حتى لايدرك إلا بالظنون غاية التكلف . انتهى .

وقال النووي في شرح المهذب : من قال بحساب المنازل فقوله مردود بقوله ﷺ في الصحيحين : « إنا أمة لانكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا .. » الحديث . قالوا : ولأن الناس لو كلفوا بذلك ضاق عليهم لأنه لايعرف الحساب إلا أفراد من الناس في البلدان الكبار ، فالصواب ماقاله الجمهور وماسواه فاسد مردود بصرائح الأحاديث . انتهى □

• يتبع •



أهمية أصول المعرفة في الإسلام
ـ ٢ ـ

د . عابد السفياني

إن دراستنا في المقال السابق لأصل المعرفة عند العلمانيين يدلنا على أهمية إدراك أصول المعرفة في الإسلام ، « ولا يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية » ، بل ويعيننا على إدراك منطلقات خصومنا ، فإن الخصومة بين الفكر الإسلامي والفكر العلماني عميقة جداً ، وقد أصلها الفكر الاستشراقي وكان من خطورته أن دعم القومية بالفكر العلماني ، ولك أن تقول عنه إنه دعم الفكر العلماني بالقومية ، ولا تجد فرقاً كبيراً بينهما في هذا المجال (١) .

فالحركات القومية في العالم الإسلامي حركات علمانية ، والدليل على ذلك أن القومية ألغت « الدين » (•) من حسابها ، وجعلت الاجتماع على التراب واللغة هو الأصل ، ورفضت كل مايعارض ذلك من دين وخلق وفضيلة ، فإذا قلت لهم إن الله كرم بني آدم وجعلهم قبائل وشعوباً ليتعارفوا ، وجعل أكرمهم عنده أتقاهم وأتبعهم لشريعته ، وجعل « الدين » هو جنسية المسلم ، فهو صاحب منهج وعقيدة قبل أن يكون عبداً للتراب والقومية ، إذا قلت لهم ذلك لوّوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ، وقال قائلهم كفرنا بما

١ ـ وشهد شاهد من أهلها ، انظر حديث (جب) عنها في كتابه : الاتجاهات الحديثة / ٤ .

• ـ هذا هو أصل الفكرة القومية المستوردة ، أما الآن فإن كثيراً من القوميين بعد أن أدركوا صعوبة بل استحالة تجاهل الدين ، تكرموا بالاعتراف بأهميته ، على دخل في النوايا ، وزغل كثير في الطوايا . (التحرير) .

تدعونا إليه ، وإذا حذرتهم من عذاب الله ، من جهنم التي وقودها الناس والحجارة قال قائلهم :

سلام على كفر يوحد بيننا
وأهلاً وسهلاً بعدها بجهنم (١)

وإذا جاوزنا هذه المسميات : « العلمانية » و « القومية » وأردنا أن نتعرف على طائفة ثالثة من الطوائف التي انتجتها لنا « المذاهب الحديثة » فإن طائفة الحداثيين تطل برأسها علينا ، وتقذف بفكرها إلى بقية بلاد العالم الإسلامي ، لعلها تصل إلى مكاسب جديدة تقوي بها شوكتها وتكثر بها سواد أتباعها .

ولنضرب صفحاً عن صراع كتابها ومخالفيهم على الألفاظ والأشكال ، ولنهتم بقضيتنا الأساسية التي نحن بصددها ، ولنسأل زعماء الحداثة عن أصلهم المعرفي الذي يتلقون بواسطته ويحكمون به على الأشياء والأحداث .

يقول زعيم من زعمائهم : إن أصل نظريتهم في المعرفة أن : الحجة والشرعية إنما هي للحادث المتغير ، وإن الثابت لاحجة فيه ولا شرعية له ، بل هو أسطوري ، يحمل الخرافة في بنيته وأهدافه كما تحمل الأسطورة الخرافة في بنيتها وأهدافها (٢) .

ولننظر الآن مايترتب على هذا الأصل المعرفي عند الحداثيين :

١ ــ إن كل ماثبت في ذهن البشرية وفطرتها وواقعها محكوم عليه بذلك الأصل الفاسد ، دون أن يُفرق أتباع هذا الأصل الفاسد بين الحق والباطل في تراث البشرية (٣) .

٢ ــ إن « الوحي » وهو نصوص الكتاب والسنة ، وماأجمع عليه علماء المسلمين ... كل ذلك يدخل في إطار « الثابت » الذي لا حجة فيه ولا شرعية له ، وتنتقل الشرعية عنه ، ليتسلمها كل مذهب جديد وفكر محدث يدخل في إطار « الحادث » و « المتغير » وإن تعجب فعجب قولهم : إن الشرعية مواكبة للحادث والمتغير كيف

١ ــ انظر كتاب القومية العربية على ضوء الإسلام ، للدكتور صالح العبود .
٢ ــ الفكر العربي ، لمحمد أركون ، ترجمة عادل العوا ، بيروت ، بمنشورات عويدات ١٨٩ ــ ١٣٢ ــ ١٣٤ ــ ١٥٥ .
٣ ــ المصدر السابق .

ماكان ، وعلى المبادىء والمفاهيم والأحكام الإسلامية ، وكل مابقي من خير في فطرة البشرية أن يكون حداثياً ، أي دائم التغير والتشكل والتبدل لكي يكتسب « الشرعية » وتكون له حجة عند « الحداثيين » ولذلك اكتسبت المبادىء المنحرفة « الشرعية » عندهم لأنها دائماً متغيرة متبدلة ، فالكفر والشرك يتطوران ، ويتغيران ، والزندقة والهرطقة ، ماوصفت بذلك إلا لأنها متبدلة ، لاتستقر على حال ، ففازت هذه كلها بالحجية عند أئمة الحداثة في أوربا وفي العالم الإسلامي .

وقد أسس لفكر الحداثة أئمة الغزو الفكري فوضعوا أهم قواعده ، ونشروها ، وقد احتفل الفكر الاستشراقي بذلك .

يقول أحد أئمة الفكر الاستشراقي وهو (ولفرد كانتول سميث) في كتابه (الإسلام في التاريخ الحديث) : « إن كل دين عند تحليله إنما تتعدد أشكاله بعدد معتنقيه ، إنها حقيقة تاريخية أساسية لاغنى عنها لإدراك الدين وتاريخه » (١) .

ويريد الفكر الاستشراقي من هذه المقولة أن يفهم المسلمون الإسلام ويشكلوه على حال يلائم المدنية الغربية ذات الأصول اليونانية والإغريقية ، ويتنازل الإسلام عن مفهوم الثبات في عقيدته وشريعته ، وحينئذ يفرح المستشرقون والحداثيون ، فقد زالت العوائق من طريقهم ، وأصبح سهلاً عليهم أن يدعوا للجاهلية الإغريقية واليونانية ، ويخالفوا دين الرسل جميعاً عليهم السلام ، بدعوى الحداثة ، وتعدد « الفهم » للنصوص « الدينية » و « التاريخية » ويتعدد حينئذ فهم « الدين » و « التاريخ » وتتعدد أشكاله بعدد معتنقيه .

هذا هو مراد الفكر الاستشراقي والحداثي ، وهو لايحتاج إلى جهد في كشف انحرافه وفساده ، فإن العقلاء يعلمون أن أتباع « الرأسمالية » و « الشيوعية » يزيد عددهم على الملايين ، فهل يقول عاقل بأن « الشيوعية » تساوي مليون فكرة ، وبتعدد « شكلها »

١ ــ الإسلام في التاريخ الحديث ، للمستشرق ولفرد كانتول سميث ٧ ــ ٨ ــ ١١ ــ ٤١ .

بعدد معتنقيها ، وهل يمكن للعقل أن يتصور أن « الرأسمالية » تساوي مليون فكرة ، وتُفهم بأفهام عديدة تساوي عدد معتنقيها ، ويكون لها في الواقع التطبيقي من حيث التشريع والحكم مايساوي مليون « تطبيق » ومليون « شكل » هذه لايقول بها « عاقل » عند بني الإنسان ، ولكنه جنون « الاستشراق » وجنون « الحداثة » .

وهكذا يريد سفهاء البشرية أن يتحكموا في فهم تراثها ونصوصها الدينية والتاريخية ، كما يحلو لهم بدون رقابة من ضوابط المنهج العلمي ، وعلى أصول المعرفة ، سواء ماكان منها عند « المسلمين » أو عند « أهل الكتابين » أن تخضع لما زعمه الفكر الاستشراقي والحداثي من أن « كل دين عند تحليله إنما تتعدد أشكاله بعدد معتنقيه ، إنها حقيقة تاريخية أساسية لا غنى عنها لإدراك الدين وتاريخه » وإن في المناقشة السابقة الذكر مايثبت لك أن هذا هراء لا حقيقة له ، ولن تجد « أصلاً » معرفياً عند المخالفين للإسلام يقوم على أساس علمي ، وعند تأمل أصولهم السابقة يظهر لك هذا بجلاء .

ــ فالعلمانيون يدافعون عن أصلهم المعرفي الذي كشفنا عنه في مقال سابق بقولهم : أنترك ماجاءت به القوانين الوضعية ونفعل في أنفسنا وأموالنا ومجتمعاتنا ماتريده الشريعة الإسلامية !!.

ــ والقوميون قال قائلهم :

سلام على كفر يوحد بيننا
وأهلاً وسهلاً بعدها بجهنم

ــ والحداثيون يدافعون عن « الخرافة » التي يحملونها ، بمثل مايقوله ولفرد سميث وأضرابه .

وإذا قال لنا قائل كيف تسقطون « العلمية والشرعية » عن كل أصل معرفي يعارض أصلكم المعرفي ؟ قلت : الجواب : إن أصلنا المعرفي لم نضعه نحن ، ولم يضعه بشر على الإطلاق ، ولم نؤمن به بهذا الاعتبار ، وإنما آمنا به ودعونا إليه لأنه في الحقيقة « وحي رباني » جاءت به الرسل من عند الله ، فنحن نؤمن به بهذا الاعتبار ، ولذلك لما انتفت عنه البشرية انتفت عنه طبائع البشر من الاختلاف والاضطراب وتعدد الأسماء والشارات ، فهو ليس

خاصاً بقوم دون قوم ، ولا بزمان دون زمان ، بل جعله الله أصلاً في المعرفة لبني الإنسان ، وأمر الرسل بأن يدعوا إليه وجعل رسوله محمداً مبعوثاً به إلى كافة الناس ، وأمر بإبلاغه والتربية على مقتضاه ، وتسفيه مايخالفه من الأصول والأفكار ، فنحن إذاً ندعو إليه باعتباره دين الله إلى البشرية كافة في جميع أحوالها وعصورها ، وعلى اختلاف أجناسها وأممها .

وتسقط الشرعية عن مايخالفه — من علمانية وقومية وحداثية — .. باعتبارها مخالفة لدين الله ، ولدعوة الأنبياء ، ولفطرة البشرية التي فطرها الله عليها .

وإذا استبان هذا الأمر واتضح فإنه مما يجب على كل إنسان أن يعلم أن الخلاف الحقيقي بين أهل الحق وأهل الباطل إنما هو على حاكمية الشريعة على ماسبق بيانه عند عرض أصول المعرفة ، وليس الخلاف على ربوبية الله ، ولا على مشروعية صرف بعض أنواع العبادة له سبحانه ، لأن أكثر أهل الملل والنحل قديماً وحديثاً يرتضونه إلهاً في بعض أنواع العبادة على الدوام ، ومنهم من يجعلونه إلهاً في بعضها في بعض الأحيان ، ثم يفترق أهل الحق وأهل الباطل ، فيقول أهل الحق :

الله هو المعبود وهو صاحب الحكم الكوني والشرعي ، وشريعته هي الحاكمة على كل حال .

وخالف أهل الباطل فمنهم من يقول :

— ليس له من الحكم الكوني والشرعي شيء .

— ومنهم من يقول له الحكم الكوني لا الشرعي .

— ومنهم من يقول له الحكم الكوني ، وأما الشرعي ففي حال دون حال .

ثم يقول هؤلاء المخالفون بلسان واحد :

كيف نجعل الشريعة الإسلامية حكماً على جميع تلك المتغيرات من المذاهب والمبادىء والأحكام ؟.

كيف يكون الحكم الوحيد على جميع الأحداث وفي جميع الأوضاع والأحوال هو « الشريعة الإسلامية » ؟.

أيكون الحكم الكوني القدري لله ، وكذلك الحكم الديني الشرعي

له أيضاً ؟ فماذا بقي لنا ؟.

ولم لايكون لله الحكم الكوني القدري ــ أي الخلق والرزق والتدبير ــ ويكون لنا الحكم الشرعي الديني ، فنحدد منهاج حياتنا بأنفسنا كما نشاء ؟.

أيعقل أن يكون الحكم كله لله ؟ ويكون الدين هو الحكم الوحيد في أمورنا الخاصة والعامة ؟.

ولم لانختار فنقرر بالحكم الشرعي الديني ثم نأخذ منه مانريد ونعرض عما لانريد ؟ أنلتزم بكل ماجاءت به الشريعة الإسلامية .

أهذا هو « الدين القيم » الذي لاننجو إلا باتباعه !! وماذا نصنع بهذه الأسماء « العلمانية » « القومية » « الحداثة » « الشيوعية » « القوانين الوضعية » ... إنها أسماء ومذاهب عرفها مفكرونا وآباؤنا الروحيون . أيعقل أن تعزل عن السلطان فلا يكون لها أمر ولا نهي ومفاهيم ومبادىء معمول بها ومجتباة !!؟ .

﴿ إن هذا لشيء عجاب ﴾ ، ﴿ ماسمعنا بهذا في الملة الأخرى إن هذا إلا اختلاق ﴾ .

وإذا كان موقف أهل الباطل واحداً ، وتعجبهم متشابهاً ، فإن جواب أهل الحق واحد وموقفهم تالد ، فهذا يوسف عليه السلام أحد أنبياء بني إسرائيل قال لقومه : ﴿ ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ [يوسف / ٤٠] .

وإن هذا الموقف القرآني هو موقف الرسل جميعاً وهو يوجب إسقاط الشرعية عن جميع المذاهب والقوانين المخالفة للشريعة الإسلامية ، وهو أشد مايزعج أعداء الإسلام ، ويأتي على أصولهم في المعرفة بالإبطال □

دوافع الفرد
بين المنهج الإسلامي والفكر الغربي

طارق عبد الحليم

لاشك أن المسلمين اليوم هم أحوج مايكونون إلى النظر في تلك القواعد والأسس التي تُبنى عليها مناهجهم ، والتي تمثل القالب الفكري الذي تعالج من خلاله مشكلاتهم ، وتُواجه به التحديات الحضارية المحيطة بهم .

وهذه الحاجة ليست نابعة من التشكك في تلك الأسس والقواعد ، فهي أمور قد بنيت على قطعيات الشريعة من الكتاب والسنة ، وما استخلص منهما ، وهي من ثم غير قابلة للنقض ولا متعرضة للنقص .

كما أن تلك الحاجة ليست ناشئة من مركب نقص ؛ يواجه تلك الهجمة الغربية التي تتهم كل مالدى المسلمين من معطيات ، فتحاول بالدعاوى أن تؤكد أن مالدى المسلمين هو الصواب وهو الحق ، كما يفعل بعض الناس ؛ بل إن الحاجة لمراجعة تلك القواعد والأسس ، نابعة من ضرورة أن يتعرف المسلمون أنفسهم على قوة وعظمة تلك الشريعة الغراء ثم أن يتعرفوا على مواضع تلك العظمة بالدليل والحجة ، لا بمجرد الحديث والدعوى .

وحتى تؤتي تلك المراجعة ثمارها ، فلا بأس من أن نقابل تلك

الأسس والقواعد بما يقابلها مما أفرزته قرائح البشر ، وهدت إليه عقولهم ، وانتجته سلوكياتهم وأخلاقهم بمعزل عن الهدي الإلهي ، فيميز الصواب من الخطأ ، ويمحص الحق من الباطل ، وكما قيل بضدها تعرف الأشياء » .

من هذا المنطلق ، رأينا أن نقدم في مقالنا هذا مقابلة ــ ولا أقول مقارنة ــ بين نظريتين في مسألة من أهم المسائل التي تنبني عليها التصرفات الإنسانية ، ومن ثم توجه النشاط البشري خلال حضارة من الحضارات ... وهي مسألة « دوافع الفرد » التي يسعى لتحقيقها خلال سنيّ عمره ، بالنظر في تلك المقاصد التي قررتها الشريعة ، ودونها علماء أصول الفقه ، ومقابلة ذلك بما قرره أحد كبار العلماء في علم النفس الفردي ، هو « إبراهام ماسلو » ، والذي قدمه في صورة نظرية في الدوافع البشرية عام ١٩٥٤ في كتاب « الشخصية والدوافع الإنسانية » ، وهي النظرية التي تحكمت إلى حد بعيد في فكر كل من تناول موضوعها من بعده من العلماء أمثال : هيرتز بورج (١٩٥٩) ، والدرفير (١٩٧٢) .

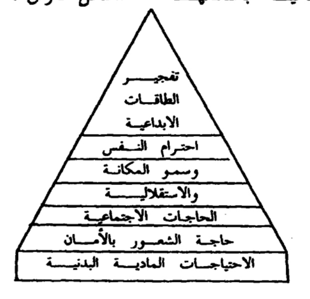
متسلسلة « ماسلو » في الدوافع الإنسانية ومقاصد الفرد :

قدم « إبراهام ماسلو » نظريته في دوافع الإنسان للمرة الأولى عام ١٩٤٣ في مجلة (المراجعات السيكلوجية) ثم فصّلها بعد ذلك في كتابه « الشخصية والدوافع الإنسانية » في عام ١٩٥٤ ، الذي طبع في أمريكا .

وفي هذه النظرية يفترض ماسلو أن الإنسان إنما يتحرك في حياته من خلال « احتياجات » مادية ونفسية معينة ، تمثل الحافز القاهر الذي يجعله يطلب تلك الاحتياجات ويسعى لتحقيقها واحدة تلو الأخرى .

وقد وضع ماسلو تلك الاحتياجات الإنسانية التي تدفع الفرد أمامها ، على هيئة متسلسلة تتكون من خمس حلقات أو طبقات تمثل كل منها نوعين من الاحتياجات المادية أو المعنوية ، فالفرد ــ كما يرى ماسلو ــ يبدأ بالبحث لتلبية الحاجات المادية الأولية التي تحفظ عليه الحياة ، وهي الحاجات الطبيعية

(Physiological needs) من المأكل والمشرب وهي « الاحتياجات الدنيا » فإن تحققت تلك الاحتياجات انتقل الفرد إلى المستوى التالي لتحقيق ماأسماه ماسلو بالحاجات الأمنية (Security needs) وهي تعني المسكن والدخل المقبول الذي يكفل الاستمرارية ، وفي المستوى الثالث يسعى الفرد لتحقيق حاجاته الاجتماعية (Social needs) بتكوين العائلة ، واتخاذ الأصدقاء وممارسة الحياة الاجتماعية بأشكالها المتعددة ، فإذا تحققت الحياة الاجتماعية بقدر مرضٍ ، انتقل الفرد إلى طلب ماهو أعلى ، فيسعى لتحقيق حاجات معنوية واقعية كاحترام النفس ، وتحقيق الذات ، والإحساس بالتقدير والنجاح ، وسمو المكانة ، والاستقلالية ... فإن بلغ ذلك ارتقى إلى المرحلة النهائية والتي يهدف فيها إلى إبراز طاقاته الكامنة كفرد مبدع ، والحرص على الترقي ومداومة التقدم ، وتظهر هرمية ماسلو في الشكل المرفق :



متسلسلة ماسلو الهرمية

وقد ذكر ماسلو أن عملية الانتقال من مستوى إلى آخر في هذه الهرمية لايتم إلا إذا أشبعت الحاجات المتعلقة بهذا المستوى ، بمعنى أن الفرد لا يسعى لكسب احترام المجتمع أو لتحقيق روابط اجتماعية مالم يحقق حاجة الطعام والشراب والسكن .

وتجدر الإشارة إلى أن تلك النظرية التي تعالج الدوافع النفسية لدى الفرد ، إنما هي ــ كما يظهر

من مضمونها ــ وليدة الفكر الغربي الذي يجعل « الفرد » ومصلحته العليا أولى بالتقدمة ؛ إذ هو الوحدة الاجتماعية الأولية (لا الأسرة كما في المجتمع الإسلامي) ، ونجاح الجماعة إنما يهدف أولاً إلى تحقيق صالح الفرد ، وإلا فلا عبرة ولا دافع له كي يساهم في التقدم الجماعي ، فالفرد في « الغرب » إنما يحترم الجماعة ويعمل طائعاً في إطارها لأنه يعلم بفطرته وبخبرته خلال القرون أن تلك هي الوسيلة الناجعة لتحقيق صالحه هو ... من خلال الجماعة ، كذلك فإنها نظرية يمكن أن يقال أنها « وصفية » ؛ أعني هي تصف واقع الفرد كما هو كائن ، ولا تعالج الطموح إلى الترقي أو السمو بالحاجات ، وتقديم ماهو أنفع على غيره كما أنها ــ بطبيعة الحال ــ تعالج مقاصد الفرد ودوافعه في حيز الحياة الدنيا ، إذ ليس لدى القوم كبير اهتمام بما عساه يكون في عالم الغيب ، رما يتطلبه ذلك الأمر من ضرورة دافعة تجعله يسعى قاصداً لتحقيق احتياجات محدودة تعين على بلوغ غايته .

مقاصد الفرد في المنهج الإسلامي :

في مقابل تلك النظرية الغربية في « الدوافع » Motivation ، يمكن للناظر في أصول الشريعة الإسلامية وقواعدها الكلية أن يستنبط نظرية في « الدوافع » التي تحرك الفرد المسلم وتوجه حركاته وسكناته ، ذلك أن بواعث المسلم ودوافعه تنبع من تلك الفطرة المخلوقة السوية ، التي لم يفسدها الانحراف أو الضلال ، تلك الفطرة التي تتلقى المنهج الإلهي المقرر ، الذي فصّلت جزئياته في الشريعة ، فيصوغ لها قالبها النفسي الذي تتحرك من خلاله في حياتها الدنيا . فالمسلم إذن حين يتحرك من خلال تلك الشريعة ، وفي قالبها ذاته ، إنما تتناغم بواعثه ومقاصده مع ماتهدف إليه الشريعة وتقصده ... فمقاصد الشرع ــ في الإسلام ــ هي بشكل عام ، « مقاصد الفرد المسلم » ، وهي دالة بطريقة اللزوم على بواعثه ودوافعه ، إذ العلاقة بين دوافع الفرد ومقاصده هي علاقة الفرع بأصله ، وهي علاقة موجبة طردية ، وإن لم يكن محل الحديث عن هذه العلاقة بشكل أوسع في هذا

المقام ، فإننا أردنا أن نبين أننا اتخذنا من « مقاصد الشرع »[1] قواعد تهدي إلى « بواعث الفرد » في النظرية الإسلامية .

ينبعث الفرد المسلم في حركاته وسكناته ساعياً نحو تأمين حاجته من متطلبات خمس رئيسية ، تدور حولها سائر حاجاته الإنسانية وهي : الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال . وهذه الحاجات الخمس هي التي تبعث الفرد على اتيان أعمال محددة لحفظها ومنع زوالها ، إذ بها تتحقق أقصى مصالحه على وجه الكمال ، سواء في الدنيا أو في الآخرة ، كما أنه بعدمها يتعرض للتلف الآجل أو العاجل .

فلا عجب أن يكون الحرص على تحقيقها ومنع فواتها ، هو الدافع الأصيل للفرد منذ أن يبدأ وعيه وحتى النهاية ، فالحرص على « الدين » هو الباعث الأول للفرد ، إذ به تتحقق هويته البشرية من حيث هو عبد لله الخالق ، كما ينال مايتمنى من السعادة الأبدية في الآخرة .

والحرص على النفس هو كذلك أمر فطري يندفع إليه الناس دون حاجة للتعلم أو التوجيه ، والحرص على العقل دافع أصيل لدى الإنسان من حيث يحقق له القدرة على السيطرة على مقدراته ، والسعي نحو حماية الأهم من النفس أو الدين ، وحفظ النسل ، الذي يؤمن للفرد شعور الاستمرارية والدوام . ورعاية النبتة التي تحفظ له اسمه ووجوده ، يمثل ولا شك دافعاً قاهراً للمرء ليحقق مابه قوام تلك الحاجة الأساسية الأصيلة ، والمال الذي هو زينة الحياة الدنيا ، دافع حقيقي للمرء ، يعينه على إبقاء النفس ورعاية النسل ، وإعلاء كلمة الدين .

وتختلف تلك الحاجات ، في شدة أثرها على بواعث الفرد ودوافعه ، قوة أو ضعفاً ، حسب رتبة العمل المقصود ، في تلك الحاجة المحددة ، فإما أن يكون الأمر ضروري ، فيقوى الباعث عليه حتى لايفتأ المرء يسعى لتحقيقه ليل نهار ، سراً وعلانية ، لايجد راحة حتى يدركه ، إذ كيف يتركه وهو أصل لا تستقيم الحياة ــ الدنيا أو الآخرة ــ

١ ــ راجع الموافقات للشاطبي ٢ / ٨ ومابعدها .

بدونه ! أو أن يكون أمر حاجي ، يرتفع به ضيق الحياة ، وهي من ثم دوافع تستحق السعي والطلب ، مالم تعارض في هذا السعي بضرورة أولى بالتقدمة ، تبعث النفس على تحصيلها بعثاً . ثم أخيراً تلك الأمور التي تسبغ على الحياة سعتها ، وتستدعي استكمال رفاهيتها ورغدها ، وتحسن وجه الحياة في كافة مناحيها ، وهي لاشك دوافع للمرء تحفزه على طلبها إذ تحقق باستكمالها مابه ضرورات بقائه ، وحاجيات حياته .

وأخيراً ، فإن قوة الباعث على تحصيل تلك الحاجات ، تتوقف على أمور ثلاثة أخرى ، تتعلق بأثرها ؛ أهي على الفرد أم الجماعة ؛ أهي شاملة أم محدودة في جزئية معينة ، ثم أهي متحققة الوقوع أم موهومة ، فما هو للجماعة ، تميل نفس الفرد إلى تفضيله عما فيه فائدة شخصية ، وما هو شامل مقدم على مايعالج جزئية محددة ، ثم ماهو متحقق الوقوع ، لاشك فيه ، تميل النفس إلى السعي نحوه أكثر مما هو متوهم ، لا يعلم : حقيقة هو أم خيال !.

من خلال ذلك العرض الموجز ، لما عساه يكون قالباً للنفسية الفردية السوية ، في بواعثها ودوافعها نحو تحقيق أعمال تحقق صالحها ورضاها وتشعرها بالكفاية والسمو الداخلي ، تتم المقابلة التي أردنا إليها أولاً

ونلحظ من مقابلة تلك الحاجات التي تمثل القالب النفسي للفرد في النظرة الإسلامية ، بما قدمناه آنفاً من نظرية الدوافع لماسلو ، ذلك الفارق الشاسع سواء في هيكلها أو فرضياتها الأولية أو دقتها وسعتها .

فالنظرة الإسلامية للدوافع الفرد تتميز بإحكام بنائها ، وإحاطتها بكافة مايعتمل في النفس الإنسانية من عوامل ، كذلك دقة تقديم الأوليات ، حسب ماأدت إليه التجربة البشرية على مدى الزمان والمكان . وقد اعترض الكثير من الغربيين أنفسهم على متسلسلة ماسلو من حيث هي أغفلت أن الفرد في كثير ــ بل جُلّ ــ عمله وحياته يقدم نفسه وحياته أمام حفظ كرامته أو معتقده ، وأن الدراسات التطبيقية لم تدعم ذلك التسلسل المذكور .

كذلك فإن هذه النظرة تضع الفرد في محله الصحيح من الجماعة ، من حيث أن أفعاله تنبعث من الحاجة إلى تحقيق صالح الجماعة أولاً ... ثم صالحه من حيث هو فرد فيها ثانياً ، لا العكس كما ذكرنا عن النظرة الغربية الرأسمالية ، ولا الترف الشيوعي الذي يسخر الفرد لصالح الجماعة ــ في زعمهم ــ لا غير □

الفتـــاوى

وصلت المجلة هذه الأسئلة من الأخوة القراء وقد توجه بها مندوبنا إلى فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين فاجاب عليها مشكوراً ، وجزاه الله خيراً ونفع به .

ماحكم الإيداع في البنوك الربوية ؟

يجوز للضرورة إذا لم يوجد غيره من البنوك الإسلامية وخيف عليها من اللصوص .

ماحكم المساهمة في شركات تتعامل في الربا واصل نشاطها ليس ربوياً ؟

لا يجوز المساهمة في مثل هذه الشركات إذا كانوا يودعون عند البنوك ويأخذون فوائد ربوية يضيفونها إلى رأس المال .

ماحكم المضاربة في المصارف الإسلامية ؟

يجوز إذا تحقق أنها إسلامية ليس فيها شبهة ولا تدخل مع البنوك الربوية .

ماحكم التجارة بشراء العملات سواء عن طريق البنوك أو عن طريق شركات خاصة ؟

يجوز الصرف الذي هو بيع نقد بنقد بشرط الحلول والتقابض قبل التفرقة ويقوم قبض الشيك الذي له رصيد مقام قبض النقد .

ما الذي يفطر من الأشياء التالية :
- القطرة : العينية ، الأنفية ، الأذنية ؟
- الحقنة : العضلية ، الوريدية ، الجلدية ؟
- حقن المخدر في اللثة لقلع الأسنان ؟
- استعمال فرشاة ومعجون الأسنان أثناء الصيام ؟
- المبخرات عن طريق الفم كاستنشاق الدواء عن طريق الفم في مرض الربو ؟
- التحاميل الشرجية ، الحقن الشرجية ؟

ـــ تفطر الأنفية إذا وصلت إلى الحلق ، ولا تفطر العينية والأذنية وإن كانت مكروهة .

ـــ يفطر من الأبر مايصل إلى الجوف كحقن الوريد وما كان مغذياً أو مقوياً من غيرها .

ـــ لاتفطر حقن المخدر حيث إن أثرها موضعي لا يتجاوز موضع الأسنان .

ـــ استعمال الفرشاة والمعجون مكروه مخافة أن يختلط بالريق ويدخل الجوف ، وإذا تحفظ فإنه لايفطر .

ـــ المبخرات يكره إلا لضرورة وحينئذ فلا يفطر .

ـــ التحاميل تفطر حيث أنها تدخل إلى الجوف .

والله أعلم .

عندما ينطق الرويبضة

حكمت الحريري

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سيأتي على الناس سنوات خداعات ، يُصدق فيها الكاذب ، ويكذّب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخوّن فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة . قيل : وما الرويبضة ؟ قال : الرجل التافه ، يتكلم في أمر العامة » .

هذا ماأخبرنا عن وقوعه الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام من البلايا والمصائب التي تحصل في آخر الزمان .

أما الحديث فقد أخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب الفتن ، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسنده ، واستقصى طرقه الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، حديث رقم ١٨٨٧ ، وترجم له بعنوان : أليس هذا زمانه ؟.

بلى إن هذا لزمانه ، وإنها السنين الخداعة التي ينطق فيها الرويبضة ، ويتكلم في أمر العامة ، فيفوض في حل المشكلات ويوكل إليه عقد الصفقات .

إذا تكلم الرويبضة الفويسق في أمر العامة ، وإذا صار الأمين خائناً ، والخائن أميناً ، فلاشك أن موازين القيم تغيرت ، وموازين الحياة كلها تخلخلت . فلم يعد الإنسان إنساناً لأنسه .

إنما أقول هذا ليتدارك المسلمون الأمور قبل فوات الأوان ، أقول هذا لكي تقدر الأمور بقدرها ، وتستعمل الموازين الصحيحة الثابتة التي لاتقبل الاختلال ولا تسوقنا الحوادث التي يختلقها أعداء الإسلام فنسير في مهب الريح حيث يشاء لنا أعداء الإسلام ، فتفني الأرواح ونبذل الأموال لأحداث ومشكلات يختلقونها ، وتكون الشعوب المسلمة ضحيتها ، وشخصيات معتبرة قادتها ، وهم لا يعلمون إلى أي نهاية ينتهون ، ولا في أي مسلك يسلكون .

أليس في هذه الأمة التي اختارها الله من رجل ألمعي ؟.

أليس في هذه الأمة من رجال ملهمون يعرفون مكامن الداء ؟.

لاشك بأنه يوجد في هذه الأمة من هؤلاء ، فإن الخير لا ينقطع من أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة ، وهذه الأمة مثلها كمثل الغيث كما شبهها رسول الله ﷺ ؛ ولكن لماذا لا تفتّح العقول وتعود إلى رشدها لتحدد الرويبضة فتنحيه وتعرف الرجل المؤهل للتجديد ولفعل الخير فتقدمه وتسانده ؟

ولماذا أيضاً لا توحد الصفوف وتجتمع الكلمة لتبرز الشخصية الفذة التي يجعل الله سبحانه وتعالى على يده عزة الأمة جميعاً ؟

ولا شك بأنه من قوانين الله الثابتة المتلوة في حياة الأمة قوله عز وجل : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ وهناك بعض الأمور التي يجب التنبه لها ومعرفتها ، منها :

ــ الاهتمام بعلم الجرح والتعديل ، فقد صنف علماء السلف رحمهم الله تعالى في هذا العلم مجلدات ضخام ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، إنهم كانوا يتعرفون على من ينقلون عنه .

فقد أخرج مسلم في مقدمة صحيحه عن محمد بن سيرين أنه قال : (لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى حديث أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم) [مقدمة صحيح مسلم / ١١] .

وأخرج أيضاً عن محمد بن سيرين قال : (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)

وقد يقول قائل : إن هذا يخص نقل الحديث وروايته ، فأقول : علم الجرح والتعديل لانقصره على رواة الحديث ونقلته بل يجب علينا أن نعمل به في كل المجالات التي تهم الأمة الإسلامية ، فيعرف ما للرجل من حق وما عليه من مثالب وأخطاء ، وحينئذ لا نتخبط في أحكامنا على الرجال ، وكذلك لا تكثر أمامنا المفاجآت والنكسات وماأكثر هذه النكسات والمفاجآت التي أصابت الحركات الإسلامية في هذا العصر .

فلا بد من استعمال هذا العلم بحكمة ودراية فيجرح الرجل أو يعدل بنزاهة وأمانة ، ولا نطلق للعاطفة العنان فنشرق ونغرب ، فتجد هذا الرجل اليوم قائداً بطلاً وعالماً فذاً ، ونجده بعد أيام أو شهور عميلاً ، وخائناً ، ولذلك لم يكن في أيام ازدهار الدولة الإسلامية ورقيها لم يكن هناك مجال للرويبضات ، ولم تصعقهم المفاجآت كما هي حالنا اليوم نتيجة لوعيهم وحرصهم وعملهم بهذا العلم من بعد توفيق الله لهم .

وهذا العلم أقول بكل أسف يُعمل به اليوم عند أعداء الإسلام في دول الشرق أو الغرب دون أن يكون لهم نصيب فيه من قبل ، فمن غير الممكن أن يصل إلى قيادة دولة من دول أوربا شخصية متآمرة على شعبها أو دولتها ، هذا مانراه رأي العين في أمريكا وغيرها .

ولكنك لا تفاجأ بل لا تستغرب أن يقال لك اليوم حصلت ضربة قاصمة للحركة الإسلامية في بلدة ما ، فتسأل ما السبب ؟ فيقال لك : لقد تبين كذا وكذا ، وفلان الذي كان ...

فلماذا لا نأخذ العبرة ونعمل بسنة الخلفاء الراشدين المهديين حيث منع أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه المرتدين من ركوب الخيل ، ولم يمكنهم من حمل السلاح .

الإهتمام بأنساب الشخصيات وقبائلهم ومواطنهم وأصولهم ، وهذا علم أيضاً أفردت فيه المصنفات للتعرف على طبائع الناس وأخلاقهم وعاداتهم ، وليس في ذلك أية مخالفة للشريعة على الإطلاق ، بل هذا من الأمور التي اهتم بها الشرع وذكرها ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « كادت المرأة أن تلد أخاها » ، وقال الله تعالى : ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ، وغير ذلك من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي نبهت إلى التعرف على الأصول والاهتمام بها .

ألا فلتعرفوا ــ أيها المسلمون ــ الرويبضة الفويسق وتُكبتوه وتنحوه ، وإن رحمة الله قريب من المحسنين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين □

أدب وتاريخ

- من أصنام الحداثة : يوسف الخال (٢) .
- تساؤلات (قصيدة) .
- حقيقة دعوة ابن تومرت .

يوسف الخال

ـ ٢ ـ

د . وليد الطويرقي

يتابع الكاتب في هذه الحلقة كشف الدور المشبوه الذي يقوم به من يسمون أنفسهم بـ (الحداثيين) ، إنه دور الخونة الذين يريدون اقتحام قلعة (الإسلام) ويصبغون وجوههم مرة بصوفية ملحدة (الحلاج) ومرة بتقليد شعراء من الغرب كي يحوزوا إعجاب المتفرجين .

ـ التحرير ـ

مجلة (شعر) ودورها المشبوه :

بعد عودة يوسف الخال إلى لبنان من الولايات المتحدة الأمريكية أنشأ مجلة (شعر) وتم التعارف بين منشئها وبين من تعاونوا معه مثل : نذير العظمة ، وأدونيس في منزل خليل الحاوي ، وصدر العدد الأول عام ١٩٥٧ وانتظم في الكتابة فيها محمد الماغوط وأنسي الحاج ، وخالدة سعيد ، وعصام محفوظ ، وحول ولاء المجلة وانتمائها يقول نذير العظمة : إن بعض مؤسسيها كانوا منتمين للحركة القومية الاجتماعية (١) وقد تبينت حقائق

١ ـ ذكر يوسف الخال في كتاب (أسئلة الشعر) أن بعض القائمين على المجلة كانوا ـ ولا يزالون ـ يدينون بالولاء للحزب القومي الاجتماعي ، ص ١٥٧ .

أخرى من خلال دراسة مستقلة موضوعها (مجلة شعر ودورها في حاضر الشعر العربي) أعدها الشاعر العراقي سامي مهدي ، ونشرت في مجلة (الأقلام) العراقية ، وفي جريدة الرياض عدد ٧١١٥ ، ونشر جهاد فاضل مقتطفات من الموضوع في مجلة (آفاق عربية) في العدد السادس ١٩٨٧ ، يقول عنها :

« حملت مجلة (شعر) منذ تأسيسها اتجاهين فكريين :

أولهما : اتجاه قومي حزبي .
وثانيهما : اتجاه اقليمي أو انعزالي لبناني ، وهو الاتجاه الذي غلب عليها في المرحلة الأخيرة من حياتها .

وينتمي إلى الاتجاه الأول : يوسف الخال ، أدونيس ، نذير العظمة ، منير بشور ، محمد الماغوط ، وآخرون ، في حين ينتمي إلى الاتجاه الثاني كل من أنسي الحاج وشوقي أبو شقرا ، وعصام محفوظ ، وأسعد رزق ، وآخرون ، وعلى الرغم مما بين الاتجاهين (خارج المجلة) من خلافات فكرية عميقة ، وخصومات سياسية فقد تعاونا على إصدار المجلة ، وكان هناك مايجمع الاتجاهين على المستويين السياسي والفكري ، فعلى المستوى السياسي كان الاتجاهين يتفقان اتفاقاً تاماً على معاداة فكرة (العروبة) وكل مايمت إليها من أهداف وشعارات وقوى سياسية ، ولا يعترفان بوجود (أمة عربية) ، وينظران إلى تاريخها وتراثها نظرة مغرقة في السلبية ، أما على المستوى الفكري فقد جمع الطرفين اتجاههما ونزوعهما الشديد إلى التغريب [1] ، ويذكر سامي مهدي أن جميع الأسماء التي شاركت في مجلة « شعر » كانوا ينفرون من أية دعوة للعروبة ويتبنون الفكر الغربي بحجة وحدة الحضارة الإنسانية .

ويذكر سامي مهدي مجمل الأنشطة التي مارستها مجلة « شعر » والتي تتمثل فيما يلي :

١ ــ طبع مجاميع قصيدة النثر والترويج لها .
٢ ــ القيام بحركة ترجمة مكثفة للنصوص الفرنسية المعبرة عن آرائهم .

---

١ ــ الرياض ، العدد ٧١١٥ .

٣ ـــ الاتصال ببعض الشعـراء الفرنسيين وتقديم أنفسهم بطريقة توحي بأنهم سفراء الشعر العربي لدى الأوساط الشعرية في العالم .

وهذه الأنشطة تدل بوضوح على هوية المجلة ، وانتمائها وعدائها للتراث العربي .

ويتحدث الباحث سامي مهدي عن الأزمة المميتة لمجلة « شعر » ومن ذلك ماقيل عن علاقات يوسف الخال بالمنظمة العالمية لحرية الثقافة وهي منظمة مشبوهة تمول مجلات تروج لفكر معين ، وكان لمجلة « شعر » دور في عقد مؤتمر الأدب العربي المعاصر في روما عام ١٩٦١ الذي مولته وأشرفت عليه (سيمون جارجي) كما كان لمجلة « شعر » دور في ترويج ماتنشره مؤسسة (فرانكلين) الأمريكية ، وبعد هلاك يوسف الخال كتب عابد خزندار مقالاً في جريدة الرياض قال فيه : « يلوب في نفسي ريبة وشكوك حول اتجاهات المجلة واتجاهات صاحبها وهي اتجاهات أقل مايقال عنها أنها غير عربية » (١) .

موقفه من زملاء دربه :

في الوقت الذي يجتمع فيه زملاء يوسف الخال وشركائه في تحرير « شعر » على عداء العربية والتنكر للتراث فإنهم يختلفون في كيفية تنفيذ مايوكل إليهم ، كما أن المصالح الشخصية فرقتهم بعدئذ ويتضح هذا الخلاف في كتاب (دفتر الأيام) ليوسف الخال ، الصادر في لندن ، وهو مختار لمقالات كتبها يوسف الخال على مدى الثلاثين سنة الماضية ، وفي هذا الكتاب يوجه لوماً شديداً إلى بدر شاكر السياب ، وينعت سعيد عقل بأنه شاعر فاشل ، ورجاء النقاش بأنه (هِرّ) .

أدونيس :

شارك في البداية في تأسيس مجلة (شعر) ثم خرج منها لينشيء مجلة (مواقف) يقول عنه يوسف الخال :

« أدونيس لو كان صادقاً مع نفسه لاعترف من دون خجل أو حياء بأنه إنما خرج من مجلة « شعر » وعليها لأنها لم تعد تفي بطموحاته وحبه

١ ـــ الرياض ، عدد ٦٨٨٥ .

للبروز الاجتماعي ، وميله إلى التفرد في العمل والرأي » (١) .

ثم ينعت أعمال أدونيس بعد تركه لمجلة « شعر » بأنها أعمال هابطة ، وأنه أراد (تشعير) الأفكار الصوفية في إطار عربي مفتعل (٢) .

مع البياتي :

يمدح يوسف الخال عبد الوهاب البياتي مدحاً لامثيل له ، ويقول عنه : « رائد أصيل من رواد الحركة الشعرية الحديثة ، وذو عقلية مرنة ومنفتحة على الرياح الأربع » (٣) ثم تراجع بعد ذلك عن هذا المدح وتحول البياتي عنده إلى شخص يعض اليد التي تطعمه ، والسبب هو أن البياتي وصف الخال في حوار مع بعض الصحف بأنه (قومسنجي) الثقافة الأمريكية ، فرد عليه الخال بعنف وذكّره بفضل الثقافة الأجنبية على الثقافة العربية ، ثم يقرر حقيقة عن الشاعر البياتي الماركسي ويقول له : « إنك بالذات لم تكن رائداً من رواد الشعر الحديث لولا الثقافة الأجنبية » .

رجاء النقاش :

نعت يوسف الخال رجاء النقاش بقوله : « أحد هررة الانتلجنسيا العربية الذين هجموا على غالي شكري ليأكلوه » (٤) وسبب هذا الهجوم أن غالي شكري كتب دراسة وصف فيها يوسف الخال بأنه شاعر معاصر له قضية مما دفع رجاء النقاش وهو ناقد مصري إلى كتابة مقال طالب فيه بإقالة غالي شكري من سكرتارية مجلة (الشعر) المصرية لأنه مدح عميلاً .

نزار قباني :

يمدح يوسف الخال نزار قباني لا لشيء إلا لأن نزاراً أدلى بحديث لمجلة (مواقف) شتم فيها العرب والقضايا العربية ، وقال : نحن نتيجة عصور الانحطاط ، والشاعر هو مصدر الشرعية وهو الحاكم المطلق

---

١ ــ دفتر الأيام / ٢٢٤ .
٢ ــ المصدر السابق / ٢٢٦ .
٣ ــ المصدر السابق / ١٥٩ .
٤ ــ المصدر السابق / ١٣٦ .

الصلاحية .

نازك الملائكة :

شن يوسف الخال في كتابه (الحداثة في الشعر) حملة على نازك الملائكة ، يرد عليها على إثر صدور كتابها (قضايا الشعر المعاصر) ويقول :

« كانت خيبتنا مريرة حين أخذنا الكتاب وكدنا لا نعثر على قضية جوهرية من قضايا الشعر العربي المعاصر » (١) .

وهذا الهجوم سببه أن نازك الملائكة نقدت الشعر الذي ليس له قواعد منضبطة .

الحداثة عند يوسف الخال :

أصدر كتابه (الحداثة في الشعر) عام ١٩٧٨ ومن خلال فصول الكتاب يمكن التعرف على شخصية المؤلف وأهدافه ، فهو يريد تبني جميع معطيات العصر ومفاهيمه ، الصالح منها والطالح حتى لايكون عندنا قضية « إقامة مجتمع حديث في عالم حديث » (٢) ، ويهاجم اللغة العربية لأنها رمز الصعوبة بنظره ، كما يهاجم أي شيء يمت بصلة للحضارة الإسلامية وكل قديم موروث بحجة النظرة الإنسانية ، وفي هذا الخطر كله على الأمة وآدابها وفكرها □



١ ــ الحداثة في الشعر / ٣٣ .
٢ ــ المصدر نفسه / ٥ .

تســـاؤلات

محمد نموس

ياباباً أيـن أحبائـي جـدي عمـي وأعزائـي
زمن قد طال ولم أرهم والشوق يفتت أعضائـي
شوق للجـدة يالهفـي شوق للحب المعطـاء
كم كانت تحنو في رفق تعطي في جود الدأمـاء
كم رحت إليها ملتجئاً كانت أمني في الضراء
ولكـم منعتنـي بعزتهـا وسقتنـي حنـان الآبـاء
ولعمّاتـي شوق يفـري كبدي ويضاعف من دائي
أنـا مشتـاق لأحبتنـا لصغـار الحـي أخلائـي
أخبرنـي عنهـم ياأبتـي أعلمنـي بكـل الأنبـاء
أنا عشت النكبة كاملة مـأساة عـمت أرجائـي
أنا لست صغيراً ياأبتـي أنا أعرف من هم أعدائي
الكفـر بكـل مذاهبـه وبألـوان وبأسمـاء
وبرايـات مختلفـات قـد زخرفهـا للدهمـاء
وشعـارات وأكـاذيب وبأثـواب كالحربـاء

* * *

وبمـاذا أجيبك ياولـدي والقهـر يمـزق أحشائـي
فالجـد حبيس ياولـدي في سجن الظلم بصحـراء

في زنزانات همجية حرست بكلاب الأعداء
آه من تدمر ياولدي فلكم ضمت من آباء
من أم ثكلى من أخت من شبان من أبناء
في الخندق ألقوا ياولدي بزهور الجيل المعطاء
بشباب قد كانوا أملاً لإعادة مجد وضاء
ودعاة الحق هم كانوا في نهضتنا كالطغراء

★ ★ ★

بل عمك طود ياولدي رمق الدنيا باستهزاء
وانضم لقافلة الشهداء ليعلو فوق الأنواء
هم قدوة قوم ماهانوا إذ كانوا جند الخرساء

★ ★ ★

والأهل بأرضي ياولدي شم صمدوا رغم الداء
رغم الزلزال ورغم الخسف وموجة حقد هوجاء
ماهانوا يوماً بل كانوا أبداً كجبال شماء
كجبال بلادي بعلاها كتراب بلادي المعطاء
أعطوا صبراً أعطوا أملاً بقدوم الصبح الوضاء
والليل وإن دام طويلاً أو صار يفوح بيلواء
فسيذهب يوماً ياولدي مافي هذا من شحناء
والصبح سيشرق ياولدي ويضيء بهيم الظلماء
ويعود الإسلام عزيزاً ويزيل عروش اللعناء

حقيقة دعوة ابن تومرت

ـ ٢ ـ

د . حمد بن صالح السحيباني

تحدث الكاتب في المقال السابق عن الأسس العقدية لدعوة ابن تومرت ، وكيف قامت دولة الموحدين ، ويتابع في الجزء الثاني من هذا المقال : كيف تطورت الدعوة والدولة ، والمزالق التي وقعت فيها » .

« التحرير »

خلف ابن تومرت تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي (١) (٥٢٤ ـ ٥٥٨ هـ) ويعتبر عبد المؤمن المؤسس الفعلي لدولة الموحدين الكبرى ـ بالمغرب والأندلس (٢) ـ وقد حاول عبد المؤمن العمل على نشر الدعوة الموحدية لكن انشغاله بالأمور السياسية والعسكرية جعل حماسه للدعوة الموحدية أقل من سلفه .

---

١ ـ حاول عبد المؤمن أن يحذو حذو سلفه ابن تومرت في ادعاء النسب العربي فأشاع ذلك بين الناس ، وقد قال بهذا بعض المؤرخين كالبيذق في كتابه المقتبس ص ١٧ ، وابن أبي زرع في الأنيس ص ١٨٣ ، وابن الخطيب في رقم الحلل ص ٥٨ ، لكن طائفة أخرى من المؤرخين أنكرت هذا الادعاء وبينت بطلانه وبينوا أنه بربري الأصل ينسب إلى قبيلة كومية ومن هؤلاء ابن عذاري : البيان المغرب ٣ / ٥٦ ، ابن خلدون : العبر ٦ / ١٢٦ ـ ١٢٧ .

ويرى ليفي بروفينسال : « أن سلسلة الأنساب الشريفة التي وضعت لعبد المؤمن لم تكن إلا موضوعة اقتضتها حاجة الدعوة » انظر كتاب الإسلام في المغرب والأندلس : ترجمة عبد العزيز سالم وزملائه ، ص ٢٧٥ .

٢ ـ ابن خلدون : العبر ٦ / ٢٣٥ .

ومع مضي الزمن أخذ حماس زعماء دولة الموحدين يقل إزاء الدعوة ، بل إن بعض زعماء الموحدين تجرؤوا فأعلنوا براءتهم مما تحمله من غلو وانحراف حيث يذكر المراكشي أن أبا يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ ـــ ٥٩٥ هـ) ثالث أمراء الموحدين بعد ابن تومرت قال لأبي العباس أحمد بن إبراهيم بن مطرف المري ـــ أحد المقربين إليه ـــ يا أبا العباس اشهد لي بين يدي الله عز وجل أني لا أقول بالعصمة ـــ يعني عصمة ابن تومرت ـــ كما يذكر أبو العباس أيضاً أنه قال له يوماً وقد استأذنه في فعل شيء يفتقر إلى وجود الإمام : يا أبا العباس أين الإمام ؟ أين الإمام ؟ (١) .

ولم يكتف المنصور بهذا بل إنه حاول إرجاع الناس إلى الكتاب والسنة ونبذ تعاليم ابن تومرت التي توغلت في قلوب بعض الناس بالمغرب والأندلس ـــ آنذاك ـــ حيث يذكر المراكشي أن السلطان يعقوب المنصور بعد انتصاره في معركة الأراك (٢) سنة ٥٩١ هـ ذهب لمدينة جيان الأندلسية فخرج أهلها لتلقيه وتهنئته بالنصر فلما اقتربوا منه قدموا أحدهم ويدعى أبا بكر بن هانيء لتكليمه ، يقول أبو بكر :

« ... فسألني عن أحوال البلد وأحوال قضاته وولاته وعماله ـــ على ماجرت عادته ـــ فلما فرغت من جوابه سألني كيف حالي في نفسي فشكرت له ودعوت بطول بقائه ثم قال لي : ماقرأت من العلم ؟ قلت : قرأت تواليف الإمام ـــ أعني ابن تومرت ـــ فنظر إلي نظرة المُغضب ، وقال : ماهكذا يقول الطالب ! إنما حكمك أن تقول : قرأت كتاب الله ، وقرأت شيئاً من السنة ، ثم بعد هذا

١ ـــ المعجب / ٣٦٩ .
٢ ـــ الأرك : من المعارك الأندلسية الحاسمة التي وقعت بين الموحدين بقيادة يعقوب المنصور وبين النصارى بقيادة (الفونسو الثامن) ملك قشتالة وذلك في شهر شعبان سنة ٥٩١ هـ ، وقد تمكن الموحدون من إحراز نصر كبير على أعدائهم النصارى فقتلوا منهم مايربو على ثلاثين ألفاً ، كما أسروا وغنموا الكثير ، وقد وقعت تلك المعركة قرب حصن الأرك غرب قلعة رباح فنسبت إليه (راجع في تفصيلات هذه المعركة كلاً من : المراكشي : المعجب ، ص ٣٨٢ ، ابن عذاري : البيان المغرب ٣ / ١٩١ ـــ ١٩٥ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص ٢٢٢ ـــ ٢٢٣ ، يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس ، ص ٨٧) .

قل ماشئت ... » (١) .

ويضيف المراكشي أيضاً حين حديثه عن عقيدة العامة في ابن تومرت أن يعقوب المنصور استخف بعقول من بالغوا في تعظيم ابن تومرت وتقديسه والعمل بما قال به أو دعا إليه : « لأنه لا يرى شيئاً من هذا كله ، وكان لا يرى رأيهم في ابن تومرت ... » (٢) .

وهكذا نرى أن دعوة ابن تومرت وإن كانت قد تغلغلت في قلوب العامة والسذج من الناس ، في بعض بلاد المغرب الأقصى والأندلس ، فإن ماتحمله من باطل وزيف قد بدا لمن كان عنده شيء من العلم ، مما دفع العقلاء من الموحدين وهم حماتها إلى العمل على إزالتها ، والسعي لبيان وجه الخطأ فيها ، فالمنصور ثالث أمراء الموحدين بعد ابن تومرت عمل على بيان باطلها وسعى لتقويضها ولم يمض على انتشارها بين الناس سوى نصف قرن ، وهي مدة قصيرة في عمر الدعوات ، لكن ماتحمله هذه الدعوة من غلو وشطط جعلت أقرب الناس منها يسعون لتقويضها ــ كما بينا في السطور السابقة ــ .

وهنا قد يرد تساؤل وهو : لماذا لم يعلن المنصور الموحدي للناس صراحة بطلان مادعا إليه ابن تومرت ويعمل جاداً للقضاء على دعوته ؟ وللإجابة على هذا التساؤل يقال : إن الكثير من الناس ببلاد المغرب الأقصى لاسيما العامة وشيوخ الموحدين وزعماء القبائل قد تعلقوا بدعوة ابن تومرت واقتنعوا بصحة ما قال به ودعا إليه ، فلو واجههم المنصور بالنقد الصريح أو العمل الجاد للقضاء على دعوة ابن تومرت لنشأ عن ذلك رد فعل خطير من قبل أولئك القوم ، وهذا بلا شك جعله يكتفي ببيان موقفه منها دون اتخاذ أي خطوات عملية ضدها .

وبالرغم من قلة ما قام به المنصور من عمل ضد دعوة ابن تومرت إلا أن عمله هذا كانت له نتائج طيبة حيث إنه بهذا العمل كسر ذلك السياج الذي أحيطت به دعوة ابن تومرت مما دعا كثيراً من الموحدين لاسيما

---

١ ــ المعجب / ٤١٧ .
٢ ــ المصدر السابق / ٤١٧ ــ ٤١٨ .

لاسيما المنصفين منهم إلى التمعن في حقيقة دعوة ابن تومرت ودراستها بموضوعية وإنصاف ، فبانت لهم حقيقتها وماتحمله من زيف وباطل ، فأخذوا يتحللون منها شيئاً فشيئاً حتى إذا تولى أبو العلاء إدريس الملقب بالمأمون [1] (٦٢٤ — ٦٢٩ هـ) أعلن صراحة خروجه على تعاليم ابن تومرت ، وبين ماتحمله دعوته من زيف وضلال ، وقال وهو على المنبر في مدينة مراكش يخطب الناس : « ... أيها الناس لاتدعوه بالمهدي المعصوم — يعني ابن تومرت — وادعوه بالغوي المذموم فإنه لامعصوم إلا الأنبياء ولا مهدي إلا عيسى (*) وأنا قد نبذنا أمره النحيس ... » [2] كما يذكر ابن أبي زرع أنه بعد أن نزل من على المنبر « كتب إلى جميع بلاده بتغيير سير المهدي وماكان ابتدعه للموحدين وجرى عليه عملهم وسير ملوكهم ، وأمر بإسقاط المهدي من الخطبة وإزالته من الدنانير والدراهم ... وقال : كل مافعله المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل لإبقاء البدع ... » [3] ، كما أرسل المأمون كتاباً إلى المدن المغربية والأندلسية بين لهم فيه الخطوات التي اتخذها ضد دعوة ابن تومرت ، وقد جاء في ذلك : « ... ولتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق ، وأن لا مهدي إلا عيسى ابن مريم ... وقد أزلنا لفظ العصمة عمن لا تثبت له عصمة ... » [4] .

هكذا تجرأ المأمون تاسع أمراء الموحدين فبين للناس صراحة بطلان

---

١ — هو أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور تاسع أمراء الموحدين ، استغل الوضع المضطرب في الدولة الموحدية في آخر عمرها فنبذ طاعة أخيه العادل (٦٢١ — ٦٢٤ هـ) ودعا لنفسه فبويع في أشبيلية ثم أجابه أكثر ولاة الأندلس في آخر عام ٦٢٤ هـ ، فكتب إلى الموحدين الذين ببلاد المغرب فبعثوا للمأمون ببيعتهم لكنهم لم يلبثوا سوى مدة قصيرة حتى نكث شيوخ الموحدين البيعة وبايعوا يحيى بن محمد الناصر الذي تلقب بالمنتصر ، فغضب المأمون على شيوخ الموحدين الذين أصبح ولاؤهم حسب مصالحهم وليس للمصلحة العامة ، وهذا مما ساعد على أن يتخذ عدة إجراءات ضد دعوة ابن تومرت . (انظر تفصيلاً ذلك كلا من ابن عذاري : البيان المغرب ٣ / ٢٥٣ ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص ٢٥٠ — ٢٥١) .

* — يقول أهل السنة والجماعة بنزول عيسى في آخر الزمان كما تواترت بذلك الأحاديث .

٢ — ابن أبي زرع : الأنيس المطرب / ٢٥١ .

٣ — المصدر السابق / ٢٥١ .

٤ — المصدر السابق / ٢٥٢ .

مادعا إليه ابن تومرت ، وأمرهم بنبذه والعودة إلى المنهج الإسلامي الأصيل ، ولم يذكر المؤرخون أن هذا العمل لقي أي معارضة من الموحدين مما يدلنا على أنهم كانوا في ذلك الوقت قد بدأوا يتحللون منها لما بدا لهم بطلانها .

بعض المزالق التي وقعت بها دعوة ابن تومرت :

كان هذا عرض تاريخي لدعوة ابن تومرت منذ أن كانت فكرة وحتى ظهرت إلى حيز الوجود ، وأصبح لها كيان سياسي يحميها ، ويدعو الناس إليها ، وقد بدا لنا من خلال هذا العرض أن دعوة ابن تومرت بالرغم من انتشارها في بادىء الأمر ، وتمكن أصحابها من القضاء على خصومهم المرابطين ، فإن أسسها العقدية التي قامت عليها لم تكن أسساً سليمة بل كانت منحرفة عن الأسس الإسلامية الصحيحة ، وباستقراء تاريخ هذه الدعوة وماخلفه لنا ابن تومرت من تراث فكري ندرك المزالق التي وقع فيها الموحدون ، ومن أهمها :

١ ــ ادعى محمد بن تومرت داعية الموحدين الأول العصمة لنفسه إذ قال عن نفسه بأنه هو المهدي المعصوم (١) ، كما سماه تلاميذه بهذا الاسم فأطلقوا عليه لقب المعصوم حتى أصبح هذا اللقب من أشهر ألقاب ابن تومرت لدرجة أنهم كانوا يطلقونه عليه دون ذكر لاسمه بسبب اشتهاره به !!! ، والعصمة عند أهل السنة والجماعة لم تثبت إلا للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فيما يبلغون عن الله ولم يقولوا بها لسواهم حتى لكبار الصحابة الذين خصهم الله بالفضل : أبي بكروعمر وغيرهما (٢) .

هكذا غالى ابن تومرت في القول بالعصمة لنفسه فنهج بذلك نهج الرافضة الاثني عشرية (٣) الذين قالوا

---

١ ــ انظر في تفصيلات ذلك : البيذق : أخبار المهذي ابن تومرت ، ابن القطان ، نظم الجمان حيث وردت كلمة المعصوم في هذين الكتابين عشرات المرات .

٢ ــ محمد علي الصابوني : النبوة والأنبياء / ٥٥ ــ ٥٦ .

٣ ــ عصمة الأئمة من اعتقادات الرافضة الأساسية فهم يقولون بوجوب عصمتهم من الكبائر والصغائر والخطأ والنسيان . (الشهرستاني : الملل والنحل ١ / ١٩٥ ، ابن تيمية : منهاج السنة ٣ / ١٧٤ ــ ١٧٥) .

بالعصمة لأئمتهم ، مما أوقعهم في انحراف عقدي خطير لأن : « ... من جعل بعد الرسول معصوماً يجب الإيمان بكل مايقوله فقد أعطاه معنى النبوة وإن لم يعطه لفظها ... » (١)

ولم يكتف ابن تومرت بهذا الادعاء بل إنه كان يأمر بقتل كل من يشك (٢) في عصمته (٣) ، ولكي يؤصل هذا الادعاء في نفوس اتباعه ألف لهم كتابه أعز مايطلب (٤) .

٢ ــ ادعى ابن تومرت أنه هو المهدي الذي وعد الرسول ﷺ بخروجه في آخر الزمان حيث قال في خطبته حيث مبايعته إماماً للموحدين سنة ٥١٥ هـ : « الحمد لله الفعال لما يريد ، القاضي بما يشاء ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالهدى الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً ، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل ، وأزيل العدل بالجور ، مكانه بالمغرب الأقصى ، واسمه اسم النبي ، ونسبه نسب النبي ... » (٥)

ويلاحظ هنا كيف تجرأ ابن تومرت فكذب على الله ورسوله حيث عين مكان ظهور المهدي بالمغرب الأقصى ، مع أن الأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي لم تشر إلى ذلك ، وقد تلقى الموحدون هذا الادعاء بالقبول حيث يذكر ابن خلدون (٦) أنه بعد هذه البيعة أصبحوا يلقبونه بالمهدي ، وكان لقبه قبلها الإمام !؟.

وهكذا يبدو لنا أن الكذب على الله ورسوله ، ووضع الأحاديث ونسبتها إلى الرسول من الأسس العقدية التي قامت عليها دعوة ابن تومرت ، وهم بهذا يحذون حذو الرافضة الذين

---

١ ــ ابن تيمية : منهاج السنة ٣ / ١٧٤ ــ ١٧٥ .

٢ ــ أباح ابن تومرت دم كل من يشك في عصمته أو يخالفه فيما يدعو إليه ، ولهذا كان يقوم بما سماه بعملية التمييز لأصحابه وهي التعرف على ولاء أصحابه وإيمانهم بما قال به ، فمن شك في ولائه أو أظهر له شيئاً من المخالفة له أمر بقتله . (انظر البيذق : أخبار المهدي ابن تومرت ، ص ٣٩) .

٣ ــ البيذق : أخبار المهدي ابن تومرت ، ص ٣٩ ، ابن تيمية : منهاج السنة ٣ / ١٧٥ .

٤ ــ سمي هذا الكتاب بأعز مايطلب لأنه بدأه بقوله أعز مايطلب وأسنى مايبتغى وقد ضمنه أهم آرائه في القول بالعصمة وغيرها ، ويعتبر هذا الكتاب من الكتب العقدية الهامة عند الموحدين ، وقد نشر بالجزائر سنة ١٩٠٣ هـ .

٥ ــ ابن القطان : نظم الجمان ، ص ٧٥ .

٦ ــ العبر : ط بيروت ١١ / ٤٧٠ .

ملأوا كتبهم بالأحاديث والأخبار المكذوبة على الرسول ﷺ .

٣ ـــ أنه ألف لتلاميذه كتاباً سماه كتاب التوحيد بلسانهم البربري قسمه إلى سبعة أحزاب عدد أيام الأسبوع ، وأمرهم بقراءة حزب واحد في كل يوم بعد صلاة الصبح (١) ، وقد حوى هذا الكتاب الكثير من الأغاليط والشطحات في الأمور العقدية ، وحتى يضمن تأصيل مافي هذا الكتاب في نفوس أتباعه فإنه ألزمهم بحفظه حيث يذكر ابن أبي زرع الفاسي أن ابن تومرت قال لأصحابه الموحدين : « ... من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بمؤمن وإنما هو كافر لاتجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز ... » (٢) .

بهذا جعل ابن تومرت نفسه شرعاً لأتباعه حيث ألزمهم بحفظ ماجاء به وضمنه كتبه ، وإذا كان الإسلام لم يلزم المسلم أن يحفظ من القرآن الكريم وهو المنزل من عند الله سبحانه إلا قدر مايقرأه في صلاته فإن ابن تومرت داعية الموحدين الأول قد جعل مؤلفه أهم من القرآن حينما طالب الموحدين بحفظه !!.

٤ ـــ إن ابن تومرت أخذ من كل مذهب وفرقة إسلامية مايلائم اتجاهاته ويخدم أهدافه ، ولهذا جاء تراث الموحدين الفكري خليطاً مضطرباً متأثراً بكثير من النزعات الفكرية الضالة ، فهو في مسألة الإمامة يقول برأي الرافضة حيث ضمن كتابه « أعز مايطلب » هذا الرأي ، فقال حين حديثه عنها : « لايصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب الإمامة في كل زمان إلى أن تقوم الساعة ، مامن زمان إلا وفيه إمام لله قائم بالحق ... » (٣) ، كما وافق الرافضة في القول بعصمة الإمام ـــ كما أسلفنا ـــ .

كذلك تأثر ابن تومرت بمذهب المعتزلة (٤) في نفي الصفات عن الله تعالى ، ولهذا سمى أصحابه بالموحدين ، لأنهم في رأيه هم الذين

---

١ ـــ ابن أبي زرع : الأنيس المطرب / ١٧٧ .
٢ ـــ المصدر السابق / ١٧٧ .
٣ ـــ ابن تومرت : أعز مايطلب / ٢٤٥ .
٤ ـــ المعتزلة : فرقة ظهرت في القرن الأول الهجري وسميت بهذا الإسم لاعتزال إمامها واصل بن ـــ

يوحدون (١) الله حقاً لنفيهم الصفات عن الله سبحانه وتعالى (٢) .

كما نهج ابن تومرت نهج الأشاعرة (٣) في تأويل بعض صفات الله سبحانه وتعالى (٤) .

٥ ــ كفر ابن تومرت من لم يؤمن بما يقول ويعتنق مايدعو إليه ، واستباح دمه حتى ولو كان من أتباعه (٥) ، كما قال بكفر دولة المرابطين ووجوب جهادها ، ولتأصيل هذا المبدأ في نفوس أصحابه فقد صرح في كل مناسبة ، كما ضمنه كتبه التي ألفها لهم ورسائله التي كان يبعثها إلى الموحدين حيثما كانوا .

ومما جاء في إحدى رسائله إلى أصحابه : « واعلموا وفقكم الله أن جهادكم ــ يعني المرابطين ــ فرض على الأعيان على كل من فيه طاقة للقتال ، واجتهدوا في جهاد الكفرة الملثمين ... » (٦) .

كان هذا هو رأي ابن تومرت في دولة المرابطين ، تلك الدزلة السنية التي أقامت كيانها على مذهب أهل السنة والجماعة والدعوة إلى الله على هدى من سنة الرسول ﷺ ، فقد

ــ عطاء مجلس الحسن البصري ، ويرى أصحاب الاعتزال اثبات الأسماء وتأويل الصفات خشية التشبيه ، وأشهر ماعند المعتزلة أصولهم الخمسة العدل ، والتوحيد ، والمنزلة من المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وانفاذ الوعيد . (انظر الأشعري : مقالات الإسلاميين ١ / ٢١٦ ــ ٢١٩) .

١ ــ يرى الدكتور حسين مؤنس أن قول ابن تومرت بالتوحيد وتسمية أصحابه بهذا الاسم إنما كان له أكثر من مغزى سياسي بينها بقوله : « ان قوله بالتوحيد ــ يعني ابن تومرت ــ على النحو الذي بينه إنما كان سياسة ماهرة ضد المرابطين ، فقد رماهم بالتجسيم والكفر واعتبر نفسه وأصحابه أنصار التوحيد ، وقد جاوزت هذه الدعاوى على معظم أهل المغرب في زمانه فانضموا إليه ... والمهم عندنا أن ابن تومرت استطاع بدعوى التوحيد التي ابتدعها أن يجمع الناس حوله .... » . (حسين مؤنس : عقد بيعة بولاية العهد : مقال منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، مجلد ١٢ سنة ١٩٥٠ م ، ص ١٤٩) .

٢ ــ ابن خلدون : العبر ٦ / ٢٤٩ .

٣ ــ الأشاعرة هم إحدى الفرق الإسلامية الكلامية ، تنسب إلى مؤسسها أبي الحسن الأشعري ، ويقولون بتأويل جميع الصفات ماعدا سبعاً منها (انظر محمد أبو زهرة : الفرق الإسلامية ، ص ٢٧٤ ــ ٢٧٦) ويرى الطاهر الطرابلسي أن ابن تومرت كان إماماً في طريقة الأشعرية وأنه هو الذي أدخلها إلى المغرب (انظر الطاهر أحمد الطرابلسي : تاريخ الفتح العربي ، ص ٢٠٩) .

٤ ــ الطاهر الطرابلسي : تاريخ الفتح العربي ، ص ٢٠٩ .

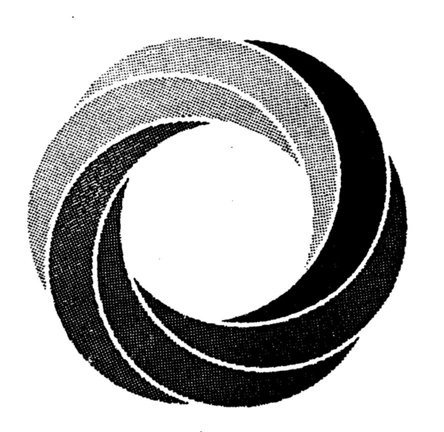
٥ ــ البيذق : أخبار المهدي ابن تومرت ، ص ٣٩ .

٦ ــ الوثائق المغربية ، العدد ١ سنة ١٣٩٦ هـ ، ص ٢٤١ .

طعن في عقيدتهم ، ووصفهم بأنهم مجسمون وكفار ، لاتجوز طاعتهم ، ولا الولاء لهم ، بل يجب جهادهم ، ولهذا قاتل الموحدون المرابطين قتال المسلمين للكفار حسب اعتقادهم ، وماذلك إلا بسبب غلو ابن تومرت وتجرئه على الطعن في أعدائه دون ورع أو تقوى !!.

وبعد هذا العرض السريع لنشأة دعوة ابن تومرت ، والتعرف على بعض الأسس العقدية التي قامت عليها ـــ ندرك بجلاء مدى مافيها من غلو وشطط ، وماشابها من ضلال وانحراف ، وأنها كانت بعيدة كل البعد عن المنهج الإسلامي الصحيح ، ولاشك أن هذا الغلو والانحراف الواضح فيها هو الذي جعل أتباع ابن تومرت غير متحمسين لها بعد موته ، بل بعضهم حاربها وتبرأ منها ـــ كما رأينا ـــ فكان هذا الموقف سبباً لأن تدفن معظم أفكار وأقوال ابن تومرت معه ، ولا يقدر لها الذيوع والانتشار كغيرها من الدعوات الضالة التي ظهرت بالعالم الإسلامي على مر العصور □





شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

- من ينقذ السودان ؟
- ثورة الحجارة ... هل انتصرت
- ليبيا ... اعتقالات بالآلاف
- بداية النهاية

من ينقذ السودان ؟

لو لم يكن للسودان من الكوارث والنوائب سوى ماألفه من موجات المجاعة المتكررة والفيضانات المدمرة التي تعقب مواسم الجفاف الطويلة المهلكة ، نقول لو لم يكن للسودان من الهموم الجسام سوى الذي ذكرناه لكفى أن يكون ذلك مدعاة لاستنفار كل طاقات المسلمين لنجدة ذلك البلد المسلم وانقاذه من محنته التي هو فيها .

بيد أن الحالة هناك هي أسوأ من ذلك بكثير ، وأن الناظر عن كثب إلى مجريات الأحداث في ذلك البلد ليدرك جيداً أن هذا الذي ذكرناه ــ على الرغم من هوله ــ لم يعد في حياة المواطن السوداني سوى ظواهر أخذت تعتادها الأنفس وتتلقاها بشيء من القبول نظراً لتكرار حدوثها من جهة ، ولكثرة المشاكل والمآزق التي تلم بذلك البلد والتي ينفرد هو في مواجهتها من جهة أخرى .

لقد أصبح السودان ضحية للمتآمرين عليه في الخارج وألعوبة بأيدي النفعيين وطلاب الزعامات من أبنائه في الداخل ، ولا يظهر في الأفق أي مخرج من هذه الأزمات طالما بقيت الأحوال السياسية على ماهي عليه واستمرت الحكومة في انقسامها على نفسها ومضيها في علاقاتها مع بعض الأطراف الخارجية التي تقطع الطريق عليها في الحصول على مساعدات محتملة تخفف من وطأة الأزمات التي تعانيها والتي أثبتت الأيام أنها ــ أي هذه الأزمات ــ أكبر من السودان وإمكاناته .

فالحرب الانفصالية التي يقودها قرنق ــ التي تكلف الحكومة مليون دولار يومياً ــ ومطالبه المتجددة كل يوم ليست وليده الأعوام الخمس أو الست الماضية ، بل يرجع اشتعال فتيلها إلى أكثر من ثلاثين سنة ، وإخفاق السودان

في إخمادها دليل على أنها مؤامرة تفوقه حجماً ، وأن أصابع الأعداء الخفية تلعب لعبتها لتركيع ذلك البلد والنيل منه متخذة من الهيئات الدولية أداةً فعالة للضغط عليه وتمرير مخططاته ، فتارة بنك النقد الدولي ، وتارة أخرى هيئات الإغاثة ، وثالثة مجلس الكنائس العالمي ، وهلم جرا .

ومما زاد ارتماء السودان في أحضان هذه المؤسسات إلا سوءاً على سوء ، فبنك النقد الدولي أصبح ثقلاً إضافياً يضاف إلى كاهل الحكومة ، فهو الذي يرسم سياسة البلاد الاقتصادية ، وهو الذي يقرر ماذا يجب أن يزرع ويحصد ، وإليه ترجع مسؤولية تحديد أسعار المواد الغذائية لاسيما الأساسية منها ، كالسكر والشاي والدقيق .

ولقد جر هذا التدخل السافر في الشؤون الاقتصادية إلى كوارث تمثلت باضطرابات واحتجاجات واسعة النطاق ، ومظاهرات جابت شوارع المدن الكبيرة سقط فيها عدد من القتلى والجرحى ، وأصابت الحياة اليومية بالشلل التام .

وجملة القول إن الأحوال في السودان في تدنٍ مستمر ، والحكومة منقسمة على نفسها وعاجزة تماماً عن تقديم أي حل من شأنه أن يخفف من وطأة الأزمات التي تعصف بالبلاد ، الأمر الذي أدى ويؤدي إلى تزايد نقمة الشعب حتى وصل الأمر إلى القيام بمحاولات للإطاحة بالحكومة .

وفي خضم هذه الظروف الصعبة التي يمر بها السودان تلعب المنظمات الدولية ومن ورائها الدول الغربية دوراً خبيثاً لضمان إنجاز المخطط التآمري المعد لهذا البلد .

فقرنق لم يكن بمفرده يوماً قادراً على إرغام الحكومة على قبول مطالبه بإلغاء قوانين الشريعة على الرغم من أن منطقة الجنوب التي تتمركز فيها الأقليات النصرانية والوثنية كانت مستثناة أصلاً من تلك القوانين ، كما لم يكن بمقدوره إرغام الحكومة على الجلوس على مائدة المفاوضات للنظر في مطالبه الأخرى ، قرنق هذا لم يكن بإمكانه قطع هذا الشوط البعيد في صراعه مع الحكومة لولا الضغوط الخارجية التي واجهتها الأخيرة للسير بهذا الطريق .

فقد تحدثت الصحف والمجلات العالمية الصادرة في أواخر العام الماضي ومطلع العام الحالي عن تلك الضغوط ، وكشفت أن الدول الكبرى شرقيها وغربيها ، وعلى رأسها روسيا وأمريكا مجمعة على ضرورة الجلوس مع قرنق والتوصل إلى حل وسط ، ومن هذه الضغوط قيام هولندا بقطع مبلغ (٢٫٥) مليون دولار من مساعدتها للسودان لتحقيق نفس الغرض .

إن قضية جنوب السودان مؤامرة عالمية تستهدف السودان كله ، تغذيها دول مجاورة كأثيوبيا وغيرها ، وليست مسألة حرب أهلية كما تحاول أن تظهرها أجهزة الإعلام العالمية .

إن من حق السودان على الدول العربية مد يد المساعدة له وهو يمر بهذه الأزمات ، ولقد أبرزت التطورات الأخيرة هناك مدى إهمال هذه الدول له .

والأنكى من ذلك أن تلتقي مصالح بعض الدول العربية في المنطقة مع مصالح القوى الخارجية في ضرورة قبول الحكومة السودانية لمبدأ الجلوس مع قرنق على مائدة المفاوضات والنظر في مطالبه .

أين مواثيق جامعة الدول العربية ، وأين ــ على وجه الخصوص ــ اتفاقية الدفاع المشترك المصادق عليها من قبل جميع الدول الأعضاء ؟

وكما قلنا في الماضي : لو كانت الحرب ضد قرنق تدار تحت راية إسلامية حقة يقودها العلماء والدعاة المتجردون ، وتحرك المسلمون في البلدان المجاورة للسودان فقط كمصر ، وليبيا ، والصومال ، وأريتريا ، والمسلمون في الحبشة نفسها ... لو كان الأمر كذلك لشعر الصليبيون بحقيقة حجمهم ، وشعر أعداء الله كلهم بصغارهم وهوانهم [١] □

---

١ ــ انظر العدد الثامن من البيان .

« إن الشعب الفلسطيني كشف للجيل الذي يشاهد تحليل الذرة على أن الذرة الإنسانية لاتحطم فعلاً وأن الأجهزة الضخمة التي تريد تحطيمه قد يصيبها العطب » .

مالك بن نبي

ثورة الحجارة ... هل انتصرت ؟

د . غازي الخطيب

نعم ... هل انتصرت ــ وليس هل ستنتصر ــ ... نعم ، فلو توقفت الحجارة عن الحركة وعادت إلى أماكنها المعتادة ، فلقد انتصرت الحجارة ، ولو لم تحقق إلا ما حققته إلى أن توقفت .

إذا كان لابد لإعلان انتصار الحجارة من أن تؤدي إلى استرجاع فلسطين وطرد اليهود منها ؛ فهي لم تنتصر ولن تنتصر ، ولكن هذا قصور في فهم حقيقة وأبعاد الصراع بين المسلمين واليهود . فالصراع طويل الأجل ، وإن عدتم عدنا . وانتفاضة الحجارة هي مرحلة من مراحل هذا الصراع ، وظاهرة من ظواهره ، وليس بالنتيجة نهايته .

إذن ... فالاجابة بالإيجاب ، مناقضة لمنطق الأحداث وتسلسلها . ولقد انتصرت انتفاضة الحجارة للأسباب التالية :

١ ــ أنجزت الحجارة مالم تنجزه البنادق ، ولعل حامل الحجارة ليس كحامل البندقية ، وليس من العدل مقارنة ماحققته الحجارة مع ماكان يجب أن أو يمكن أن تحققه البنادق .

٢ ــ أزالت الحجارة حجاب الخوف من اليهود الذي هيمن على قلوب أهل الأرض المحتلة خلال السنين الماضية . فالعمل من خارج الأرض المحتلة لم يكن ليجدي في غياب الدعم الفعلي من داخلها ، فكان لابد لفعالية إعلان رفض الاحتلال اليهودي ، أن تقوم انتفاضة من الداخل ، بالرغم من التضحيات

الكبيرة التي تتطلبها ، من قتل وسجن وتعذيب وترحيل وهدم للبيوت .

٣ ــ حطمت الحجارة أسطورة الجندي الإسرائيلي القادر على فعل مايشاء ولا يزال قابعاً خلف الثكنات والمعدات ، ﴿ لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ﴾ فهاهي الحجارة قد جردت الجندي الإسرائيلي من سلاحه التقليدي ووضعته أمام جوهر قوة الإنسان النابع من عقيدته الأخروية ، والتي بانعدامها تفقد أسلحة الدنيا قوتها وفعاليتها .

٤ ــ نقت الحجارة القلوب من حجاب الوهن ، فالإقبال على الدنيا والهروب من الموت لم يكن لينجي أهل الأرض المحتلة من الذل والهوان ، ولا من طغيان الاحتلال ، ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ وقد أردنا غير ذات الشوكة سنين طويلة ، حتى طغى حب الدنيا ولذاتها ورغباتها على حب الآخرة والرغبة في الجنة والشوق للقاء الله .

٥ ــ ردمت الحجارة الهوة بين عالمين : عالم المشقة في مجابهة العدو وعالم الهناءة ورغد العيش بعيداً عن العدو . فالحرب النظامية كان لها ساحات هي غيرها التي يعيشها عموم الناس اثناءها . وساحة المجابهة هي الآن ساحة واحدة متحدة تقع في بقعة جغرافية واحدة ، تلتقي فيها آلام وأحزان رامي الحجارة في الشوارع والمنتظر الداعي في البيوت أو القابع فيها ، وتتعانق فيها أحلام الصغار وآمال الكبار ، ويتفاعل فيها شوق للقاء الله وانسلاخ من حب الدنيا ، وتتحد فيها رغبتان : رغبة في المشي سوياً على صراط مستقيم ، ورغبة في التخلص من اتباع السبل المتفرقة .

وليس لأحد أن ينتقص من دور وآثار انتفاضة الحجارة . وأرجو للحجارة استمرار الحركة ، ليس فقط لرجم اليهود ، ولكن أيضاً لإحياء القلوب بالإيمان عن طريق تمزيق حجاب الخوف والوهن □

ليبيا ... اعتقالات بالآلاف

ذكر القادمون من ليبيا أن اعتقالات واسعة جداً جرت في أوساط الإسلاميين ، وقد تمكن عدد قليل من الشباب من الإفلات من قبضة النظام وعبور الحدود الليبية والانتشار في أرض الله الواسعة .

وذكر القادمون أن الآلاف من الدعاة إلى الله قد زُج بهم في المعتقلات ، وقد علمنا أن عدداً غير قليل من الشباب تم تصفيتهم أثناء اعتقالهم وفي السجون الكثيرة التي استبدلها القذافي بالسجن الذي هدمه .

والغريب في الأمر هو ذلك الصمت الرهيب الذي التزمته أجهزة الإعلام والصحف العالمية إزاء هذه الأحداث الخطيرة :

ـ لو كان هؤلاء نصارى لما سكت عنهم الفاتيكان ولتمكن من تحريك أعوانه من الدول الكبرى والصغرى .

ـ لو كانوا يهوداً ، لتمكن اليهود من تحريك مشاعر الرأي العام العالمي ، ولأقدمت إسرائيل على عمل حربي .

ـ لو كانوا شيوعيين لاتخذ السوفيات موقفاً يحرج القذافي ، ولقطعوا عنه الأسلحة وأمروا خبراءهم بالعودة .

ـ لو كانوا باطنيين لتحركت إيران وعملاؤها في كل مكان ولاختطفوا الطائرات واحتجزوا الرهائن حتى يتم اطلاق سراحهم .

أما هؤلاء أبناء السنة فلا بواكي لهم ، وليس هناك من يحزن لحزنهم ،

وأن يتفضل بالكتابة عنهم .

إن أحداثاً كهذه تبرز حقيقة الألاعيب التي يلجأ إليها نظام كنظام القذافي لتحسين صورته القبيحة أمام الشعب الليبي . فكيف الجمع بين عمل كهذا وبين هدم السجن الذي شارك هو فيه بنفسه ؟ وكيف التوفيق بين هذه الجريمة الجديدة وبين دعوته ــ في الأمس القريب ــ لمنظمة العفو الدولية لنقل مكاتبها إلى طرابلس ؟!.

أين الصحف والمجلات العربية القومية التي مافتئت تهاجم القذافي صباح مساء ولا تكاد تدع صغيرة ولا كبيرة إلا وكان لها فيها كلمة ؟ مابالها هذه المرة قد غفلت عن هذه الأحداث الخطيرة ؟ أم أنها نقاط الالتقاء مع نظام القذافي ؟!.

بل أين منظمة العفو الدولية وباقي منظمات الأمم المتحدة التي تعنى بحقوق الإنسان ؟!!.

كم قلنا غير مرة إن القذافي وغيره من العسكريين لا يقرأون التاريخ ، ولا يتعظون بالأحداث فهؤلاء الآلاف سيتأثر لسجنهم عشرات الآلاف وتزداد عزلة النظام يوماً بعد آخر ، وسيتحدث الدعاة من أبناء ليبيا الذين لا يعرفون الخنوع ولا الذل أن حاكماً عسكرياً حاول تغيير دين الله فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما أخذ غيره من أعداء الإسلام □



بداية النهاية

تمكن المجاهدون الأفغان بقيادة أحمد شاه مسعود من قطع طريق (سالانغ) الذي يصل بين كابل والحدود السوفياتية . كما أصبح مستقبل رئيس النظام الشيوعي الذي تكتنفه الشكول موضع نقاش في الصحافة السوفييتية التي أخذت مؤخراً بالحديث عن خصورة عمليات الشحن الجوي للمواد الغذائية إلى كابل ، وعن القصف الصاروخي المكثف لمدينة جلال آباد من قبل المجاهدين ، وإذا ماستمر المجاهدون بقطعهم للطريق فمن غير المتوقع أن تتمكن حكومة كابل من الصمود أكثر من أشهر قلائل .

وتواجه العاصمة نقصاً في مخزونها من المواد الغذائية على الرغم من عمليات الشحن الضخمة المرسلة من الاتحاد السوفييتي ، وأصبح تخزين المواد الغذائية ظاهرة منتشرة ، وبات اصطفاف العامة في طوابير طويلة على المخابز أمراً مألوفاً .

وسيأتي الوقت الذي ينفد فيه صبر المدافعين عن مدينة كابل . كما أدى قطع المجاهدين لأنبوب النفط الممتد من الاتحاد السوفييتي إلى مطار العاصمة إلى أزمة شديدة في الوقود حالت دون استخدام الأهالي لسياراتهم ، أما سيارات الأجرة ــ فعلى ندرتها ــ فقد أصبحت أجرتها خيالية .

ومن المرتقب أن يحتفظ المجاهدون هذه المرة بسيطرتهم على الطريق الاستراتيجي نظراً لعدم وجود تغطية جوية سوفييتية ، ولقلة مهارة الطيارين الأفغان □

فورين ريبورت ٢٠ / ٤ / ١٩٨٩ م



منع الحجاب في تركيا

شهدت شوارع مدينة استانبول ومدن تركية أخرى في الأسبوع الأول من شهر مارس الماضي مظاهرات كبيرة نظمها الطلبة المسلمون احتجاجاً على قرار الحكومة الدستورية بمنع الطالبات المسلمات من ارتداء الزي الإسلامي ، لاسيما غطاء الرأس في أروقة الجامعة ، وقد قام رجال الشرطة باعتقال عشرات من المتظاهرين .

مجلة ميدل إيست انترناشونال
١٧ / ٣ / ١٩٨٩ م

مجاعة في بنغلاديش

تتعرض المناطق الوسطى والشمالية من بنغلاديش إلى موجة جفاف حاد ، وقد ألحقت هذه الظروف المناخية السيئة أضراراً بالغة بالدواجن والمزروعات مما

عرض حياة الآلاف من السكان إلى الخطر ، وقد ناشدت المنظمات والتجمعات الشعبية الجهات الإدارية إلى الإسراع بإيصال المواد الغذائية إلى المناطق المتضررة .

التايمز ١٢ / ٤ / ٩٨٩ م

حملة إسرائيلة جديدة في افريقيا

قررت كينيا استئناف علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل ، ويأتي قرار كينيا هذا ثمرة أولى للجهود المستمرة التي تبذلها إسرائيل من أجل فك عزلتها في القارة الإفريقية .

وكانت دول أفريقية أخرى : (زائير ١٩٨٢ ، ليبريا ١٩٨٣ ، ساحل العاج ١٩٨٦ ، الكامرون ١٩٨٦ ، توغو ١٩٨٧) قد وافقت على إعادة علاقاتها مع الدولة اليهودية . ومن المعروف أن معظم دول منظمة الوحدة الإفريقية كانت قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل في أعقاب حرب عام ١٩٧٣ (*) .

فورين ريبورت ١٢ / ١ / ١٩٨٩ م

معونات هندية لنظام كابول

شرعت الحكومة الهندية في برنامج شحن مساعدات إنسانية - للنظام

* ـ انظر البيان ، العدد ٢ ، ٨ .

الشيوعي في كابول ، في حين أعلن المجاهدون الأفغان عن اعتقادهم أن مايقرب من (٦٠٠) مستشار عسكري هندي قد تم إرسالهم إلى أفغانستان لدعم نظام نجيب الله ، ومن جهة أخرى فقد أعرب مسؤولون رسميون هنود لوزير الخارجية البريطانية ـــ خلال جولته الأخيرة لجنوب آسيا ـــ عن تفاؤلهم ببقاء مدينة جلال آباد بيد القوات الشيوعية إلى الأبد .

الأوبزرفر ٢ / ٤ / ١٩٨٩ م
الاندبندت ٣ / ٤ / ١٩٨٩ م

أوزبكستان ... عودة إلى العربية

ذكرت وكالة أنباء أوزبكستان أن عدة آلاف من أهالي مدينة طشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان ـــ التي تحتلها روسيا ـــ خرجوا في مظاهرات طافت شوارع المدينة يوم ٤ / ٣ / ١٩٨٩ ، وطالب المتظاهرون السلطات بجعل لغة البلاد المحلية هي اللغة الرسمية بدلاً عن اللغة الروسية .

ومما يجدر ذكره أن ظاهرة جديدة تعم مختلف الجمهوريات المسلمة تتمثل في حرص المسلمين فيها على تحقيق مطالب عدة ، من بينها جعل اللغة المحلية لغة رسمية ، العودة إلى استخدام الحروف العربية بدلاً عن الروسية التي يعمل بها حالياً ، بالإضافة إلى إعادة كتابة تاريخها والذي اعترته حملات التشويه والطمس من قبل الروس .

الجارديان ويكلي ١٩ / ٣ / ١٩٨٩ م

خسائر إسرائيل في الانتفاضة

قدرت مصادر الجيش الإسرائيلي أن ماأنفقته المؤسسة العسكرية الإسرائيلية في مواجهتها للانتفاضة قد بلغ (١٥٠) مليون دولار ، وفي الوقت ذاته فقد أدت سياسة الجيش في زج أعداد كبيرة من الجنود في محاولة منها لإرهاب الفلسطينيين ، إلى الحاجة إلى استدعاء قوات الاحتياط خلال فترات متقاربة جداً مما تسبب في إحداث فوضى وعدم انتظام في إدارة الجيش .

وفي الوقت ذاته فقد ساقت الاضرابات وقوانين حظر التجول التي تفرض على مدن الضفة الغربية إلى ظاهرة تغيب أعداد كبيرة من اليد العاملة الفلسطينية عن أعمالها في المصانع والشركات اليهودية ، ويشكل مايربو على (١٠٠) ألف عامل فلسطيني عصب الحياة في كثير من الميادين لاسيما الزراعة والإنشاء .

ومن جهة أخرى فقد كانت خسارة إسرائيل لأسواقها في الأراضي المحتلة ضربة أخرى لاقتصادها ، فقد أدت استجابة الفلسطينيين لدعوات مقاطعة البضاعة الإسرائيلية إلى انخفاض حاد في مبيعات إسرائيل إلى الأراضي المحتلة والتي كانت قد بلغت عام ١٩٨٧ بليون دولار ، أي المرتبة الثانية بعد أمريكا ، كما خسر كثير من أصحاب المصانع المتخصصة في صناعة سلع معينة للسوق الفلسطيني تجارتهم بسبب قلة الإقبال عليها ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان لأحداث الانتفاضة بشكل عام الأثر الرئيسي في تداعي العوائد التي تجنيها إسرائيل من السياحة ، فبدلاً من أن ترتفع تلك العوائد بنسبة ٢٠٪ كما كان مخططاً لها فقد كشفت الإحصاءات أن خسارة إسرائيل في هذا الجانب قد بلغت (٢٠٠) مليون دولار □

مجلة ساوث ، آذار / مارس ١٩٨٩ م

أهلكناهم لما ظلموا

تواجه تايلاند كابوس انتشار مخيف لجرثومة مرض الإيدز ، ففي حين كان عدد حاملي جرثومة هذا المرض ١٩٨ شخصاً عام ١٩٨٨ ؛ إلا أن هذا العدد قفز إلى (٤٠٠٠) في نهاية شباط (فبراير) ١٩٨٩ ، ومن المتوقع أن يتضاعف عدة مرات مع نهاية هذا العام .

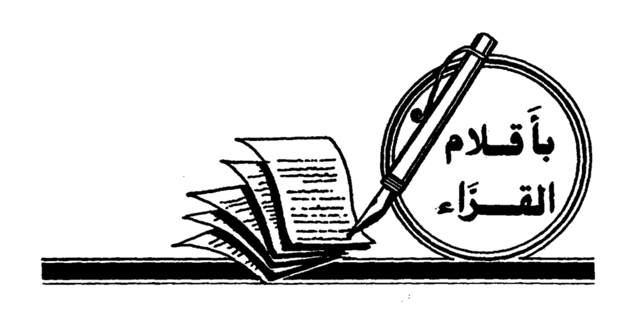
ومع هذا فلا يبدو أن هذه الإحصائيات سترد ع مالكي أمكنة البغاء وتجار الفاحشة .

وقد وصلت أنباء الإيدز إلى أسماع الشعب هناك في وقت متأخر ، فقد عملت الحكومات المتعاقبة على إخفاء هذه الحقائق حتى لا يتضرر مرفق « السياحة » الذي يدر العملة الأجنبية على البلاد .

ومن المعلوم أن مصطلح السياحة يطوي تحته هذه التجارة الخبيثة ومايتعلق بها من رقيق أبيض ، وتشجيع للفواحش ، وجعلها مصدراً للربح محمياً بسلطة القانون ، هذا وبلغ عدد النساء اللاتي يتعاطين مهنة البغاء في تايلاند أكثر من (٨٠٠) ألف امرأة .

ومن جهة أخرى فقد ارتفع عدد متعاطي المخدرات من ١٪ إلى ٤٠٪ خلال ١٨ شهر □

الغارديان ويكلي ٩ / ٤ / ١٩٨٩



نصيحة إلى المجاهدين الأفغان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

إخواني المجاهدين :

أما وقد أصبح النصر قاب قوسين أو أدنى فإني أحببت أن أنصح لكم مصداقاً لقوله ﷺ : « الدين النصيحة »

إن الجهاد ليس هدفاً تنتهي عنده مقاصد الإسلام ، ولا حتى إقامة الدولة الإسلامية هدف تتوقف الجهود عنده ، كل ذلك وسائل لغاية أعظم وهي إقامة شرع الله في النفوس وعبادته حق عبادته ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ فجعل الغاية والمقصد هو عبادته عز وجل ، وجعل الجهاد لتكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا

والنبي ﷺ أقام الدولة الإسلامية في المدينة لا للدعة والأمن والاطمئنان ، وإنما أقامها لتكون منطلقاً لجيوش تجاهد وتكسر القيود الجاهلية المفروضة على جنس الإنسان .

وإني أريد أن تحذروا من المنافقين الذين يريدون أن يقطفوا ثمار الجهاد تحت مسمى الديمقراطية أو تحت مسمى الوحدة التي تضمهم ، ولو

استعرضتم السور المدنية في القرآن الكريم لوجدتموها مليئة بالتحذير من المنافقين الذين يوالون أعداء الله وأتباعهم ، فلقد قام الحلف الطبيعي بين المنافقين واليهود في المدينة وهاهو اليوم يقوم مرة أخرى باختلاف في الأدوار ، فلا تحالف ولا توحد مع من يعادون الله ورسوله حتى يتوبوا وينيبوا ، وهم إن تابوا فهي تنفعهم عند الله ، ولكن لا يولون شيئاً من أمر المسلمين .

وأخيراً أذكركم بموقف النبي ﷺ لما دخل مكة سنة الفتح ورأسه يكاد يلامس ظهر بعيره تواضعاً لله ، وما ذلك إلا لعلمه بأن النصر من الله لا بعدته ولا عتاده ، وكما نصركم الله لما نصرتموه في جهادكم سينصركم على من تحالف ضدكم ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ .

أسأل الله أن ينصركم ويثبت أقدامكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد العزيز الشرقي

□ □ □ □

رسالة إلى إخواني الوعاظ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إخواني : إني أحبكم في الله ... يامن اختاركم الله لتبليغ دينه إلى أمة محمد ... وكفى بهذا سناءً ورفعة ومجداً وشرفاً .

إن أفضالكم لاتعد وحسناتكم مضاعفة إن شاء الله ، فكل يوم نرى النتائج باهرة ونسمع الأخبار سارة .

وحرصاً منا على ازدياد الثمار والحصول على أفضل النتائج .. إليكم النقاط التالية مختصرة :

١ ــ التعارف وازدياد التآلف ... لتأنس القلوب بين الجيران أنفسهم .
٢ ــ الطرق على الحديد ساخناً بعد الموعظة سيجد الأخ قلوباً مفتوحة وآذاناً مستعدة ، فليستفد من هذا .
٣ ــ التقرب إلى أبناء جماعة المسجد والانبساط معهم ... وقد يكون هذا هو السبيل الوحيد للالتقاء بهم .

٤ ــ الاستفادة من أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية في العرض والمناقشة ، والرد بدحض الحجة ، ومقارعة الخصوم ، وفي الإيجاز والانتقال وفي القصة والوصف ، وغير ذلك من المواضيع في البيان والأداء والإلقاء .

٥ ــ يجب التركيز على موضوع واحد ، والاختصار قدر الإمكان ذلك أن الاسهاب وتعدد المواضيع تتعب المستمع فيمل فيضيع الجهد ويفتقد المراد والقصد .

ومن التركيز : الوقوف عند الحادثة بعد سياقها وعند الدليل بعد إيراده بالشرح والتوضيح وأخذ الفوائد منه ليتم الاستيعاب .
أما رأيتم إلى القرآن وأساليبه إذا أتى على النعيم ووصفه ورغب فيه ، أو أتى على العذاب ووصفه وزجر عنه .

٦ ــ ينبغي الإكثار من ضرب الأمثلة في الوعظ فإنه يزيد من التشويق والالتفات إلى الموضوع .. كما يجب أن يكون المثال واقعياً معروفاً قريباً من المخاطبين .

٧ ــ مايخرج من القلب يدخل إلى القلب ... وهنا يجب ألاّ يتقدم الواعظ إلا وهو يستحضر النية الصادقة والقصد النبيل ... فعندئذ يمضي بعزيمة متوكلاً على ربه ... ولا يحتقر من المعروف شيئاً فرب كلمة صغيرة في مبناها عظيمة في معناها سيجدها إن شاء الله قوية تخترق أغلفة القلوب ... رقيقة تهز المشاعر ... صادقة تزيل ما ران على القلوب .

٨ ـــ مواضيع البشارات ... لا أدري لماذا لايتطرق إليها الوعاظ ، إن الإنسان ليعجب أن يرى معظم ـــ بل جميع ـــ مواضيع الوعظ سياطاً تلهب آذان المخاطبين ... وإن كانوا في شك مما أقول فليرجعوا إلى القرآن وكتب السنة فهي بين أيديهم !

٩ ـــ المجادلة الجادة للبحث عن أساليب جديدة فلكل وقت أسلوبه ... ولكل مكان عرضه المميز ... وعند الاقتناع بتغيير الأسلوب وأهميته لن نعدم البدائل المفيدة فكل جديد في هذه الحياة يبلى ... وكل مكرر يُمَل .

١٠ ـــ الاستفادة من طاقاتنا الداخلية ... أعني الجلوس المنفرد مع النفس مباشرة وجهاً لوجه للتفكير العميق باستخراج الآراء لئلا تضيع الأعمار ونحن نتلقى أفكار الآخرين فقط ، وتمضي الدهور بتعاقب الليل والنهار ونحن واقفون مكاننا ... والحمد لله أولاً وأخراً □

أخوكم : أبو محمد



مـــارأيـــك ؟

مارأيك أخي المسلم أن تخصص ساعة من يومك لقراءة جزء من كتاب الله ، ذلك الكتاب الذي يصلح لك دينك ودنياك ويسعدك في الدنيا قبل الآخرة .

فالله سبحانه وتعالى قد وضع عشر حسنات لكل من يقرأ حرفاً من كتابه ، قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الترمذي .

لماذا لا نعكف على هذا الكتاب ؟ ولماذا لانحفظ منه ولو بعض آيات الله سبحانه يقول : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ . وهذه الآيات سوف ترفعنا درجات في الجنة لقوله ﷺ : « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » رواه أبو داود والترمذي .

فالحياة فرصة لن تعوض ، يجب علينا استغلالها بما يعود علينا بالنفع في الدنيا والآخرة ، ولنضع نصب أعيننا قوله ﷺ : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لايقرأ القرآن كمثل التمرة لاريح لها وطعمها حلو » من حديث متفق عليه .

وإذا كان أحدنا لايحسن قراءة القرآن أو يتعتع فيه ولذلك لايقبل عليه فنذكره بقول رسول الله ﷺ : « الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به ، مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » متفق عليه .

فهذا بعض ماأعده الله سبحانه وتعالى لقارىء القرآن . فلماذا نضيع كل هذا الثواب العظيم .

ولماذا نترك الكتاب الذي لامثيل له في هذه الدنيا وهو الذي يشفع لقارئه

يوم القيامة .

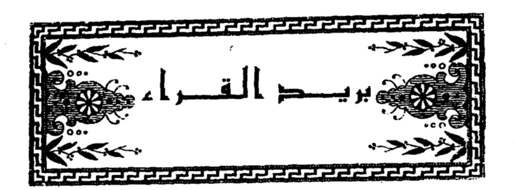
فاللهم اجعلنا ممن يقرؤون كتابك آناء الليل وأطراف النهار ، وممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

إيهاب عبده نفادي

ومن الأخ إبراهيم الغامدي ، جدة ، مسجد الصبر جاءت هذه المساهمة :

أمــاه

كـرهتُ عـيش النفــاق	كـرهت عـيش الدجـل
كـرهت عيش السهــول	أريــد عــيش الجبــل
إيمــان قلبــي ضعيــف	دنيــاي صارت ملــل
أمــاه أرجــو جهــاداً	لاتحرمينــــي الأمــــل
أمــــاه لاتعذلينـــــي	مــاذا يفيــد العــذل
أمــــاه لاتمنعينـــــي	بالدمـــع أو بالقبــــل
أمــاه هيــا اتركينـــي	قـد حـان وقت العمـل
أمــاه كفــي ملامــاً	فالخـطب حقـاً جلــل
إخوانــــا بانتظـــار	أمـــي كفانـــا كسل
أمــاه لست عصيـــاً	كلا ، ولا بي خبـل
لــن أستحيــل جبانــاً	أبكـي وأرثـي الطلــل
بالدمـع نهـوي جميعـاً	بالسيــف نبنـي الـدول
لاتفرقـي مـن وفاتـي	لكــل نــفس أجــل
أمــاه أحيــي خنــاساً	والمنجبــــــات الأول



الأخ مهدي علي قاضي ــ الخبر .

وصلتنا رسالتك ونشاركك اهتمامك بأمر تعاون المسلمين فيما بينهم ، ونحن نرسل (البيان) للجهة التي ذكرت ، وندعو الله أن يبارك في كل جهد مثمر لرص صفوف المسلمين وتعاونهم .

* * *

الأخ : القويفلي ــ المذنب .

وصلت رسالتك ، وجزاك الله خيراً على حرصك واهتمامك ، وعلى اقتراحاتك المفيدة .

* * *

الأخ : عبد الله محمد ماجد الفراج ــ الرياض .

ماسألت عنه حول موضوع دورات اللغة والسكن في بريطانيا ، سنجيبك عنه برسالة تفصيلية إن شاء الله ، وشكراً على ثقتك بالمنتدى .

التجارة من أسباب امتلاك أوربا للشرق

للشيخ محمد رشيد رضا
رحمه الله

لقد علم الأوربيون أن حرب الدراهم والدنانير ، أنجح من حرب المدافع والبوارید ، وقد امتلكوا بهذه الحروب الذهبية والفضية أكثر بلاد الشرق ، فالانكليز ماستولوا على الهند بتكتيب الكتائب ، وسوق الأساطيل بالفيالق والجحافل ، وإنما هي جمعية تجارية وطأت المسالك ومهدت السبل تظللها السلطة ويؤيدها النفوذ اللذان يقيمان حيث تقيم ، وكذلك شأن شركة النيجر في أحشاء أفريقية .

واليوم ينعم الانكليز على الحكومة المصرية بثمانمائة ألف جنيه ونيف لافتتاح السودان وتصرح وزارتهم بأن الإنصاف يقضي عليهم بمساعدة مصر بالإنفاق على فتح السودان لأنها شريكتها بفوائده التجارية ومعناه أن تستأثر بالتجارة وتختص دون أوربا بهذا الفتوح المعنوي الذي يتبعه التملك اسماً ومعنى كما هو المعهود في الهند والنيجر وغيرهما ، ومعلوم أن الحكومة المصرية لاتجارة لها وبهذا يحتج عليها المحتلون في

إجبارها على بيع سكك حديد السودان بعد الفتح .

يقولون إن فائدتها العسكرية تنتهي بالفتح والحكومة المصرية لاتجارة لها ولايليق بها التجارة فمن المصلحة أن تباع هذه السكك لشركة تجارية ويرجح الانكليز على سائر الأجانب بما أنفقوا من أموالهم وماأرهقوا من رجالهم والحمد لله لا شركات وطنية لنا فنقول انها ترجح وتقدم حتى على الانكليز .

ابتاع أخوان من الفلاحين عدة من الدجاج « الفراخ » لأجل تربيتها والانتفاع ببيضها ، وكان أحدهما ذكياً والآخر بليداً مغفلاً ، فقال الذكي للبليد تعال نقتسم واتفقا في القسمة على أن تكون الدجاجات للبليد وبيوضها لأخيه فكان هو يتعاهدها بالأكل والشرب والمبيت وينفق عليها ويخلي بين أخيه وبين بيوضها ويأكل منها ماشاء ، وصار الأخوان مثلاً في بلدهما في تلك القسمة الضيزى .

كذلك شأن الانكليز مع الحكومة المصرية في السودان وشأن سائر الأوربيين في فتوحاتهم المعنوية يقنعون بامتلاك المنافع وثمرات البلاد ويدعون الاسم لأهلها ولكن إلى أجل مسمى حتى إذا ماجاء الأجل يصرحون بالامتلاك الاسمي أيضاً .

كل هذا والشرقيون وادعون ساكنون وإذا تحركوا فإنما تكون حركتهم ميلاً مع ريح الأجانب انخداعاً لها أو رهبة منها لاندهاشهم بعظمتها التي ماجاءتها إلا من الشركات المالية وهي أيسر شيء عليهم لاسيما قبل تمكن الأجانب من بلادهم ، لو أن للشرقيين عقولاً ذكية وتربية وطنية لما رضوا أن تكون بلادهم بينهم وبين الأجانب كالدجاجات بين ذينك الأخوين « فكيف والأمر أعظم من ذلك » ولقاوموا جنود التجارة الفاتحة أشد المقاومة .

اندفع الغرب على الشرق بخميس من الأزياء وكتائب من الحلي وجحافل من الماعون النفيس وفيالق من اللذائذ فلم تجد هذه الجنود

المجندة من الشرق أقل مقاومة ولا أدنى مدافعة فطفقت تفتك في النفوس بعوامل الترف وفي الأموال بعوامل السرف ومازال القوم يعدون هذه العوامل من علائم الشرف حتى وقفت بهم على شفا جرف وأكبتهم على مناخرهم في مهاوي التلف .

لا ننكر أن من هذه الجنود مالا قبل لنا بدفعه الآن كالضروري من الأدوات والماعون والنسيج وكلامنا إنما هو في الزخارف الكمالية كالحلي وماعون الزينة ومادة الترف من الأشربة وغيرها فهذه هي التي تنسف ثروة البلاد وترميها بالفقر والعجز ، فرب حاكم أو مسؤول ينفق على الترف والبذخ مايكفي لانشاء مدارس أو معامل يحيي بها صقع من الأصقاع أو إقليم من الأقاليم .

فالترف مدعاة الدمار والفناء الاجتماعي إذا لم يقرن بتربية صحيحة تقي من أدوائه وتعصم من بلائه ، فعسى أن يتنبه الشرقيون لما ذكرنا فيحترزون من مضار الترف وتقليد الإفرنج بما يعود عليهم وعلى بلادهم بالدمار ويجتهدون بتربية أولادهم تربية دينية وطنية لعلهم يستردون مافقدوا ، ويسترجعون ماسلبوا ، وماذلك على الله بعزيز □

المنار ١ / ١٧



حارسة القلعة

د . محمد محمد بدري

إلى أختي المسلمة ... إلى من رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، إلى من رضيت بعائشة بنت الصديق ، وأسماء وفاطمة أسوة حسنة ... إلى من أعزها الله بالإسلام ووقفت وسط جاهلية القرن العشرين تمسك بحبل الله المتين وتحرص على مرضاته ، وترغب في الفرار إليه لتفوز في الدنيا والآخرة وتكون لها الحياة الطيبة ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ﴾ ...

إلى شريكة العبد المسلم وحارسة قلعة العقيدة ... إليها في بيتها (بيت الدعوة) .. أهدي هذه الكلمات ، لتعلم أنها في بيتها تقف على خط الدفاع الأول ضد أعداء الإسلام ، وأن وقفتها هذه تمثل نقطة الارتكاز في دائرة امتداد هذا الدين ، وأن نسيج ثوبها الشرعي هو نسيج الراية الإسلامية في الصراع بين الإسلام والجاهلية .

أختاه ... تعلمين أنه في مكة ، وحين كان الإسلام يعيش غربته الأولى ، كانت المرأة بجانب الرجل في مسيرة الدعوة أختاً وزوجاً وأماً تعيش همه ... بل كان ربع المجتمع الوليد في مكة من النساء ، وعاشت المرأة هذه المرحلة تحاول مع زوجها إزالة غربة الإسلام وتحفظ السر

وتكتمه ...

وتعلمين — ياأختاه — أن هـذه الغربة الأولى للإسلام ... غربة النبي ﷺ ، وأسرة ياسر وبلال وغيرهم .. قد عادت للذين يقولون ربنا الله لا قيصر ، والحاكمية لله لا للبشر » .. وأن هؤلاء الغرباء مكلفون أن يصلحوا ماأفسد الناس ، فمهمتهم كمهمة الغرباء الأوائل أن يزيلوا غربة الإسلام ويمكنوا له في الأرض !.

وتعلمين — ياأختاه — أن من أهم حقائق صراعنا مع الجاهلية من حولنا أنه صراع اجتماعي قائم بين واقع إسلامي وواقع جاهلي ، وأننا في حاجة إلى سنوات طويلة من صمود الظاهرة الاجتماعية الإسلامية في وجه الظاهرة الاجتماعية الجاهلية الغالبة الآن ، والتي تحمل بين طياتها عوامل فنائها من العفن الخلقي والشقاء المعيشي !!.

وتعلمين — ياأختاه — أن بيتك خلية من خلايا كثيرة يتألف منها الجسم الحي للواقع الإسلامي ، فبيتك قلعة من قلاع هذا الدين ، وفي هذه القلعة يقف كل فرد على ثغرة حتى لاينفذ إليها الأعداء !؟.

وأنت — ياأختاه — حارسة هذه القلعة ، ولقد أفردك الرسول ﷺ بالمسئولية فقال : « والأم راعية في بيتها ومسئولة عن رعيتها » فأنت حارسة النشيء الذي هو بذور المستقبل ، ... وطفلك اليوم هو رجل الغد وامرأة الغد ، ولكل دوره في الجهاد لإعلاء كلمة الله في الأرض ، وينبغي أن يؤهل لهذا الجهاد منذ مولده بإعطائه القدر المضبوط من الحب والحنان والرعاية بغير نقص مفسد أو زيادة مفسدة !! ثم حماية مبادىء الإسلام ومفاهيمه في ذهنه

أعلم — ياأختاه — أنك تشعرين بثقل الوطأة الساحقة لهذا المجتمع بكل مافيه من مكائد ومثيرات ، وبما فيه من تقاليد موروثة تأخذ في بعض الأحيان طابع العقيدة وتضغط على حسك — ياأختاه — أضعـــــاف ضغطها على حس الرجل ، وهذا يتطلب منك مضاعفة الجهد وأنت قادرة على ذلك — بإذن الله — فأنت صاحبة عقيدة قوية واهتمامات عالية ،... فهدفك عبادة الله وحده لاشريك له ، ورسالتك العمل على بناء المجتمع المسلم ، ومسئوليتك تربية جيل مسلم ، ووجهتك رضا الله

وجنته في الآخرة !!

ولاشك — ياأختاه — أنك لكي تقومي بدورك الحضاري على أتمه لابد أن تعرفي واقعك ، وعندها ستجدين أن دورك يتطلب قسطاً من الصفات الأخلاقية والفكرية والعقائدية .. بل كل الصفات التي تلزم مجاهدة في معركة بين الحق والباطل ، معركة يقف فيها أمامك أكابر مجرمي قرانا ينفذون أوامر أسيادهم من اليهود فينشرون فكراً قذراً وأدباً مريضاً يحاولون به تدمير الأسرة ، بل وتدمير جميع المعوقات الأخلاقية حتى يخرجوا أجيالاً مدمرة مهدمة لاتعرف حقوق الله !! وصدق الله العظيم ﴿ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ، ومايمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ﴾ . وصدق رسول الله ﷺ « صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

فالرسول ﷺ يربط في هذا الحديث بين الاستبداد السياسي وبين الانحلال الخلقي !! فاحذري — أختاه — المجرمين الذين يريدون أن يسيروا بك بخطى سريعة وحاسمة إلى الجاهلية الأولى أو إلى جاهلية القرن العشرين ؟!.

إنهم يقولون لك إن الرجل قد ظلمك حين فرض عليك ارتداء الحجاب ، ولابد من التخلص من هذا الظلم وخلع الحجاب ؟! .. فقولي لهم — ياأختاه — لم يكن الرجل هو الذي فرض الحجاب على المرأة فترفع قضيتها ضده لتتخلص من ظلمه ، إنما الذي فرض الحجاب على المرأة هو ربها وخالقها الذي لاتملك — إن كانت مؤمنة — أن تجادل فيما أمر به ، أو يكون لها الخيرة في الأمر ﴿ وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ ... وقولي لهم : لقد أسلمت نفسي لله وخرجت من إسار الشيطان ورضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وارتقيت في فكري وسلوكي .. ولله الحمد والمنة .

وهم يقولون لك — ياأختاه — أن

أختك الأوربية قد حملت قضيتها وأخذت حقوقها ، وقضايا المرأة واحدة في كل بلاد العالم ؟!!..

فقولي لهم باديء ذي بدىء لا أخوة بيني وبين الأوربية لأن المسلمة لا تؤاخي المشركة !!..

وأما عن الحقوق التي تزعمونها للمرأة الأوربية ، ففي الحقيقة لقد كانت هذه المرأة ضحية من ضحايا المجتمع الذي ـ حررها ـ فقذف بها إلى المصنع والمكتب ، وقال لها : عليك أن تأكلي من عرق جبينك ، في بيئة مليئة بالأخطار على أخلاقها ، فتركها في حرية مشئومة ليس لها ولا للمجتمع فيها نفع ، ففقدت الشعور بالعاطفة نحو الأسرة ، وأصبحت بما ألقي عليها من متاعب العمل صورة مشوهة للرجل دون أن تبقى امرأة ، وهكذا حرم المجتمع من هذا العنصر الأساسي في بناء الأسرة ، وجنت أوربا ثمار هذه الأسرة المنحلة مشكلات كثيرة ... تلك هي الحقيقة يامن تحاولون إعطاء كلمة « تحرير المرأة » معنى السفور والاختلاط ، بينما الإسلام يرى أن التحرر إنما هو في الحجاب ، فقد كانت المحجبة هي الحرة والسافرة هي الأمة ... فالسفور هو العبودية .

وهم يقولون .. ويقولون .. ويقولون ... ولسان حالهم يشير إلى اليهود والملاحدة والفاسقين إشارة الحب والرضى ﴿ هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾ ولما كان هذا هو ادعاؤهم واعتقادهم ، فأجيبيهم ـ ياأختاه ـ بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾ ...

وقولي لهم ـ ياأختاه ـ لقد ودعتُ مواكب الفارغات وأسأل الله لكم الهداية ولي الثبات ..

أختاه : كانت هذه بعض التحديات التي تحيط بك من خارج بيتك متمثلة في مكر وكيد أكابر المجرمين وذيولهم !! فماذا عن التحديات التي تواجهك داخل البيت ؟

لاشك ـ ياأختاه ـ أن بيتك (بيت الدعوة) لايعرف الخراب لأنه يتكون ومعه أسباب حمايته من الحب والرضا . وليس معنى هذا أنه بيت

لا يقع فيه شقاق أو عتاب أو خلاف فهذا أمر لايمكن أن يتحقق في عالم البشر ولم يتحقق في بيوت رسول الله ﷺ قدوة البشرية كلها، وإنما معناه أن الخلاف بين المرأة المسلمة وزوجها لايستمر بل يثوب كلاهما إلى الله سريعاً فيذهب الشقاق ويبقى الوئام والحب والرضا.

فالزوج المسلم هو أحب الناس لزوجته، وهي أحب الناس إليه يربطهما الحب في الله — أوثق عرى الإيمان — وتزداد مشاعر الحب بينهما باستمرار العلاقة الزوجية، ومع ذلك فإن هذه المشاعر لاتدفع الزوج إلى الركون للبيت والزوجة، ولا تدفع الزوجة إلى محاولة الاستئثار بزوجها، لأن كلاً منهما يعلم أن من حلاوة إيمان المرء «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما».. فكل منهما يقدم حب الله ورسوله على أي حب، وهذا يجعل حياة الدعوة والجهاد من أجل الاسلام منبعاً للحب لايجف بين الزوجين، فالحياة في (بيت الدعوة) إما لحظة وداع وأمل، أو لحظة حنين وشوق، أو لحظة لقاء وفرحة ... فهي حياة طيبة وعيشة راضية وعمر مبارك ...

وهكذا بيتك — ياأختاه — بيت يملؤه الحب وينعم بظلال الرضا بعيداً عن ظلمات المادية الطاغية وموبقات الفساد والإباحية، فماذا عن ذريتك؟ ذرية (بيت الدعوة)؟.

لاشك — ياأختاه — أن الذرية في بيتك ليست مجرد الرغبة في التناسل، بل الرغبة في استمرار الدعوة بما في هذا الاستمرار من طاقة وإمكانية..

وبعد إتمام الرضاع وإعطاء القدر المضبوط من الحب والحنان للطفل تأتي أولي محاولات تحقيق عبودية الطفل لخالقه عند سن سبع «علموا أولادكم الصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»، والصلاة تؤسس في نفس الطفل إحساس التناقض مع أي مجتمع لايقيم الصلاة، ويبقى هذا الإحساس في نفس الطفل حتى يأخذ صورة العمل لتمكين دعوة الإسلام حتى يسلم المجتمع ويقيم الصلاة ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة﴾.

وكما ينبغي تعليم الأطفال الصلاة ينبغي أيضاً الاهتمام بتكوين شخصيتهم قوية قادرة على مواجهة

الحياة من خلال طاعة الله والإيمان بالقدر ، ولذلك يقول رسول الله ﷺ لابن عباس : « ياغلام ... احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

ومن الأمور الهامة في التربية الحث على ممارسة الدعوة إلى الله ، وهذه كانت نصيحة لقمان لابنه ﴿ يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ ..

وفي الحقيقة ــ ياأختاه ــ أن قضية تربية الأولاد ليس هذا موضع استيفائها ، ولذا أنصحك ــ أختاه ــ بمراجعة كتاب « منهج التربية الإسلامية » للشيخ محمد قطب ، وكتاب « تربية الأولاد في الإسلام » للشيخ عبد الله ناصح علوان ...

وأخيراً .. ياأختاه .. فإن الدور الذي تقومين به هو لون من ألوان الجهاد ، وأنا أعلم أن لديك من إيمانك زاداً يستعلي بك على الجاهلية ، ويصمد بك في وجه مكائدها ، غير أن النفس تحتاج دائماً إلى سلوى تعضدها ، ولا أجد سلوى للنفس أعظم من القدوة ، ولذا أدعوك ــ أختاه ــ إلى زيارة بيت قدوة من بيوت الدعوة ، وهو بيت « الرميصاء » امرأة أبي طلحة ، وكنيتها « أم سليم » .

فأما كيف تكون هذا البيت ؟ .. فقد طلب أبو طلحة زواج الرميصاء فاشترطت عليه أن يكون صداقها إسلامه (وقد كان مشركاً) فأسلم وتزوجته .. وتكون بيت مسلم ، ويجيء ضيف إلى الرسول ﷺ ولم يكن في بيته طعام ، فيسأل من يستضيف ضيف رسول الله فيقول أبو طلحة : أنا يارسول الله ، ويذهب بالضيف إلى بيته ويسأل زوجته « أم سليم » عن الطعام ، فتقول : لايوجد غير طعام الأولاد ، وتنيم أم سليم أطفالها وتضع طعامهم أمام الضيف ، وتتصنع أنها تصلح السراج فتطفئه ، وتتصنع هي وزوجها أنهم يأكلون حتى أكل الضيف وشبع ؟! ويذهب

أبو طلحة إلى صلاة الفجر فيستقبله رسول الله ﷺ قائلاً : « ياأبا طلحة لقد ضحك الله من صنيعكما الليلة » ، وهكذا أطعمت الرميصاء ضيف رسول الله طعام الأولاد وعلمتنا نحن معنى إكرام الضيف ، ففي المعنى طعم الإيمان ورائحة الجنة ، ويبارك الله تعالى كرم « الرميصاء » فيطعم بطعامها جميع الصحابة إذ صنعت الرميصاء طعاماً لرسول الله ﷺ وبعثت ابنها « أنس بن مالك » يدعو الرسول ﷺ إلى الطعام فقال النبي ﷺ للصحابة : « لقد صنع لكم أبو طلحة طعاماً » ، وذهب جميع الصحابة إلى بيت الرمصاء ، فقال أبو طلحة : ماذا نصنع ؟! فقالت « الرميصاء » : رسول الله أعلم بما يفعل ، فأمر الرسول الصحابة أن تدخل عشرة عشرة حتى أكلوا جميعاً ولم ينقص من طعام الرميصاء شيء ؟!.

ويروي لنا أنس حادثة وفاة غلام في بيت الرميصاء :

عن أنس قال : مات ابن أبي طلحة من أم سليم فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه ، قال فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ، ثم تصنعت له أحسن ماكانت تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : ياأبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا . قالت : فاحتسب بما كان ابنك ، فغضب أبو طلحة وانطلق حتى أتي رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لكما في غابر ليلتكما . قال : فحملت وأنجبت بعد ذلك عشرة أولاد كلهم يقرأون القرآن ..

بل وتقاتل « أم سليم » بنفسها يوم أحد وتنقل القرب وتفرغها في أفواه الجرحى !!.

وكانت تلك معالم بيت من بيوت الدعوة في خير القرون ، امرأة جعلت صداقها إسلام زوجها ، وأطعمت الصحابة من طعامها ، وأضحكت الله بكرمها ، وقاتلت في سبيل الله بنفسها .. ، ربما قلت — ياأختاه — وأين نحن من هؤلاء الذين عاش رسول الله ﷺ بين أظهرهم ؟ .. وأنا أقول لك — ياأختاه — ان هـذه الدعوة مازالت تؤتي تلك الثمار الطيبة

في عصرنا اليوم ، فبين أظهرنا قام بيت من بيوت الدعوة ، وقلعة من قلاع العقيدة تحرسها أخت لك هي (أمينة قطب) ، فكيف تكون هذا البيت ؟...

لقد تقدم لخطبتها علية القوم فآثرت أن تخطب لأحد المحكوم عليهم بالإشغال الشاقة المؤبدة في عام ١٩٦٣ م ، وهو الأخ « كمال السنانيري » وكان هذا الارتباط في وقته قمة التحدي للحاكم الفرد الطاغية الذي قرر أو تقرر له من قبل صانعيه القضاء على دعاة الإسلام بالقتل أو الإهلاك بقضاء الأعمار داخل السجون ؟!.

وانتظرت « أمينة قطب » زوجها عشر سنوات .. وفي عام ١٩٧٣ خرج زوجها من السجن وتكون البيت .

لعلك تدركين الآن ــ ياأختاه ــ أن تاريخ هذا الدين وقد رسم فيه وجوهاً كريمة تمثله ، فوجه المرأة ليس أقلها بروزاً وضوحاً ... وليس من العبث أن تاريخ هذا الدين يحفظ في ذاكرته أسماء نساء عشن في لحظات ما قضية هذا الدين .. فلتأخذي دورك ياأختاه .

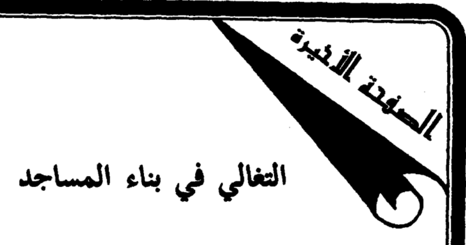
ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما □



يسر أسرة مجلة البيان أن تعلن عن تحويل المجلة إلى مجلة شهرية اعتباراً من العدد التاسع عشر ، وننتهز هذه الفرصة لدعوة القراء الكرام إلى المشاركة سواء باقتراحاتهم أو إنتاجهم .

كما نجدد الإشارة إلى أن المراسلات والاشتراكات لمواطني دول الخليج العربي ترسل على عنوان مكتب المجلة في الرياض تسهيلاً عليهم وهو :

الملّز ــ شرق الملعب ــ عمارة مكتبة بحر العرب ــ
شقة ٨ ، ص . ب / ٢٦٩٧٠ الرياض / ١١٤٩٦
تلفون : ٤٧٧٣٥٧٧
فاكس : ٤٧٧٣٥٧٧



التغالي في بناء المساجد

إن بناء المساجد ، وتوسيعها ، والعمل على إبرازها وخدمتها ورفع شأنها كل هذا مما حض الإسلام عليه ورغب فيه ، ولكن هذا شيء ، والإنفاق إلى درجة السَّرف على أشياء تتعلق بالمساجد ، وليست مقصودة ولا مطلوبة شرعاً من بنائها ؛ شيء آخر .

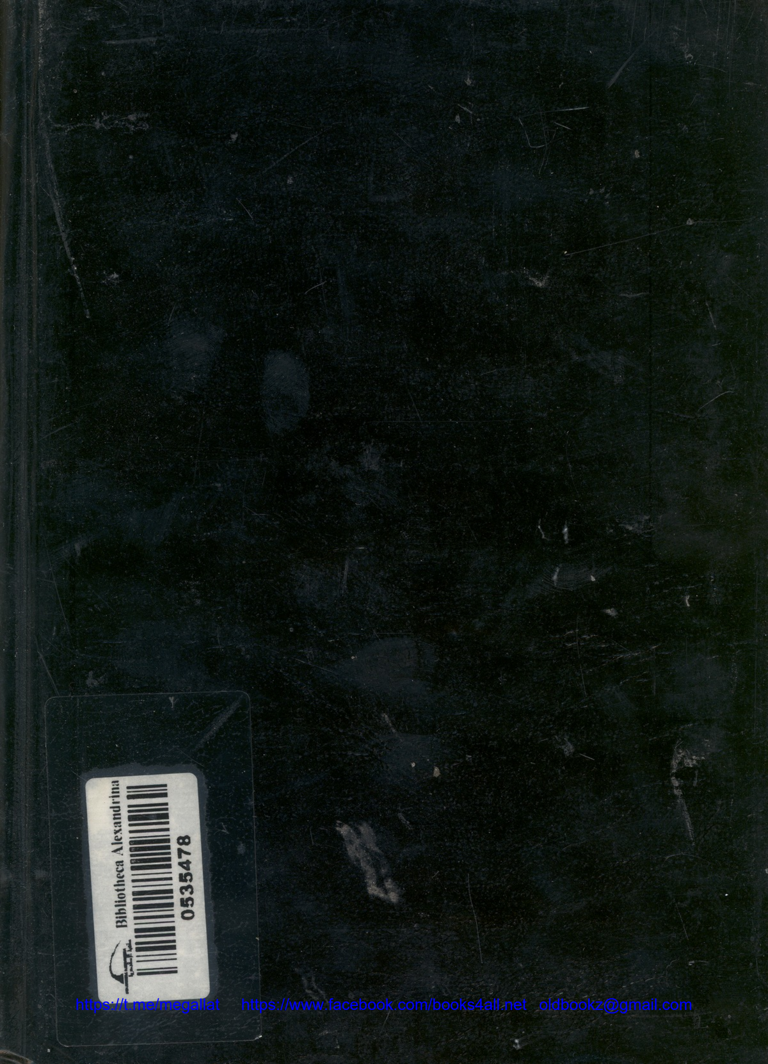
إن الله يقول على لسان نبيه ﷺ : « وما أنا من المتكلفين » والبذخ في تزيين المساجد وجعلها معارض فنية من التكلف الذي تأباه روح الإسلام ، فضلاً عن أنه إسراف وتبذير فيما لا فائدة دنيوية أو أخروية منه .

أما دنيوية : فإن هذه الأموال التي تصرف على الفن المعماري وما إليه يمكن أن تنفق على جهات ومشاريع تغني البلاد عن الحاجة إلى الديون الخارجية ذات الفوائد التي تتضاعف سنة بعد سنة ، وتقضي على البطالة التي يعاني منها الكثير ، ولا شك أن الإنفاق على بناء الإنسان أهم بكثير من الإنفاق على بناء المعالم والآثار ، لأن الإنسان هو الهدف وإلا عاش في عبودية .

وأما أخروية : فإن المساجد أمكنة يذكر فيها اسم الله في الأرض وترتفع بها كلمته ، هذا هو الهدف من إنشائها ، وليس تقليد أهل الأديان الأخرى بقطع الضروريات عن البشر من أجل التفاخر والتطاول بالحجارة ؛ وإلا فما الفرق بين الإسلام وغيره من الأديان إذا أصبحنا نسير في بناء مساجدنا على خطى من بنوا الأهرام والمعابد البوذية الضخمة ، والكاتدرائيات الباذخة وغير ذلك من المعالم الوثنية .

وماذا أفادنا المماليك الذين حكمونا حقبة من الزمن فخلفوا لنا مساجد باذخة تأخذ بالألباب بينما كانت المظالم من المعالم البارزة لحكمهم الأمر الذي ضرب علينا الذلة ، وقتل الحيوية في شعوبنا ؟!

وماذا تجدي عنا المساجد التي بنيت للتفاخر والتقليد واستقبال السائحين في حين يكفي المسلمين مساجد متواضعة ولكن نظيفة ، وفسيحة لكن مملوءة برجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ؟! □


Bibliotheca Alexandrina
0535478